

جمعية الإمام الصادق عليه السلام  
لإحياء التراث العلمي

# البهائي الفقيه العارف

جامع مختلف العلوم والفنون

الجزء الأول



الكتاب: البهائي الفقيه العارف جامع مختلف العلوم والفنون (الجزء الأول)

إصدار: جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي

تاريخ الإصدار: ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

**البهائي**

**الفقيه العارف**

جامع مختلف العلوم والفنون

**الجزء الأول**



## فهرست الكتاب

المقدمة.....	٩
الافتتاحية	
الشيخ نعيم قاسم.....	١٩
الشيخ أحمد قبلان.....	٢٧
د. غضنفر ركن آبادي.....	٣١
الشيخ حسن بغدادي.....	٣٥
الفصل الأول: شخصية البهائي الإجتماعية ومنهاجه التربوي.....	
بهاء الدين العاملي سائحاً متصوفاً	
د. حسن عباس نصر الله.....	٤١
الجانب الإجتماعي في شخصية الشيخ البهائي	
د. محمد علي آذرشب.....	٦١
عناوين في طريق البحث عن جديد لسيرة الشيخ البهائي	
الشيخ علي خازم.....	٧٣

٨٣	أ. إدريس هاني.....	الخطاب العقلاني في الحكاية الحيوانية
		«الشيخ البهائي رائد الفكر والتراث»
١١٧	الشيخ دري نجف آبادي.....	
١٢٣		<b>الفصل الثاني: الفقه عند البهائي</b>
		النقد الفقهي من منظور الشيخ البهائي
١٢٥	الشيخ أحمد المبلغي.....	
		موقع الدليل القرآني في منهج الإستنباط الفقهي عند الشيخ البهائي
١٣٧	الشيخ خالد الغفوري.....	
		قراءة في المنهج الفقهي عند الشيخ البهائي
١٥٣	الشيخ مالك وهبي.....	
		التقية بوصفها فلسفة سياسية
١٧٣	أ. محمود حيدر.....	
		التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي
٢٠١	الشيخ حسن علي أكبريان.....	
٢١٩		<b>الفصل الثالث: الإنجازات العلمية والفنية عند الشيخ البهائي</b>
		علوم الرياضيات والفلك في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي
٢٢١	د. أليس كوراني.....	
		الموسوعية في فكر وثقافة الشيخ البهائي
٢٤١	السيد هاشم الشخص.....	
		الإنجازات العلمية والفكرية في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي
٢٥١	د. حسن يعقوب.....	

رياضيات الشيخ البهائي	
أ. رفيف صَبَّاح.....	٢٥٥
الشيخ البهائي (رض)... وإنجازاته الهندسية	
المهندس نسيم حطيط.....	٢٧٣
المنهج العلمي في مدرسة الشيخ البهائي	
الشيخ عبد الكريم الحبيل.....	٢٩٥
مجاميع الشيخ شمس الدين الجبعي	
الشيخ رضا المختاري.....	٣٠٩
البهائي: الشخصية النموذجية	
الشيخ حسن عبد الساتر.....	٣٢١
قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي	
الشيخ حسين معتوق.....	٣٢٥
الشيخ البهائي قدوة المجتهدين	
الشيخ علي أكبر إلهي خراساني.....	٣٥٥



## المقدمة

من الصعب أن يكتب الإنسان عن شخصية فذة أمثال العلامة الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي المعروف (بالبهائي)، صاحب العلوم المتعددة في الفقه والأصول والحديث والكلام والفلسفة والرياضيات والفلك والأدب واللغة، رجل الإصلاح والوحدة في إيران ما يقرب من نصف قرن.

ولد الشيخ البهائي في قرية (إيعات) من بعلبك كما هو المشهور سنة ٩٥٢ هـ الموافق لـ ٨ شباط ١٥٤٧ م، وهي السنة التي عاد فيها والده الشيخ حسين مع أستاذه الشيخ زين الدين الجباعي المعروف (بالشهيد الثاني) من عاصمة الدولة العثمانية، بعدما نال كل واحد منهما وظيفة التدريس في بغداد وبعلبك، وكان الشهيد الثاني هو من اختار المدرسة (النورية) في بعلبك، على خلفية مشروع الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب، وعبر عن تلك السنوات التي قضاها في بعلبك بخطه الشريف وأنها كانت من أجمل الأيام وكان يُفتي المسلمين على طبق مذاهبهم، كما جاء في الرسالة التي صنّفها تلميذه ابن العودي حول أحوال الشهيد، وثبّتها حفيد الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني الشيخ علي في كتابه الدر المنثور.

وفي سنة ٩٥٥ هـ، اضطر الشهيد الثاني لمغادرة بعلبك على وجه السرعة والعودة

إلى جبل عامل نتيجة خُبثٍ ولؤم بعض الحُساد والمتضرِّرين من وحدة المسلمين الذين وشواً به إلى الوالي العثماني في (دمشق)، ممّا اضطره للتخفي والتواري عن الأنظار في جباع وجزين عند تلميذه ابن العودي، حتى سنة ٩٦٥ هـ.

وبعد مقتل الشهيد الثاني في عاصمة الدولة العثمانية أمام الوزير الأعظم في ٨ شعبان ٩٦٥ هـ، كما قال الرحالة الشيخ قطب الدين النهروالي الذي وقف على شهادة الشهيد الثاني في اسطنبول، وروى كيف وشى بالشهيد الثاني، وكيف اعتقل وقتل أمام الوزير الأعظم. وكيف دبّ الذعر في علماء المنطقة، مما اضطر الشيخ حسين عبد الصمد (والد الشيخ البهائي) إلى مغادرة (بعلبك) والتوجه إلى إيران مع عائلته ونجله البهائي، الذي كان له من العمر ما يقرب من اثنتي عشرة سنة.

المحطة الأولى كانت في (أصفهان)، ويومها لم تكن عاصمة الدولة الصفوية، وكان يسكن فيها الشيخ علي بن هلال الكركي المعروف بـ(المنشار)، فنزل الشيخ حسين بن عبد الصمد في دار الشيخ الكركي، وكان الشيخ حسين معروفاً من أجلّة تلاميذ الشهيد الثاني، الذي ذاع صيته وكان من العلماء الأعلام لهذه الأمة بلا منازع، مما انعكس إيجاباً على تلامذته، لهذا نرى كيف يقدم الشيخ علي الكركي الشيخ حسين بن عبد الصمد إلى الشاه الصفوي ويُعرِّفه أنه من تلامذة الشهيد الثاني، فرحب الشاه به كثيراً وعيَّنه شيخاً للإسلام في عاصمة الدولة الصفوية (قزوین).

نشأ الشيخ البهائي في كنف والده في (قزوین)، كما استفاد من منصب والده ومستنداً على ذكائه للحصول على مختلف العلوم على كبار العلماء في قزوین، ناهيك عن العناية الإلهية بهذا الشاب اليافع وما أوقعه الله تعالى في قلوب هؤلاء العلماء من العناية الخاصة به لما له من مستقبل سوف تنتفع به الأمة الإيرانية في المستقبل.

درس الشيخ البهائي المنطق وعلم الكلام وعلم المعاني والبيان على الشيخ شهاب الدين حسين اليزدي المعروف بالملا عبد الله، ودرس الطب على الحكيم عماد الدين محمود، الذي هو من أشهر الأطباء في إيران والطبيب الخاص للشاه طهماسب الأول،

ودرس الرياضيات والحكمة على الشيخ أحمد النهمني الكهمدي، ثم قرأ من جديد الرياضيات وعلم الكلام والفلسفة على أفضل القائني.

وسوف يطلع القارئ على الإنجازات العلمية والفكرية والأدبية والفنية والاجتماعية وغيرها من خلال الأبحاث التي قدمها السادة الأعزاء، والمدونة في هذا الكتاب. إن الإنجازات التي حققها الشيخ البهائي في إيران على مدار ما يقرب من نصف قرن، وحضوره الدائم بين الناس، دليل على أهمية ما قام به البهائي في كل إيران، وخصوصاً في أصفهان التي كان فيها شيخاً للإسلام بعدما أصبحت عاصمة الدولة الصفوية.

هذا مضافاً، إذا أخذنا بالإعتبار أهمية شخصية الشيخ البهائي كونه واحداً من النسيج الإيراني، حيث نشأ صغير السن في إيران، واختلط بالملوك والأمراء في حياة والده الشيخ حسين بن عبد الصمد، فلم يعد يُنظر إليه أنه شيخ قادم من بلاد العرب، كما كان يحلو للبعض أن يعبر عن بعض العلماء عندما لم يُعجب بمواقفهم كونها تتناقض مع أهوائهم.

ومما ساعد أيضاً، شيخنا البهائي على تحقيق تلك الإنجازات، إستفادته من المكتبة ذات الأربعة آلاف كتاب التي ورثتها زوجته عن أبيها الشيخ علي بن هلال الكركي الذي جاء بها من (الهند) بعد تركه لها، وعودته إلى إيران، ولا أعرف إذا كان في بطون هذه الكتب ما يتعلّق بالعلوم الغربية.

عمد الشيخ البهائي في إيران إلى مواجهة الفكر الصوفي، من خلال تقوية الفقه والحديث والتفسير، ونشر الأدب باللغتين العربية والفارسية، ولعلّ الشيخ البهائي هو من أكثر العلماء في إيران تصنيفاً وكان موقفاً في جميعها.

عُرف الشيخ البهائي بكثرة أسفاره داخل إيران والوقوف على مشاكل الناس وسياسة الأمراء، وكان يعيش الدروشة والبساطة في حياته، ولهذا اتهمه خصومه بالتصوف، واعترضوا عليه أمام الشاه الصفوي، ولكنه كان يمتلك من الحضور والقوة والثقة عند

الشاه ما يعطّل كل هذه الإفتراءات. أما مقولة أنه ساح ثلاثين سنة خارج إيران، بعيدة عن الصحة، وربما أسفاره خارج إيران لم تتعدّ السنتين، فحجّ بيت الله الحرام، وزار مصر وفلسطين، ومرّ على لبنان في طريق العودة من فلسطين والتقى نجل أستاذ أبيه الشيخ حسن صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني، وكان ذلك في (كرك نوح) البقاعية، ولم يمر حتى على مسقط رأس أبيه وآبائه في (جباع).

عاصر الشيخ البهائي العديد من الملوك الصفويين.

- ١ - الشاه طهماسب الأول (٩٣٠ - ٩٨٤ هـ / ١٥٢٣ - ١٥٧٦ م).
- ٢ - الشاه إسماعيل الثاني (٩٨٤ - ٩٨٥ هـ / ١٥٧٦ - ١٥٧٧ م).
- ٣ - الشاه محمد خدا بنده (٩٨٥ - ٩٩٥ هـ / ١٥٧٧ - ١٥٨٧ م).
- ٤ - الشاه عباس الكبير (٩٩٥ - ١٠٣٨ هـ / ١٥٨٧ - ١٦٢٨ م).

فإن الفترة الأساسية والمهمة للشيخ البهائي، كانت في عهد الشاه عباس الكبير أشهر ملوك الدولة الصفوية الذي ارتبط اسمه باسم الشيخ البهائي، وعرفت البلاد في عهده الإستقرار الداخلي حيث عاد معه الأمن المفقود إلى البلاد، كما نجح الشاه عباس بفرض هيبة الدولة الإيرانية وجعلها مرهوبة من جميع جيرانها خصوصاً بعد أن استعاد الأراضي التي كان قد تنازل عنها في بداية حكمه، وقام أيضاً بالاهتمام بعمران البلاد وتطورها، فكان بالرغم من القساوة والغلظة المشهور بها عطوفاً في علاقاته مع عامة الناس، حريصاً على الأخذ بيدهم ومساعدتهم، وقد تولى في عهده مشيخة الإسلام في أصفهان الشيخ البهائي الذي كان يلقي الكثير من الحب والإحترام من الشاه عباس.

وفي الختام، هذا الكتاب ( الشيخ البهائي: العالم العارف والفقيه الأديب )، هو نتاج مجموعة من الأبحاث حول شخصية الشيخ البهائي في جوانبها المختلفة، التي تشكل إطلالة على نتاجه العلمي والأدبي، من خلال هذا المؤتمر الذي عقدناه في بيروت بالتعاون مع المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية والمجمع العالمي للتقريب بين

المذاهب الإسلامية والمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، وبرعاية سماحة الأمين العام لحزب الله حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد حسن نصر الله.

لقد شكّل هذا المؤتمر الكبير للعلامة الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين عبد الصمد المعروف (بالبهائي)، وما سبقه من مؤتمرات فكري عقدناه في ذكرى مؤتمر وادي الحجير، ومؤتمر الشهيد الذي عقدناه في أيار ٢٠١١م، وبقية المؤتمرات والندوات العلمية الأخرى، منعظاً مهماً على المستوى الإعلامي والاجتماعي عند كافة الشرائح للتعرف على أهمية التاريخ الشيعي، وعلى حضوره المميّز، حيث أنّ الكثير من مختلف الشرائح يجهلون تاريخنا المشرف، وراحوا اليوم يتساءلون بشغف عن سبب غياب هذه الأفاذ التي لم يعرفوا عنها إلا القليل.

تأتي أهمية هذا المؤتمر لحظة الإنقسام المذهبي الحاد ليكون نافذة يُنظر من خلالها على أهمية دور علماء الشيعة في الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب. لقد حاول وعّاظ السلاطين إقناع القادة الجهلة من العثمانيين أنّ علماء الشيعة وبالأخص علماء جبل عامل، يعيشون التعصب المذهبي وأنهم يحرّضون الدولة الصفوية على السنّة، بينما الواقع الخارجي يُكذّب كل هذه الإدعاءات، وشيخ علماء جبل عامل (المحقق الكركي) هو أول من اعترض على الشاه الصفوي بعد فتح هراة سنة ٩١٦ هـ، عندما قام بعض الجند بقتل شيخ الإسلام هناك، قائلاً له: «لماذا وضعت السيف موضع الحوار؟ فلو أنّنا حاورناهم لجعلنا يُدعن لمنطقنا الحق كل من منطقة (خراسان) ومن وراء النهر».

والشيخ البهائي القادم مع أبيه الشيخ حسين عبد الصمد إلى إيران، على خلفية القتل والحقد الذي قام به (العثمانيون) والذي أدى إلى قتل شيخ الوحدة الإسلامية الشهيد الثاني الشيخ زين الدين الجباعي في ٨ شعبان ٩٦٥ هـ أمام الوزير الأعظم في (اسطنبول) عاصمة الدولة العثمانية، لم نسمع أنّ البهائي وأباه حرّضا الدولة الصفوية على الانتقام والثأر، بل على العكس تماماً، فقد لعبا دوراً أساسياً في مدينة

(هراة) المحسوبة على أهل السنة وكذلك في بقية المناطق لجمع كلمة المسلمين.

وهنا يمكن تدوين الملاحظات التالية في إنجاز هذا المؤتمر:

الأولى: لقد أضاء هذا المؤتمر على التاريخ الشيعي المشرق منذ مئات السنين، وما حققناه اليوم في لبنان من إنتصارات باهرة، وخصوصاً في عدوان تموز ٢٠٠٦م، كان امتداداً طبيعياً لتلك الحقب التي أضاءت سماء العالم العربي والإسلامي. الثانية: أعادت هذه المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية العلاقة العاطفية مع رجال الدين التي تأرجحت في الفترة الأخيرة.

الثالثة: لقد تمكنا من وضع هذا المؤتمر في السياق التقريبي، والذي ساعدنا على ذلك، كلمة نائب الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم التي أضاء فيها على الدور المشرف والمنسجم معنا للطائفة السنية الكريمة.

الرابعة: لقد سلط هذا المؤتمر الضوء مجدداً على العلاقات التاريخية بين إيران ولبنان، والذي رسخ هذا التواصل هم علماء جبل عامل على امتداد مئات السنين، والتي لم تكن هذه العلاقة محكومة في يوم من الأيام لمصلحة خاصة، واليوم باتت الجمهورية الإسلامية تجسد الدولة العادلة المهمة بقضايا المسلمين.

الخامسة: لقد تمكّن السادة الباحثون في هذا المؤتمر، من الإضاءة على المنهج العلمي والفكري في مختلف العلوم للشيخ محمد البهائي، فكانت هناك العديد من الأبحاث في الفقه، والأصول، واللغة وعلم الحديث والرياضيات، والهندسة والفلك، وهناك إطلالة على العهد الصفوي، واخترنا لهذه العناوين نخبة من الباحثين من علماء وأساتذة جامعات من لبنان وإيران ومصر والمغرب والعراق والكويت والسعودية.

السادسة: لقد شكّل هذا المؤتمر وبقية الأنشطة في مختلف المناطق حالة تواصل واستنهاض، من خلال التفاعل الواضح، والحضور الجيد وخصوصاً في المناطق المحسوبة على هؤلاء العلماء الأجلاء، فالجلسة الخامسة من أعمال هذا المؤتمر

## المقدمة

---

التي عقدناها في بلدة (إيعات) البقاعية المجاورة لمدينة (بعلبك) ، وكما هو معروف فإن الشيخ البهائي ولد فيها سنة ٩٥٣ هـ وبقي فيها حتى سنة استشهاد الشهيد الثاني ٩٦٥ هـ، حيث اضطرت العائلة للمغادرة إلى إيران، فكانت تلك الجلسة مهرجاناً تفاعل معها كل أبناء البلدة والجوار، وهذا يُدلل على مدى حبّ وارتباط هؤلاء الناس بعلمائهم وتاريخهم، وشغفهم لمعرفة ماذا حدث مع هؤلاء العلماء الأجلاء وماذا قالوا وماذا فعلوا؟

الخلاصة: لقد جمعت هذه المؤتمرات لهؤلاء العلماء الأجلاء، بين تكريمهم وتبجيلهم وتعريف الناس بهم، وبين إظهار الحضور الشيعي وقوة تاريخ الشيعة. كما أكد هذا المؤتمر أنّ الشيعة وعلماءهم من دعاة الوحدة الإسلامية، ومن حماة الإسلام الحريصين على وحدة المسلمين، في قبال أهل الفتن ومشاريع أصحاب الضلال، كما شكّل هذا المؤتمر استنهاضاً للطاقات وشغفاً لمعرفة ما حدث مع هؤلاء الأعلام.

مسؤول إحياء تراث علماء الشيعة في حزب الله

الشيخ حسن بغدادي العاملي



# الافتتاحية





## الشيخ نعيم قاسم (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق مولانا وحبیبنا وقائدنا أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأبرار المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والصالحين إلى يوم الدين. السلام عليكم أيها السادة العلماء والمفكرون، أيها الأخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

مؤتمر الشيخ البهائي مؤتمرٌ يربط بين دول العالم المختلفة ليوصلنا إلى قاسم الفكر المشترك الذي هو فكر الإسلام المحمدي الأصيل، ولد الشيخ البهائي في لبنان، وترعرع في إيران، وأينعت أغصان شجرته في أسفاره التي أمضاها في بلدان المنطقة، وترك لنا آثاراً أضاءت على مستوى الأمة الإسلامية من دون أن تفرق بين مذهبٍ وآخر أو بين بلدٍ وآخر. الشيخ البهائي من علماء جبل عامل ولبنان، حيث انتقل إلى إيران ليوجد صلة وصل لا تعترف بالحدود طالما أن الجامع المشترك هو الفكر والإيمان ومصالحة الإنسان.

---

(1) نائب الأمين العام لحزب الله.

ماذا أقول عن هذا الشيخ الذي ذاع صيته في إيران ولبنان وفي العالم الإسلامي بتنوع علومه وإمكاناته الكبيرة، اختصر فأذكر بعض المحطات التي تضيء قليلاً على ما يعنيه دور الشيخ البهائي في منطقتنا وفي العالم، وأبدأ بتقريظ قاله عنه الشهيد مرتضى مطهري (رض) «إن لفقهاء جبل عامل بتأسيسهم الحوزة الفقهية في أصفهان حقاً كبيراً على ذمة الأمة الإيرانية» وهذا ما يُظهر المكانة التي يراها الإيرانيون لعلم العلامة الشيخ البهائي (رض). هذا الشيخ الجليل تميّز بشخصية متواضعة على الرغم من هذا العلم الوفير، فقد كان يهتم بشؤون الناس كما يهتم بموقعه في الفتوة ومشیخة الإسلام على زمن الشاه عباس، وفي يوم من الأيام أراد الشاه أن يطالبه بعمل قام به، إذ تنهى إليه أن الشيخ نزل إلى الأسواق واختلط بعامة الناس، وكان يرى الشاه أن هذا العمل لا يليق بهذا العالم الكبير، فسأله «لقد سمعت أن أحد كبار العلماء يكون مع الفقراء والأراذل في أكوأخهم وهذا أمر غير لائق. فأجابه الشيخ البهائي (رض): هذا الأمر غير صحيح، فأنا كثيراً ما أكون في تلك الأماكن، ولم يحدث أن رأيتُ أحداً من كبار العلماء هناك»، فني إجابته اللطيفة استطاع أن يوصل الرسالة إلى الشاه عباس، ليقول له بأني سأكون مع الفقراء والمستضعفين.

وهو عندما تسلم مشيخة الإسلام لم يكن راغباً ومقبلاً، بل كان يعتقد أن هذا هو تكليفه، وهو يعبر عن مرارته من الموقع الذي هو فيه، فيقول: «مصاحب الملك محسودٌ بين الأنام من الخاص والعام، لكنه في الحقيقة مرحوم، لما يرد عليه من الهموم الخفية، التي لا يطلع الناس عليها، ولا تصل أنظارهم إليها، ولذلك قال الحكماء: صاحب السلطان كراكب الأسد، بينما هو فرسه إذ هو فريسته، فلا تكن مغروراً من جليس الملك وأنيسه، بما تشاهد من ظاهر حاله، وانظر بعين الباطن إلى توزع باله، وسوء مآله، وتقلب أحواله».

اشتهر الشيخ البهائي كما اشتهر علماء عامل ولبنان بدعوتهم إلى الوحدة الإسلامية، حتى أن البعض لم يتمكن من معرفة مذهب الشيخ عندما كان يلتقي به في

بعض البلدان الإسلامية، وفي هذا يقول المحدث المستري: «إن كل طائفة من طوائف المسلمين كانت تنسبه إليها... ويقول سمعت الشيخ الفاضل، الشيخ عمر من علماء البصرة يقول: إن بهاء الدين محمداً من أهل السنة والجماعة»، هذا لأن ما عرضه الشيخ البهائي قُدِّسَ سِرُّهُ كان منسجماً مع الأصالة الإسلامية التي لا تتحزب إلى مذهب، ولا تحاول أن تنافس من موقع العصبية، وإنما كان يريد تحقيق الإسلام بنقائه وعظمته. هذا ما رأيناه في إيران الإسلام مع قيام الثورة الإسلامية المباركة، ومع إنشاء الدولة الإسلامية المباركة عندما تحرك الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ كرائد للوحدة يصدق بها في الآفاق، ويدعو إلى اجتماع المسلمين، ويحث على مؤتمراتهم، ويرفع قضاياهم المحقة، ويركز البوصلة نحو فلسطين، كل ذلك في إطار وحدة إسلامية دعا إليها الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، ليقول على طريقة الشيخ البهائي أن لا حدود جغرافية بين المسلمين، وأيضاً لا حدود مذهبية بين المسلمين، إنما يجتمعون على طاعة الله، ويعملون في سبيل الله، فمن رفع راية محمد ﷺ رفع راية الإسلام، وليس من رفع الراية المذهبية في منافسة عصبية لا يقبل بها الله، ولا يريد لها لا من قريب ولا من بعيد.

وتابع الإمام الخامنئي قُدِّسَ سِرُّهُ هذا النهج الوحدوي، وبذل الكثير الكثير أمام العالم، متحدياً كل المتطرفين والمغالين من المذاهب كافة، ليقول للعالم بأسره بأننا نعمل لإحياء كلمة الله تعالى وليتعبد كلُّ على مذهبه، فلسنا من الذين يريدون تحويل المسلمين من مذهب إلى آخر، وإنما نحن من الذين يريدون إعادة المسلمين إلى دينهم وكرامتهم وشرفهم حتى نتوصل إلى إحياء حياتنا واستقلالنا في مواجهة التحديات المختلفة.

مسار الوحدة الإسلامية مسار الشيخ البهائي والشهيد الأول والشهيد الثاني والمحقق الكركي والإمام الخميني والإمام الخامنئي، كل هؤلاء في منهج واحد فلا تميز بينهم إن كان الواحد منهم إيرانياً أو لبنانياً أو من بلد آخر مؤكداً مجدداً بأن هذا النهج هو الذي يجب أن نستمر عليه.

علينا أن نعمل للوحدة الإسلامية وللوحدة الوطنية، هذه الوحدة الإسلامية التي تجمعنا هي لحماية معتقداتنا وأجيالنا وأرضنا وحقوقنا من الأغيار، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، كما ندعو أيضاً إلى الوحدة الوطنية التي تبني وطناً لكل أبنائه لا يتنافسون عليه، بل يتنافسون من أجله ليجتمعوا معاً من أجل استقلالهم وكرامتهم ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

ليكن معلوماً أن الخلافات التي نراها اليوم في العالم الإسلامي ليست خلافات دينية، ولا مذهبية، إنما هي خلافات سياسية بامتياز، يستغلها الحكام من أجل إثارة العصبية وتحريك المذاهب والطائفة كي يصلوا إلى مبتغاهم، هذه الخلافات السياسية ويستخدم فيها الدين شعاراً للعب على وتر الضعفاء، ضعفاء النفوس، وكذلك لأولئك الذين لا يدركون الحقائق ويعتقدون أن زعماءهم ينصفونهم، ولكن للأسف هذا تسويقٌ لرؤية خاطئة.

حيث وجدتم الوحدة فهناك الإسلام، وحيث وجدتم التفرقة فلا علاقة للإسلام لا من قريب ولا من بعيد، وحيث وجدتم الدعوة إلى إلغاء المذاهب في المواجهة السياسية وفي تحقيق الاستقلال فهناك العمل في سبيل الله تعالى، وحيث وجدتم إثارة المشاعر المذهبية من أجل إبعاد الناس عن بعضهم وإثارة الفتنة فهناك لا علاقة لسبيل الله ولا علاقة لمصلحة الإنسان، هذا عملٌ من أعمال الشيطان مهما سماه أصحابه في طريقة العمل.

### الموقف من الأحداث:

ليكن معلوماً أننا اليوم في عصرٍ نحتاج فيه إلى المقاومة، المقاومة الفاعلة، والمقاومة البناءة، وهنا أود أن أذكر هذا الأمر الهام والحساس، نحن نعتبر أن الطائفة السنية المترامية الأطراف في عالمنا العربي والإسلامي، هي طائفة المقاومة، ويريد البعض أن يحرفها عن هذا الاتجاه ولن يستطيع ذلك، هي أول من بدأ في مواجهة إسرائيل،

وهي أول من علّم وربى على المقاومة، ولها السبق في ذلك ولا يمكن اختصارها ببعض الشخصيات أو التيارات، ولا أن نحملها وزر مواقفهم، إذ لا يُعبر عنها من يقتل الأطفال والأبرياء بالسيارات المفخخة دون تمييز بين مسلم وآخر أو بين مسلم ومسيحي وبين إنسانٍ وآخر، كما لا يُعبر عنها من يخدم المشروع الإسرائيلي الأمريكي، هذا ما لا نقبله من أحد مهما كانت طائفته أو مذهبه.

نحن لا نُميّز في مشروع المقاومة بين مقاومٍ وآخر، ولا نرى فرقاً بين مقاوم من أبناء حزب الله ومقاومٍ من أبناء حماس وفلسطين والجهاد الإسلامي، كلهم في المقاومة واحد، وكلهم في الهدف واحد، مذاهبهم في خدمة مشروعهم، ومشروعهم تحرير الأرض، وتحرير الأرض لإرضاء الله تعالى، وعندما يكونون كذلك لا بد أن يكونوا موحدين.

مع احترامي لما يمثله الرئيس سعد الحريري في رئاسته لحزب المستقبل، لكنه ليس ممثلاً حصرياً للسنة لا في لبنان ولا في المنطقة، ولا تتحمل الطائفة السنية مسؤولية خياراته، هناك من يحمل همّ الوحدة الإسلامية، ومقاومة العدو الإسرائيلي، وعدم السير في مشاريع تسوق لها أمريكا وتخدم مشروع إسرائيل وتموّل من بعض الدول النفطية، نحن نفتخر أننا نتعاون معهم، ويشرفنا أن نكون وإياهم في خندقٍ واحد من دون أن ننظر إلى الهوية المذهبية، لأننا ننظر إلى هوية الشرف التي يحملونها في مواجهة العدو الإسرائيلي، وحاضرون للتعاون مع كل من يحمل هذه الرؤية، بل مع الذين يتبنونها بعد ابتعاد.

أما قانون انتخابات الستين في لبنان عام ٢٠٠٩، والذي يحاول البعض أن يتمسك به، فهو قانونٌ يصادر التنوع ويصب في مصلحة المحادل الطائفية، فإذا ما أضفنا إليه إفساد الناس بالمال الانتخابي الذي يزور إرادة الضعفاء والمحتاجين تصبح النتائج مزورة بالكامل، ولو أعطيت عنوان الانتخابات، فقاتل الله قانون الستين وأسأل الله تعالى أن نتوفق جميعاً لندفنه إلى غير رجعة.

أما السلاح، فهو الذي طهر أرضنا من رجس الصهاينة، وحرر بلدنا، هذا السلاح شريف وعزيز بشرف وعزة لبنان السيد الحر المستقل بثلاثي قوته المتينة: الجيش والشعب والمقاومة. لنا فخرٌ أن نكون من حملة سلاح المقاومة، وسنعتزُّ أمام العالم أننا سنبقى رافعين له بوجه إسرائيل ولن نسقطه ولن ندفنه ولن نتخلى عنه مهما علَّت الأصوات والصراخات، فلتصرخ أمريكا فلن يسمعها أحد.

لا يقبل أي شريف أن تكون أرضنا مغتصبة ونسكت عن استرداد حقوقنا، ولا يقبل أي صاحب كرامة أن يتحول بلدنا مطية لمشاريع الشرق الأوسط الجديد، ولا يقبل أي حر أن يكون مأموراً من أصحاب الأموال النفطية خدمة للمشروع الإسرائيلي؟ أين أنتم يا أصحاب الكرامات أمام الأمعاء الخاوية التي تنتفض في فلسطين ضد إسرائيل، وأسلحتكم وأموالكم وإمكاناتكم في خدمة أمريكا وإسرائيل بدل أن تقفوا ولو موقفاً واحداً يقول: لا لما تفعله إسرائيل، ونعم للأمعاء الفلسطينية الشريفة البطلة التي تعمل في سبيل الله تعالى.

من يريد تجريد المقاومة من سلاحها يعلم أن لا مقاومة بلا سلاح، فلا داعي لتتظروا علينا بالمقاومة السلبية والمقاومة الإيجابية، والمقاومة الثقافية، والمقاومة الأخلاقية، فمن دون سلاح لا معنى للمقاومة على الإطلاق، ولو حملتها كل وسائل الإعلام والمفكرين، لأن السلاح هو الذي يُخرج العدو من الأرض المحتلة. من يريد تجريد المقاومة من سلاحها يعلم أن لا مقاومة بلا سلاح، وهو يريد أن يكشف لبنان أمام إسرائيل، لتنفيذ مشروعها التوسعي الذي يشمل بناء المستوطنات في الجنوب اللبناني والبقاع الغربي، وتوطين الفلسطينيين، وإعدام لبنان المستقل، وجعله محمية إسرائيلية. لن نرضى بعد عزِ صنعه مجاهدو المقاومة الإسلامية في لبنان، وبعد تحرير عام ٢٠٠٠م وانتصار عام ٢٠٠٦م العظيمين أن نرجع إلى الورا، وأن نستمع إلى النصائح الفاسدة التي يطلقها البعض، من يصب على السلاح يريد إسقاط المقاومة، يعني أنه يخدم المشروع الإسرائيلي الأمريكي، وإلا فليقل لنا كيف يترجم

## الشيخ نعيم قاسم

مواجهته للاحتلال بشكل نافع ومحررّ ونحن لم نسمع منه على مدى السنوات موقفاً واحداً بوجه إسرائيل.

سلاح حزب الله سلاح مقاومة، وليس له وظيفة داخلية، ما حصل في ٥ أيار ٢٠٠٨م هو الجريمة بعينها، لضرب شبكة اتصالات المقاومة، ما يعني ضرب بنية إدارة النار والسيطرة، وكانت هذه خدمة مجانية لإسرائيل.

أما ما حصل في ٧ أيار بعد يومين، فهو اشتباك مسلح بين طرفين، حيث كان لدى حزب المستقبل ثلاثة آلاف مسلح منتشرين في منطقة بيروت الغربية في الشق والمباني، وبادروا بإطلاق النار بعد تهديد مسيرة الإتحاد العمالي العام من السير على خط المزرعة في بيروت بضربها بقذائف الآر بي جي، وقد أبلغتنا القوى الأمنية بذلك، كما أبلغت الإتحاد العمالي العام فألغى مسيرته، ثم فوجئنا بإطلاق النار من بعض الزوارب فكان لا بد من أن نتخذ موقفاً، وكنا أشد الحريصين بأن لا تتسع هذه الفتنة، فانتهدت الإشتباكات خلال ساعات معدودة واستلم الجيش اللبناني، لقد كنا في إطار الدفاع ووأد الفتنة، ولم نعتدي على أحد، ووجهة سلاحنا نحو العدو الإسرائيلي، وإسرائيل تعلم ذلك ومن لا يعلم فليسأل إسرائيل فهي تجيبه. هذه صفحة طويت بالنسبة إلينا، وعلينا فتح صفحات للتلاقي والبناء والمقاومة.

مؤتمر الشيخ البهائي هو مؤتمر التواصل بين أصحاب المنهج الحق، وأحيي سماحة الأخ العزيز الشيخ حسن بغدادي عضو المجلس المركزي في حزب الله، والمشرف على هذا المؤتمر، وكما أحيي المستشارية الثقافية الإيرانية، والمجمع العالمي لأهل البيت، ومجمع التقريب بين المذاهب، على إحياء هذا المؤتمر وهذه الذكرى التي تعيدنا إلى الأصالة وتذكرنا بهذا المنهج العظيم، وفقكم الله تعالى لكل خير.



## الشيخ أحمد قبلان<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لأنَّ كلَّ حُرُوفِهِ بَهِيَّةٌ عَلَى سَنَا بَهَائِهِ، وَلأنَّ مَدَادَ الْعَالِمِ يَرْتَشِفُ مُحَابِرُهُ مِنْ شَوَاطِئِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَلأنَّ مَقَامَ الْعُقُولِ عَيْنٌ عَلَى مَشَارِفِ الْمُثَلِّ، حَتَّى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. فَقَدْ أَكَّدَ الشَّيْخُ الْبِهَائِيُّ، أَنَّ مَادَّةَ الْكُونِ، وَهَيْئَاتِهَا، تَتَسَاوَى بِشَرِطِ الْعِلَّةِ، مِنْ الرُّتْقِ، وَالْفَتْقِ، وَالتَّكْوِينِ وَالتَّكْوِيرِ، فَإِذَا اتَّحَدَتِ الْهَيْئَةُ وَالْمَادَّةُ، بِسَعَةِ حَشْوِدِهَا، وَزَحْمَةِ وُجُودِهَا، دَلَّتْ صُورَةَ اعْتِيَادِهَا، وَضُرُورَةَ انْقِيَادِهَا، عَلَى أَنَّ النَّاطِقَ عَالِمٌ، وَالْبَانِي حَاكِمٌ، وَالْمُدَبِّرُ قَائِمٌ، غَنِيٌّ أَحَدٌ، فَيُؤَمُّ صَمَدٌ، فَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَطَيَّبَهَا عَلَى مَوَدَّتِهِ، فَإِنَّ هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ، ضَمَّ لَهَا ذِرَاعَ الْخُلْدِ لِتَحْيَا حَرَّةً إِلَى الْأَبَدِ. وَلأنَّ الْوُجُودَ هَذَا بَيَّانُهُ، فَقَدْ أَكَّدَ الشَّيْخُ الْبِهَائِيُّ، أَنَّ الْعَبْدَ الْحُرَّ قِطْعَةً مِنْ حُرُوفِ الْإِعْجَازِ، وَكَلِمَةٌ مِنْ لُوحِ الْأَلْعَازِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْفَصَلَ مَادَّتُهُ عَنْ رُوحِهِ، وَمُوَاقِفُهُ عَنْ صُرُوحِهِ. مِنْ هُنَا، فَإِنَّ مَقُولَتَهُ ظَلَّتْ تَتَوَشَّحُ مَنْهَلَ السَّمَاءِ رَغْمَ طَاحُونَةِ الْأَرْضِ وَحُكُومَةِ الْأَدْعِيَاءِ.

(١) المفتي الجعفري الممتاز، ممثلاً والده العلامة الشيخ عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

وَمَنْ يَتَّبِعْ عَيْنِيَّاتِهِ، يتأكد أنه من قلة، جمعوا كتاب الخلق على شرط الأذن والعين، ليحكي شَيْئِيَّةَ الحرف، بلغة الصُّور، ثم ليتحوَّل قُطْباً في فلك الأساطين، ثم ليؤرِّخ قبيل وفاته بقليل قائلاً: إِنْ أَرَدْتُ اللَّهَ، فكلُّ ذرَّةٍ في هذا الكون دليله، وَإِنْ أَرَدْتُ الدُّنْيَا، فليس شَيْئٌ قَاتَلَكَ مِثْلَهَا.

على أن من يُعيد سبر التَّاريخ، يجد أن فترة القرنين العاشر والحادي عشر هجرية، شكَّلت نموذجاً آخر من محنة العالم الإسلامي، ومع نشأة الدولة الصفوية بدا أن فقه السياسة اعتصم بعتبة عقل المحقق الكركي، الذي اتقن فهم الوجود من باب أبعديته، فقرر أسس الدولة وظيفية وإجراءات، على سكة فقهنة الوجود، ومحلها من غاية الأبد، ولتمكين هذه الغاية، فقد بعث إلى الفقهاء العاملين، أن يؤدوا خدمة السماء على طريقة تطويع مهارات أهل الأرض، علها تخاطب الله، بلغة العابر إليه، وبذلك تُشكِّل الدولة خادماً وليس مخدوماً، على طريقة الحُجج والأولياء، ولتطويع هذا المعنى، فقد التحق والد الشيخ البهائي بالمحقق، ليؤسس لولده الشيخ أول أدواره التي افتتحها بمقولة: تطويع الأرض والإنسان، ما بين فلك التدبير، وفلك التقدير.

فكان أن شقَّ حروف فلسفته على قاعدة الأبواب المنصوبة، والذراع المطلوبة، مُكرِّراً أنك لست بحاجة لأن تطلب الله، لأنَّ الطلب يكون لمفقود... فيما الله شرف الآيات وعين الوجود.

وعن سر الخلق، علَّق في تنبيهاته: أن صورة العالم أمكن من عدسة العين، وما هو مسكون في السنن، أكبر مما تراه الباصرة، والوجود أعم من الحسيات، والخلق أكبر من الماديات، وأينما ارتعش القلب، فذلك سرُّ إشراقه الله، فلا تقوتك أنواره.

بهذا يمكننا أن نفهم الشيخ البهائي، الذي عاش فترة الوجع النَّازف، بصيحته المشهورة: أن من كان عبداً لله، لا يمكنه أن يكون عبداً لغيره، وأن من عزَّ بالله، لا تذله السيوف القاطعات، ثم عن فطنة الدولة والنظام والإنسان، أكد أن السلطان الذي يعتاش على الدم والأشلاء، ورؤوس العلماء، ثم يتستر بقناع المذبيبات، لهو أخطر على

هذه الأمة من قواطع السُيوف، وقوارِعِ الحتوف، خاصَّةً أنَّ تجربة السُّلطنة العثمانية، التي هزمت دولة المماليك، والتي امتدَّ نفوذها إلى بلاد الشام أكدت أنَّ مقتل الأمة في عصبيتها، وعن الطاعة، أكدَّ الشيخ البهائي أنَّ عبادة الله تبدأ بالأمة وليس بالدولة، وأنَّ دولة يخافُ فيها الضَّعيف، ويأمنُ القوي، ستقتلها الجولات، وأنَّ الصَّمت على الظالم، مقتلة للمظلوم وأنَّ من ضيَّع نفساً، ضيَّع وطناً، وأنَّ من جاعت رعيته، تصرمت أيامه، وأنَّ من كابر، فقد قاتل. وتلك أولُ هادِماتِ الدُّول، وأنَّ الأمم على حدودها، فإنَّ أمنَ الحاكم، وخافَ المحكوم، وجاعت العامَّة، وشبعت الخاصَّة، واستأثر القوي، وتظلم الضَّعيف، فأبشروا باصطلام النَّار، وهياجِ الأمصار، ولو بعد حين.

واللافت أنَّ الشيخ البهائي، كان من أولِّ من أكَّد ضرورة وجود الفقيه، على معاقِدِ الدولة، ضبطاً للرَّكِب على قانون المسير، ولأنَّ الأَمَس كالْيوم، ولأنَّ أيامَ الله على السُّنن، ومطالبه على المِحن، فإنَّ وجع أمتنا، عاد كيوم أولها:

شعوبٌ بلا هويَّة، وحُكَّامٌ يتسترون الطائفية، في أوطانٍ سجونها أكثر من مدارسها، ودموعها أكثر من دُروعها، فيما صراخات شعوبنا تملأ السَّماء، دون أن نثار من قاتلها، أو ننتقم من عاقِلها، وهذا يعني أنَّ أُمَّة سَكَتت عن ظُلامةِ القدس، ثمَّ تجاهلت مذابِحِ أفغانستان والعراق، هي نفسها لن تكثرت للنَّارِ الهوجاء والفتنة الكأداء التي تلتهم جثث المصريين، واليمنيين والسُّوريين، والليبيين، فيما زعاماتُ الحصون، تتوددُ الأمريكي القاتل، ثمَّ تُسارع لدفع أكبر الكلف، لبناء نظام درع صاروخي إقليمي، همُّه الوحيد إعلانُ حربٍ شاملة على طهران، وأنَّى لهم؟ وكيف لهم؟ وطهران إنَّ زارتُ نارت، وإنَّ قالتُ فعلت، وما بين عاقديها كلُّ شروطِ الانتصار، (إنَّ شاء الله)، لذلك، ولأنَّ خصومةِ الأوسطِ اليوم، عادت كما بدأت، ولأنَّ مذابِحِ الهويَّة، وبإدارة أمريكية أوروبية، عادت لتُشكِّل ناظمَ السياسات، فإنَّ هذا الخطر الهائل، يفترضُ بالأزهر والنَّجف وقم، أنَّ تُشكِّل ميزانَ الكلمة، وسط نارٍ لآح دخانها، وحُمولةٍ إنَّ هي انقذت شرارتها، شوتِ الطير في كبدِ السَّماء.

ولأنَّ قسمة الأوسط، على حالها، واليد الأطلسية، تُحيك الخنادق العريبة التركية إلى حدِّ الانفجار، فهذا يعني أنَّ عزل الدُّول، لا وجودَ له، وأنَّ القاتلَ والدَّاعِمَ شريكٌ في الحرب، خاصَّةً أنَّ الأطلسي يعمل على خوضِ حربٍ بالأقنعة، وسط فتنةٍ وقودها المالُ والمذهبيَّاتُ والتكفير، مِن هنا، يجب أن تنهض أُمَّتنا، لتؤكد أنَّ ثأرها مع تل أبيب والإدارة الأمريكية، وليست بين أزقة بلداننا التي تتلاعب بها أجندة الإستخبارات الغربية.

وهذا يعني، أن بيروت، التي توجت السماء بخضابٍ مُقاومٍها، لن تُعيد يدها عن زنادِها وإلَّا وثأرُ الله يتوجُّ هامتها. ولأنَّ القرارَ السياسي، ضرورةٌ لأيِّ حدثٍ كبير. فلن نقبل بتفويت أيِّ فرصة حاسمة، وسط زلزالٍ يبدو أن هيجانه طويلٌ. ولأنَّ الخيانة، والعمالة أضحت وجهة نظر، ومدعاة للمُفآخرة، فإننا لن نمكِّن من أعناقنا، تحت أيِّ إسمٍ أو شكلٍ. لأنَّ الغبيَّ من مكَّن السكينَ من مذبحه. وما دافعنا عنه بحرُّ النحر، والقامات القطيعات، لن نُقدِّمه هديةً للقاتلِ أو شريكه. وأنَّ زمنَ التسويات مقبولٌ، إلَّا أن يقتلنا. وأنَّ من لا يركع إلا لله إن قال، فعَل. وفي المأثورِ عن الشيخ البهائي: إياك والمظلوم، فإنَّ يده إن رمت، طاوعتها يدُ السماء..

## د. غضنفر ركن آبادي<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا  
ونبينا وحبیب قلوبنا أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين  
وأصحابه الأخيار المنتجبين.

السادة أصحاب السماحة والفضيلة والسعادة أيها الحفل الكريم السلام عليكم

ورحمة الله وبركاته... قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾  
﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وفي الحديث الشريف عن النبي الأعظم محمد ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» وأقرب  
الناس من درجة النبوة أهل الجهاد والعلم، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
عليه السلام: «مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة  
وأمثالهم في القلوب موجودة وهم باقون ما بقي الليل والنهار».

(1) سفير الجمهورية الإسلامية في بيروت.

أيها السادة:

في البداية اسمحوا لي أن أوجه تحية شكر وتقدير إلى جمعية الإمام الصادق عليه السلام التي دأبت برئاسة عضو المجلس المركزي في حزب الله سماحة الشيخ العزيز حسن بغدادي على إحياء سيرة السلف الصالح من علماء الإسلام الأجلاء... ورثة الأنبياء وأمناء الله تعالى على خلقه لننتفع بعلمهم ونهتدي بهديهم ونقتدي بسيرتهم في الدعوة إلى الله بالكلمة الطيبة والدعوة الصادقة والعمل الصالح أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر خدمة للإنسان الذي كرمه الله تعالى بالإستخلاف، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لتكون الحياة الدنيا حياة عامرة بالخير والمحبة والرحمة والقيم الإلهية التي دعا إليها الرُّسل والأنبياء والأئمة والسلف الصالح من علمائنا الأجلاء ومن نتكرم اليوم بتكريمه «العالم الرباني الكبير الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين عبد الصمد الحارثي العاملي المعروف بالشيخ البهائي».

شيخ الإسلام بهاء الملة والدين وأستاذ الأساتذة والمجتهدين... الفقيه المحقق والحكيم المتأله والعارف البارِع والمؤلف المبدع والأديب الشاعر والضليع في الفنون بأسرها وهو أحد نوابغ الأمة الإسلامية والأوحد من عباقرتها الأمثال صاحب التصانيف والتحقيقات فكان بحق أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم والتضلع بدقائق الفنون لذا فإن مقامه ومكانته في تاريخ الحضارة الإسلامية لا تخفى على أصحاب النظر والمحققين من أهل المعرفة... فهو كما أشرنا العالم الفاضل الملتزم والفيلسوف صاحب النظر والعارف والواصل المحقق والرياضي الماهر المدقق والفقيه البارِع المجتهد والأستاذ المربي... خصب العطاء وذلك شيمة العلماء الإسلاميين ممن يمكن أن يقال عنهم أنهم علماء موسوعيون... هذا إلى جانب ما تحلت به شخصيته الكريمة من قريحة وقادة وكريم سجية وحميد أخلاق ومناعة طبع... فهو بما أولي من مواهب وملكات يقف على قدم المساواة مع عظماء السلف كابن سينا والفارابي والغزالي ومن لف لفهم من أرباب اللسانين وأجاد عالماً أديباً باللغتين العربية والفارسية، وهو من مفاخر جبل عامل في لبنان الشقيق العزيز، هذا الجبل الأشم منبع العلم والعلماء على مدى التاريخ الإسلامي... علماءؤه منارة تشع علماً وفقهاً وإيماناً وجهاداً أمثال الشهيد الأول والشهيد الثاني... وغيرهم المثات من العلماء الذين أغنوا الفكر الإسلامي

## د. غضنفر ركن آبادي

والثقافة الإنسانية بعلمهم وثقافتهم التي تجذرت في الأرض رفضاً للظلم ووعوياً للحق فكان لبنان وجبل عامله عصياً على القهر والظلم والاحتلال، عنواناً للمقاومة والشرف والإباء... دفاعاً عن القيم الإلهية الحقّة وإعزازاً للدين الحنيف، والروابط التاريخية التي تربط بين إيران ولبنان تعود إلى مئات السنين منذ هجرة الشيخ البهائي وأمثاله من العلماء العاملين الأوائل الذين نشروا العلم والثقافة الإلهية في ربوع إيران التي أضحت ببركة الله تعالى وجهود الثلة الطاهرة من علماء جبل عامل أمثال شيخنا الكبير تنعم بحب أهل بيت النبوة وتدين بالولاء لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين. واستمر التواصل والتفاعل الثقافي والحضاري بين إيران ولبنان قروناً طويلة زاخرة بالعلم والثقافة وكان لبنان لاسيما أهل عامله أكثر أهل الدنيا فرحاً واستبشاراً بانتصار الثورة الإسلامية في إيران وسقوط النظام الشاهنشاهي وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية على يد العبد الصالح الإمام الخميني قَدَسَ سِرُّهُ الذي أرسى بدولته المباركة دعائم الحرية والسيادة والاستقلال الحقيقي بالتبعية لله وحده... وأعاد للإسلام جوهره الحقيقي بأنه ملاذ الإنسانية وملجأها وسبيل سعادتها دون كافة العقائد المادية والوضعية التي أثبتت فشلها وأضحى الإمام الخميني العالم الرباني الكبير ورائد الصحوة الإسلامية بثورته المباركة قدوة الأحرار والشعوب المظلومة والمقهورة ونموذجاً مباركاً يحتذى في الصبر والإيمان والجهاد والمقاومة.

### أيها السادة:

إننا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفي ظل القيادة الحكيمة للولي القائد الإمام السيد علي الخامنئي قَدَسَ سِرُّهُ الشريف وحكومة الرئيس الدكتور محمود أحمدي نجاد نؤكد ووقوفنا إلى جانب المقاومة الشريفة للشعبين اللبناني والفلسطيني مباركين للبنان وشعبه ومقاومته حلول شهر الانتصار أيار الذي تزين بعيد المقاومة والتحرير عندما سجل لبنان بمقاومته الشريفة الباسلة أول هزيمة ضد الكيان الصهيوني الغاصب بانسحابه المذل في ٢٥ أيار عام ٢٠٠٠م وبانتصاره الإلهي المبارك في تموز عام ٢٠٠٦م عندما أثبتت المقاومة وشعبها بأنها نتاج العلم والإيمان والقيم والكرامة والشهامة والإباء الذي زرعه في النفوس علماء ربانيون أمثال شيخنا البهائي الذين رغم تباعد السنين ما زالوا أحياء

باقون ما بقي الدهر والليل والنهار في جهاد المقاومة ودماء شهدائها وعظمة انتصاراتها العصية على القهر... الثابتة ثبات الجبال في مواجهة الرياح العاتية لتصنع للبنان والأمة انتصاراتها القادمة عزاً ونصراً وتحريراً في لبنان والقدس وفلسطين. وإننا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية نضع كل إمكانياتنا الدفاعية والردعية في خدمة الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط ونرى أن ما يحفظ الأمن والسلم العالمي والاستقرار الداخلي هو تخلي الدول المستكبرة عن فرض إرادتها وخياراتها السياسية على الآخرين واعترافها بحق الشعوب وقدرتها على العمل مجتمعةً في بناء نفسها وحل مشاكلها وإدارة شؤونها بنفسها بعيداً عن التدخل الأمريكي السافر لاسيما في سوريا الصامدة نظاماً وشعباً أمام المؤامرات الدولية التي فشلت أمام وحدة الشعب السوري وتماسكه قيادةً وشعباً.

مجددين استعداد إيران الدائم لمساعدة لبنان في جميع المجالات والوقوف إلى جانبه في مختلف الظروف، وأكرر ما أعلنه النائب الأول لفخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور محمد رضا رحيمي إلى لبنان من أن إيران مصممة على حماية ودعم لبنان حكومةً وشعباً ومقاومة وعلى ربط شبكة الكهرباء الإيرانية بالشبكة في لبنان وإيصال الكهرباء إلى كل اللبنانيين والعرض الإيراني جاد بضرورة الإسراع والتعجيل لحل أزمة الكهرباء في لبنان متطلعين إلى إضاءة وإنارة كل بيت من بيوت اللبنانيين عبر طريقتين: الأولى: نقل الكهرباء عبر سوريا إلى لبنان.

الثانية: عبر بناء محطات للكهرباء في لبنان ونحن على استعداد للعمل فوراً بتنفيذ مشروع الكهرباء الذي نأمل أن يبصر النور لتتير بيوت اللبنانيين بالكهرباء والتي أنارت سماء الأمة بالعزة والنصر والمقاومة.

في الختام:

أجدد الشكر والتقدير للجهات الراعية لهذا المؤتمر المبارك المنعقد حول فكر الشيخ البهائي متمنياً لأعماله النجاح وللمشاركين التوفيق والسداد تكريماً للعلم والعلماء الدعاة إلى الله تعالى وتوحيده وخدمة عباده.

## الشيخ حسن بغدادادي<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

راعي مؤتمرنا الأمين العام لحزب الله حجة الإسلام والمسلمين سماحة السيد حسن نصر الله، مُمَثِّلاً بنائب الأمين العام لحزب الله سماحة العلامة الشيخ نعيم قاسم. مُمَثِّلاً سماحة الإمام القائد السيد الخامنئي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سماحة آية الله الشيخ دري نجف آبادي. السادة العلماء، السادة الحضور، الأخوة والأخوات السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... في افتتاحية المؤتمر لا يمكن الغوص في تفاصيل الجوانب العلمية والفكرية لهذه الشخصية الفذة الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين عبد الصمد العاملي المعروف (بالبهائي) رائد العلوم في الحديث والفقه والأصول والهندسة والفلك والرياضيات والفلسفة والأدب، وإنما يُترك الحديث للسادة الباحثين الذين نشكرهم على الجهود التي بذلوها في البحث والتنقيب حول الجوانب العلمية العقلية والنقلية، لهذا العالم الرباني الشيخ البهائي. ولعلَّ ما ميَّز الشيخ البهائي عن غيره من بقية علماء جبل عامل هو تعدد هذه المواهب، والحصول على العديد من مختلف العلوم العقلية والنقلية ولا غرابة فهو نجل الشيخ حسين عبد الصمد الذي هو من تلامذة الشهيد الثاني والذي لازمه في حله

(١) عضو المجلس المركزي في حزب الله والمشرف على أعمال المؤتمر.

وترحاله، فكان من الطبيعي أن يستفيد الشيخ البهائي من والده سواء في بلدة (إيعات) البقاعية التي ترعرع فيها، أو في السنوات التي قضاها والده كشيخ للإسلام في إيران حيثُ لازمه في تلك الفترة، وخصوصاً الفرصة التي أتحت له في قزوین، حيث درس على العديد من علمائها فدرس الحكمة والمنطق على الملا عبد الله، كما درس الطب عند أشهر أطباء إيران عماد الدين محمود، ودرس الرياضة والكلام والفلسفة والرياضيات، مضافاً للمكتبة التي ورثتها زوجته عن أبيها الشيخ علي بن هلال الكركي حدود أربعة آلاف كتاب جاء بها من الهند.

لقد انخرط الشيخ البهائي في النسيج الإيراني منذ طفولته، فلم يعد أحد في السلطة السياسية أو الأعيان ينظر إليه أنه طارئ على نسيجهم، كما كانوا ينظرون إلى المحقق الكركي وغيره، فالبهائي هو ابن إيران على صعيد اللغة والعارف بتفاصيل تركيبة الدولة والمجتمع.

لهذا نشاهد الشيخ البهائي قد تحوّل إلى رمز في النسيج الإيراني وعنوان التكوين الإجتماعي للأمة الإيرانية، بعيداً عن أي سلطة تحكم هذا النسيج، كيف إذا كانت السلطة قد ولدت من رحم هذا الشعب كما هي اليوم في إيران، فلم تهبط هذه السلطة بالبرشوت (المظلة) على شعب إيران، وما وجود المستشارية الإيرانية والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب والمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام معنا إلا دليل على صحة ما نقول.

#### أيها الحفل الكريم :

مخطئ من يظن أن وجود علماء لبنان في إيران بالعهد الصفوي هو شهوة سلطة أو هروب من المسؤولية، بقدر ما كانت مسؤولية شرعية تفرض عليهم الاستفادة القصوى من هذه السلطة لتصحيح المسار العقائدي، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشييد المدارس الفقهية وبناء المساجد إلخ...، وإلا ماذا نفسّر أن يرفض الشهيد الأول الذهاب إلى إيران بدعوة من حاكم خراسان علي بن المؤيد ليكون مرجعاً للمسلمين الشيعة هناك، والشهيد الثاني لم يزر حتى الإمام الرضا عليه السلام كي لا يسجل عليه بأنه التقى بأحد من السلطة الصفوية، بل فضل البقاء في جبل عامل رغم المخاطر واللجوء إلى التخفي بين جباع وجزين والمحقق الكركي يعترض على السياسة الخاطئة للشاه بعد فتح هراة سنة ٩١٦ هـ على أثر قتل

## الشيخ حسن بغدادي

الجند لبعض المسلمين السنّة، قائلاً له: «إنك وضعت السيف في موضع الحوار»، والشيخ البهائي القادم إلى إيران على خلفية القتل والحقد الذي لحق بشيخ الوحدة الاسلامية الشهيد الثاني، لم نراه يحرّض على العثمانيين ولم يستغل هذا النفوذ بل أكمل ذات النهج الذي كان عليه والده وأستاذه الشهيد الثاني، وظهر ذلك في مصر وفلسطين، فبعد أداء مناسك الحج سنة ٩٩٢ هـ توجه إلى مصر للأخذ عن شيوخها وعلمائها، بهدف التواصل والإستفادة فالتقى العالم الجليل الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، صاحب الأخلاق الرفيعة، والعلوم المتعدّدة، لاسيما في التفسير والحديث.

في الختام، يأتي مؤتمرنا هذا ومنطقتنا تعيش التشنج المذهبي على خلفية المصالح والمفاسد التي ترعاها أمريكا في المنطقة، بعدما فشلت في العراق وأفغانستان وفي عدوان تموز ٢٠٠٦م على لبنان. نحن نقول لهم كما خسرتهم وانهمتم في كل هذه المحطات سوف تهزمون مجدداً في حربكم الطائفية، ومجتمعنا الإسلامي يدرك مؤامراتكم والمخاطر المترتبة عليها، وعلى قاعدة ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾ فما نمرّ فيه اليوم هو فرصة لاخراج المنهج التكفيري من مجتمعنا الإسلامي، وليعلم الجميع أن الخطر التكفيري الوهابي وحده الذي يكون معبراً لتفتيت وحدة الأمة وهو السيف المصلط على رقبة المسلمين بأيدي الغرب وأعداء الدين.

إذاً هذا هو الشيخ البهائي، الذي قضى حياته بالعلم والزهد وخدمة الناس وتصحيح مسار الدولة، من دون أن يتأثر ببهارجها، ولم يمنعه زهده من التواصل مع الملوك وخدمة الناس، والقيام بالوظيفة الشرعية من تعليم الناس الأحكام واحياء المناسبات الدينية، كما كانت له مهمة الإشراف على بناء الحرم المطهر للإمام الرضا عليه السلام إلى أن كان منتصف سنة ١٠٢٠ هـ وبينما كان مع جمع من تلامذته وأصحابه يزور مقبرة أصفهان، وإذا به يسمع صوتاً من داخل القبر وكان بالقرب منه تلميذه الشيخ محمد تقي المجلسي، فسألهم البهائي هل سمعتم ذلك الصوت؟ فقالوا: لا، وحينها قال الشيخ البهائي لهم: «إني أخبرت بالإستعداد للموت والرحيل»، ثم اشتغل بالبكاء والتضرّع وتوفي بعد ذلك بستة أشهر، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل «إنّ أباءنا وأجدادنا في جبل عامل كانوا دائماً أهل

علم وكرامات»، وتوفي رحمه الله سنة ١٠٣٠ هـ عن ٧٧ سنة وشارك في تشييعه في أصفهان أكثر من خمسين ألفاً، ثم نقل جثمانه بعد ذلك إلى مشهد الامام الرضا عليه السلام.  
 في الختام لا يسعني إلا أن أشكركم جميعاً، السادة العلماء، والجهات المتعاونة معنا: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في إيران بشخص سماحة السيد محمد حسين رئيس زاده، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية بشخص أمينه العام آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الذي حملني سلاماً خاصاً إليكم.  
 وأشكر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بشخص أمينه العام حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن الأختري، كما أشكر الضيوف القادمين من إيران والعراق والكويت والسعودية ومصر وسوريا وفي مقدمتهم ممثل سماحة الإمام القائد السيد الخامنئي في محافظة أراك وإمام جمعيتها وعضو مجلس الخبراء سماحة آية الله الشيخ دري نجف آبادي. كما أشكر نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى سماحة العلامة الشيخ عبد الأمير قبلان ممثلاً بالمفتي الجعفري الممتاز سماحة الشيخ أحمد قبلان.  
 وأشكر الصديق العزيز سعادة سفير الجمهورية الإسلامية الدكتور غضنفر ركن آبادي على مساهمته معنا.

ولا أريد أن أنسى الجهود التي بذلها الأخ العزيز سماحة السيد هاشم صفي الدين رئيس المجلس التنفيذي في حزب الله المسؤول المباشر على عملنا في إحياء هذا التراث في حزب الله. وكل الشكر والتقدير لراعي المؤتمر الأمين العام لحزب الله سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله والشكر موصولاً بممثله سماحة العلامة الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب الله.

أشكر السادة النواب والفعاليات السياسية والاجتماعية والإعلامية والبلدية والإختيارية والثقافية والأخوة والأخوات، على أمل أن تكمل أعمال المؤتمر غداً إن شاء الله في فندق (الساحة) عند التاسعة صباحاً، ويوم الجمعة في النادي الحسيني لبلدة (جباع) الساعة العاشرة صباحاً، ويوم السبت في النادي الحسيني لبلدة (إيعات) البقاعية الساعة الخامسة عصراً.

## الفصل الأول:

# شخصية البهائي الإجتماعية ومنهاجه التربوي



### الأبحاث:

- بهاء الدين العاملي سائحاً متصوّفاً: د. حسن نصر الله.
- الجانب الإجتماعي في شخصية الشيخ البهائي: د. محمد علي آذرشب.
- عناوين في طريق البحث عن جديد في سيرة الشيخ البهائي: الشيخ علي خازم.
- الخطاب العقلي في الحكاية الحيوانية: أ. إدريس هاني.
- الشيخ البهائي رائد الفكر والتراث: الشيخ دُرّي نجف آبادي.



## بهاء الدين العاملي سائحاً متصوفاً

(٩٥٣-١٠٣١ هـ) (١٥٤٧-١٦٢٢ م)

### د. حسن عباس نصر الله<sup>(١)</sup>

البهائي، صوفيٌّ بالإرتحال، تزهد، تدرّوش، تأبّط كشكوله وجمال،  
هجر قصور الملوك،  
من سبات الغفلة، أيقظته الشكوك.  
طريق الصوفي وعر،  
صحارى، وديان، جبال،  
زواياه، شجرةٌ في قفر،  
وصخرةٌ في واد..  
ما اتخذ زاويةً في موطن باد.  
حملها على ظهره صفةً خفيفةً الظلال.  
ومساجده كهوفٌ على ضفاف نهر  
على امتداد الكون يصلي..

---

(١) أستاذ في الجامعة اللبنانية.

يرصد النجوم، يسألها عن المقامات والأحوال  
تهمس بوحاً، مواقعي، مقاماتي، أقسم بها الإله.  
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾  
صوفي، عنده ساعة تفكر، هي عام صلاة..  
في خطى التجوال، يسأل التراب،  
عن رجالٍ مروا..  
يقول التراب: أنداداً عبروا،  
سجد السائقون، عربد الضالون،  
تواضع الزاهدون، شمش الجبارون.  
في ترحاله أزاح الشوك وصلّى،  
محرابه، معراج الأرض إلى السماء.  
في صلاته يناجي ربه، ليأخذه إلى الأنوار...  
الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهداية.  
سفر الأرض، إرهاباً لأسفار العرفان،  
من الإنسان، إلى الله، إلى الإنسان.

\* \* \*

في تجواله، كلما حطّ البهائي على ضفاف غدير،  
ارتوى ماءً، وأكل عشباً،  
وقال: إن أكن أكلت، وشربت  
في الدنيا حلالاً، فهو ذا..  
فيناديه الصفاء،  
تذكر يا بهاء  
النفقة التي أوصلتك إلى هنا، من أين؟

تذكّر يا بهاء، إن كانت من السلطان،  
فهي من عرق الفقراء  
وجوع النسوان...

\*\*\*

أتاه القلق، أطفأ نيران الشك.  
بكأس خمرة، هي خمرة العشق الحلال، (لاغول فيها)  
ناوله إياها الساقى،  
هو من الغلمان، المطهرين في القرآن،  
شرب، اقترب، احترق بنار القرب،  
استيقظ، تاب، تورّع، حاسب نفسه،  
تزهّد، لبس الفقر، تصبّر، صبر،  
توكّل، أخلص، فنال الرضا، وحصل المقامات:  
فغنّى برموز العاشقين:

يانديمي بمهجتي أفديك      قُم، وهات الكؤوس من هاتيك  
هاتها، هاتها مشعشةً      أفسدت عقل ذي التقى النسيك  
خمرة، إن ضللت ساحتها      فسنانور كأسها يهديك  
ياكليم الفؤاد، داو بها      قلبك المبتلى، لكي تشفيك  
هي نار الكليم، فاجتلها      واخلع النعل، واترك التشكيك

## بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني.

ولد في بعلبك يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من محرم عام ٩٥٢هـ، إبان إقامة والده فيها، عندما كان يملي أفكاره في المدرسة النورية مقصد طلاب العلم.. كان أمةً في الأخذ بأطراف العلوم. والتضلّع بدقائق الفنون والتتقّف، فهو شاعرٌ، ثائرٌ، فقيهٌ، محدّثٌ رياضيٌّ فلكيٌّ، طبيبٌ متصوِّفٌ، رشيّق العبارة.

قال فيه شهاب الدين الخفاجي: فاضلٌ لمعت من أفق الفضل بوارقه، وسقاه من مورده النمير عذبه ورائقه، لا يدرك بحر وصفه الإغراق، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان في مضمارٍ الدهر لها السباق..

زيّن بمآثره العلوم النقلية والعقلية، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية، لا سيما الرياضات، فإنه راضها، وغرس في حدائق الألباب رياضها.

موسوعية البهائي في المعارف والعلوم والآداب، فرضت نفسها على شمولية التصوف عنده، أخذ من كل علم بطرف، تزهدٌ، تصوّف وتدرّوش، وساح في البلاد مسافراً إلى الله، وإلى المعرفة.

ودخل أدب التصوف وزواياه، وراض نفسه لمجاهداته، كتب المخلاة وثنى بالكشكول والعنوانان حالٌ للتصوف، وله:

أ- «شير وشكر» أي لبن وسكر، بالفارسية فيه لمحّ تصوفيّة

ب- «كتب تأويل الآيات من أول القرآن على نهج يقرب من طريق الصوفية» مخطوط في المكتبة الرضوية.

## موقعه التصوفي:

عرّف علم التصوف، وردّ أقوال أعلامه ومشايخه، وحكى أخبارهم، وروى أشعارهم، وإشاراتهم، وعاداتهم وشارك في قصائد عرفانية تأخذنا إلى الشيرازيين حافظ وسعدي.

ساح في البلاد من لبنان إلى فارس، ثم إلى العراق فالحجاز فمصر ثم القدس فالشام، فالعراق عودة إلى أصفهان.

ساح في البلاد ثلاثين سنة منتحلاً صفة الدراويش، لأن السياحة من صفة الزهاد قال تعالى: ﴿وَالسَّائِحُونَ وَالسَّائِحَاتُ﴾.

قال البهائي: «الأخيار سائحون في الأرض»، وقال أحد تلامذته عز الدين حسين بن حيدر الكركي: «كان البهائي يميل إلى التصوف كثيراً، وكنت في خدمته منذ أربعين سنة في الحضر والسفر». وكان يقرأ عليه في كل منزل ينزله.

وقال الحر العاملي، والمجبي عن البهائي نقلاً عن السلافة: «بعد أن صار شيخ الإسلام، في بلاد العجم، رغب في الفقر والسياحة، واستهب من مهاب التوفيق رياحه، فترك تلك المناصب، وحال لما هو لحاله مناسب».

علم التصوف: البهائي الموسوعي الذي كان أمةً في العلوم زين كشكوله بأرائه التصوفية، مضمومةً إلى إشارات أرباب هذا المذهب

أول ما يشدنا تعريفه العلمي للتصوف قوله:

أ- علمٌ يبحث فيه عن الذات الأحدية، وأسمائه، وصفاته، من حيث إنها موصلة لكل من مظاهرها، ومنسوباتها إلى الذات الإلهية.

ب- موضوعه: الذات الأحدية ونعوتها الأزلية، وصفاتها السرمدية، وبيان مظاهر الأسماء الإلهية والنعوت الربانية...

ت- كيفية رجوع أهل الله إليه سبحانه، وكيفية سلوكهم ومجاهداتهم ورياضاتهم.

ث- بيان نتيجة كلٍّ من الأعمال والأذكار في دار الدنيا والآخرة على وجهٍ ثابتٍ في نفس الأمر.

ج- مبادئه: معرفة حدّه، وغايته، واصطلاحات القوم فيه»، إن تعريف التصوف عنده، يأخذ الإتجاه العرفاني، بحثاً عن الذات الأحادية، ونعوتها وصفاتها وخاصة الأزلية والسرمدية والربانية، ويرسم طريق السلوك والمجاهدات والرياضات والأذكار للوصول إلى معرفته. وللتصوف عنده ثلاثة مبادئ: تعريف التصوف، وأهدافه، ومصطلحاته....

يُعد هذا التعريف من أشمل التعريفات، وأوضحها وأكثرها اتصالاً بالعلمية. أذهب إلى علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠-٨١٦هـ) هو أول من وضع تعريفاً علمياً للتصوف، في كتابه «التعريفات» قال: «هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً، فيرى حكمها من الباطن، وباطناً، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ بعد أن وضع الجرجاني تعريفه، أردف بانتقاء إشارات المتصوفة ليلحقها بتعريفه، أثبت منها عشر كلمات، ثم جمع منها نيكلسون ٧٨ تعريفاً، ووسمها الأصبهاني في الحلية بأنها:

«إشارات، أنبؤوا عنها بالعبارات»، منها:

١. قيل: التصوف: ترك الإختيار.
٢. وقيل: بذل المجهود، والأنس بالمعبود.
٣. وقيل: الإعراض عن الإعتراض.
٤. وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله.
٥. وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي.

أما البهائي فنقل كثيراً من إشارات المتصوفة، وأصحاب الأحوال، ووزعها بين صفحات كتابه، قال سئل أبو سعيد عن التصوف فقال: «استعمال الوقت بما هو أولى به».

وأضاف: «هو الإنقلاع عن العلائق، والإنقطاع إلى رب الخلائق».

- وروى قول البسطامي «التصوف صفة الحق، ألبسها العبد».
- ونقل عن رُويم: «التصوف ترك التفاضل بين الشئيين».
- ولما سئل رُويم عن الصوفي قال: «هو الذي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء».
- وعن القاشاني: «هو المتخلق بالأخلاق الإلهية».
- اشتقاق كلمة التصوف:
- اكتفى البهائي بذكر ثلاثة اشتقاقات، ذكرها عرضاً في أقواله:
- هي الصوف، الصفاء، الصفة.
- في حين أورد الدارسون سبعة اشتقاقات:
- ١- من الصوف «لبسهم الصوف».
  - ٢- الصفة: «مكان جلوسهم» صفة مسجد النبي ﷺ.
  - ٣- الصفاء: «صفاء الاسرار».
  - ٤- الصف: «هم في الصف الأول».
  - ٥- صوفان: «مبالغة من صوف» أو قبيلة خدمت الكعبة قبل الإسلام.
  - ٦- الصفوة: «هم صفوة الناس».
  - ٧- الصفة: «التصوف صفة الحق»، أو هم أهل الصفات الحسنة.

## الوقت الصوفي:

انفرد البهائي بتعريف الوقت الصوفي تعريفاً علمياً قال:

«الوقت في اصطلاح الصوفيّة، هو الحال الحاضرة التي يتصف السالك بها: فإن كان مسروراً فالوقت مسرور، وإن كان حزيناً فالوقت حزين، وهكذا قولهم: الصوفي ابن الوقت، يريدون ألا يشتغل في كل وقتٍ إلا بمتقضياته، من غير التفات إلى ماضٍ ومستقبل». من الوقت الصوفي عنده «الغفلة الآنية»، «واستعمال الوقت بما هو أولى به» على رأي الشيخ أبي سعيد.

الغفلة تمنع الوصال، بل ترمي بصاحبها إلى الكفر في آن الغفلة..  
قال البهائي: «غفلة القلب عن الحق من أعظم العيوب، وأكبر الذنوب، ولو كانت أنا  
من الآفات، أو لمحة من اللمحات، حتى أن أهل القلوب عدوا الغافل في آن الغفلة من  
جملة الكفار، وكما يعاقب العوام على سيئاتهم، كذلك يعاقب الخواص على غفلاتهم».  
والغفلة عنده خارجة عن الوقت.

طرق السلوك: وحدد الوصول إلى الذات الأحدية، وانفتاح الباب للسالك:  
بصدق العزم، وثبات النية، وصفاء القصد، نافياً للإتجاهات السلبية لهذه العناوين:  
«يامسكين، عزمك ضعيف، ونيتك متزلزلة، وقصدك مشوب، ولهذا لا يفتح لك  
الباب، ولا يرتفع عنك الحجاب، ولو صححت عزيمتك، وأثبتت نيتك، وأخلصت  
قصدك، لانفتح لك الباب من غير مفتاح».

### المقامات والأحوال:

كان الإمام علي عليه السلام أول من وجه الزهاد والمتصوفة إلى المقامات، لقد علّق  
أبو نصر السراج على قول الإمام علي عليه السلام: «الإيمان على أربع دعائم على الصبر،  
واليقين، والعدل، والجهاد» أنه أول من تكلم في الأحوال والمقامات، ثم كان السري  
السقطي (م ٢٥٢هـ) أول من تكلم بالمقامات والأحوال بالمعنى الصوفي: «الأحوال  
مواهب إلهية، تأتي من عين الجود، والمقامات مكاسب تحصل ببذل المجهود».  
حدّد البهائي المقامات الصوفية برؤية خاصة:

١. «أول مقامات الإنتباه هو اليقظة من سنة الغفلة».
٢. ثم التوبة، وهي الرجوع إلى الله بعد الإباق.
٣. ثم الورع والتقوى، لكن ورع أهل الشريعة عن المحرمات، وورع أهل الطريقة عن  
الشبهات.
٤. ثم المحاسبة وهي تعداد ما صدر عن الإنسان بينه وبين نفسه، وبينه وبين بني نوعه.

٥. ثم الإرادة، وهي الرغبة في نيل المراد مع الكدّ.
٦. ثم الزهد، وهو ترك الدنيا، وحقيقته التبري عن غير المولى.
٧. ثم الفقر، وهو تخلية القلب عما خلت عنه اليد، والفقر من عرف أنه لا يقدر على شيء.
٨. ثم الصدق، وهو استواء الظاهر والباطن.
٩. ثم التصبر وهو محل النفس عن المكاره.
١٠. ثم الصبر، وهو ترك الشكوى، وقمع النفس.
١١. ثم الرضا، وهو التلذذ بالبلوى.
١٢. ثم الإخلاص، وهو إخراج الخلق عن معاملة الحق.
١٣. ثم التوكل وهو الإعتماد في كل أمورهِ على الله سبحانه وتعالى، مع العلم بأن الخير فيما اختاره.

لقد فصل البهائي المقامات وجزأها وبلغت معه ثلاثة عشر مقاماً فيها «استيفاء حقوق المراسم» في حين اقتصر عدد المقامات لدى المتصوفة على سبعة استلهموا أسماءها من آيات قرآنية.

وأكثرُوا من ذكر الإشارات :

- ١- مجاهدة النفس: أول الطريق يستند إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾.
- ٢- مقام التقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.
- ٣- مقام الزهد: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.
- ٤- مقام التوكل: يستند إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
- ٥- مقام الشكر: يرجع إلى قوله تعالى ﴿لَيْنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.
- ٦- مقام الصبر أصله في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.
- ٧- مقام الرضا: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

هناك بعض عناوين متطابقة: التقوى، الزهد، التوكل، الصبر، الرضا.

وتتوافق المجاهدة مع الإرادة، ويتضمن الإخلاص الشكر..

لكن الصوفي يظل يسعى لمعرفة الحق، ولو جمع المقامات والأحوال، لما احتضر ذو النون المصري قيل له: ما تشتهي؟ فقال: «أشتهي أن أعرفه قبل الموت بلحظة». من الإشارات التي رواها البهائي، مقارنة بين الإشارات والصلاة. قال: «رُئي الجنيد بعد موته في المنام، ف قيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طارت تلك الإشارات، وطاحت تلك العبارات، وغابت تلك العلوم، واندرست تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في السحر»، ربما هذه الإشارة أيقظت البهائي من استغراقه فعاد إلى أصفهان من سياحته، وجلس لتفسير القرآن، ورواية الحديث وتقرير الفقه، وانصرف لصلاة الركيعات....

### الزهد والعرفان:

ساح البهائي في البلاد الإسلامية ثلاثين سنة، يحاضر، يناظر، يعطي، يأخذ.. وقد انتحل صفة الدراويش متعبداً، أكثراً من الدعاء، يصلي حتى يغفو في مصلاه، علق وردة التصوف وأسكره شميمها.. ولما كان البهائي عالماً شيعياً مالياً آل البيت عليهم السلام، سلك في تصوفه طريق الزهد، والتقشف والعرفان. لكنه تأثر بالعرفان الفارسي، الذي قاده الشعراء وخاصة حافظ وسعدي، وتظهر الخمرة المعنوية، خمرة حافظ الشيرازي (٧٢٠-٧٩١هـ) جليةً في بعض قصائد بهاء الدين العاملي، خمرة أزلية يديرها الساقى الذي يرشدك إلى طريق الهداية، فيملأ لك الكأس من تعاليمه العالية، فتجعلك تفيق إلى معشوقٍ جميلٍ، هو كنزٌ مخفي.

قال بهاء الدين محمد بن حسين العاملي:

يانديمي بمهجتي أفديك قمم، وهاتِ الكؤوس من هاتيك  
هاتها، هاتها مشعشةً أفسدت عقل ذي الثقى النسيك  
خمرةً، إنضلت ساحتها فسنانور كأسها يهديك

ياكليم الفؤاد، داوبها قلبك المبتلى، لكي تشفيك  
هي نار الكليم، فاجتلهما واخلع النعل، واترك التشكيك  
الرموز التصوفية العرفانية واضحة: سلوك الطريق، دعوة النديم، تراحم الكؤوس،  
معبأة بالمعرفة، تنزع الشكوك، فساد العقل، النسك، الضلال.. خمرة عرفانية، لاغول  
فيها». الهداية بإشعاعات سنا النور، ضياع، غفلة، شكوك..

تبدأ اليقظة، يطلب المداواة، يقذف النور في الفؤاد المبتلى، انتقالات إلى مرحلة  
الشفاء، نصل إلى البوح بعرفان الشاعر فتار الكليم، هي نور الله، ظهر في المكان  
المقدس، شربها نوراً على سجادة الصلاة، وصولاً إلى اليقين وتركاً الشك...

نقرأ بعض صور من قصائد حافظ:

لا تقل لي ثانية دعك من الخمر في شعبان،

فحسبي أن شموستها ستغيب عني في رمضان،

وإذ انقطعت مسبحتي فاعذرني، فإن يدي كانت في ذيل الساقى الفضي الساق.

وإذا تناولت الصبوح في ليلة القدر فلا تعيني فقد أقبل الحبيب إلي في هداوة، ولاح

الكأس في وسط الطاق».

هذا الحبيب الذي أقبل هو الواحد الفرد الصمد...

والخمرة هي خمرة أزلية يديرها الساقى الذي يرشدك إلى طريق الحق والهداية،

فيملاً لك الكأس من تعاليمه العالية، فتجعلك تفيق إلى معشوق جميل هو كنز مخفي،

وأما الربيع عندهم فربيع الأبرار، وأما الخميلة ففروضة الصلحاء والأخيار، وأما هذا

الطير الشادي، فألسنة من يسبحون آناء الليل وأطراف النهار.

كشف البهائي عن نوع خمرة في قصيدة قالها مادحاً النبي محمد ﷺ بعد أن رآه

في المنام :

وليلة كان بها طالمي في ذروة السعد وأوج الكمال

سُقيت في ظلمائها خمرة صافية، صرفاً، طهوراً، حلال.  
وأورد البهائي في كشكوله، خمرة عرفانية لسعدي الشيرازي فيها ذكر النديم،  
وقيام الليل، والسهر، والورد، والزهاد، والملام والموت والحب والغرام.

يانديمي، قم بليلِ واسقني، واسقِ الندامى  
خلّني، أسهر ليلي ودع الناس نياما  
اسقني وهديرُ الرعِ، قد أبكى الغماما  
في أوانٍ كشف الور دُ عن الوجه اللثاما  
أيها المصغي إلى الزهـادِ، دع عنك الملاما  
فز بها من قبل أن يجـ علك الدهر عظاما  
قل لمن عيّر أهل الـ حبّ بالحبّ ولاما  
لا عرفت الحبّ هيات، ولا ذقت الغراما  
يود أن يسكر بخمرة العشق ليسهر الليل قياماً، والناس نيام، وتشاركه الطبيعة  
صلاته، هدير الرعد، وبكاء الغمام، وتفتح الورد، هي رموزٌ توحى للإنسان الضال،  
بالوقوع على الحق، أما الزهاد والفقهاء اللاتمون لأصحاب التصوف والعرفان،  
فعبادتهم باردة، لأنها ما عرفت الحب، ولا ذقت طعم العشق الإلهي، ولا استشعرت نار  
الغرام التي تحرق المقترب فيسافر إلى الله بالإنسان...

### التسامح الصوفي:

إن تسامحه حمله على تعظيم فئةٍ من أعلام الصوفية الأغوياء، مثل قوله في حسين  
بن منصور الحلّاج:

روابا شدانا الحق أزدد ختي جرا بنود روا أز نيك بختي

لذلك حمل عليه علماء الشيعة، ولم يوثقون في الأحاديث والرواية، أمثال: محمد باقر المجلسي، وفيض الله التفريشي، في حين انبرى السيد نعمة الله الجزائري التستري للدفاع عنه فقال:

«كان يعاشر كل فرقة وملة بالحسنى وبمقتضى طريقتهم، ودينهم وملتهم، وماهم عليه»، واستدل بشعر البهائي:

وإني أمرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري  
وأخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كي لا يفوهوا بأفكاري  
وأظهر أني مثلهم، تستفزني صروف الليالي باحتلاء وإمرار  
إن تسامحه هو ثمرة أخلاق عالية، امتدحها فيه الفضلاء، روى المحبي عن السُلَافة:  
«أخلاقه لو مزج بها البحر لعذب طعاماً».

### الدعاء وروح التصوف:

الدعاء طريق الكشف، و«مفتاح الفلاح» للوصول إلى العرفان أكثر البهائي من الأدعية، والخلوات والمناجاة، في الليالي الطوال التي قضاها سياحةً من بلدٍ إلى بلدٍ، ومن قفرٍ إلى ضفافٍ غدير، وكان يردد: «الأخيار سائحون في الأرض».

والصوفي يصرف وقتاً مع الدعاء، أكثر مما يصرف مع الصلاة، فالدعاء مناجاة الخالق، وفيه إقرارٌ بالعبودية، وينور القلب بنور الهداية «الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهداية».

صنّف كتاباً في الأدعية هو «مفتاح الفلاح»، وله أيضاً «حدائق المقربين» في الأدعية والأعمال والعبادات...

لقد زين «المخلاة» بفيضٍ من الأدعية المتنوعة المصادر، وتغطي الساعات، والأيام والشهور..

إنّ الصوفي له كرامات، يوزعها على الناس، وخاصةً أصحاب الحوائج، والمرضى والفقراء.. فشد في مخلاته عدداً من الأدعية والأوراد، التي تعالج بالكرامات قضايا الناس: دعاءً لدفع البلياء، وآخر لقضاء الحوائج، وثالثٌ لخلاص المسجون، وأدعيةٌ لوجع الضرس، والعين، للمريض، للحمى، للحفاظ من الأعداء.

ويردّ الدعاء بقوله: «دعاءً مجرباً».

أخذ التسامح الذي اشتهر به إلى اعتماد أدعية غير مروية عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام مما أثار بعض فقهاء الشيعة، فاتهموا إيمانه..

بعد أدعية النبي والأئمة وهي بالعشرات ذكر أوراداً من كتاب الأذكار للنووي. وردّ دعاء يحي بن معاذ، وهو من الإشارات الصوفية:

«اللهم لاتجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك بالقلوب».

وضع في مخلاته: دعاء أنس بن مالك، ثم أوراد اليافعي، ومكحول، وسفيان الثوري، وأويس القرني وغيرهم..

الدعاء في رأي البهائي اقترباً من الذات الأحديّة، إن لم يحقق استجابة المطلوب، فهو يدفع البلاء، وإلا فهو إقرارٌ بالعبودية للخالق..

### خلاصة:

قراءة متعمقة للبهائي: حركة وفكراً، تفرض على الباحث أسئلة: «غاب من عندهم

الجواب».

البهائي متقد الذكاء، كان أمةً مستقلةً في الأخذ بأطراف العلوم والفنون، له شخصيةٌ يصدر عنها التناقض والإثارة.

هو شيخ الإسلام، ودرويش العلماء في إيران، بتفويضٍ من الشاه عباس الصفوي، فجأة يتخلى عن مناصبه، ويرغب في الفقر والسياسة «ومال لما هو لحاله مناسب».

عالمٌ متميزٌ له حساده وله مريدوه، هل انقلب عليه الشاه، تلبيةً للوشايات... فلاذ بالتصوف، وتدرّوش، وساح؟

لكنّ علومه المتدفقة ظلّت تضح في صدره، ويكتشفها الناس، ويعظمه كبار العلماء... فيقول لهم: ما أنا إلا درويش، لماذا التعظيم؟ فيجيبونه: شممنا منك رائحة الفضل.

في تجواله خاف أن يبوح بأفكاره وينكرها عليه الناس فخالطهم بما هم عليه، وعمل بالتقية... تناقضت الروايات: قالوا: خالط الناس على أنه شافعي المذهب (في مصر).

وبعضهم قال: (حنفي، على مذهب الدولة التركية) في بلاد الشام. وطوراً يقول: «أنا سُنيٌّ لكني أخاف سلطان العجم».. بينما أقواله، ومناظراته

الدائمة، وأشعاره تفضح تعصبه لأهل البيت، حتى بالمغالاة والترفض. بعد مناظرة مع عمر العرضي في حلب عام ٩٩٦هـ، موضوعها المفاضلة بين علي

وأبي بكر..

لمّا ظهر تفوّقه، صرخ به العرضي قائلاً: أنت رافضيٌّ شيعيٌّ وشمته.

هذا الرجل العبقرى أضع من عمره ثلاثين عاماً في السياحة والدروشة والتصوّف... ربما للتأمل، والتعلم ومناظرة الناس، تاركاً أبحاثه العلمية المتطورة، وقد أضع فرصة

الإبداعات الهندسية التي أعطى بعضها في أصفهان.. هل ثمن عمله أنه كان يقوم بعملية تبشير للمذهب الشيعي، أو للدولة الصفوية، في بلاد العرب المحكومين من الأتراك؟ وكلُّ من ترجم له قال: كان يظهر على كل مناظريه، لأنه يمتلك حجةً قويةً..

أم فرّ من حسد علماء الشيعة في إيران، والوشاية ضدّه لدى الشاه؟ أم فرّ من نفسه

الجامحة إلى سلطان؟ «أم مال لما هو لحاله مناسب»؟

لماذا حاذر دخول جبل عامل، موطن أبيه وأجداده عام ٩٩٦هـ، عندما رحل من مصر إلى القدس، فدمشق، فيلبك، فحلب..؟

لماذا فرّ من العاملين الذين تجشّموا مشقة السفر من جبل عامل إلى حلب، لرؤيته والتبرك به والأخذ عنه؟ قال المحبي:

«ولما سمع بقدومه أهل جبل بني عاملة، تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً فخاف أن يظهر أمره، فخرج من حلب».

مع أن أمره كان قد ظهر عندما ناظره عمر العرضي وشمته وقال له: «أنت رافضي شيعي»، فاستعمل التقية وقال: «أنا سنّي أحب الصحابة»، ولكن كيف أفل وسلطاننا شيعي، ويقتل العالم السنّي؟.. وكان قد كتب جزءاً من تفسير باسم الشاه عباس، فلماذا دخل بلاد السنة قطع الديباجة ورسمها باسم السلطان مراد؟  
إن قال هذا، أو تئى بتبديل الديباجة، فمعناه أنه خاف أن يكون الشهيد الثالث، وكان السلطان التركي قبل سنوات قد قتل الشهيد الثاني زين الدين الجبعي عام ٩٦٥هـ، صديق والد البهائي، وكان عمر البهائي عند مقتله اثنتي عشرة سنة.

لماذا غادر البهائي إيران، حيث الأمان والإطمئنان، إلى بلادٍ إن باح فيها بأفكاره أنكره، وشمته وإن أصرّ قتلوه؟  
أسئلةٌ لا أجوبة شافية لها إلا عند البهائي..

خاض علم التصوف على غرار ما خاض القضايا العلمية وأبدع، وضع التعريفات لعلم التصوف، وتحدث عن المقامات والأحوال، وروى كثيراً من إشارات المتصوفة التي تبني عنها العبارات، وزين كشكوله بنوادهم، وأخبارهم، ووضع كتباً بالفارسية فيها إحياءاتٌ تصوفيةٌ مثل: شيرو شكر أي «لبن وسكر».

ما اتخذ زاويةً في مكانٍ محدودٍ، بل جعل الدنيا زاويةً له.. قال في الخمرة العرفانية، لكنه ما رسم طريق الأسفار الأربعة التي سلكها صدر المتألهين، الملا صدرا..

كشف حقيقة خمرة في قصيدة قالها مادحاً النبي ﷺ بعد أن رآه في المنام:  
سُقيت في ظلماتها خمرة صافية، صرفاً، طهوراً، حلال  
الصوفي ينسى ذاته لكن البهائي من آن إلى آن، ربما في آن الغفلة، كان يبدي إعجابه بنفسه، وذكائه المتفوق.. فيزيكها بأبياتٍ فخريّةٍ:

وإني أمرؤ لا يدرك الدهر غايته ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري  
في الكشكول تتعاند ثقافته، هي منوعة المادة، متنادة معبأة في كشكول يمدح آل  
البيت، يشتاق إلى مراقدهم، يروي عن بعض الصحابة مدحاً، ثم يعود إلى ذمهم  
تارةً، وكأنه نسي ما قال أولاً، أو ندم على ما قاله ثانيةً.

هو عالمٌ فقيهٌ، زاهدٌ لكن بعض النوادر التي يرويها: شعراً أونثراً... تخالق العفة  
والأدب مضموناً ولفظاً.

البهائي شخصيةٌ غمرها الذكاء، وغزارة المعارف.. ربما يضيق المكان المحدود  
بعبقريته، وطاقاته، فيسيح مهاجراً، وأرض الله واسعةٌ، يطوّف ولا راحة، وما عرف  
الهدوء، فالعصر بمتناقضاته، والحسد والتقية أمورٌ أخذته إلى الشكوى ماديةً ومعنويةً،  
فباح بها في إحدى قصائده، شاكياً للرسول ﷺ.

واشتكى ما أنا فيه من البلوى وما ألقاه من سوء حال  
كل ما أعرفه أنه كان عبقرياً ولد في بعلبك.

## المصادر والمراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأصبهاني أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، مصر، مطبعة السعادة ١٩٧٩.
- ٣- بدوي عبد الرحمن، تاريخ التصوف، بيروت، دار القلم ١٩٧٥.
- ٤- بروكلمان، كارل.. تاريخ الأدب العربي. مصر دار المعارف ١٩٦١.
- ٥- التفتازاني، أبو الوفا، مدخل إلى التصوف الإسلامي، القاهرة ١٩٣٤.
- ٦- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت دار الكاتب العربي ١٩٨٥.
- ٧- الحر العاملي محمد، أمل الأمل. بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨٣.
- ٨- الخفاجي شهاب الدين أحمد، ريحانة الألباء.. القاهرة ١٩٦٧.
- ٩- الخوانساري، الميرزا محمد، روضات الجنات، إيران قم ١٣٩٠هـ.
- ١٠- الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٠.
- ١١- السراج، أبو نصر عبد الله (م ٣٨٧) اللمع في التصوف، لندن ١٩١٦.
- ١٢- السلمي عبد الرحمن (م ٤١٢هـ) طبقات الصوفية، القاهرة الخانجي ١٩٦٩.
- ١٣- الشعراني، عبد الوهاب، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، مصر ١٣٠٥هـ.
- ١٤- الشواربي، حافظ الشيرازي المستشارية الثقافية الإيرانية دمشق.
- ١٥- العاملي بهاء الدين محمد الكشكول، بيروت دار المعرفة ١٩٧٩.
- ١٦- العاملي بهاء الدين محمد، المخلاة، بيروت دار المعرفة ١٩٧٩.
- ١٧- العاملي بهاء الدين محمد، أسرار البلاغة المستشارية الثقافية الإيرانية.
- ١٨- العاملي بهاء الدين محمد مفتاح الفلاح بيروت.
- ١٩- القاشاني عبد الرزاق (م ٧٣٠هـ) اصطلاحات الصوفية، دمشق الحكمة ١٩٩٥.

- ٢٠- الكلاباذي، محمد بن ابراهيم (م ٣٨٠هـ) التعرف لمذهب أهل التصوف، القاهرة ١٩٦٩.
- ٢١- المحبي محمد أمين، خلاصة الأثر، بيروت مكتبة خياط د.ت.
- ٢٢- نصر الله، حسن، تاريخ بعلبك، بيروت، مؤسسة الوفاء ١٩٨٤.
- ٢٣- نيكلسون، رينولد، في التصوف الإسلامي، ترجمة أبو العلا عفيفي القاهرة ١٩٦٩.
- ٢٤- الطالدي، درويش محمد سائحات دمي القصر، بيروت عالم الكتب ١٩٨٣.
- ٢٥- الأصبهاني، الميرزا عبد الله، رياض العلماء وحياض الفضلاء، قم مطبعة الخيام ١٤٠١ ج: ٥ / ٨٨-٩٧.
- ٢٦- ابن معصوم، علي صدر الدين، سلافة العصر، مصر ١٣٢٤ هـ.



# الجانب الإجتماعي في شخصية الشيخ البهائي

د. محمد علي آذرشب<sup>(1)</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

## أهمية الحديث عن الجانب الإحيائي

من الواضح أن المشكلة الكبرى التي تعاني منها أمتنا منذ قرون هو التخلف الحضاري.

هذا التخلف له إفرازات كثيرة على واقعنا الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وأخطر ما فيه أنه يبعث في نفوس أجيال الأمة الشعور بالدونية أمام الشعوب المتطورة، وهذا الشعور يؤدي إلى حالة من الذلّ، والذلّ قرين الموت على مستوى الأفراد وعلى مستوى الشعوب.

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنّ كل أعداء الأمة الإسلامية يشتركون في موقف واحد من

---

(1) أستاذ في جامعة طهران.

## الجانب الإجتماعي في شخصية الشيخ البهائي

العالم الإسلامي، وهو تعميق الشعور بالدونية ومن ثمّ بالذلّ، نتلمس ذلك بوضوح في إعلامهم وفي خطابهم للمسلمين، وفي تعاملهم مع مقدسات المسلمين، بل لا نبالغ أيضًا إذا قلنا أن الهدف الأساس من إقامة الكيان الصهيوني في أرض فلسطين هو فرض حالة الذلّ على العالم الإسلامي، وجميع ممارسات الكيان الصهيوني تصبّ في هذا الاتجاه.

حالة الشعور بالذلّ هذه تقضي على كل الطاقات الخلاقة في النفوس، وتحوّل الإنسان الذليل إلى سلعة رخيصة يستغلها أعداء الأمة لتنفيذ مآربهم. كما أن حالة الذلّ تجعل الفرد والمجتمع لا يشعر بما ينزله الطغاة به من ظلم وعدوان، إذ ما لجرح بميت إيلام.

من هنا فإن المصلحين الحقيقيين اتجهوا أول ما اتجهوا إلى الإحياء، ولهم في ذلك سبل متعدّدة، ونظراً لحاجة أمتنا اليوم إلى مشروع إحيائي، فإن من الضروري أن نلاحظ هذا الجانب بالدرجة الأولى في دراسة شخصياتنا الفاعلة، بل وفي دراسة كل تراثنا الإسلامي والتاريخ الفكري والسياسي والاجتماعي للمسلمين.

### الإحياء وأهل البيت

بمناسبة حضور المجمع العالمي لآل البيت عليهم السلام في هذا المؤتمر أقترح دراسة حياة أئمة آل البيت في إطار منهج الإحياء، لأنهم في طبيعة من حافظ على حياة الأمة، وصانها من السقوط في حالة الذلّ.. نصوص نهج البلاغة درستّها في هذا الإطار، فوجدتها مفعمة بهذا التوجّه، وهكذا حياة الإمام الحسن المجتبي، وخطاب الحسين في كل مراحل نهضته التي تبلورت في شعار «هيهات منا الذلّة» وبقية أئمة أهل البيت والسائرين على طريقهم إلى يومنا هذا.

مدرسة آل البيت حين تدرس في الإطار الإحيائي فإنها تقدم دروساً تتجاوز الإطار الطائفي، بل وحتى الديني لتمتدّ إلى رحاب الإنسانية جمعاء.

## الإحياء والتقريب

الجسم الحيّ مترابط عضويًا، فهو كما وصفه رسول الله (ص): «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» أما إذا ضعفت الحياة في الجسم أو ماتت تنفصل أجزاؤه، ولم يعد بينها ذلك الارتباط العضوي. أقول ذلك بمناسبة حضور المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في هذا المؤتمر الموقر. ولله الحمد فإن المجمع أدرك هذه الحقيقة منذ بدايات تأسيسه، ولذلك أقام مؤتمراته في إطار الاهتمام بشؤون المسلمين باعتبار أن ذلك لا ينفصل عن أمر التقريب.

وأخيرًا، تم تأسيس مركز أبحاث وحدة العالم الإسلامي في طهران ليقترّب أكثر من هذه الحقيقة، فقد وضع هذا المركز في اهتماماته دراسة المستقبل الحضاري للعالم الإسلامي، على خلفية ارتباط التقريب بالمستوى الحضاري للأمة. فالتخلف الحضاري يفرز فيما يفرز الشقاق والنزاع والتخاصم، بسبب ضعف الارتباط العضوي القائم في المجتمع المتخلف حضاريًا، وبسبب الحالة النفسية الخاصة التي يفرزها مثل هذا المجتمع.

## مشروع الشيخ البهائي في الإحياء

أعتقد أن الشيخ البهائي يأتي على رأس الإحيائيين في القرن العاشر والحادي عشر الهجريين.

ولتوضيح معالم مشروع هذا الرجل في الإحياء، لابد أن أذكر باختصار متطلبات العمل الإحيائي:

### الأول: شخصية الإحيائي

من المؤكد أن شخصية الإحيائي ينبغي أن تكون «حياة» لأن فاقده الشيء لا يعطيه. والمقصود بأن تكون حياة، أي أن تكون متحررة من «طين» الذاتية والأنانية، ومحلقة في

## الجانب الإجتماعي في شخصية الشيخ البهائي

رحاب «نفخة روح رب العالمين». هذا التحرر يفتح أمام الفرد أبواب الحياة الإنسانية، ويفجّر في نفسه طاقات تحركه في جميع مجالات الكمال المادي والمعنوي.

### الثاني: الانفتاح

فالإنسان المنغلق على نفسه أو على بلده أو قومه أو طائفته لا يمكن أن يكون إحيائياً، فالإحياء يتطلب خطاباً إنسانياً يستطيع أن يدخل في قلوب مختلف الاتجاهات والفئات البشرية.

### الثالث: التجديد

أكبر عائق أمام تطور البشرية هو الوقوع في شرك التقليد، والتخوف من التجديد. وهذا العائق كسره المجددون بممارستهم المنهج النقدي وبتقديم المشاريع الجديدة في الفكر والحياة.

### الرابع: الشعور المتحرك

الإحيائيون يرون أن «الشعور» هو الطاقة التي تحرك الإنسان نحو أهدافه. وإذا كان الشعور متبلداً فلات ثمة حركة تكاملية، يقظة الشعور من المفردات الشائعة في خطاب الإحيائيين، ويعبرون عنه أحياناً بالنار الملتهبة في الصدور، ولارتباط الشعر بالشعور نرى الإحيائيين يهتمون بالشعر ويؤكدون على الشعر المنطلق من إحساس متوهج.

### الخامس: الأصالة والمعاصرة

اجتماع الاثنين (الأصالة والمعاصرة) ملاحظ لدى الإحيائيين. والمقصود بالأصالة العمق العلمي والمعرفي والمنهجي، والمعاصرة هي الاهتمام بأن تكون المعارف على مستوى متطلبات العصر واحتياجات العصر، فالإقتصار على الأصالة قد يؤدي إلى التجرّب وإلى الانشغال فيما لا علاقة له بحياة الناس، والمعاصرة لوحدتها قد تؤدي إلى الالتقاط والسطحية والغوغائية.

## المنظومة الثقافية الاحيائية للشيخ البهائي

بداية أذكر أن الحضارة وليدة الحركة الثقافية. فالثقافة تكون أحياناً راکدة فلا تنتج حضارة، ويعود الركود فيها إلى عدم توفر عناصر الانتاج الحضاري، أما الثقافة المتحركة فهي تمتلك تلك العناصر. ونعتمد أن الثقافة الإسلامية غنية بعناصر الانتاج الحضاري، وأثبتت ذلك في عصور الازدهار الحضاري للمسلمين، غير أن ثمة ظروف مرّت على العالم الإسلامي أدّت إلى ضعف فعّالية تلك العناصر، ونعتمد أيضاً أن تلك العناصر لو فُعّلت لعاد الانتاج الحضاري للعالم الإسلامي على مستوى احتياجات العصر، بل ستتفوق في عطائها على بقية الحضارات القائمة بسبب اشتغالها على الجانبين المادي والمعنوي من الإنسان.

أعود إلى الشيخ البهائي وأذكر بعض المفردات التي تكوّن المنظومة النظرية لثقافته الحضارية المتحركة: الأصالة. المعاصرة. الأدب. الشعور. العزّة. آل البيت. الانفتاح. الخمرة. الحبّ. كسر صنم الذات. التواصل.

قال محمد رضا الشيببي. وهو من زمرة الاحيائيين. عن الشيخ البهائي:  
«كان الإمام العاملي:

- عميق النظر جوّال الفكر حاد الذكاء جمّ النشاط.  
- راغباً رغبة أكيدة في إصلاح ما فسد من الأخلاق والأوضاع العامة.  
- انتقد الجمود والتقليد وشنّ الحملة تلو الحملة في شعره ونثره على المتمزتين والجامدين وعلى المرتزقين من الدجل والشعوذة والرياء.  
- بسبب هذه المواقف ناوأه من ناواه من هذه الطبقة بل وُجّهت إليه بعض المطاعن والتهم الباطلة.

- كان على جانب عظيم من رحابة الصدر وسعة الأفق.  
- اتصل بشتى الطوائف وباحث ملأً ونحلاً.

- لم يتحرج من أخذ الحكمة أينما وجدت.
- نال ثقة أبناء مختلف الملل والنحل.
- كان العصر الصفوي بحاجة إلى مثل هذا الإمام المصلح المجدد، بل كان مفتقراً إلى توجيهه وإرشاده في فتق الرتق ورأب الصدوع الكثيرة في العصر المذكور.
- عمل على توحيد الآراء وجمع الشتات، وعوّل السلاطين والأمراء على آرائه في الإصلاح وحسم مادة النزاع الداخلي بالوسائل السلمية على قدر الإمكان وفي كثير من الأحيان.<sup>(١)</sup>
- الشيببي الإحيائي لخص المنظومة الإحيائية للشيخ البهائي كلها تقريباً. نقف عند بعض أبعاد هذه المنظومة.

### الأصالة والمعاصرة

الجمع بين الأصالة والمعاصرة واضح في شخصية الشيخ البهائي، فكل من كتب عنه تحدث عن عمقه الفقهي والفلسفي وإمامه بعلوم زمانه من علوم وفنون. قال عنه الحرّ العاملي: «حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف، ورشاقة العبارة وجمع المحاسن أظهر من أن يُذكر، وفضائله أكثر من أن تحصر. وكان ماهراً متبحراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشئاً عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها»<sup>(٢)</sup>

وقال الشيخ محمد رضا الشيببي: «لقد استرعى نظري وأنا أتصفح مختلف الأسفار والتصانيف لتقبيد ما يتصل منها بتاريخ الفلسفة الإسلامية أن جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله حافلة بفوائد وشوارد فلسفية، مضافاً إلى بحوثه الأخرى

(١) (أعيان الشيعة ٢٣٦/٩).

(٢) (الفدير ٢٣٠/١١).

في الرياضيات والفلكيات. لا تخلو كتب الطبقات والتأليف من التنويه بعلماء قليلين شاركوا في جملة من الفنون والعلوم، ولكن ما أندر الذين برعوا وحذقوا تلك العلوم والفنون التي شاركوا فيها جميعاً!! وما أقلّ الذين جوّدوا التأليف ووضعوا الكتب فيها! إذ ليس كل من شارك في ذلك موفقاً.

ومن ذلك القليل النادر: الشيخ البهائي. فإنه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه عقلية ونقلية. ووفق في التأليف فيها...<sup>(١)</sup> الجمع بين الأصالة والمعاصرة وراء نجاح الإحيائيين على مرّ العصور، فهو يقارب النفسية الإنسانية التي تجمع بين الثابت والمتحوّل، الثابت القائم في الفطرة الإنسانية والمتحوّل الذي تفرضه طبيعة التكامل البشري. هذا الجمع كان وراء نجاح دعوة السيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني (انظر مقال: أذرشب، دور السيد جمال في الأدب العربي) ووراء مشروع عبد الحميد بن باديس وثورة الإمام الخميني.

### كسر صنم الذات

عبادة الذات من أفضح ألوان الوثنية. فهي أفضح من عبادة الأصنام الخشبية والحجرية. لأن التحرر منها (عبادة الذات) بحاجة إلى «جهاد أكبر»، وبحاجة إلى الخروج من ظلمات الطين إلى رحاب نفخة روح ربّ العالمين.

ما أكثر الذين يتحدثون عن الدين والديانة والصلاح الديني ليكرّسوا ذاتياتهم، ومن هنا فإن أحاديثهم لا تمسّ شغاف القلب ولا تتقدم بالمجتمع خطوة.

والشيخ البهائي لم يعيش لأنانيته وذاتيته ودكّانه، بل عاش لمثله الأعلى الكبير، وهذا يتجلّى في سلوكه المتحرر مما عكف عليه عبيد الدنيا من أهل المال والمتاع. وهذا

(١) (نقلا عن الذريعة ٢٣٥/٩).

التحرر كسر الحاجز بينه وبين الناس، وجعله يعيش هموم الناس وآمالهم وآلامهم.  
يقول: (١)

أنا الفقير المعنى ذو رقة وحنين  
للناس طُوراً خدومٌ إذا هم استخدموني  
يعلمون مقامي قدراً إذا هم لمسوني  
ولست أسلوهم يوماً ولو قطعوني  
وارتباطه بالأمم الناس وآلامهم نتلمسه مما ذكر المحبي أنه «كانت له دار مشيدة  
البناء، رحبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والأمل. فكلم مهد  
بها وُضع، وكلم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً، ويوسعهم من جاهه  
حناناً مغشياً...» (٢)

روحه الراضية للترفع عن الناس والاختلاط بهم نراها في حديث الشببي حيث  
يقول:

«خلق هذا الإمام على حب الحرية والتخفف، ومجافة التصنع والتكلف، مشغوفاً  
بمظاهر البساطة في الحياة، تائراً على المتصنعين والمتكلفين! وما أكثرهم في زمانه  
ومكانه! ولم يكن يتحرج، على جلالته قدره، من النزول إلى ميادين المدينة والاختلاط  
بالسواد والوقوف مع المارة.. ضارباً بمظاهر التزمّت عرض الحائط...» (٣).

وهنا نقف عند حديث الشيخ البهائي عن «الخمرة» وهي عنده وعند أمثاله من  
الإحيائيين خمرة «صحوة» لا خمرة «سكر». هي خمرة تتشغل الإنسان من ذاتيته  
وأنايته، ونرى مثل هذا الحديث عند حافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي، ومولانا  
جلال الدين الرومي، والإمام الخميني.

(١) (التونجي، بهاء الدين العاملي، ٢٤).

(٢) (نقلا عن التونجي، ص ٢٤).

(٣) (الذريعة ٢٣٦/٩).

والشيخ البهائي بين طبيعة هذه الخمرة التي يدعو الساقى إلى إدارتها. يقول:  
قد صرفنا العمر في قيل وقال يا نديمي قم فقد ضاق المجال  
واسقني تلك المدام السلسيل إنها تهدي إلى خير السبيل  
واخلع النعلين يا هذا النديم إنها نار أضاءت للكليم  
وفي نفس هذه القصيدة يدعو إلى أن يكون هدف الدارس سامياً، لا أن يكون من  
أجل السمعة والظهور، كما يدعو إلى غسل القلب (بالراح) من كل علم لا يتجه إلى  
المثل الأعلى المطلق: (١)

أيها القوم الألى في المدرسة كل ما حصلتوه وسوسه  
فكركم إن كان في غير الحبيب ما لكم في النشأة الأخرى نصيب  
فاغسلوا يا قوم من لوح الفؤاد كل علم ليس ينجي في المعاد  
في قصيدة أخرى يذكر البهائي للخمرة أوصافاً تبين أنها إحيائية وأنها تقرب  
الإنسان من رب العالمين، وأنها تتعامل مع القلب وتجعل الإنسان مثل موسى عليه السلام  
يعيش في طور سيناء: (٢)

هاتها من غير مهل يا نديم خمرةً يحيا بها العظم الرميم  
خمرةً من نار موسى نورها دنها قلبي وصدري طورها

## اهتمامه بالأدب الغنائي

الأدب الغنائي هو الذي ينطلق من تجربة شعورية صادقة، ويعزف فيه الأديب على  
قيثارة قلبه، ومثل هذا الأدب ينطلق من الشعور ويخاطب الشعور، فيحرك الإنسان  
ويستنهضه ويشده إلى آفاق بعيدة. واهتمام الإحيائيين بالأدب عامة وبالشعر خاصة

(١) (الكشكول ١/١٥٩).

(٢) (الكشكول ١/١٦٤).

## الجانب الإجتماعي في شخصية الشيخ البهائي

ينطلق من هدفهم في إنقاذ الإنسان من الركود والخنوع والاستسلام للواقع الضيق لدفعه نحو حركة الكمال ونحو التطلع إلى الجمال. يقول في بعض أشعاره متغزلاً بالحبيب:<sup>(١)</sup>

ما شملتُ الوردَ إلا زادني شوقاً إليك  
وإذا ما مالَ غصنٌ خلته يحنو عليك  
لست تدري ما الذي قد حلَّ بي من مُقلتيك  
إنَّ يكنْ جسمي تناءى فالحشَى بواقٍ لديك  
كلُّ حسنٍ في البرايا فهو منسوبٌ إليك  
رُشِقَ القلبُ بسهم قوسه من حاجيك  
إنَّ ذاتي وذواتي يأمنايا في يديك  
أو لو أسقى لأشفي خمرةً من شففتيك  
والغزل الحقيقي هو الشوق إلى الجمال.. وقد يكون إلى الجمال النسبي، لكن وراءه شوق إلى الجميل المطلق سبحانه يقول متغزلاً:<sup>(٢)</sup>

يا بدر دجى بوصله أبحاني إذا زاروكم بهجره أفناني  
بالله عليك عجلن سفك دمي لا طاقة لي بليلة الهجران  
والملاحظ في شعر البهائي أنه حين يمدح أهل البيت يبدأ بمقدمات غزلية طويلة تدلُّ أولاً على أنه يستثير مشاعره بالغزل، والشعراء يرون في الغزل المفتاح الذي يدخلون به إلى عالم الشعر والشعور، وتدلُّ ثانية على أنه ينظر إلى أهل البيت نظرة جمالية، كما ينظر العاشق إلى محبوبه، فحديثه عنهم في سياق التغزل بالحبيب. غديرته على سبيل المثال يبدأها بثلاث عشرة مخمسة في الغزل مطلعها:

(١) (الكشكول ١/١٢٥).

(٢) (الكشكول ١/١٨٧).

رعى الله ليلةً بتنا سَهاري خلعنا بحبِّ العذارى العذارا  
ولما سرى النجم والبدْر حارا أَمَاطت ذاتُ الخمار الخمارا  
وصيَّرتِ الليلُ منها النهارا  
وفيها يقول:

هلالُ السَّما من سناها يغيَّبُ ومن قدَّها الغُصنُ مضى كئيب  
ألا إنَّ هذا لشيءٌ عجيب إذا البدرُ أبصرها والقضيبُ  
تلبس هذا وهذا تواري

### الولاء لأهل بيت رسول الله ﷺ

هذا الولاء يدخل في المنظومة الحضارية حين يستلهم الموالي من هذا البيت الكريم عزَّته وكرامة وعلمه وشخصيته الرسالية. وهذه هي رؤية الشيخ البهائي لآل البيت، فهو عاشق لهم ويذوب شوقاً إليهم يقول في تشوِّقه إلى طوس حيث مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: (١)

يا ريحُ أقصُ قصَّةَ الشوقِ إليك إن جئتِ إلى طوس فبالله عليك  
قبِّلن عني ضريحَ مولاي وقال: قد مات بهائيك بالشوق إليك  
ويقول في الإمامين موسى بن جعفر وحفيده محمد بن علي الجواد عليه السلام وفي مرقديهما قرب بغداد:

ألا يا قاصد الزوراء عرِّج على الغربيِّ من تلك المغاني  
ونعليك اخلعن واسجد خضوعاً إذا لاحت لديك القبَّتانِ  
فتحتهما لعمرك نار موسى ونور محمد متقارنان

(١) (الغدير ١١/٢٧٦).

## الانفتاح والتواصل

الانفتاح على الآخر والتواصل معه من أهم خصائص الإنسان الحضاري، هذا الانفتاح يحقق هدف الخلفة من التنوع.. والقرآن الكريم يؤكد ذلك بقوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ».

والتعارف هو التبادل المعرفي، وبدون هذا التبادل لا يتحقق البناء الحضاري، هذا على مستوى الأفراد وأيضاً على مستوى الشعوب، والحضارات في العالم ظهرت بعد هجرات، وليست الحضارة الإسلامية بمستثناة عن ذلك.

والبهائي الحضاري ساح في العالم الإسلامي واتصل بمختلف المذاهب والأديان، وعاشر مختلف فئات الناس.

امتدت رحلاته قرابة ثلاثين سنة زار خلالها مصر والجزيرة والشام والحجاز «واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ما تعذّر على غيره واستحال»<sup>(١)</sup>.

وممن تعرّف عليهم من علماء الأزهر في مصر محمد البكري وفي الشام اجتمع بالحسن البوريني.

هذه بعض العناصر التي توفّرت في شخصية الشيخ البهائي فجعلت منه رجلاً حضارياً، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى مثل هؤلاء الرجال ونحن نتطلع إلى استئناف مسيرتنا الحضارية على مستوى متطلبات العصر.

(١) (الحر العاملي، أمل الأمل ١/١٥٨).

# عناوين في طريق البحث عن جديد لسيرة الشيخ البهائي

## الشيخ علي خازم<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وبعد  
قبلت شاكراً حسن ظنه دعوة الأخ حجة الإسلام الشيخ حسن بغدادى للمشاركة في  
مؤتمركم هذا ولكن شاء المولى عز وجل ابتلائي بأمور منها تطور مرض زوجتي بشكل  
مفاجي ثم ارتحالها إلى رحمة الله وأعقب ذلك أمور منها كسر ضلعي وجراحة في كفي  
وطيلة هذه الفترة كان سماحته يتصل ويتواصل مواسياً ومطمئناً ويؤكد على ضرورة  
مشاركتي وأنا أعرف صدق رغبته في إخراجي من الجو الذي أعيشه بحيث لم يترك لي  
فرصة للإعتذار إلى أن فتح الله علي باباً تدبرت منه الوفاء بحقه من جهة وإحتراماً لحقكم  
من جهة أخرى وهو أن أضع بين أيديكم عدة ملاحظات استوقفتني أثناء البحث لإختيار  
عنوان يمكن أن أقدم ورقة فيها جديد يستحق الإرتصاف إلى جانب جديدكم فإن كانت  
غير ذلك صوبتم وأشرتتم إلى محلها فأستفيد، وصارت بضاعة حاملها ردت إليه مزينة

(1) عضو تجمع علماء المسلمين.

## عناوين في طريق البحث عن جديد لسيرة الشيخ البهائي

ومزيدة. وإلا فربُّ حامل فقهه ليس بفقيهه، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقهه منه كما في الحديث الشريف. وترتيب هذه العناوين بحسب مسار البحث منهجياً وليس لسبب آخر.

الإسم واللقب الوظيفي والخطاب والكنية والنسبة في العربية والإنكليزية والتخلص في الفارسية والتركية لاحظت الاختلاف في كتابة إسم الشيخ البهائي عند من كتبوا عنه في المصادر العربية والإنكليزية وثمرة هذا الاختلاف يدركها جيداً المفهرسون والمبرمجون والباحثون، إذ تقتضي قواعد الفهرسة ضبط أسلوب تسجيل المعلومات وفق أساس واحد وثابت لأن الاختلاف في كيفية تدوين إسم المؤلف أو إسم عنوان الكتاب إن لم نعتمد أسلوباً محدداً فيهما فإن الإشكال الذي سيقع في طريق البحث هو تعدد الأشخاص أو الأعمال سواء كان تفتيشنا في البطاقات الورقية أو الإلكترونية، ويزداد الإشكال تعقيداً عندما يكتب عن الشخصية المبحوث عنها أكثر من مؤلف وفي ثنايا بحوث عن رؤوس موضوعات أو شخصيات أخرى، عندها لن يتمكن الباحث من الوصول إلى جمع المواد المتعلقة ببحثه بصورة واسعة وشاملة. وهذا الأمر يمكن ملاحظته داخل برامج إلكترونية كالموسوعات الكبرى أو داخل مواقع إلكترونية كما يلاحظ أيضاً في بعض الأعمال الورقية.

أمثلة:

المحبي في « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » يذكر عدداً ممن ترجم لهم بالبهائي وشيخنا ليس منهم قال في ترجمة محمد بن سنان المعروف بشيخ زاده أحد موالى الروم البارعين... وولي بعدها قضاء الغلطة ثم أدرنه ثم صار أمين الفتوى لشيخ الإسلام البهائي ثم صار قاضياً بقسطنطينية ثم أعطى رتبة قضاء العسكر باناً طولي وقضاء أنقره على وجه التأييد».

وفي ترجمة عبد الرحيم بن محمد مفتي الدولة العثمانية المحقق الشهير قال: «.. وحكى والدي رحمه الله تعالى في ترجمته قال لما وردها لم يجد بها من يعرفه فاضطرب ثم ذهب إلى جامع السلطان محمد فرأى رجلاً من سكان المدارس

الثمان فأنس به ثم دعاه الرجل إلى حجرته وبات عنده تلك الليلة وانجر معه في أثناء المكالمة إلى ذكر ما وقع له من الوحشة وشكى إليه رقة حاله فسلاه ثم قال له: إني كنت اليوم عند المولى عبد العزيز بن المولى سعد الدين فذكر أن ولده محمد البهائي قد تهيأ للمذاكرة واستعد للقراءة وطلب مني أستاذا فلعلك تكون ذلك».

### التخلص:

«بهاء» هو تخلص الشيخ في أشعاره الفارسية وفقاً لما تذكره مقالة في موقع مجذوبان نور، موقع الطريقة النعمة الإلهية :

النسبة ومكان الولادة وتاريخها (الدولة والبلدة اليوم)

العاملي والآملي والقزويني كما في بعض المصادر هي من النسب المجعولة لمترجمنا مستقلة أو متلاحقة كلاً أو بعضاً عند آخرين. الشامي أصلاً والخراساني مولداً كما ينقل المحبي عن الطالوي في ترجمته لشيخنا: «وقد أطال أبو المعالي الطالوي في الثناء عليه وكذلك البديعي ونص عبارة الطالوي في حقه: ولد بقزوين فانظره مع قول ابن معصوم ببعلبك وأخذ عن علماء تلك الدائرة ثم خرج من بلده وتنقلت به الأسفار إلى أن وصل إلى أصفهان فوصل خبره إلى سلطانها شاه عباس فطلبه لرياسة علمائها فوليها وعظم قدره وارتفع شأنه إلا أنه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته لانتشار صيته في سداد دينه إلا أنه غالي في حب آل البيت». وانظره في المصدر السابق.

### تاريخ الولادة والوفاة:

أعلن المجلس الأعلى للثورة الثقافية في إيران ٢٣ نيسان يوماً وطنياً للمهندس بإعتباره مولد الشيخ البهائي ولكن التضارب فيها حاصل على ضريحه وفي اللوحات المحيطة بغرفته في مشهد.

إهتمام اليهود بالترجمة له في موسوعتهم «اليهود في العالم الاسلامي». لم أجد سبباً واضحاً لذلك.

### علاقات الدولة الصفوية بالغرب والآباء الكرمليين:

The Chronicle of the Carmelites «وقائع الكرمليين» كتاب وقائع للكرملية carmelites وأنشطتها وغيرها من الأنشطة التبشيرية المسيحية في إيران بين ١٥٨٨ و ١٧٢٢، بما في ذلك سقوط سلالة الصفويين. وتم التفاوض عن الكرمليين (وكذلك Augustinians - الكبوشيين) من قبل الصفويين على أمل إقامة علاقات تجارية ودبلوماسية مع القوى الأوروبية الهامة. ويهتم الكتاب في المقام الأول بوقائع تعزيز الكرمليين «الكاثوليك في بلاد فارس».

في بعض الروايات أن الشاه استدعاه لحوار مع مبعوث سفير روما وشخص كان يدعي معرفته الخفايا بسبب مسيحيته ولذلك فهي أفضل من الإسلام.... وغيره من الحوارات.

عمة الشاه زينب بيكم كانت مهتمة بالفنون وبما في الغرب منها وكانت ذات حضور في البلاط. وكان الشيخ البهائي معاصراً لشكسبير سبب هجرة الوالد من لبنان ومن إيران:

هرباً من الضغوط على الشيعة، دعماً للدولة الناشئة عند البعض الآخر، حذراً من المآل إلى ضياع العلم في كلام آخر، أسباب قد تكون مجتمعة لكن حتى إجتماعها فضلاً عن تبني واحد منها شأن يحتاج إلى تحقيق.

قال المحبي في ترجمته في خلاصة الأثر: «... وذكر الشيخ أبو الوفا العرضي في ترجمته:.. قال وكان كتب قطعة على التفسير باسم شاه عباس فلما دخل بلاد السنة قطع الديباجة وبدلها وذكر أنه كتب ذلك باسم السلطان مراد ولما سمع بقدمه

أهل جبل بني عامل تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب. انتهى وسياق كلام العرضي يقتضي أن دخوله إلى حلب كان في قدمته من العجم قاصداً الحج والله أعلم.»

المرحلة الضائعة وزيارة سيلان:

The lost biography of Baha'Al-din Al-camili and the reign of  
Shah Ismacil ii in Safavid historiography

**Devin J. Stewart**

ينقل ديفين ج.ستيوارت عن المولى مظفر علي في تعليقه المخطوطة على كتاب الأربعمون حديثاً لأستاذه البهائي ما يثير الإضطراب في فهم طبيعة العلاقة بين الشيخ البهائي ووالده والكركيين الشيخ علي عبد العال والسيد حسين انفسهم (The Lost Biography 19 pdf - 193) وبينهم وبين الشاه عباس من تسنن الشاه إلى علاقة العلماء العاملين بالدولتين العثمانية والصفوية.

It seems, therefore, that Sayyid Husayn figures so prominently in the biography on the grounds that Baha3 al-Din was his immediate successor as shaykh al-islam of the Safavid capital and leader of the religious establishment, in other words, the direct heir to his mantle of authority. His most likely role in the biography as a whole is as the illustrious predecessor of Baha° al-Din. This transition from one to the other must have been problematic: other evidence concerning the leading Shicite jurists of sixteenth-century Iran indicates that Baha3 al- Din may have had an antagonistic relationship with Sayyid Husayn and perhaps

Shaykh cAbd al-cAl as well. The latter two scholars may in fact have been enemies who stood in the way of his advancement. There was considerable friction between the scholarly line of al-Shahid al-Thani, Husayn b. cAbd al-Samad alcAmili, and Baha' al-Din on the one hand and that of cAli b. cAbd al-cAl al- Karaki (d. 940/1534), cAbd al-cAl al-Karaki, and Sayyid Husayn al-Karaki on the other. The conflict between them is clear over certain issues such as Friday prayer, the qiblah, and the status of Sunni Muslims.<sup>72</sup> Sayyid Husayn al-Karaki had caused a major setback in the career of Baha° al-Din's father thirteen years prior to Shah Ismacil IPs reign, ousting him from the office of shaykh al-islam 70. al-Taluwi, Sanihat duma 'l-qasr, fol. 125a.

71. It was standard Safavid practice to appoint deputies for officials, including those who held the office of shaykh al-islam, when they were temporarily unable to carry out their duties for any of a variety of reasons. When Shah cAbd al-cAli al- Kirmani, shaykh al-islam of Yazd, left Iran to perform the pilgrimage in 982/1574, his brother Mir Razi al-Din cAbd al-Riza and his son Mir Muhammad Mu'min were appointed to serve in his place during his absence. Qazi Ahmad includes the decree appointing those deputies in *Khulasat al-tawarikh* (2:624-25). Mirza Makhdum Sharifi

was appointed to serve as deputy for his father Sharif cAbd al-Baqi as qdill of Shiraz when Shah Tahmasb summoned him to court at Qazvin and appointed him to a position there. Mirza Makhdum, al-Nawaqid fi al-rawafid, fol. 105b. A similar arrangement may have been made when BahaD al-Din left Iran to perform the pilgrimage in 991/1583.

72. Andrew J. Newman, «Towards a Reconsideration,» 181-85; idem, «The Myth of the Clerical Migration to Safawid Iran: Arab Shicite Opposition to CAH al-Karaki and Safawid Shiism,» Die Welt des Islams 33(1993): 66-112, here p. 105; Devin J. Stewart, «Notes on the Migration of 'Amill Scholars to Safavid Iran,» JNES 55(1996): 81-103, esp. 97-99; idem, «The First Shaykh al-islam,» 398-99.

Downloaded by [American University of Beirut] at 04:22 07 May 2012 194 Stewart of Qazvin and taking his place ca. 970/1563.<sup>73</sup> One would expect Baha3 al-Din to be a sworn enemy of Husayn al-Karaki, who had in effect robbed his father of the leading position of authority in the Empire, and circumstantial evidence suggests that this may have been the case. Iskandar Beg Munshi's accounts of Sayyid Husayn al-Karaki in Tarikh-i calam-dra-yi cAbbasl reveal the latent opposition to him among contemporary religious scholars which Baha3 al-Din presumably shared.

74 Mirza Makhdum al-Sharifi reports that contemporary Shicite scholars agreed that Sayyid Husayn was sinful and incompetent.<sup>75</sup> Shaykh Husayn's letter to Baha<sup>3</sup> al-Din urging him to leave Iran and seek his fortune elsewhere implies a shared sense of disappointment with their careers in Iran.<sup>76</sup> The circumstances of Baha<sup>4</sup> al-Din's pilgrimage of 991/1583 and concomitant travels through Ottoman territory also raise questions; the fact that he traveled in disguise might suggest that he actually fled Iran in order to avoid some problem which may well have involved a conflict with Sayyid Husayn. While being detained by Ottoman customs officials on the way into Ottoman territory at Amid in 991/1583, he recorded that fate had disappointed him and separated him from his loved ones, a statement that may be construed as a reference to some unpleasantness which persuaded him to leave Iran against his will.

77 At the very least, Baha<sup>3</sup> al-Din may have felt, in 991/1583, that the Shah had not recognized his talents sufficiently and rewarded him accordingly. He may have felt that his career was at a standstill and that he was overshadowed by less accomplished senior colleagues. Such situations were common enough among the scholarly elite, where intense rivalries developed for personal and ideological reasons as

jurists vied, within the fairly rigid confines of the academic juridical system, for limited resources and rewards. The sources, however, often tend to suppress or gloss over such conflicts, and this is clearly the case in Muzaffar cAli's text. The texts of the excerpts themselves, highly laudatory of the two Karakis, do not indicate a strained or antagonistic relationship between them and Baha3 al-Din. In fact, Muzaffar cAli presents a nearly hagiographical account of Sayyid Husayn, something quite strange given the ill-feeling that contemporary religious scholars were known to harbor toward him. It is even more strange given the enmity between Sayyid Husayn and Baha3 al-Din's father. In order to understand the logic in the text of the relationship between Sayyid Husayn and Baha3 al-Din, that is, the logic underlying this entire section of the original biography, one must examine the portrayal of Shah Ismail II' s reign in the excerpts.



# الخطاب العقلاني في الحكاية الحيوانية

رسالة التّدين والنفاق بلسان (القطّ والفأر) للشيخ البهائي: نموذجاً

## أ. إدريس هاني<sup>(1)</sup>

### مقدّمة:

حاله (الشيخ البهائي) في الفقه والعلم والفضل، والتحقيق والتدقيق، وجلالة القدر، وعظم الشأن، وحسن التصنيف، ورشاقة العبارة، وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تُحصّر، وكان ماهراً متبحّراً، جامعاً كاملاً. ذكرنا في مناسبات عديدة أنّ جبل عامل هو حقيقة تاريخية وثقافية أكثر مما هو حقيقة جغرافية. إنّهُ بمعيار الجغرافيا لن يضارع الهيمالايا (٦٦٥٤ متر فوق سطح البحر) ولا حتى كليمنجارو (٥٨٩٥ متر فوق سطح البحر) في ارتفاعهما الشاهق وما يخلّفانه من دهشة لدى الرّائي، لكنّه في معيار الثقافة هو جبل داجن ناطق وشاهد وعالم. ولو كنت أملك من الوقت والمزاج ما يسمح بافتراض حوار بين الجبال على ما سلك البهائي على لسان القطّ والفأر، أو نظراءه القدامى والمحدثين على السواء في استنطاق الحيوان والنبات والجماد، لجعلت جبل عامل ناطقاً، وجعلته ملكاً في ممالك

(١) كاتب وباحث من المغرب .

الجبال وأنزلته منزلة حكيم الجبال وأشعرها؛ أديب الجبال وجبل الأدباء، شهيد الجبال وجبل الشهداء. لقد احتفل التاريخ إذن بهذا الجبل قبل أن تحتفل به الجغرافيا. ففي الجغرافيا الرمزية يبدو جبل عامل هو الأكثر ارتفاعاً في العالم. يستمدّ الجبل هنا مغزاه الثقافي والتاريخي من رموز علمية يذكرّك بعضها ببعض، كما ينسبك بعضها في بعض. فما أن تذكر عالماً حتى تنساب الأسماء أمامك في هذا المشترك العملي جغرافياً وتاريخياً، انسياً رضىً. ينتسبون للمكان والتاريخ نفسيهما. إنّ الخيمياء العملي الذي يحدّد المشترك يصفّهم أمامك صفّاً كما يصبّهم في روعك صبّاً، من الشيخ الحر العملي إلى المحقّق الثّاني الشيخ علي بن الحسين الكرّكي العملي، إلى البهائي وأبيه إلى الشهيد الأوّل أبو عبد الله محمد بن مكي العملي إلى الشهيد الثّاني الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد العملي الجبّعي إلى ابنه الشيخ حسن صاحب المعالم إلى سبطه السيد محمد صاحب المدارك وأخيراً وليس آخراً إلى السيد شرف الدين العملي والسيد محسن الأمين ولا تكاد تنتهي المجموعة العمليّة، لأنها من صنف المجموعات الممتدّة إلى اللانهاية. هو جبل العلماء والشهداء والصّالحاء، وأيضاً جبل الأنبياء حيث لا تزال مزاراتهم شاهدة من مشهد سجد من ولد يعقوب إلى مشهد هارون إلى مشهد النّبي جليل إلى مشهد النّبي عازر إلى مشهد إدريس والقائمة تطول، لكن ما أن يستغرقك بحر من تلك البحور بعيدة الآماد عديمة الشّطآن، حتى يتيه بك الحال فلا تكاد ترى عاملياً يفري فري نظيره. فتخال أنّك تتسلّق عامل كلّ قبل أن تفيق على عامل آخر. فالكل يذكر في الكلّ، والكلّ ينسبك في الكلّ. فعامل عوامل بعدد أنفاس علماءها العاملين. والعامليون عالمون وعاملون. لقد جمعوا بين الفضيلتين؛ فلا أحد أمكنه أن يجمع بين مداد العلماء الغزير ودماء الشهداء الزكيّة، كما جمع بينهما العلماء العاملين، حيث كان بهم الجبل شهيداً وشاهداً. التأكيد هنا على الجبل هو من باب القيمة التي يحظى بها المكان حينما تهتزّ صورة الزّمان، أو لنقل على لسان غاستون باشلار أنّ: «المكان هنا هو كل شيء حيث يعجز الزمان عن تسريع الذاكرة!».!

## من هو هذا العبقرى، إذن؟

هو محمد بن حسين بن عبد الصّمد بن عزّ الدين الحارثي العاملي الهمداني. والمعروف تداولاً ببهاء الدين العاملي (٩٥٣-١٠٣١هـ / ١٥٤٧-١٦٢٢م). تعكس سيرته الشخصية والعلمية نباهة عالم قلّ له مثيل في زمانه. هو عالم لبناني الولادة ولد ببعلبك وفيها تلقى دروسه الأولى قبل أن يهاجر إلى أصفهان. فهو إيرانيّ النشأة والعلم. طاف في عدد من البلدان واستزاد فيها من طلب العلم وتعزّزت فيها معرفته بالشعوب والثقافات. زار الجزيرة العربية ومصر والشام. وقربه منه الشاه عبّاس حيث عينه في منصب رئيس العلماء. لم تكن السلطة هواه، لكنّه قبل ذلك الموقع تحت إلهام من الشاه عبّاس. براعته في المنقول لا تقلّ عن براعته في المعقول. بل يكاد المعقول يغطّي على سائر نشاطه العلمي. بقي على دأبه ذاك في العلم والبحث والإكتشاف إلى أن توفّاه الله عام ١٠٣١هـ الموافق لعام ١٦٢٢ م. من أهمّ شيوخه أبوه الشيخ حسين بن عبد الصّمد وعبد الله اليزدي. أمّا تلامذته فقد كانوا على كثرة وشموخ؛ يكفيه فخراً أن يكون من بين تلامذته كوكبة من العلماء والحكماء ممن نبغوا في مجالات معرفية شتى، من صدر المتألّهين الشيرازي إلى الفيض الكاشاني إلى المجلسي الأوّل.

## الخطاب النقدي والتربوي :

ليته كان في وسعنا الإطناب في سيرة هذا العظيم والإلمام بحدود هذا البحر الذي يبدو عند الغوص في أعماقه بعيد الشطآن. لكن هيهات أن يبلغ الباحث مراده في الإحاطة بمفردة يسيرة من جملة مفردات تجري لمستقرّها في هذا الفلك البهائيّ الدوّار. إنه بهاء الدّين كما سارت بكنيته الركبان. حيث وافقت جلال نبوغه المحيّر لمن كتبوا عن سيرته المقرونة عند أهل التراجم بأسرار، تفرّد بها في السلوك والعرفان كما في الفقه والإستنباط كما في الأدب والشعر كما في الفلك والحساب

كما في الجغرافيا والهندسة. لا تكاد تذكر مدينة أصفهان المشهور بـ (نيم جهان)، أي نصف العالم، حتى تتحدث عن عجائب الدنيا. وهي لازالت شاهدة على ابتكاراته الهندسية وأسرار الفيزيائية التي أذهلت العلماء بمن فيهم المعاصرين. لقد صمّم ميدان تصوير العالم الذي يضم مسجد شاه عباس الكبير ومسجد لطف الله وقصر عالي قابو. ففي أصفهان يجري حديث لا ينقطع عن قضية الترجيع السباعي للصدى تحت قبة الصدى، والمنارتين اللتين صمّمهما الشيخ البهائي والتي ما إن تحرك واحدة منهما حتى تتحرك الثانية، وحكاية الشمعة التي تسخن مياه الحمام من دون وقود ومن دون انقطاع ومعالم أخرى تجعل حقاً من أصفهان أعجوبة الدنيا. كل هذا ليس من شأننا في هذه المحاولة التي ترمي الوقوف اليسير عند مضمون رسالته التربوية الموسومة بـ: «التدين والنفاق، على لسان القطّ والفأر». إنّنا أمام علم كبير اهتدى في زمن مبكر إلى القيمة التربوية للعلم. وذلك حينما أدرك من ناحية، جمود الطرائق البيداغوجية التقليدية التي تروم التعقيد والتقي الجامد للمطالب. لقد غير أسلوب اللغة واختار أنماطاً للتعلّم تختلف عن تلك التي سارت بها عادة التعليم عند القوم. إنّ هذا الموقف هو في حدّ ذاته موقف نقدي. فالتربية لا توجد في زاوية من حياتنا دون أخرى. إنّ التربية بالأحرى وتعبير (جون ديوي) هي الحياة. لذا تستطيع أن تتأكد من الحضور التربوي في أعمال البهائي من خلال إصراره على إعادة شرح صعائب المتون بما تيسّر من الألفاظ وبما يحقق بلغة الطالب. وعند التأمل في حقل التربية يتأكد بالملموس أنه لا يوجد نصّ ليس له صلة مباشرة أو غير مباشرة، قريبة أو بعيدة، من مجال التربية. والعلم نفسه لا ينمو إلا بالتعلّم والتعليم. وكما في الحديث النبوي: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه». فالخطاب التربوي يكاد يجد له أثراً حتى في تغريد الطيور وزقزقة العصافير. إنّهُ يحتوي الخطاب والرموز؛ يكفي أن يوجد مرسل ورسالة ورسول ليتشكّل الخطاب التربوي. وتأتي اللغة والرموز في سلّم أولويات الفكر التربوي. فليس كلّ لغة هي سواء في أداء رسالة التربية، ولا كلّ رمز هو سواء في أداء هذه المهمة.

إنَّ للتربية لغتها الأثيرة ورموزها التي يقتضيها فعل التربية والتَّعلُّم ويفرضها المتلقِّي قبل المخاطب. على هذا الأساس نستطيع الوقوف على ملامح البُعد التربوي في تراث بهاء الدين العاملي. إحدى أبرز مظاهر هذا البعد، تتجلى في طبيعة اللغة الواصفة التي يتوسَّلها في تبليغ المراد. فلقد طوَّع الصناعات من خلال التقريب اللفظي وكسر هيبة اللغة، ليجعل أصعب الصنائع تنطق بأسهل الألفاظ. إن عبقرية التطويع المطلبي والتسهيل اللغوي والتقريب اللفظي هي عبقرية تربوية بامتياز. فقد يكون طلب السَّهل جنوحاً يعكس بساطة المحتوى. لكن حينما يصبح الأمر له صلة بتبسيط الصعائب ومعاقرة السَّهل الممتنع، نكون أمام عبقرية حقيقية؛ إذ أنَّ وجهاً من وجوه العبقرية أن تقبض على العمق وتملك الصعود بمحتواه إلى السَّطح. فالتربية هي آلة الوصل بين العمق والسَّطح، بين المطلب الصَّعب والمتلقِّي البسيط. هكذا تعدَّدت مواهب البهائي وغطَّت فنوناً جمَّة، كما استوعبت أعماله وشروحه التبسيطية ذات الأبعاد التربوية علوم المعقول والمنقول. نستطيع تكوين فكرة سريعة عن هذا التَّوسُّع الفنِّي والشُّمول العلمي في المنقول من خلال قائمة أعماله التي شرح بها ولخص متوناً في الفقه والأصول والتفسير والعقائد كتباً عرفت بتبسيط المطلب وتهذيب لغة التَّعلُّم مثل (كتاب زبدة الأصول) و(الجامع العبَّاسي) في فقه الإمامية وكتاب (تفسير الحبل المتين في مزايا القرآن المبين) وكتاب (حاشية على أنوار التنزيل) وكتاب (العروة الوثقى والصراف المستقيم) و(كتاب مفتاح الفلاح) و(شرح الأربعين حديثاً) و(شرح الصحيفة السَّجادية) و(حديقة السَّالِّكين) إلخ. كما ألَّف في اللغة والبلاغة والأدب كتباً مثل (التهذيب في النحو والفوائد الصَّمدية في علم العربية) و(كتاب أسرار البلاغة) و(تهذيب البيان) و(الكشكول) و(المخللة) وديواناً شعرياً ومنظومة بعنوان (رياض الأرواح). كما ألَّف في المعقول كتباً في علم الحساب والفلك والجغرافيا، أشهرها كتاب (خلاصة الحساب) و(كتاب تشريح الأفلاك) و(رسالة في الملخص في الهيئة والصفحة في الأسطرلاب) و(رسالة في تضاريس الأرض) و(رسالة في نسبة أعظم

الجبال إلى قطر الأرض) إلخ. هل يبقى شكُّ أننا عاجزون عن إحصاء مهاراته التي تفنّن فيها على نحو استغراقي، وهل بقي شكُّ في أن ينعت شيخنا البهائي في الوقت نفسه بأنه الفقيه والأصولي والمحدّث واللغوي والأديب والشاعر والفلكي والرياضي والجغرافي والفيلسوف والعرفاني، لم تقف محاولات الشيخ بهاء الدين العاملي عند حدٍّ من حدود العلم، فإنّ مظهرًا من مظاهر عبقريته أنه تعاطى علومًا كثيرةً بإتقان. واجتمعت فيه ضروب الإختصاصات لا تكاد تدري أيها حقيق به على تشعبها وبعدها عن بعضها. وفي كلّها كان بهاء الدين العاملي عبقرّيّ زمانه كما لو أنّه غائص فيها لا يأل جهداً ولا يعرف لها حقلاً منافساً في الإنهماك والإنشغال. من الفقه وأصوله إلى الكلام والفلسفة إلى الأدب والعرفان إلى الهندسة والفلك كما تشير آثاره. إنّ البعد الشمولي لثقافة بهاء الدين العاملي تجعل منه علماً تربويّاً، متعدّد الأبعاد ومنفتحاً على ضروب المعارف بلا حذر. وقد قدّم تلك المعارف على اختلافها وتعقيدها في لغة واحدة من حيث السهولة والتقريب والإنسيابية. ومع هذا لم يكن الشرح والتحشية هي الممارسة الأثيرة للشيخ البهائي كهروب من جلال الإبداع ومتاعبه. فلقد كان مجتهداً في المعقول والمنقول سواء بسواء. وقد قدّم للإنسانية إبداعات علمية جليّة. وترك وراءه أسرار لم نجد لرموزها فكاًكاً. لقد استنطاق اكتشاف الجذر الحقيقي للمعادلات الجبرية استناداً إلى طريقة الخطأين الخوارزمية قبل أن يستقلّ بطريقة كفتي الميزان. وكانت له آراء فلكية استخدمها في تحديد القبلة ورصد الأهلة كما كانت له آراء في الحساب استعملها في قضية الدّين من مسائل التركة كما لا يخفى على مترجميه. كما هام في أمّهات مسائل عصره الفيزيائية والكيميائية والرياضية مثل إشكالية الإتصال والإنفصال أو الجزء الذي لا يتجزأ أو استحالة فكرة اللانهاية. وقد لاحظوا عليه تردداً بين القول بالإتصال ونفيه كما في فقرات متنوّعة من الكشكول. وقد تراءى عن حقّ أنّ قيمة هذا الإهتمام ليس في مدى صحة رأيه أو خطئه نظراً للتحوّل الجذري في بنية العلوم الطبيعية، بل تكمن أهميته في أنّها قضية شغلت ذهن البهائي طويلاً. لكننا نضيف

هنا أن العلم بما أنه قديماً كان قد خضع للتجريد النظري وليس إلى الإختبار الكامل، فقد كان من الطبيعي أن يواجه استحقاق تساوي الأدلة. وهذا ما يعكس تردد البهائي بخصوص إشكالية المتصل والمنفصل. فترده حولها في ضوء المعطيات العلمية لعصره مظهر من مظاهر قوة التفكير وخطورته عند الشيخ البهائي. وهذا عموماً مهم لاستيعاب موضوعنا، لكنه ليس بالتأكيد همنا في هذه المعالجة، بل همنا هنا، المآثر الصافي والفارد في هذا الخطاب. إذا كان الخطاب التربوي يأتي في الدرجة الثانية عند أصحاب الأفكار الكبرى، فإن همّه يتنزل عند البهائي منزلة الأولوي. ففي سائر آثاره وأعماله نلاحظ تليفاً للمطلب وتبسيطاً للغة وإصراراً على إنجاز تواصل سمح مع المتلقي. هذا يعني أن البهائي كان دائماً يفترض متلقياً ليس بالضرورة من أهل الإختصاص. وهذا يؤكد على أنه مارس العلم والتعليم من بعده التربوي. إن التربية في الحقيقة هي إرادة التبليغ مع افتراض واقع المتعلم. وقد وضعنا رسالة «التدين والنفق على لسان القط والفار» أمام هذه الحقيقة؛ فهي بسيطة في لغتها، سهلة الهضم في تناولها، تربوية في غايتها، زاخرة بالقيم والأفكار وضرب المناظرة والإحتجاج، والأهم من ذلك أنها على بساطتها وشكلها الأدبي لا يزهده في قراءتها الكبار قبل الصغار. فهي رسالة تربوية لكل الأعمار.

### الحكاية التربوية:

اعتمد بهاء الدين العاملي الحكاية أسلوباً تربوياً. وتكاد تجد أمثلة وحكم من رسالة التدين والنفق أو الكشكول أو المخلاة، ذات معاني تربوية بالغة القيمة والتأثير. وهو في هذا لم يجترح بدعاً في الممارسة التربوية. فلقد مارس قدماؤنا الحكمي ليس من باب الإستمتاع، بل من باب التربية. هكذا يحدثنا ابن المقفع وهو رائد في هذا الفن ومؤسس له في الثقافة العربية، حينما يتحدث في الأدب الكبير والأدب الصغير عن الكلام بالأمثال: «إذا جاء الكلام مثلاً، كان ذلك أوضح للمنطق وأبيس في المعنى

وأنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث». لقد كان لابن المقفع دور بارز في إقحام هذا الفن في دنيا الأدب العربي. فكليلة ودمنة من الفنون الحكائية والتربوية التي استدخلها ابن المقفع من المجال الثقافي الفارسي إلى المجال الثقافي العربي وبه اكتملت اللحمة الثقافية وتصاهرت الثقافتان وامتزج بعضها ببعض. لكن ثمة أموراً سهّلت دخول هذا اللون الثقافي إلى الأدب العربي. فلا شيء كان يقف أمام فعل الإقتباس والمقابلة ما لم يكن يشكّل خطراً مباشراً على السّطة الزّمنية يومها. كما كان هذا اللون من الأدب يشكل تنفيساً مقصوداً لمن يريد معالجة فساد السّطة، كما تنفي هذه الأخيرة عنه لما يشكّله هذا الأسلوب من متعة وإلهاء وتعويض وتنفيس يكفي المصلح عناء المباشرة والإحتجاج المباشر ضدّ السلطان. وهنا تكمن أهمية الحكاية الحيوانية كشكل من أشكال النّقد السياسي. لهذا السّبب تحديداً كان ابن المقفع قد قضى على يد الخليفة المنصور بسبب ما كان قد أورده في «الهاشمية» من انتقاد لسياسته كما يرى البعض. وقد اعتبر طه حسين سبب قتله «رسالة الصحابة» (صحابة الخليفة وحاشيته) التي كتبها ابن المقفع للمنصور، وهي حسب طه حسين «فيها ما يكاد يكون برنامج ثورة». وأياً كان الأمر، فهذا يسلط الضوء على شخصية ابن المقفع السياسية والثورية. مما يؤكّد على المحتوى السياسي والثوري لحكاياته الحيوانية. وبأنّ القتل كان نصيبه بمجرد ما انتقل إلى المباشرة في النّقد السياسي.

### الفرق بين الحكاية والخرافة:

لا يتعلّق الأمر عند استنطاق الحيوان، بالخرافة بالمعنى القدحي والهجين للعبارة. الحكاية كما نتحدّث عنها هنا بمدلولها الحديث، لها صلة وصل بالواقع وتدور مداره لكنها تعتمد اللامباشرة في التّواصل معه. بهذا لا قيمة للحكاية إن هي استغنت عن الواقع ولم تتغذّ على قضاياها. تحتمل الحكاية الصواب كما تحتمل الخطأ، بالقدر الذي تحتملها الأفكار والفلسفات. الكذب في الحكاية من هذا الوجه ليس من ضروراتها.

وإن حصل فهو من جهة المحتوى لا من جهة الوقائع الحكائية. فالقارئ في الحكاية لا يهتم بالوقائع التي لا يراها موضوعاً للصواب والخطأ، بل ينظر في المحتوى الفكري والمخزون القيمي للحكاية. لكنّ الكذب في الخرافة بالمعنى الشائع ضرورة. تعتمد الحكاية على الخيال كما تفعل الخرافة، لكن الهدف بينهما أنّ غاية الحكاية هو الواقع بينما غاية الخرافة هو اللاواقع. اللاواقع وسيلة الحكاية إلى الواقع، بينما اللاواقع هو وسيلة الخرافة للهروب من الواقع. تستغني الخرافة عن الواقع وتسعى إلى التغليب. ومع أنّ اليوتوبيا هي صناعة أثرية للخيال إلا أنّ غايتها الواقع. فاللاواقعية في اليوتوبيا لا تحجب كون مدارها وغايتها هو الواقع. الخيال لا يكذب. وهو كما في نظر بن عربي معصوم. لأنّه غير مسؤول عن الحكم. فالخطأ والصواب لهما صلة بالحكم لا بالخيال. من هنا نسب ابن الأعرابي الخطأ للعقل لا للخيال لجهة اختصاصه بالحكم. وهو أمر لا نروم تحقيقه هنا، ولكن لنقل على سبيل الإجمال: إن العقل هنا بالمعنى الشائع، العقل بوصفه فعلاً وليس جوهرًا. وهكذا نظر القوم إلى العقل. لنقل العقل كتجربة وليس كملكة. فالعقل في ذاته معصوم لا يخطئ. وهو أرقى من الخيال عند التحقيق. تطورت الحكاية إذن وهي تعكس دور الرواية في الأدب الحديث. فالرواية اليوم فنّ لصيق بالواقع لا ينفك عنه. وهي وسيط تربوي وتثقيفي بامتياز. وفي الأدب الحديث لم يعد مقبولاً أن يقال عن الرواية بأنّها خرافة مهما أوغلت في الخيال. إن عالم الرواية بقدر ما هو عالم متخيّل قائم بذاته، هو على صلة بالواقع: صلة تربوية. لقد اعتبرنا رسالة «التدين والنفاق على لسان القطّ والفأر» للشيخ البهائي، رسالة تربوية من حيث تضمّنها قيماً تربوية تهدف إلى إصلاح الفكر وتغيير أنماط التفكير والسلوك في المعرفة والمجتمع على أسس عقلانية صارمة. فهي رسالة إصلاحية تستهدف بالنقد العلمي أشكال الغلوفي السلوك والإعتقاد. هي رسالة لا زالت راهنية. فبقدر ما سيظلّ التدين ظاهرة إجتماعية سيلازمها النفاق كظاهرة (سوسيو-دينية) أيضاً. إنّ نهاية النفاق هي نهاية الدين نفسه. فكل مجتمع وكل جيل يكشف عن أشكال من

التدين وأشكال من النفاق. والصراع هاهنا قائم ومستمر وفي جولات لا تقف عند حدّ. رسالة التدين والنفاق تعالج أدواء الفكر كما تعالج أدواء التدين والسلوك الاجتماعي. وهي من أهم تراث الحكاية الحيوانية في الأدب الإسلامي. أقول كذلك، لأنها غير قابلة لغير ذلك التصنيف. فهي ليست عربية لأنها ألفت بالفارسي وامتحت من رموز الأدب الفارسي. لكنها عربية من حيث عروبة صاحبها ومخياله الثقافي. لقد ساهمت الحكاية الحيوانية في تشكيل ثقافتنا القديمة والحديثة على قدر سواء. فهي من الآداب المؤسّسة لكثير من تصوّراتنا والرافدة لعدد من صور مخيالنا. إنّنا مدينون لها بتصورنا القديم/الحديث عن قيم وصفات اختصت بها حيوانات دون أخرى، كالتسلط للأسد والمكر للثعلب والوفاء للكلب والصراع الأبدي والصراع الأزلي بين القطّ والفأر. إنّها صور ندين بها في واقعنا وفي خيالنا، وهكذا في سائر العصور، دون أن نستند في ذلك على دليل مشبع قاطع مقنع سوى ما تناقل بالتعلّم والعدوى من هذا التراث الحكائي الذي لازم التطور الفكري للبشرية، وستظل كذلك ساكنة مخيالنا البشري. وهو سرّ العلاقة العميقة بين الحكاية الحيوانية والإنسان؛ علاقة مخيالية وتربوية بامتياز. وسيكون من جمال المعنى الحديث عن المفارقة في رسالة التدين والنفاق للشيخ بهاء الدين العاملي. مفارقات تفرضها قوّة الإيحاء التي تتركه آثار الحكاية كما يمكن أن يستكمل نصّها مخيال مجبول على إبداع الصور. هنا المفارقة ليست معرّة ما دام أنّ الحكاية جاءت على منطوق الحياة بتناقضاتها المعيشة. إنّنا قد لا نلتفت أولاً إلى كيف أمكن للحكاية الحيوانية أن تنتج خطاباً عقلانياً. كما قد لا نلتفت ثانياً إلى أنّ محور هذه الحكاية/الخرافة (تسامحاً) هو محاربة الخرافة؛ كيف نحارب الخرافة بخرافة، أو كيف نواجه بجمالية الخرافة جهل الخرافة. كما لا نلتفت ثالثاً إلى أنّ الشيخ البهائي وهو ينكر بلسان القطّ طالب العلم على الفأر مدعي التصوف، اعتقاده بالكرامات المنسوبة لكثير من الصوفية كما في خراسان والعراق من بالحجج العقلية والنقلية الصّارم سيكون هو نفسه قد حظيّ بنصيب من تلك الخصائص والكرامات

المنسوبة إليه و تحدّث عنه مترجموه. كما نقل بعضها الشيخ عباس القمّي في «الكنى والألقاب» عن قاضي أصفهان معزّ الدين بخصوص رؤيته حول كتاب البهائي «مفتاح الفلاح». أو كالتي ذكرها المجلسي الأوّل في «روضة المتّقين» في شرح كتاب من لا يحضره الفقيه بخصوص كتابة هذا الكتاب. وهو ما يؤكّد أنّ البهائي لم يكن خصيماً للتّصوف وإنّما كان مصلحاً ومجدّداً للمعرفة والسلوك. إنّها بالتّالي مفارقات لا تخلّ بالمعنى والغاية المتوخاة من الحكاية، بل هي عنصر مؤثّر لعالمها الذي لا نراه قائماً بذاته في ظواهرية الخيال الخلاق الذي أقامته الفلسفات الأولى في برزخ بين عالم المادة والعقل، بل هو عالم قائم فينا ومعنا لا يجاورنا ولا ينفك عنّا بل عالم نهرب فيه تارة ونمارس فيه غواية التّحدّي ونختبر فيه جرأة القول؛ هو لون من الإقامة في واقع بأقنعة تسهّل عملية التّدريب على العقل. إنّ الحكاية الحيوانية كما في رسالة «التّدين والنفاق» تنقلنا إلى ظواهر إنسانية بلسان الحيوان، تماماً كما نقلتنا كليلة ودمنة إلى ظواهر سياسية بشرية بلسان الحيوان. المائز هنا، أنّ حكاية البهائي ذات نفس تربوي يتّجه إلى الوعي وأنماط التفكير والسلوك، ولم تحشر نفسها في رسالة سياسية بين الحاكم والمحكوم. أو لعلّه أدرك أنّ أدواء السياسية نفسها لا تشدّ عن أدواء الفكر. لكن أيّا كان الأمر، فإنّ الحكاية الحيوانية البهائية هي رسالة في تجديد السياسة الفكرية بعد أن ظلّ همّ الحكاية الحيوانية قبله وبعده، رسالة غايتها تجديد الفكرة السياسية.

### لماذا التّدين والنفاق؟

إنّ اختيار الحكاية الحيوانية ليس جزافاً هاهنا. فما من معاقر لها إلاّ وهو يدرك لها آماداً استراتيجية. وكما ألمح (لافونتين) وهورائد الحكاية في العصر الحديث بأنّ لهذه الأخيرة قواماً ينهض على جانبيين: جسد وروح. فبينما يؤدّي الجسد دور الحكيم تتولّى الرّوح دور المعنى. هذا هو واقع اللغة عموماً. لكن في الحكاية هناك تفويت للمباشرة إلى عالم الحيوان. ليست اللامباشرة هنا قضية مجاز لغوي فحسب، بل هي

أيضاً مجاز مادّي يعبر بالنصوص والشخوص من مجتمع الإنسان إلى مجتمع الحيوان. فالبعد التعويضي هنا متحقّق. أي يمكن محاكمة الرذيلة بمجاز ساخر إذا ما تعذّر تغييرها بالقوّة. وبتعبير (لافونتين) في حكاياته أنه سعى للسخرية من الرذيلة إذ لم يكن في مقدوره مواجهتها بذراعيّ (هرقل). وفي مرّات كثيرة جاءت الحكاية الحيوانية لتبارز الإنسان. فهي تتحدّث حديثاً افتراضياً لكنّه يحاكي واقع الإنسان، وأحياناً واقع الحيوان نفسه حين نستدخل مشكلة البيئّة اليوم. فالحكاية الحيوانية متجدّدة متطورة وإن حافظت على صورتها الحيوانية. ولم يمنع (لافونتين) على الرّغم من نقله عن السّلف الكثير من حكاياته أن يمنح الحكاية الحيوانية قواماً وموضوعات جديدة. فقد أخذ حوالي عشرين حكاية من التراث القديم ومنه الفارسي وضمّنها القسم الثّاني من حكاياته. إنّ استنطاق الحيوانات هو أسلوب تربوي لا يزال راهنياً. ففي عصرنا نطقت الحيوانات بلغتنا ومفاهيمنا وأيديولوجياتنا وحماقاتنا. ليس من قبيل الإستغراب أن ينطق غراب (جورج أرويل) في «مزرعة الحيوانات» بلغة اشتراكية تتعلّق بالإنتاج وحقّ الحيوانات في امتلاك فائض القيمة. يقول الغراب الذي تأخّر عن الموعد فيما هو ظلّ نائماً في حلم سيحكيه لرفاقه، محرّضاً إيّاهم على قتل الإنسان والخلّاص من عبوديته: «الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستهلك دون أن ينتج. لا يعطي حليباً ولا يبيض بيضاً وهو أضعف من أن يدفع المحرّات وأطول من أن يصطاد أرنباً (...). ومع ذلك ها هو هذا الأخير المتسلّط على سائر الحيوانات». ثم يقول: «أليس ذلك يرافق أوضوح كمياه الصخر؟ كل الشرور في حياتنا هي بسبب الإنسان طاغيتنا».

فالحكاية الحيوانية هنا ليست ملهارة للإضحاك، ولا تراجيدياً للأسى، هي حكاية تربوية جادّة مع شائبة من السّخرية. إنّ متعة القول هنا متوفّرة بقوّة الإمتاع التي يوجد بها قلم الأديب. هكذا نظر البهائي للأدب كفنّ لا يتميّز عن سائر الفنون. فقلم الأديب يحركّ المشاعر ويداعب العقل مثلما يفعل الموسيقى تماماً. فانظر تجده البهائي نفسه في الكشكول يورد مقارنة بين مزمارين: أحدهما مزمار المعنى وهو القلم، والآخر

هو مزمار المغنى المعروف. فيقول على سبيل التشبيه: من كلام بعض الأدباء: «لو أنصف أهل العقول، لعلموا أن القلم مزمار المعاني كما أن أخاه في النسب مزمار المغاني. فهذا يأتي بدائع الحكم كما يأتي ذاك بغرائب النعم. وكلاهما شيء واحد في الإطراب غير أن هذا يلعب بالسمع وهذا يولع بالألأباب. وأقسم بالله ما سمعت شيئاً من طيب الأدب إلا جلب لبي وأخذ بمجامع قلبي».

كان في العرف الإسلامي، من شأن فعل استنطاق الحيوانات أن يترك ردود فعل ونفور من الجمهور أو الفقهاء. لكن معاقرة بعض الفقهاء لهذا الفن صك عبور إلى عالمه. والشيخ البهائي هنا هو أديب الفقهاء وفقه الأدباء. وما تبيين البهائي لمغزى حكايته في متن الكتاب إلا تأكيداً على مدى شرعيتها التي قد تدخل في باب وظيفة الحد الأدنى من تمثّل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا ما تعدّر تغيير المنكر بالقوة فباللسان فإن تعدّر فبالقلب. وهنا يتمّ التغيير باللسان لكن بتقنية اللامباشرة والحكاية. لقد وجد أهل المشرق العربي، وبتأثير مباشر من الثقافة الفارسية التي استدخلها ابن المقفّع، في الحكاية الحيوانية وسيطاً مناسباً لتميرير الكلام غير المباح. ومثل هذا عزّ في بلاد المغرب الإسلامي لأسباب غير مستقرّة حتى الآن، لكن وجدت أن هذا الفنّ ينذر إن لم أزعّم أنه يغيب تماماً من الممارسة الأدبية في المغرب الإسلامي. ولكن وجه من وجوه السبب قوّة المحافظة في هذا الأدب والأخذ بالإحتياط في التصوير الفنّي وهو ما أبعد أدبهم عن المجون والخمريات والغزل ورمى به في المديح والرثاء والبكاء على الأطلال ووصف الطبيعة. وفي الحكاية اهدوا إلى فن إجراء الكلام غير المباح على لسان «الهدرازة» والصبيان ومن لم يكونوا على قدر المسؤولية ومن أهل الرشد؛ وهو ما يتطلّب دراسة مقارنة وافية.

وليس اختيار مجتمع الحيوانات مجرد مجاز ساخر، بل هو مجتمع إن أضيفت له خاصية الإنسان المفقودة في السلوك الغالب على الإنسان الغافل (النطق) نطق كما كان ينبغي أن ينطق الإنسان، مما يعني أن نعمة النطق عند الإنسان لا تؤدّي غرضها كما

ينبغي بسبب اختيارات الإنسان اللاعقلانية. تعود الحكاية رمزياً بالإنسان إلى أصل ما يميّزه عن الحيوان، ثم تخضع بواسطة الخيال إلى أسنة المشهد الحيواني لتجعل منه فرجة تعكس حقيقة الإنسان وتناقضاته في واقعه. هنا يستعير الحيوان خاصية النطق من الإنسان ليؤدّي دور الملهاة. فالناطقية هي قوام العقل الذي به يتميّز الإنسان. فإذا ما نطق الحيوان كان عاقلاً وجاء بحديث العقلاء. فلا فكاك بين النطق والعقل.

### الحكاية الحيوانية كمشارك إنساني

لم يكن فعل استنطاق الحيوان بدعاً في الممارسة الأدبية العربية ولا في سائر الثقافات. فالحكاية الحيوانية قديمة في التراث الإنساني عرفتها مختلف الحضارات. لذا اختلفوا في هويّة مبتكرها الأول؛ هل هو إيزوب في القرن ٦ قبل الميلاد أو وزير سليمان أو لقمان الحكيم. وثمة من يعود بها إلى ما قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد حيث تم اكتشاف حكاية السبع والفأر مسطورة على ورق البردي في مصر. لكن ثمة من لم يعر أهمية لهذا الأمر، حيث تعتبر الحكاية الحيوانية فن طبيعى من بين سائر الفنون الأدبية، لا أهمية نسبته لشخص أو أمة. فهو أقرب إلى الطبيعة الفطرية للإنسان المنجذبة كما عند الطفل بحديث الحيوان، بعد أن أدركنا أنّ البشرية مرّت من مرحلة شبيهة بطفولة الإنسان؛ « يغريه تصور الحيوان ينطق كما ينطق الإنسان / ويفكر مثلما يفكر ». لقد كان ابن المقفع هو أوّل من أدخل هذا الفن إلى الثقافة العربية. وسواء أكان هو من وضع كتاب كليلة ودمنة أو أنّه نقله إلى العربية وكان كلامه لا يبرح مقدمة الكتاب كما أشار ابن خلكان في الوفيات، فإن لا خلاف على أنّه هو من كان له فضل إدخال هذا الفن إلى الثقافة العربية بصورته الكاملة وإن لم يكن هو أوّل من أنطق الحيوان. وقريب من الصواب ما أضافه عبد اللطيف حمزة في اشتغاله على ابن المقفع، بأنّه يحتمل أيضاً أن يكون هذا الأخير قد حفظ من تلك الحكايات التي راجت في الهند ومن ثمة في فارس الكثير، ثم قام فجمع هذا الشتات وألّف كتاباً خاصاً حول

هذه القصص. ومرة أخرى أحسن الباحث نفسه لما هوّون من أهميّة ما رامه (بونتي) حينما استدلّ على الأصل الهندي لحكايات ابن المقفع الحيوانية، بناءً على النظرية البوذية الهندية في تناسخ الأرواح. وذلك بإيراد أمثلة نقيضة من القرآن نفسه. وقد شهدت الثقافة العربية منذئذ اهتماماً كبيراً بهذا الفنّ. وكان لإخوان الصفا أيضاً نصيب من استنطاق الحيوان في رسائلهم للأغراض التربوية والإصلاحية نفسها. سيكون ذلك مثيراً أكثر للإنتباه إن سلّمنا بما ذهب إليه (جولدزهير) من أن اسم إخوان الصفا هو نفسه مقتبساً من كتاب كليلة ودمنة في مفتاح باب الحمامة المطوّقة. بل ثمة من ذهب أبعد من ذلك، ليتحدّث عن وجود الحكاية الحيوانية عند العرب قبل ورود ابن المقفع. ودليلهم على ذلك ما راج من حكايات وأمثال في الثقافة العربية، نظيرة حكاية «أكلت يوم أكل الثور الأبيض». بينما ذهب آخرون أبعد من ذلك كثيراً، حينما تحدّثوا عن أن العرب الأراميين قد تعرّفوا إلى كليلة ودمنة المنقول إلى السريانية سنة (٥٧٠م) ثم حفظته الذاكرة الشعبية حتى صدر الإسلام. ويمكن أن نضيف إلى ذلك قطعاً للشك، أن فعل استنطاق الحيوان لم يكن نابعاً من عقيدة إحيائية قديمة مختصة بثقافات الشرق الأقصى، بل نجد لذلك نظائر تأسيسية في القرآن الكريم. فلقد بدا واضحاً مدى تناسب هذا الأسلوب التربوي مع طريقة القرآن الكريم، الذي اعتمد القصص والحكاية أسلوباً أثيراً في التربية والتعلّم. فلقد جاء القرآن زاخراً بكلّ صنوف الكنايات والإشارات، وقد جاءت تعاليمه في قالب فنيّ غنيّ بالمجازات واعتماد القصص والإعتبار. مع أن القرآن كرّم الإنسان على سائر المخلوقات التي سلّطه عليها إلاّ أنه تفضيل لا يخلو من مسؤوليّة. فلقد نفى بهذا أي اعتقاد على سبيل مبدأ المشاركة، ولكنه أشار إلى أنه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ مُثَالِكُمْ﴾. هكذا وقبل أن يجري الكلام على لسان الحيوان في كليلة ودمنة، نطق النمل والهدد في القرآن. وتضعنا مملكة النبيّ العظيم سليمان ﷺ أمام أقاصيص يستوي فيها الإنسان والحيوان من حيث المسؤولية والمنطق. فلقد تحدّث الهدد كإنسان وليس

كحيوان. فالهدهد ينقل الأخبار ويتملكه الفضول لمعرفة أسرار الملك، ويميّز بين محاسن السّلطة وقبائح النّظم. ولقد تعجّب كإنسان من أن تحكم المرأة، ويكون حكمها قائماً قوياً. وكانت من أعظم معجزات النّبّي سليمان أن ألهم منطق الطير والحيوان وتسلّطه على الإنسان والجان والحيوان والجماد. قال تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ \* فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ \* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ \* وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ \* أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ \* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

إن مملكة سليمان تعطي صورة واضحة عن حقيقة منطق الحيوانات. وقد تعددت الأمثال عن الحيوان في القرآن إلى حدّ تقوّل بعض المعارضين للتعاليم، فما كان إلا أن أكّد القرآن على قيمة الأمثال الحيوانية باحتجاج يؤكّد على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب، حينما قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَّا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾.

ومع ذلك نلاحظ أن رسالة التّدين والنفاق للشيخ البهائي تنتمي رسمياً وبامتياز إلى الأدب الفارسي. وهي من هذا المنطق تبعث الرّغبة عند الباحث إلى الالتفات إلى مجمل ما ألفه العرب بالفارسية بعد أن أدركنا ما ألفه أهل فارس بالعربية. فهي وإن كان مؤلّفها هو الشيخ البهائي، فقد كان هذا الأخير مزدوج الثقافة. وكان أن كتبها في

## أ. إدريس هاني

بلاد فارس وليس في البلاد العربية. كما ألفها صاحبها باللغة الفارسية. فيما كانت كل رموزها الثقافية فارسية بامتياز. فالفأر أو القط في حوارهما يستحضران تباهاً أمثلة تنتمي إلى التاريخ والجغرافيا الفارسية، كما لم يفتأ أحدهما تلوّ الآخر يحيل إلى شعراء فارس العظام من أمثال حافظ وسعدي وفردوسي. حيث نجد بين الفينة والأخرى أمثلة على ذلك كما تظهر العبارات التالية:

. قال الفأر: جاء في «كلستان» الشيخ سعدي شعر يقول:

سمعت أن الكريم يوم الحشر يشفع للأشقياء بحسنة الأتقياء.

. قال الفأر: قرأت في كتاب «نكارستان» هذه الحكاية: إن عيار ظالماً سيئ السيرة الخ.

. قال الفأر: أيها القط (... ) كنت منذ سنوات خلت مجاوراً في مقام «الشيخ سعدي» عليه الرحمة.

. قال الفأر: أيها الملك أنت أطلعتني على أمور كثيرة، أما «خواجه حافظ» عليه الرحمة، فقد قال في ديوانه كلاماً جميلاً.

. قال الفأر: أنت لا تذكر لي المعنى الحقيقي، وإنما في غزل «حافظ» كلام حول التوبة واللاتوبة.

. وقال الفأر: (... ) وقد قال الشيخ سعدي في كلستان: «القط أسد حين يقبض على الفأر ولكنه فأر في حضرة الأسد».

. وقد قرأت في (الشاهنامه).

. ثم قال القط: أيها الفأر، أقرأت ديوان خواجه حافظ؟

قال الفأر: بلى كلما أردت الخروج من المنزل أخذ فألاً من ديوان حافظ، وأقرأ قليلاً من مقام (الراست) والد(بنجكاه) وبعدها أخرج!؟.

هذه وكثير منها لم نذكره لا تمثل شاهداً على أن الحكاية تستلهم من تراث فارس فحسب، بل هي تعكس عاداتهم وطريقة احتفائهم بتلك الرموز. ولفارس تراث في

الأدب لا يخفى على الأدباء العرب. ويورد الجاحظ من حديث أهل التسوية في البيان والتبيين ما يؤكد على براعة أهل فارس في القول والبلاغة. فيذكر على لسانهم: «وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس الخ» ثم يقول: «وقالوا: ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة، فليقرأ كتاب (كاروند). ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبء والمثالات والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة، فلينظر في (سير الملوك). فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها (...) فمن قرأ هذه الكتب وعرف غور تلك العقول وغرائب تلك الحكم، عرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة». يكون الشيخ البهائي من خلال حكاية «التدين والنفاق بلسان القط والفأر» قد أحى رسوم فارس في الآداب، ونسج على منوال ابن المقفع في كليله ودمنة، لكنه منح حكايته ملمحاً يقربها إلى الواقع أكثر من الخيال: يكاد المطلع عليها يدرك أن القط والفأر في حكاية البهائي ليسا سوى فتاعين رفيعين جداً تكاد تظهر وتفضح من ورائهما صورة الرذيلة والنفاق بطعمهما البشريين.

### التدين والنفاق، هل هما حيوانيان؟

الإنسان كائن متأله. والدين عنده ليس على معطى على نحو الدين الطبيعي. وليس للفطرة هنا سوى جانب ما يختص بالقابلية للتدين. ولقد ألهم البشر النجدين وله أن يختار ما شاء بالقدرة والإختيار مسلكاً من مسالكهما على حدّ أم سلك بينهما مسلكاً مذبذباً أو تطوّح بينهما. لهذا السبب تحديداً كان النفاق بشرياً. فتعريف الإنسان بالعقل من حيث هو يتنزل عند الكثير من الحداث منزلة الدماغ المادي، لا يكون التعريف جامعاً مانعاً. ذلك لأن شيئاً من هذا متوفّر في الحيوان. ولكن المقصود هنا من العقل ما يعبد به الرحمن. وعليه كان التعريف الأضبط للإنسان: أنه كائن متأله ومتدين. والتدين اختيار وليس حتمية جبرية. فليس النفاق شأنًا للحيوان، لأنه ليس متديناً وإن

علم تسبيحه. لكن نفاق الإنسان كان قد استدعى هذا الإستنطاق التراجيدي والسّاحر إحتجاجاً على انهيار القيم في سائر الأزمنة. وكان ابن مرزبان قد وصف أخلاق أهل زمانه بالإنهيار القيمي الموسوم بخسة أخلاق الناس ولؤم طباعهم حتى صاروا كما قال (أبي ذرّ الغفاري): «كان الناس ورقاً لا شوّك فيه وأصبحوا شوّكاً لا ورق فيه». وقد اهتم عدد من الأعلام بحكايات ووصف الحيوان كما فعل الدميري في الحيوان وكذا الجاحظ في الحيوان، حيث هام في وصف بعضها بما يشبه أخلاق الأناسي كالكلاب. ومن ثمة جاءت محاولة (أبي بكر بن المرزبان) صريحة في التمدّح بالكلاب والهيّام بأخلاقها والتهوين من أخلاق الأناسي، في كتابه الموسوم: «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» أو حسب بعض النسخ: «تفضيل الكلاب على أكثر من لبس الثياب». حيث يورد فيه قول الشّاعر:

ذهب النَّاسُ وانقضت دولة المجد فكلّ إلا القليل كلاب  
إنّ من لم يكن على النَّاسِ ذئباً أكلته في ذا الزمان الذئاب  
غير أنّ الوجوه في صور النّاس وأبدانهم عليها الثياب  
فابن مرزبان هنا لم يكن بصدد التّأليف عن سمات الكلاب وخصائصها كما فعل الجاحظ في الحيوان، أو كما فعل السيوطي في استقراء أسمائها للتّبرّي من معرّة النّعمان، بل جعل ذلك مطيّة لهجاء أخلاق النّاس. فهو يقول: «سألتني أعزك الله أن أجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الإخوان ومحمود خصاله في السرّ والإعلان، فقد جمعت ما فيه كفاية». لقد شحّ زمانه من الأخلاق الحميدة حتى أورد على سبيل المبالغة قول بعضهم: «إن ليس في الزمان سوى خنازير، فإن وجدتم كلباً فتمسكوا به فإنه خير من ناس هذا الزمان». قال الشّاعر:

اشدد يديك بكلب إن ظفرت به فأكثر الناس قد صاروا خنازير  
ليس التديّن هنا له معنى يقابل النّفاق. لقد حرصت الحكاية أن تتحدّث عن النّفاق

باعتباره ممارسة تسلك على سبيل التدين المغشوش. فالنفاق لا يمارس خارج التدين بل يستجدي منه صورته ومقولاته. إن النفاق هنا يؤدي معنى الطفيلية الدينية. وتكمن خطورته في أنه لا يأتيك عارياً من التدين بل يجعلك تظهر أمام تمثله المغشوش ذلك على شك من تدينك إن كنت من أهل الدين. التدين والنفاق من حيث الصورة والتعبير لا ينفكان. فالنفاق إن تعرى من لغة الدين ومظاهره افتضح أمره. لا يتمظهر النفاق خارج الدين، بل هو ينبت داخل التدين مثل الطفيليات. ليس للنفاق مظهر خاص به، لكنه يرمى كالفيروس على التدين فيستعير من الدين مظاهره ورموزه. جاء الدين ليحارب مظاهر الفساد والجريمة في الإعتقاد والإجتماع، ووضع موازين وأصولاً لعلاج الإختلال الروحي والنفسي والإجتماعي والحضاري، لكنه فضح لعبة النفاق دون أن يضع وسائل لمواجهة سوى الحيلة والنباهة والحيلة. ومع أن الدين نبه لمعضلة النفاق ووجه النظر إلى أن أهل النفاق مخبوثين وراء فلتات أسنتهم وجعل سيماء المؤمنين غير سيماء المنافقين حيث يعرفون في لحن القول، إلا أنه ظلّ متهماً كما لو أن الدين هو المسؤول عن النفاق وليس الإنسان. إن النفاق يجري في الجسد الإجتماعي كما يجري الشيطان في عروق الأفراد. فالمنافقين هم شياطين المجتمع، ومع ذلك لا بدّ للنفاق من فضيحة تتوقف على صلاح الجماعة وحذرها من عدوها، ألا وهو النفاق. فليس حول المدينة النبوية وحدها وجد منافقون كثر بل حول كل مدينة ستجد منهم نصيباً يزيد أو يكثر. وحينما يطغى الفساد ويعلن عن نفسه يتحوّل النفاق إلى كفر بواح ويخرج من وراء حجابته. التدين الصحيح يفضح النفاق، وحينما تسود سيماء الإيمان تنفضح سيماء المنافقين، هنا لا مجال للبحث عن دين لا يحيط به نفاق، فالنفاق يلزم الدين ويتربص به. إن النفاق ينتصر متى صدق الأغبياء أن الدين يصنع المنافقين، بل لأنه يجمعهم كانوا يحتلون مواقع متقدمة في التّمظهر الديني. فالنفاق ليس حقيقة نابعة من روح الدين بل هي حقيقة (سوسيو- دينية). وحيث كان الإنسان ولا زال في عالم الإمكان يملك أن يكون إنساناً متى شاء أو كالأنعام متى شاء، كان يملك لغة وصور

ما بالقوة. فيقدر ما يملك الإنسان أن يتمثل لغة الأنعام وهو في طور إنسانيته، يملك أن يتمثل صور مقامات الكمل من أهل الدين وإن لم يكن من أهلها. فهذا يتيح وضعه في الإمكان وأنه إنسان بالقوة، فالحركة التكاملية للنفس الإنسانية لا مستقر لها في هذا التخارج المتردد بين مقام الإنسانية ومقام الحيوانية. ففي المجتمع الإنساني تتعايش الجريمة المرفوضة اجتماعياً مع الفضيلة بفضل لعبة الإخفاء والتدليس والتفان. إن خراب المجتمع يبدأ من تجذر النفاق ورسوخه والتستر عليه وتمكينه من أهل الفضيلة عبر التغلغل في مؤسسات صناعة ورعاية أمور الدين والدنيا. النفاق هو أساس خراب العمران.

### القيمة التربوية لحكاية القط والفأر:

على الرغم من محاولات (جون جاك روسوا) التقليل من أهمية حكايات (لافونتين) ومدى جدواها التربوي بالنسبة للطفل، إلا أن ذلك لم يكن ليقنع التربويين الحدباء في الإستغناء عن أسلوب الحكاية التربوية انطلاقاً من عالم الحيوانات. فالرسوم المتحركة وأفلام الكارتون والقصص التربوية تفيض بهذه الصور في كل جيل. مؤكدة نجاعتها ومدى تحقيقها لغرض المتعة والتعلم عند الأطفال وهي عنوان الثورة التربوية في العصر الحديث. ولا يزال القط والفأر عنواناً بارزاً لأنواع الرسوم المتحركة التي شكّلت عنواناً لوحدة الثقافة في أرجاء المعمورة. ولا زال للقط والفأر جولات ومغامرات لا تكاد تنتهي في حكايات (ميكي ماوس بوول ديزني) المعاصرة. إن لتحيين القول في «التدين والنفاق بلسان القط والفأر» لبهاء الدين العاملي قيمة تربوية تصل الماضي بالحاضر وتعزز وحدة الخيال واستمراريته بين الأجيال؛ الخيال كأسلوب للتربية. من أجل تنمية استراتيجيا تربوية قوامها: التربية على الخيال والخيال من أجل التربية. فالمطلوب النظر إلى هذه الحكاية على أساس الإعتبار لما تتضمنه من معاني كبيرة. حيث يؤكد صاحبها على أن «الغاية أن ينظر القراء بكامل التدبر والتفكير لتشع في

خواطرهم أنوار هذه المعاني». كما يؤكد البهائي على أن هذا الحوار بين القطّ والفأر يهدف إلى غايات تربوية لمّا وضح سبب اختياره لهما كمتحاورين، قائلاً: «أيها الأعزّاء: لا تظنوا أنّ حوار الفأر والقط بلا جدوى! الفأر هو نفسكم الأمارة بالسوء، التي تريد أن تتخلص بالحيلة والخداع من سلطة العقل، وأن تفسد صاحبها باقتدائها بالشیطان وبعد ذلك تسخر من العقل وتهزأ منه وتضيع عليه نعمة الإختيار الصحيح».

هنا نحن أمام رؤية فلسفية عميقة للدين والنفس والعقل والصلة الرابطة بينهما. أصل الغواية وآثار الضلال وبؤس الإختيار. إنها تمنح رؤية وافية لانسدادات النفس وانطوائها داخل دائرة السوء. الدائرة المغلقة على النفس العسيّة على الإنفتاح على الصراط المستقيم، أي وحده الخطّ المنفتح على الله. تبدأ الحكاية من النفس الأمارة بالسوء. وخطورتها أنّها هي الأقرب إلى الإنسان غير منفكة عنه إلا إذا ما استعصم بوازع من الدين والعقل. لكنّها بصنوف الحيل تراوغ لكي تفلت من رقابة العقل وسلطته. ثم حينئذٍ تقدّم صاحبها وجبة سائغة للشیطان. يصبح العقل والمعقول موضوع سخرية بعدئذٍ ثم بفعل مراكمة اللامعقول يفقد صاحبها البوصلة في طريق الضلال المجهول، فلا تبقى لديه حتى نعمة الإختيار، وأحياناً يحسب أنه يحسن صنعاً. يمكننا أيضاً اعتبار حكاية بهاء الدين العاملي عن التدينّ والنفاق، تغطية حوارية لمراحل الغواية والإضلال التي تقوم بها النفس الأمارة بالسوء ونهاياتها السيئة. فما دام الأمر يتعلّق بججاج داخلي بين النفس وقواها، فهذا يعني أن شعبة النفاق تتربّص بالنفوس طرّاً لا تستثني أحداً. وبأنّ النفاق شعبة يتعيّن مقاومتها بالرياضة والمجاهدة والتربية. ففي كلّ النفوس لا غرو من وجود كثير أو قليل من النفاق. يحارب المتدينّ في نفسه غواية الكفر، لكنّ ما أن يدخل مشهد التدينّ حتى يهجم عليه النفاق بعد أن يكون التدينّ لديه قد اكتسب قيمة (سوسيو دينية). ففي هذه الحكاية التي هي أصدق حكاية وأهمها، نقف ليس على توجيه تربوي ذي طبيعة وعظية تفصل بين المخاطب والمخاطب، بل هو عمل تربوي

يقدم خلاصة آراء وأفكار بهاء الدين العاملي في قضايا مختلفة تهم العلم والمجتمع والسلطة والدين. إن مجتمع البهائي بلا شك كان قد عرف تحولات ومظاهر وممارسات لم تكن محل رضا بهاء الدين كعالم ومصلح. ففي كل عصر وكل جيل يوجد دائماً شذوذ وانحراف وانزلاقات أخلاقية وأخرى تحريفية في صميم الدين. وحصر الحديث في التدين والنفاق هو إجمال لما يحدث في أبعاد مختلفة من سلوك الإنسان. سيكتشف قارئ الحكاية المذكورة أن القط هنا هو قوة المخيلة التي تلغي سلطان العقل بينما الفأر هو النفس الأمارة بالسوء، فهو عنوان الرذيلة واللاعقل والالتباس. يعني أن لا يكفي الأمر هنا عند تقسيم المهام بين قيمتين على طرفي نقيض، بل ندرك من خلال هذا التقسيم الإجمالي أن الرذيلة هي نتيجة حتمية للاعقل. بينما اللاعقل واللامعقول لا يقف صامتاً أمام خطاب العقل والمعقول. بل يحتاج ويسخر ويغالط ولا يصمت. في حوار القط والفأر نجد حجاجاً ساخناً بين المعقول واللامعقول. وحينما يستغرق الحوار كل هذه المساحة، فهذا يعني أن اللامعقول ليس مهزوماً بمجرد أن ينبري له العقل، بل يحاول جهده أن يغالط ضمن مستويات حجاجية ذات وظيفة تضليلية. إن للامعقول إذن لغة واصفة ومنطقاً خادعاً وأسلوباً للإقناع والسخرية. ينطق الفأر كما ينطق القط في موضوعات مشتركة، هذا يحتاج فيها بالباطل وذاك يبرهن فيها على الصواب الرجح. إن حكاية القط والفأر هي حكاية علاقة صدام وتدافع دائم ومستمر بين الحق والباطل.. العلم والجهل.. الدين والنفاق.. المروءة والرذيلة.. الحرية والإستبداد... تتأكد فيها الغلبة للباطل متى أمكن الجهل أن يمكر بقوة الخيال للتغلب من العقل.

### تصلح هذه الحكاية إذن لغرضين:

غرض تقديم تفصيل كافي يعكس مجمل فكر البهائي في مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والمعرفية. وغرض آخر كونها تصلح برنامجاً تربوياً تمكن الإنسان من نسج علاقة مختلفة مع الله والإنسان وعالم المعرفة.

يتجلى الروح النقدي في فكر البهائي من خلال الحكاية المذكورة. وهذا يعني أننا أمام فكر تجديدي وخلّاق وتربوي. فلا تربية من دون فكر نقدي. ولا إبداع من دون نقد. فلقد أظهرت الحكاية وجهة نظر البهائي في قضايا صعبة المداولة. لقد كان للقط والفأر في حكاية البهائي جولات في موضوعات ومسائل عدّة. نستطيع أن نبوّها تحت سقف عنوان افتراضي يقرب المطلب ويسفر عن العبرة: حينما يضعف سلطان العقل. في أولى تلك الجولات التي أردفها البهائي في خاتمتها بتوضيح المغزى، نجد حجاجاً بالغ الذكاء بين القط والفأر. كان الفأر قد بدل وسعه لإقناع القطّ بحديث المروءة والتسامح والصفح عساه يفسح له طريقاً إلى كوخه. وكان الفأر من جهته قد بدل وسعه لكي لا يقع في خداع الفأر وتخريجاته الفقهية ومكره. استدل الواحد على الآخر بالفقه والتصوّف وعلوم كثيرة. ظهر تفوّق القط العلمي وعارض كل حجج الفأر بالبرهان. لكن شيئاً ما مكّن الفأر من القطّ في نهاية المطاف؛ إنّه الطمع والشهوة التي سرحت به في سماء الخيال بعد أن نجح الفأر في إقناعه بوجبة من لحم العصفور لم يملك معها القطّ أمره فأذعن للفأر الماكر وأفلته من بين يديه. الفكرة المحورية هنا لا تحجب التفاصيل التربوية التي تضمّنتها المناظرة، وهي تفيض بالمعاني والعبر في مسائل شتى. فالقيمة الأخرى للحكاية من حيث الشكل تؤكّد على القيمة المنطقية للمناظرة. فما جرى بين القطّ والفأر يعكس أشكالاً وضرورياً من المناقضات والمفارقات التي يستند إليها عادة أهل الحجاج. فالحكاية تقدّم قيمة أخرى حول كيفية تديير الأدلة وتميزها بين شواهد الجهل وشواهد العلم، وشواهد الجهل تأخذ شكل البرهان وهي أبعد ما تكون عنه، فهي أدلة مغالطة تقوم على الأقيسة الخاطئة وعلى السفسطة، فمهما هام القطّ في صناعة المغالطة، تصدّى القطّ له بالأدلة المفحمة. فلا مجال في حكاية البهائي لتساوي الأدلة، فالعقل بطبعه يقول بالترجيح والحسم وتفكيك مغالطات المحاجج الجاهل، ولا يقرأ الشيخ البهائي قراءة تجزيئية. فعند القراءة الشمولية للبهائي ندرك خطأ ما بدا غرائبياً في آرائه، فهو كما فعل في حكاية «التدّين والنفاق» ينتصر في

النّهاية للفقهاء والعلماء. كما ينتصر للمصادر المقرّرة في الاعتقادات والشرائع، فلا يرى فيما عداها إلاّ التباساً. فالقطّ الضّالّع في الفقه عادة ما يلفت إلى بضاعة الفأر المزجاة في مجال العلم. فقطّ البهائي كان قد لازم طالباً للعلم قرّبه منه بعد أن أبلى القطّ بلاءاً حسناً في تخليص الطالب من أثر الفأر الذي أتلف أغراضه. ومنه تعلّم «بعض الكلمات في الأصول والفروع». وهو لهذا يلفت نظر الفأر إلى سبب قول القطط «ميو، ميو» بالتشديد والمد. يقول القط للفأر: «وحفظت إلى ذلك الكثير من المسائل الشرعية، والآن أنا ماهر في الدّرس والبحث ومجمل بالصّلاح والإستقامة وأوقن أن معاقبة أمثالك عبادة». هذا بينما كان الفأر يلوذ بالشّعور والتراث والأهواء وآراء الطرق الصّوفية التي جعل منها البهائي موضوعاً لرسائله التوجيهية تلك. وكثيراً ما استشكل القطّ على أسلوب الفأر وعيّره بالجهل والفسوق. وفي جولة من جولات الحجاج قال له القطّ: «أنا أنقل كلام القرآن الكريم وأذكر لك الأحاديث النبوية الشريفة وأنت تورد كلام حافظ وأقواله؟». هذا ليس حديثاً عابراً بل هو واقع لعلّه لفت نظر البهائي في المجتمع الفارسي. فقد بدا أنّ جمهور العلماء والفقهاء كانوا قد واجهوا ظواهر من هذا القبيل. فلقد بلغ الإهتمام بشعر حافظ ونظرائه ما فاق الإهتمام بأصول العقيدة والتشريع، وكما سيجيب الفأر، فإنّ القطّ لم يذكر له المعنى الحقيقي، حيث في غزل الشّاعر حافظ كلام حول التوبة والالتوبة. فالفأر يتجرّأ على القطّ بل يثير حفيظته حينما يتهمه بالمعصية ويطلب منه التوبة بالغزل الذي اعتبره مبطلاً للصّوم فقهيّاً لكنه فعله خوفاً من طروّ الملل إلى خاطر القطّ. فهو يؤكّد للقطّ بأنه أحقر من أن يقدم له النصيحة لكنه الآن يفعل ذلك من باب الواجب والضروري بناء على التكليف في النهوض بفريضة الأمر بالمعروف. فيقول له: «إنّ التّصوّف والزّهد من خصائص المتديّنين والفقهاء، وأنا لا أرى ذلك فيك». لكن سرعان ما استعاد القطّ توازنه ولاذ بالحيطة والحذر خشية أن يفلت منه الفأر. فالفأر هنا يمارس الخداع بمعسول الكلام، وكان لا بد للقطّ من أن يخدعه بالأدلة والأمثال. يقول القطّ: «وأتصرف بحيطة وحذر،

وإن لم أستطع ترويضه فلا هو صوفي ولا أنا طالب علم، سأسيطر عليه بالحجة مستنداً إلى الأدلة الشرعية، وإن لم يفدني هذا فسأورد أقوال المتصوفة وأقبض عليه». أما صاحب الحكاية فقد علّق على هذا الحديث الخاص بين القط ونفسه: «ثم إن القط قرّر أولاً أن يتواضع ويعظ نفسه». وحينما اشتد الحديث بينهما وأظهر الفأر ما أظهر من استفزاز في طيّ الكلام المعسول، طلب القط من الفأر أن يسمعه كلاماً ذو مضمون حقيقي وليس مجرد كلام معسول لا طائفة منه «كأن لا فرق بين قولك وبولك». ما كان من القط إلا أن يجيب ساخر: «أيها القط، لو لم تكن فاقد العقل لما أفلنتني من يدك».

يبدو موقف الشيخ البهائي من خلال الحكاية المذكورة قاسياً من أهل الصوفيّة. وهذا عند التحقيق ليس موقفاً من التصوف بل موقف إصلاحى للتصوف. فلقد كان البهائي من أهل السلوك والعرفان كما تحكي سيرته وأقواله والحكم الإشارات التي تضمّنتها الكثير من أعماله التربوية والروحية. فإذا كان النفاق يرمى في حقل التدين، فهو يبلغ غايته كلما بدت حيل التلبس بمظاهر التزاهد (وليس التزهد) طاغية على أهل الطريقة، لقد كان المجتمع الصنفي غاصاً بتعددية منقطعة النظير في التعبيرات الدينية، وكان الفقهاء أكثر تجلداً في مقارعة أهل الطريقة. وكان كل فريق لا يأل جهداً في فضح غريمه متى ما بدا له إغواراً في السلوك وشططاً في التسلط على الخلق بغير حق، ولقد كان لهذا النزاع فائدة جليّة إن نحن نظرنا إليها من جهة ما وفّرته من أفكار وملاحظات على كل طرف على حده. كان أحرى أن يفيد الفقيه من نقد أهل السلوك والعرفان، حتى لا نكون على فقه جامد من غير روح، فلقد التفت أبو حامد الغزالي إلى فقهاء زمانه فألفاهم قد تجمّدت صناعتهم وفقدت الروح وماتت روح الدين مع بيّاس الأحكام الصناعية، فكان أن ألف كتابه الشهير: (إحياء علوم الدين)، كما كان أحرى بالمتصوّف أن يفيد من نقد أهل الفقه والصناعة، حتى لا يتحوّل السلوك إلى مأوى للخرافة والنفاق. فلا أحد أدرك من نقائص أهل الطريقة كالفقهاء ولا أحد أدرك من

نقائص الفقهاء كأهل العرفان، ولا نجاة من هذا أو ذاك إلا بالجمع بينهما حيث كان ولا زال الجمع بينهما أحمد، وكانت تلك هي طريقة الشيخ البهائي، طريقة الاعتدال والتوسط والبعد عن الغلو وطلب الدليل في كل معرفة وسلوك؛ أي كيف تكون فقيهاً سالكاً، أو سالكاً فقيهاً.. عالماً زاهداً؟ لذا حارب بنزعته الأصولية وميوله للتحقيق التسامح في تكريس الإعتقادات الزائفة من دون دليل، أو اعتماد أدلة ضعيفة. فلقد انتقد الغلو حيثما كان، في الفقه المجرد عن السلوك أو السلوك المجرد عن الفقه أو الإعتقاد القائم على النزعة الإخبارية لا الأصولية وهلم جرا. فإذا كان علماء السنة قد حاربوا أشكالاً غالية من التصوف تحت عنوان التصوف السنّي المناهض للبدع والخرافات، فقد كان علماء الشيعة قد حاربوا أشكالاً غالية من التصوف تحت عنوان السلوك القائم على التحقيق الأصولي في الأخبار ومراعات القواعد العقلية والآراء المسندة بأدلة المعقول والمنقول. إن خطاب العقل والمعقول طاغي في الحكاية، فهي كما قلنا حكاية تربوية، ونضيف قيماً آخر أنها حكاية تربوية على التفكير المعقول والإختيارات العقلانية، ففي «التدين والنفاق» يوجد انتصار واضح للعقل والمعقول الديني. وقد هاجم البهائي الصوفية لأنها مأوى الخرافة. ومع ذلك هو يحتفظ بنصيب من النقد لحرفية الفقهاء الذين لم يأخذوا بأسباب العرفان القلبي. هو ينتقد حرفية العلماء وظاهريتهم كما ينتقد خرافة الصوفية وجهلهم، وفي هذا تأكيد على أن مراد الشيخ البهائي ليس إقصاء العرفان ولا تغليب الفقه، بل هو باحث عن التوازن وكمال العلم الذي يجمع بين قوة النظر وصفاء القلب: قوة المعرفة وعمق العرفان. ليس الشيخ البهائي وحده من هجا التصوف والطرق في عصره. فلقد فعل ذلك نظراء له كان لهم باع كبير في العرفان. لقد انحرف التصوف في عصور مختلفة وتحول من مجال للتربية على التدين إلى ممارسة لا تقي صاحبها من زلة النفاق، لا سيما بعد أن خرج من العمق ووقف عند السطح وانحصر همه في مظاهر سلوكية وطقوس بلا روح. هكذا يستدرج القط الفأر بسؤال عن التصوف، فما كان أسرع من الفأر حين ردّ بأنه بارع فيه حتى أنه

يستطيع أن يدور ثلاثين أو أربعين دورة إن كان غيره لا يقدر سوى على واحدة، هنا تتحدّد من خلال حديث القط والفأر جغرافيا التّصوف المقصود كمثال: «المولوية، باعتبارها طريقة تقوم على الرّقص والدوران»، وقد كان ذلك مما طغى على المجال التركي العثماني مثلما طغت أشكال أخرى منه في المجال الإيراني الصّفوي، وليس المقصود هنا طريقة دون أخرى، ولكن الغاية تتعلّق بسائر الطّرق التي تكاثر حولها من لم يأخذوا بعمق رسالة التربية الروحية للتصوف، فالقط يجب الفأر: «أتعلم عن التصوف الرقص والدوران فقط، أم أنك تعرف أموراً أخرى؟». من جهته يزايد الفأر على القطّ بورعه وصوفيته ويدعوا القط إلى التّصوف ومعرفته، في حين يتشبّث القط بأنّ جهله للتصوف لا يعني أنه جاهل. ويردّ على الفأر بأن طلبه العلم اعتادوا القناعة ولا يشكون الجوع وإن ألمّ بهم بخلاف ما فعل الفأر حينما شكى له الجوع وحدّثه عن سلوك الصوفية في الولائم وكيف أنهم حينما يدعون يأكلون إلى أن تمتلئ بطونهم، كما لو كانوا يأكلون ليس لإطفاء جوعة سابقة بل كأنما يريدون إطفاء جوعة مقبلة، وذلك حينما يقول الفأر: «أنا أيضاً من أهل التّصوف، وتلك الجماعة لا تقصّر في أكل نعمة الله» في جميع الحالات، في أثناء السلوك أو الإعتكاف يأكلون الحلوى وأحياناً خبز الشعير والخل وإذا كانوا في ضيافة أحد في المساء يأكلون إلى الحدّ الذي تبقى فيه بطونهم مليئة إلى اليوم التالي». تبدو القيمة الفلسفية لهذا النقاش بين القط والفأر لا حدود لها. ففي الظاهر يتهم القط الفأر بأن معرفته ببعض المعلومات عن التّصوف لا قيمة لها إذا لم يكن هو نفسه قد بلغ ذلك المقام. من جهته، يؤكّد الفأر للقط بأنّه متصوف وأن القط طالب علم؛ «وطالب العلم والمتصوف لا يلتقيان». كما يستكثر عليه معرفة بعض حقائق التّصوف، ضارباً له مثلاً بالحلوى التي لا يعرفها إلا بتذوّقها. إذا نسينا هنا القط والفأر، وأمعنا النّظر في محتوى الخطاب، سنجد أنّنا أمام تبادل أحكام بين منطق المعرفة ومنطق العرفان. نعم، في مقدور مدعي الصوفية إن قصر به الإهتمام بظواهرها كما اتهم القط الفأر، أن يدرك بعض الأفكار والآراء عن الصوفية

دون أن يكون قد حقق ذلك الوصول والترقي في المقامات الروحية. وهؤلاء ليس لهم منها سوى المعلومات التي قد يستعملوها لإستغلال المجتمع. وهو درب من الدروب المؤدّية للنفاق، ولم يكن الفأر من ناحية النّظر مخطئاً حينما استكثر على القط معرفة حقائق التّصوف إن هو اكتفى بالنّظر من بعيد ولم يسلك فيه مسلكاً تجريبياً. فحقائق العرفان ليست كحقائق المعرفة تكتفي بالنظر والبرهان، بل هي حقائق تكشف وتذاق. من هنا فلا مجال لأن يلتقي طالب العلم والمتصوف، كما لا يلتقي طريق الكشف والبرهان. ويبدو أن الفأر هنا يتحدّث عن واقع الخصومة بينهما، وقد بدت تلك أزمة عميقة في الفكر الديني والفلسفي عززت القطيعة بين العرفان والبرهان، وهو ما يعطينا فكرة عن أهمية المحاولة الصّدرائية للجمع بين الكشف والبحث، والعرفان والبرهان في مزاعم الحكمة المتعالية. إذا كانت المعرفة حضورية عند أهل الكشف، فهي مكتسبة عند أهل النّظر والبحث، ومن هنا تبدو محنة طلبها كبيرة، فالذين يعتقدون بهذه الخرافات في نظر الشيخ البهائي على لسان القطّ من الصوفية لا عقل لهم ولا شعور، بينما المطلوب الكثير من التعب والمعانات مع علماء الدّين لتعلّم مسألة عقلية واحدة؛ « هؤلاء الذين أصبحوا علماء، تعذبوا كثيرا في طريق الوصول».

وواضح هنا أن المراد ليس صميم الإشكال بين طريقتين لتحصيل المعرفة، بل وجب التنبيه هنا إلى أن هذا النقاش يجري بين عالم دين وبين دعي صوفي، وهو نقاش بين الحقيقة والزيف.. بين التدين والنفاق. وإلاّ، فالنقاش الحقيقي بين أهل المعرفة وأهل العرفان عند التحقّق والتحقيق أعمق من ذلك بكثير، فقد يصحّ من أدياء الصّوفية أن طريقتهم للمعرفة خرافي لا دليل عليه من معقول ومنقول، لكن أهل السلوك الحقيقيين هم مثل أهل العلم، في عناء وتعب لتحصيل المقامات والمعرفة. ثمة لحظات بلغ فيها النقاش المعرفي ذروته، وهو حوار بين نسقين معرفيين في غاية الاختلاف. القطّ ينتصر لطريق طلاب العلم الذين اختاروا مسار البرهان. والفأر يزعم أنه سلك طريق أهل التّصوف، وهو طريق أهل الرياضة والكشف، لذا يحتج الفأر على القط الذي

يتحدّث هنا لغة العقل البرهاني، عن عدم إدراكه كنه الحقائق وجوهرها، طالب العلم ممثلاً في القطّ لا يفتأ هو الآخر يسخر من الصوفي ممثلاً في الفأر، فطالب العلم يرى في المتصوف أحمقاً خرافياً لا يأخذ بأسباب المعرفة والتّفقه. يخاطب القطّ الفأر: «أيها الفأر، المعرفة دون تعقّل وفهم، مثلها كمثل صبغ الأحمق لحيته بالزّرنخ». كان القطّ إذن يضع حدّاً بين مزاعم الفأر الصوفي وأمثله، وبين حقائق العرفان الحقيقية. يبدو أن القطّ هنا ليس بصدد انتقاد مبدأ العرفان والسلوك، ولكنه بصدد طلب الدليل في ما يتم تداوله من أفكار وخرافات لا ينهض بها دليل من عقل أو شرع. ومثال واحد مما ردّ به القطّ على الفأر في ما زعمه الفأر من أنّ من كرامات الصوفية في خراسان أنّ شجرة الفستق تنبت فوق قبورهم. فالبهائي هنا يلوذ بالعلم والمعرفة والعقل، ويستعمل مهارته العلمية وينطقها عن طريق القطّ حينما ردّ على الفأر بأنّ مزاعمك حول صوفية خراسان خرافية وغير صحيحة من منظور العلم. فهو يعتبر أن من جهل وغباء الفأر أنه لا يعلم بأنّ الفستق شجر ينبت بكثرة في خراسان. ولو كان صحيحاً ما زعم الفأر أن هذا من كرامات شيوخ خراسان، أن ينبت على قبورهم شجر لا يناسب خراسان. أما عن سبب تكاثر أشجار الفستق، فالبهائي على لسان القطّ يرجع ذلك إلى قانون طبيعي، حيث «الطيور تنقل اللقاح في مناقيرها وتوصله إلى الأطراف فينبت شجر كثير على هذا المنوال، وهذا الأمر ممكن بالنسبة لأيّ شجرة أخرى تحمل حباً يمكن أن تنقله الطيور». إن البهائي على لسان القطّ يسخر من الصوفية ويعتبر أن حكاية أدعيائهم لا تختلف عن حكاية الثعلب مقطوع الذنب؛ ذلك الثعلب الماكر الذي بسبب خوفه ومكره انتهى إلى أن قطع ذنبه لينجو من الغرق حسب قصة طويلة سردها القطّ على الفأر، فيحاول أن يتظاهر بالحج بعد أن رمى بنفسه في الصبغ النيلي، وجعل ذلك علامة التوبة. حكاية الثعلب صدّقها الأغبياء والجهلة بينما أثارت سخرية وتدنّر أهل العلم. إن القطّ يتّهم الصوفية بالخرافة والعناد والتعصّب. فالفأر لا يذعن لأدلة القطّ، بل يعاند كأنه لم يسمع عنها ولم يراها. لهذا لا زال القطّ يعاتبه:

«أيها الفأر إلى متى ستتحدّث بمثل هذه الألفاظ الجوفاء البعيدة عن العقل والمنطق والتأمل؟». لا بدّ من إعمال العقل فيما نرى ونسمع وعدم التسليم بذلك من دون نظر أو مساءلة أهل النّظر. فالتدقيق هنا واجب والتأمل فريضة في المسموع والمرئي، والسؤال واجب في حقّ من قصر عن الإجتهد. كان الشيخ البهائي وعلى لسان القط يكشف عن زيف ما كان يروج في زمانه من خرافات تخالف المعقول والمنقول من أحوال مشايخ التّصوّف. فهو ينسب لهم الكثير من مظاهر الفساد الفكري والخلقي وامتهان السحر والشعوذة وتناول الحشيش. لم يكن هذا موقفاً مبدئياً من أصل التّصوف بل هو موقف مما آلت إليه طرائق الصّوفية. لذا وبعد أن يفنّد الشيخ البهائي كل هذه الخرافات والمزاعم الصوفية، يعطي صورة أخرى عن التّصوف النقي والمشروع، حيث حدّده في التّصوف الذي يقوم على المعقول الصحيح والمنقول المعتبر. فالتّصوف في نظر الشيخ البهائي على لسان القط هو مشتق من الصّوف، وهم من أهل التحقيق، وصاد التّصوف صبر وواوه وفاء وفاؤه فقر وفاقة، وهم كما قال عنهم كثيرون أهل استقامة وطيب سريرة وطهر وصلاح وصحة معتقد، وأدلتهم في ذلك ليست من قبيل الخداع والمكر بل لها صلة بدليل من الله ورسول، فالتصوف ليس نهج دين خاص وإدعاء معرفة غير مسنودة بدليل شرعي ولا ببرهان عقلي ومبنية على التقليد والهوى. فالصوفي «يجب أن يكون صالحاً، ومن ليست هذه حاله، أي من لا يتطابق عنده الإسم والمسمى، يكون بلا فائدة وبلا ثمرة، كأن يسمى الحداد طبيباً ويسمى الخياط صائغاً، ولا فائدة من إطلاق إسم على غير صاحبه سوى الكذب على الذات وعلى الآخرين، ولكن إذا سمّي شخص صالح صوفياً فلا شك أن إطلاقه ذا الإسم عليه صحيح ولا عيب فيه (...) وكلمة ترك الصوفي التقليد والعناد وعمل بوحى الشرع الشريف وكان صادقاً في سلوكه سيكون صوفياً حقيقياً، أما إذا كانت مطالبه وسلوكه تقليداً ورياءً وكيداً وخداعاً وتسمى أو سمي بالصوفي، فإن ذلك شبيهه بأن يسمّى المجرم نفسه طاهراً». وبسبب هذا التّواسط في تصحيح وجهة

التصوف نسبة كثيرون إلى التصوف مثل فعل اللاهيجاني مستقراً آراء البهائي في نظم مثوي وكما فعل الميرزا عبد الله أفندي في كتاب «رياض العلماء». بينما نفى ذلك عنه كثيرون وخالفوا صاحب كتاب رياض العلماء مثل الشيخ يوسف البحراني والتكابني والسيد حسن الصدر والسيد محسن الأمين. وكما أوفى ذلك السيد حسن الصدر في ترجمة والد الشيخ البهائي، فإن عادة علماء الدولة الصوفية كانوا قد جالسوا وزراءها الذين لم يكونوا يدركون غير الطريقة والحقيقة، فلما أنسوا بالعلماء ومنهم الشيخ البهائي، تأثروا بالشرعية واستملحوها. لم تكن طريقة العلماء منفرة بل لم يكونوا يتناولون الصوفية بسوء حتى اعتقد البعض أنهم على مذهبهم في الاعتقاد. وإنما فعلوا ذلك لأسباب تربوية «وصاروا لا يذكرون أحداً من الصوفية بسوء بل يثنون عليهم حتى جروهم إلى العمل بالسنن والأحكام أولاً بأول، حتى عادت دولة متشعبة مربية للفقهاء والمحدثين».

لقد انتصر القطبُ إذن على الفأر حينما عاد العقل ليسيطر على الموقف. لكن بعد عذاب مرير يعكس التحدي الذي يفرضه الخيال على الغريزة مما يمكنها من النفس بعيداً عن العقل، انتصر القطب على الفأر، فانتصر بذلك العقل على الخرافة، والوعي على الغفلة، والعلم على الجهل. لحظة سقوط الفأر هنا في الحكاية البهائية هي السقوط الحتمي للأهواء والانتصار الحتمي للعقل والوعي والعلم. هذا يعني أن العالم يتطور باتجاه الرشد العقلي والعلمي وليس العكس. فحركة التاريخ هي حركة في اتجاه العقل.

### في الختام:

إن لرسالة «التدين والنفاق» غرض لا يشذ عن غرض الحكاية الحيوانية، من حيث هي أيضاً رسالة مشفرة للحاكم، وإن لم تكن حكاية البهائي جعلت من السياسة موضوعها، فلأن صلته بالشاه عباس كانت وثيقة، كما كان ملوك الدولة الصوفية قد قربوا العلماء وأكرمهم ومنحوهم مواقع متقدمة في الدولة وشاركوهم في المشورة.

فمهما قيل في أحوال الدولة الصّفوية، فإنّ ما تقرّدت به هذه الدّولة عن نظائرها بما فيها الدّولة العثمانية، أنّها قرّبت العلماء وجعلت مشروع بناء الدّولة تحت رعاية العلماء. وفي مثل هكذا أوضاع، لم يكن همّ البهائي أن يكتب حكاية حيوانية ذات أهداف سياسية كما فعل ابن المقفّع، بل إن الشيخ البهائي كان صاحب حظوة ورأي مسموع في حضرة الشّاه عبّاس كما كان نظراء له كثيرون، ولكنه حمل على عاتقه مهمّة إصلاح المجتمع وتنوير الفكر وتهذيب السلوك الديني للفقهاء والصوفية وعامة المجتمع. لم تدرس هذه الرسالة من الجانب السياسي على الرّغم من أنّ الفأر عادة ما ينعت القطّ بالملك، فهو يجسّد بهذا المعنى مكر الشّعب مقابل مكر الملك. قد يبدو الطابع الفلسفي طاغياً على حكاية التدين والنفاق، حيث المراد الجدّي من الملك هنا هو حكومة العقل على الغرائز والأهواء كما يؤكّد عليها البهائي نفسه في إيضاح الغرض منها، لكن الحكاية قابلة أن تقرأ قراءة سياسية أيضاً، وهو ما لم نرد المضيّ فيه لتطلبه جهداً خاصاً مضافاً. تتميز حكاية «التدين والنفاق» عن سائر الحكايات الأخرى أنّها أكثر واقعية وأكثر مباشرة في تناول قضاياها بسهل ممتنع وعقلانية صارمة. إنّ حكاية «التدين والنفاق» وإن جاءت على نمط الحكايات الموسومة بالخرافية إلا أنّها جاءت لمحاربة الخرافة في الفكر الديني والشعبي، فهي تستهدف المجتمع أكثر مما تستهدف السلطة، ولكنها أيضاً تدرك مدى سلطة المجتمع وأساطيره المؤسّسة ومدى سلطان العقل في قابليته لمقاومة كل قوى النّفس إن هو قاوم وتجلّد، وتدارك واستدرك. صحيح أن مصير الفأر في حكاية «التدين والنفاق»، سيّئة، بعد أن لقي مصرعه ووقع فريسة سائغة للقطّ. لكن من بدء التّحرّش الغريزي بالفأر حتى التهامه، كان الحوار شيقاً وبعثاً للفضول؛ لقد كان حواراً مفعماً بأفكار واعتقادات وتصورات وألوان من المكر، يعكس الحياة بتناقضاتها. إنها ميداناً لخطاب المعقول واللامعقول. وبينهما تتصرّف الغريزة وتجد لها مكاناً معقولاً في جغرافيا الحياة كما تجد لها خطاباً معقولاً قد يجد فيه المكر بلغته وقد لا يجد، فالحياة في النهاية ما هي إلاّ مجال لمكر الليل والنهار بين العقل

## الخطاب العقلاني في الحكاية الحيوانية

---

والهوى، بين العلم والجهل؛ هما أول باب يفتح به العلامة المجلسي ابن تلميذ من تلامذة البهائي، مدوّنته الحديثية، حيث فيها ندرك أنّ أول ما خلق الله العقل: «به يشيب وبه يعاقب».

## «الشيخ البهائي رائد الفكر والتراث»

### الشيخ دُرِّي نجف آبادي<sup>(1)</sup>

أيها السادة المشاركون في هذا المؤتمر الكبير حول الشخصية الإستثنائية العلامة الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين عبد الصمد العاملي المعروف (بالبهائي). إنني إذ أحيي أهلنا في لبنان على هؤلاء الأعلام أمثال الشيخ البهائي، وأصحاب الآفاق الواسعة في عالم الفكر والمعرفة، وأحيي جبل عامل بلد العلم والجهاد والمقاومة على امتداد كل هذا التاريخ المشرق، والممتد منذ قرون وإلى يومنا هذا، حيث يُسجل أهلنا اليوم الإنتصارات الباهرة على العدو الإسرائيلي، كما لا بُدَّ من تحية خاصة إلى رائد الجهاد، المجاهد السيد حسن نصر الله. هناك رجال كبار مرّوا في تاريخ العالم الإسلامي، كانوا من رواد الإصلاح، والمثل الأعلى في التقوى والإيمان والفضيلة، رجال صنعوا التاريخ وكانوا محلّ افتخار الأجيال، فقد دافعوا عن الإسلام وعن الإنسانية، وعن العدالة وعن العترة الأطهار عليهم السلام، وعن كل ما مرّ في هذا التاريخ الإسلامي، من غدير خم الذي فيه القيم الولائية إلى كل المحطات التي شكّلت عنوان الإسلام وقوة المسلمين، فقد وقف هؤلاء الأعاظم بوجه الظالمين والمستكبرين من دون خوف

(1) مُمثّل سماحة الإمام القائد السيد الخامنئي قدس سره.

ولا وجل. وأنا أشكره تعالى على توفيقه لي، على حضوري في هذه الأرض المقدسة (لبنان)، وعلى مشاركتي في الحديث عن هذه الشخصية الكبيرة، التي هي من أعظم وأهم الوجوه اللامعة، والتي هي محل افتخار العالم الإسلامي والشيعي بالتحديد، فكان مثال العالم الزاهد العابد، الباحث عن القيم الإنسانية والحرية.

عندما نقرأ عن هذه الوجوه اللامعة كيف بنت الحضارة الإنسانية والتمدن، من خلال الإخلاص والمثابرة، والهجرة، والسياحة، نجد فيهم الروح المجاهدة، والنموذج الأكمل في الفرد الإنساني، وأنهم ارتقوا في عالم تربية النفس والإخلاص إلى مراتب عالية جعلتهم القادة والقدوة، وكيف لا يكون الشيخ البهائي كذلك وهو من سلالة أولئك العلماء الأعلام الذين قدّموا الكثير للإسلام والمسلمين، فوالده العلامة المجاهد الشيخ حسين عبد الصمد، وهو من تلاميذ الشهيد الثاني زين الدين الجباعي، وكان شيخاً للإسلام في قزوین عندما كانت عاصمة الدولة الصفوية، وزوجة الشيخ البهائي هي كريمة العلامة الشيخ علي بن هلال الكركي المعروف (بالمنشار)، وبركاته جليلة وواضحة على إيران وعلى الشيخ البهائي، وله دور في بلورة حوزة وجامعة أصفهان التي ورثها الشيخ البهائي وخرّجت المئات من الطلاب الذين لازال ذكرهم في كل مكان، أمثال المُلّا الشيخ محمد تقي المجلسي، والفيض الكاشاني، والمرحوم ملا صدرا، ومير داماد إلخ.

وأنا هنا لأبد وأن أنوه بالشخصيات العلمية والفكرية التي كان لها الدور الأساس في تعظيم وتخليد هذه الأعجوبة والتي تركت بصماتها على سجل التاريخ الإسلامي، وكما لا شك فيه أنّ هذا المؤتمر الموقر والعزيز على قلبي القائم على هذه الأرض المقدسة له من العظمة والهيبة والوقار، ما يجعله في مصاف المؤتمرات الكبيرة التي انعقدت لأمثال هؤلاء الأعاظم، وأنا أشكر القيمين عليه من أعماق قلبي، وأنوه بجهودهم على إحياء هذا التراث العملي الذي له الفضل الكبير على منطقتنا الإسلامية وخصوصاً في إيران أيام العهد الصفوي.

أيها السادة :

نحن في إيران نبذل جهوداً كبيرة من أجل إحياء هذا التراث، وهذا الأمر كان مطروحاً عند المهتمين بهذه الشخصية الفذة ( الشيخ البهائي ) وكنا نعمل على ذلك، ولعلّ ما زاد في اهتمامنا لإحياء ذكر هذا العالم الجليل، هي الرسالة التي وجهها قائد الثورة الإمام الخامنّي حفظه الله تعالى، في الذكرى الأربعمئة، على رحيل العلامة البهائي، صاحب البركات الكبرى على إيران، لأجل أن يُصار إلى تعظيم هذا العالم الكبير صاحب الفكر والفقّه والحديث والأصول والتفسير والحضارة الإنسانية، فإنه جامع المعقول والمنقول. ونحن - الحمد لله - عقدنا مؤتمراً كبيراً في إيران، واليوم هذا المؤتمر الثاني بهذا المستوى والحجم من الأهمية، والذي زاد من إعجابي هو أنّ بركات الشيخ البهائي وآثاره ظهرت في لبنان وفي جبل عامل، من خلال الشخصيات التي حذت حذوه في الشموخ والجهاد كالإمام السيد موسى الصدر وبقية العلماء الذين ساروا على هذا الدرب أمثال العلامة الشهيد السيد عباس الموسوي والشيخ راغب حرب وقائد المقاومة الإسلامية اليوم السيد حسن نصر الله، مضافاً إلى بركات هذا العالم وأمثاله التي ظهرت في إيران في مشهد وقم وأصفهان وهرّاة، إلى النجف الأشرف والحلّة، إلى البحرين، وسوريا، إلى كل العالم الإسلامي، وكل هذه المناطق في رقبته دين للشيخ البهائي.

كان الشيخ البهائي يمتلك أفقاً واسعاً ولم يكن محدوداً بزمان ومكان، فكان المهاجر والمجاهد والفقّيه السائح في كل مكان، وكان يحمل مشعل الهداية ليغرسها في قلوب الناس، إيماناً وحجّة، وكان مصداق قوله تعالى «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا».

هذه الهمة العالية هي محل افتخار، وهي مسؤولية تحثنا على العمل وعلى السير في هذا الإتجاه. أساتذة الإمام الخميني قَدَسَ سَمُوهُ أمثال آية الله شاه آبادي، وآية الله الشيخ محمد رضا أصفهاني، والمرحوم آية الله مدرّسي، وآية الله بروجردي، كل

هؤلاء تخرّجوا من الحوزة العلمية المقدسة في (أصفهان)، هي الحوزة التي نشأت ببركات العلماء الأعلام التي هاجرت من لبنان إلى إيران أمثال المحقق الكركي الشيخ علي، والشيخ حسين ابن عبد الصمد، ونجله الشيخ البهائي، والشيخ الحر العاملي، وآخرين.. أيّ عظمة صنعها هؤلاء، وأيّ جهاد قدّموه، وأيّ عطاء أعطوه لعالم التشيع وعالم الإمامة والولاية، فقد وقفوا أمام المستكبرين والمعاندين من الشرق والغرب أمثال العثمانيين والأوزبكيين وغيرهم، وقفوا بصدور عارية بالعلم والقلم والجهاد.

أمّا خدمتهم لمذهب أهل البيت عليه السلام ولأتباعهم، فنحن مدينون لهم، والثورة الإسلامية المباركة مدينة لهم، فانتصارها هي ببركة جهودهم وعطاءاتهم، بل أكثر من ذلك، بقاء هذه الأرض المقدسة موحّدة و مترابطة، هي ببركة جهودهم وتضحياتهم، ولولا تلك الجهود وأولئك العظماء، لما كنّا نجد هذه العظمة اليوم، هم كانوا عرباً وجاؤوا من جبل عامل إلى إيران، يحملون معهم اللغة الأم وهي اللغة العربية لغة القرآن الكريم، واللغة الفارسية هي اللغة الثانية، نجد الشيخ البهائي يكتب المتن والنثر باللغة العربية، ثم يشرحها بالفارسية في أجمل لغة، وفي كل المجالات الأدبية الرائعة والعميقة، كل تلك العلوم والإمكانات كانت طوع يمينه، وهذا ما ورد في (رواية طنز، ورواية الحلبي والسكر، الخبز والحلوى، والكشكول، وأسرار البلاغة)، الذي فيه كلّ البيان والجمال. هذا الإنسان الكبير التاريخ مدينٌ له من الناحية العلمية وفي كلّ المجالات.

علماء إيران، ما قدّموه يعود الفضل فيه للبهائي وأمثاله، أمثال الشيخ محمد تقي المجلسي والمرحوم الشيخ باقر المجلسي، وعلماء كبار كثير كانت لهم مواقف جريئة من الجهاد والتضحية، ومواجهة الخرافات، فالسيد (الاسترآبادي) الذي ذهب إلى مكّة المكرمة وكتب (الفوائد المكيّة) ثم (الفوائد المدنية) وكانت وفاته متزامنة مع وفاة الشيخ البهائي، فقد تشكّلت عناصر الهوية الوطنية، وحملت الشعارات المناهضة للإنحرافات الخرافية، وتشكّل هذا الجمع الذي مضى عليه حدود ٤٠٠ سنة، هي محطة

## الشيخ دُرِّي نجف آبادي

---

للعزة والإفتخار، آثار الشيخ البهائي هي وقف اليوم في الحضرة الرضوية في مشهد.  
الشيخ البهائي رجل إلهي وشخصية مُضحية، يصنع العشق ويرى جمال الآخرة، وله  
أنوار قدسية إستمدتها من عشق أئمة الهدى عليهم السلام.

لا بدّ وأن أشكر جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي على هذه  
الهمّة العالية في إحياء هذا التراث المبارك لعلمائنا الأعلام والأجلاء وإلى مزيد من  
التوفيق.



## الفصل الثاني:

# الفقه عند البهائي



### الأبحاث:

- النقد الفقهي في منظور الشيخ البهائي الشيخ أحمد مبلغي.
- موقع الدليل القرآني في منهج الإستنباط الفقهي عند الشيخ بهاء الدين العاملي الشيخ خالد الغفوري.
- قراءة في المنهج الفقهي عند الشيخ البهائي الشيخ مالك وهبي.
- التقية بوصفها فلسفة سياسية أ. محمود حيدر.
- التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي الشيخ حسن علي أكبريان.



# النقد الفقهي من منظور الشيخ البهائي

## الشيخ أحمد المبلغي<sup>(1)</sup>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبه سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

ثمة أنواع للنقد الموجه إلى الفقه، الهادف إلى تعيين ورفع حالات النقص فيه، وهذه الأنواع تأخذ بنظر الاعتبار أنّ الفقه الذي يتناوله وينتجه الفقهاء رغم عمقه وعمق منهجه وأصالته، وتفوّقه على الفقه الوضعي في الكثير من المجالات، فإنه يعاني من بعض حالات النقص والفقه، ولكي يتمكن هذا الفقه من أن يعكس أحكام الشريعة الإسلامية بصورة أدق وأكثر، لا بد على الفقهاء من رفع حالات النقص والفقر هذه.

وكل أنواع النقد الموجه إلى الفقه تشترك في أنها ترى أن الضعف الذي يعاني منه الفقه هو من طراز الضعف الإرتباطي للفقه، لكنّها تختلف في الطرف الذي لا بد للفقه أن يكون له ارتباط معه.

وهذه الورقة المقدّمة إلى مؤتمر تكريم الشيخ بهاء الدين العاملي تسعى إلى إلقاء

(١) أستاذ في الحوزة العلمية (قم المقدسة).

الضوء على هذا الجانب الدراسي المهمّ لموضوع النقد الفقهي ومنهجه، باعتبار أنّ الفقه من أكثر العلوم التي تحتاج إلى وضع منهج نقدي لكيفية التوصل إلى الحكم الشرعي، إذ أنّ عملية الإستنباط هو بذل جهد عقلي، ويحتاج إلى كفاءة عالية، وموهبة في دقة الفهم وملازمة الذهن، وملكة على استخلاص المطلوب من أدلّته... ولا يستقيم هذا العمل إلاّ بوضع منهج نقدي سليم يمكّن الفقيه من معرفة الضوابط والمعايير المتبّعة في استنباط الأحكام من جهة، ويضمن سلامة العملية من كلّ نقص أو خلل من جهة أخرى. وتتمنّى أن يتّجه الفقهاء وأهل العلم والإختصاص إلى إحداث (علم النقد الفقهي) كما هو حال علم الحديث والرجال... وسائر علوم الشريعة، وهو جهد يستحقّ العناء والتقدير.

### أنواع النقد الفقهي:

ويمكن إرجاع النقد إلى أنواع أربعة:

١. ما يرى أن للفقه ضعفاً ارتباطياً مع سائر أجزاء الدين.
  ٢. ما يرى أن للفقه ضعفاً ارتباطياً مع واقع الحياة.
  ٣. ما يرى أن للفقه ضعفاً ارتباطياً بين أجزاءه بعضه بعضاً.
  ٤. ما يرى أن للفقه ضعفاً ارتباطياً مع العلوم التخصصية.
- ويمكن أن يلتقي بعض هذه الأنواع مع البعض في موارد، ويكون البعض مكملاً للبعض، ولكن الملاك في تنويعها هو أن لكل منها زاوية خاصة. وفيما يلي توضيح مختصر عن كل منها من دون الدخول في تفاصيله، فإن للبحث التفصيلي مجالاً آخر.

**النوع الأول:** النقد المتمركز على إبداء وجود الضعف الإرتباطي للفقه مع سائر

أجزاء الدين

ويحتوي هذا النوع من النقد، على عدة أقسام، أبرزها:

١. إنقطاع الصلة (أو ضعف الصلة) بين الفقه والأخلاق.

٢. إنقطاع الصلة (أو ضعف الصلة) بين الفقه والثقافة الإسلامية.

٣. إنقطاع الصلة (أو ضعف الصلة) بين الفقه وعلم الآخرة.

ولا تستوعب هذه الورقة البحث عن كل هذه الموارد، ولكننا نكتفي هنا بذكر أحدها (الثالث) وهو الذي ذكره الإمام الغزالي كمعنى للفقه، قال في ذلك: «... علم طريق الآخرة،... مما سماه الله سبحانه في كتابه فقهاً وحكمةً وعلماً، وضياءً ونوراً، وهدايةً ورشداً» باعتبار أن هذا المعنى للفقه كان قد «درج عليه السلف الصالح» وأنه «... قد أصبح من بين الخلق مطوياً، وصار نسياً منسياً».

وهذا الكلام للغزالي يمكن أن يفسر بتفسيرين:

التفسير الأول: أنه أراد التركيز على تصحيح منحى الفقه الرائج عبر تزويده بأسرار الدين الباطنة.

إن انتقاد الغزالي على الفقه الرائج كان متوجهاً إلى بعده الطريقي والإتجاهي، بمعنى أن المشكلة قبل أن تكون في الفقيه تكمن في الفقه نفسه، وهي أنه أصبح طريقاً نحو الدنيا، بدليل أنه فقد ما كان يجب أن يكون عليه من جانب طريقي نحو الآخرة. وبتعبير آخر: أن مشكلة الفقه الرائج تكمن في أنه تحققت فيه حالة نقص، وهي عدم امتلاكه لقسم من المعرفة، وهي معرفة أسرار الدين الباطنة المنتهية بالإنسان إلى تربية روحية أخروية.

وترى هذه القراءة أن الفقهاء الفاقدين لهذه المعرفة والتربية، آل الأمر بهم إلى أن جعلوا الفقه وسيلةً للوصول إلى المناصب الدنيوية، وأداةً للإستفادة في تحقيق آمالهم وأغراضهم في هذه الحياة.

ومردّ هذه القراءة إلى كلمة واحدة، وهي لزوم التركيز على هذا الفقه نفسه، ولكن مع تزويده بمعرفة الأسرار الباطنة للدين بهدف إيجاد مسار أخروي له عبر هذه المعالجة.

ولو صح هذا التفسير، فانتقاد الغزالي هذا يندرج في النوع الثالث من النقود،

والذي يحاول إبداء وجود الضعف الإرتباطي للفقهِ مع نفسه، حيث إن كلامه (حسب هذا التفسير) يعني أن تتحقّق في الفقهِ معرفة خاصة يفقدها، وهي معرفة ترتكز على إيجاد اتجاه أخروي للفقهِ، عبر تفاعل هذه المعرفة مع المعرفة الموجودة فيه.

التفسير الثاني: أنّه أراد التركيز على تحقيق «الدور التبصيري» للفقهِ عبر ضمّ علم أسرار الدين الباطنة إليه:

وهذا التفسير يتضمّن تحليلاً لكلامه يتلخّص بشكل نقاط هي:

١. ضرورة صيرورة الفقهِ بما يتمكن من تحقيق دوره الأساس، وهو إيجاد البصيرة الأخروية في الإنسان.

٢. الفقهِ لما لا يتمكن بوحده من ذلك، فلا بد من أن يجتمع مع علم يكون اجتماعهما محققاً لهذا الدور.

٣. ليس هذا العلم إلا ما يمكن تسميته بعلم الآخرة.

تكمن المشكلة - حسب هذه القراءة - لا في الفقهِ ولا في الفقهاء، بل في فقدان علم آخر معه، أو عدم حيويته، وهو علم الأسرار، فإذا ضمّ إلى الفقهِ، فيكون اجتماعهما محققاً لهذا الدور.

إنّ علم الأسرار، يتضمّن معارف، وهي: معرفة أسرار العبادات، ومعرفة أحوال الدنيا وحقارتها، وقصر مدتها وانقطاع لذائذها و.....، ومعرفة النفس ووساوسها ودقائق آفاتنا، ومعرفة مفسدات الأعمال، ومعرفة أحوال الآخرة من عذابها وثوابها وأهوالها، وحالات الإنسان فيها من عجزه بين يدي الله تعالى إلى غير ذلك.

ولو قبلنا هذا التفسير، فيصح إدراج نقد الغزالي تحت النوع الأول من النقود، ويبدو من كلام الغزالي أنّه أراد ذلك.

النوع الثاني: النقد المتمركز على إبداء وجود الضعف الارتباطي للفقهِ مع الواقع

ويمكن طرح عدة حلول علمية هادفة إلى رفع هذه المشكلة، وأهمها ما يلي:

التركيز على الواقع من خلال إجراء الحركة الإنتقالية من النص إلى الواقع وهذا الفرض يرمي إلى إيجاد حركة ذات بُعدين متلازمين، وهما:  
أولاً: التقرب من الواقع.

وثانياً: التحرر من النص، وهذا التحرر يتم بموازاة القدر الحاصل من التقرب من الواقع.

حفظ القوالب القديمة مع التركيز على تغيير مفاهيمها إلى ما يتلائم مع الواقع وهذا الفرض يرمي إلى تفرغ المبادئ والقواعد الأصولية من محتوياتها القديمة، وملئها بمفاهيم تأخذ وتستمد كيانها من الظروف الواقعية التي نعيشها، وذلك كأن يدعي (مثلاً) أحد أن قاعدة حجية الظاهر، لا بد من أن نغير محتواها بحيث تغطي الفهم المعاصر من النص.

التركيز على النص في إطار الإنطلاق بقابليات الواقع إلى عملية الكشف عما  
اختفي في النص

إن فكرة «جرّ قابليات الواقع إلى ساحة الكشف عن محتويات ومستويات النص» يبرز فيها عنصر الحفاظ على الماضي عبر استخدامها لآلية تفعيل الطاقات الكامنة في النص مع الحفاظ على النص نفسه.

وتوضيحه: أن هذا النظرية ترى أموراً:

١- إمتلاك النص لقابليات ومرونة خاصة يمكن أن يفيض بها ما من شأنه الإجابة لمتطلبات العصر.

٢- لزوم تفعيل هذه القابليات والمرونة، عبر إيجاد القواعد الصالحة لأن تلعب دور الكاشف عنها.

٣- ضرورة الإحتفاظ الكامل والدائم بالوجود الخارجي للنصوص (المصدرية للنصوص).

٤- لزوم الإحتفاظ الكامل والدائم بالوجود الفكري للنصوص (المرجعية للنصوص).

٥- وجوب التركيز الشديد على الواقع باعتباره العامل الأساس الذي يجعل القواعد «والتي لا بد من تأسيسها ( حسب البند ٢ )» في موقع يمكنها من خلاله كشف قابليات ومرونة النص، وإنفاذها لصالح متطلبات الراهن.

هذه الورقة لا تريد الدخول في إثبات الفرض الذي تراه صحيحة (أي: فكرة إنطلاق القابليات واقتضاءات الواقع إلى ميدان كشف ما كمن في النصوص) وإبطال الفرضين الآخرين، فذلك يتطلب مجالاً تفصيلياً آخر لا يسمح له المقام هنا.

النوع الثالث: النقد المتمركز على إبداء وجود الضعف الإرتباطي للفقهاء مع نفسه وفي هذا النقد لا ينظر إلى ثبوت أو عدم ثبوت التلائم للفقهاء مع خارجهم (كما في النقدين الأولي) بل إلى تلائم الفقهاء مع نفسه، أي: تلائم بعض أجزائه مع بعضه الآخر. ومثل هذه الرؤية النقدية جديدة، لعل السبب في ظهورها مشاهدة ومواجهة الجيل الجديد من الفقهاء أو بعضهم للأمور التالية كلها أو بعضها:

أنه توجد في العلوم الأخرى عملية بإسم التنظير العلمي، وهي غير موجودة في الفقه الموجود حالياً.

أنه توجد نظريات في مثل علم الحقوق الذي يكون بينه وبين الفقه إرتباط موضوعي، وهي غير موجودة بصورة بارزة في الفقه.

أن هناك بعض مشاكل تعاني منه الآراء الفقهية من تعارضات أو أداءات غير صحيحة. أن فكرة النسقية قد تبلورت في مجالات حياة البشر المعقدة، مما لا يمكن من دونها معالجة ومواجهة قضاياها.

وعلى أي حال يبدو أن المحاولات الداعية إلى طرح وإنشاء النظرية الفقهية، قد انطلقت من ذهنية إنتقادية ترى أن تجليات الفقه وأدائها، تفقد النسقية المناسبة واللازمة.

وهذا المبحث مهم للغاية، ولا يمكن التسرع فيه ولا الإكتفاء برأي واحد أو بحث أو بحوث محدودة، بل بحاجة إلى متابعة بحثية إستيعابية وكاملة ومعقدة في الحوزات العلمية.

النوع الرابع: النقد المتمركز على إبداء وجود الضعف الإرتباطي للفقهاء مع العلوم التخصصية:

وهو النوع الذي طرحه الشيخ البهائي، وخوضه في مثل هذا النقد، إنما هو محكم تخصصه في جملة من العلوم الإنسانية من جهة، وتسلمه على الفقه من جهة أخرى. والحقيقة أنه لا يوجد من بين الفقهاء من لديه هذه الفرصة العظيمة، من كونه جامعاً للعلوم، بل كونه على قمة التخصص في علم الفقه وإبداع في مختلف العلوم الإنسانية، وهذا مما يملينا أن ننتهز الفرصة في أن نعمق وندقق في العلاقة بين الفقه والعلوم الأخرى على أساس الرجوع إلى الرؤى والتجارب التي حققها هذا العلم الكبير: الشيخ البهائي. والبحث عن هذا النوع من النقد من منظار الشيخ البهائي يتم ضمن محاور ثلاثة، كما يلي:

١. وجهة نظره في رجوع الفقيه إلى أصحاب الاختصاص.
  ٢. نقده للمنطلقات الفكرية المنتهية إلى عدم الرجوع أو تقليصه.
  ٣. إمكانية امتلاك الفقهاء لبعض التخصصات العلمية بأنفسهم.
- وجهة نظره في رجوع الفقيه إلى أصحاب الاختصاص: قد تبنى الشيخ البهائي أنه في الموضوعات التي يريد الفقيه استنباط أحكامها، يجب الرجوع إلى الذين هم أصحاب الاختصاص والخبرة الطويلة في مجال تلك الموضوعات، فلو تمّ هذا الرجوع وشوهد اتفاق كلمة مجموعة منهم على رأي، فيمكن للفقيه الأخذ بذلك الرأي والإنطلاق منه في عملية الاستنباطية. قال في وجه ذلك: «... للظن الغالب بأن جماعة من حذاق صناعة إذا اتفقت كلمتهم على شيء مما يتعلق بها فهو أبعد عن الخطأ». وقال في مورد آخر: «... لحصول الظن الغالب بأن الجم الغفير من الحذاق في صناعة من الصناعات إذا اتفقت كلمتهم على شيء مما يتعلق بتلك الصناعة فهو أبعد عن الخطأ» ويعلم من كلا الموردين من كلامه، أن وجهة نظره في ذلك تتضمن ما يلي: أولاً: أن النصاب اللازم هو اتفاق جم غفير من ذوي الاختصاص على الرأي، بل حتى

جماعة منهم (كما يبدو من كلامه الثاني) فليس من اللازم إتفاق كلمتهم جميعاً على الرأي الذي نريد أخذه. ثانياً: أنه ليس من اللازم حصول الظن الشخصي بأن رأيهم أبعد عن الخطأ، بل يكفي الظن النوعي به، وهو حاصل إزاء كل إتفاق تم من قبل جماعة من ذوي الإختصاص، وهذا يبدو من ظاهر كلامه؛ حيث إن الذي يحكى عنه بهذا الشكل (المنعكس في كلامه) هو الظن النوعي، لا الظن الشخصي الذي أمره موكول إلى الأشخاص وأوضاعهم المتغيرة. ثالثاً: أن أخذ الفقيه بكلامهم ليس اعتباره منوطاً بحصوله على الدلائل والبراهين القائمة لدى هؤلاء ذوي الإختصاص؛ ووجه أنه كان يعتقد بذلك أنه ركز على كون الظن ناشئاً من اتفاقهم، لا اتفاقهم بضميمة الحصول على دلائلهم، بالإضافة إلى أنه صرح نفسه بذلك في موضع آخر من كلامه، قال: «... من دون نظر في دلائلهم التي أدت لهم إليها»

نقده للمنطقات الفكرية المنتهية إلى عدم الرجوع أو تقليصه قد يشاهد أن جملة من الفقهاء يرون أنه لا مجال لرجوع الفقيه في الفقه إلى غيره ولو كان هذا الغير من ذوي الإختصاص، وكان هذا الرجوع إليه في الموضوع الذي يندرج في المجال العلمي المرتبط بتخصصه، كما أن جملة أخرى منهم يرون أن الرجوع إليهم متقيد بقيود. ولهذين الرأيين منطقات فكرية، وقد انتقد الشيخ البهائي هذه المنطقات التي بعضها للمجموعة الأولى وبعضها للمجموعة الثانية. وإليك المنطقات التي انتقدها: المنطلق الأول: توقف جواز التعويل على رأي علماء الفنون على ثبوت مضمونه شرعاً: قد نقل هذا المنطلق الفكري الذي للبعض بقوله: «وكيف يجوز لنا التعويل... قبل ثبوت مضمونه لدينا شرعاً؟!» ثم انتقده هكذا: «... كلام عار عن حلية السداد» ثم ذكر في وجهه: أن اليقين غير شرط؛ أي: اليقين بكون مضمون رأيهم ثابتاً لدى الشرع، نعم إن الذي شرط، هو أن لا يثبت مخالفته للشرع. المنطلق الثاني: عدم جواز التعويل على ذوي الإختصاص غير المسلمين، بل على المسلمين غير العادلين: ثمة فكرة تقول: إنه ما دام لا وثوق بإسلام علماء الفنون، بل وحتى ما دام لا وثوق بعد التهم فيما إذا كانوا

مسلمين، لا يمكن التعويل على رأيهم، وقد أشار إلى هذه الفكرة الشيخ البهائي وانتقدها بقوله: «وما قولك أنه لا وثوق لك بإسلامهم فضلاً عن عدالتهم،.... [فجوابه أن] رجوع الفقهاء فيما يحتاجون إليه من كل فن، إلى علماء ذلك الفن وتعويلهم على قواعدهم؛ إذا لم يكن مخالفة لقانون الشرع شائع ذائع معروف فيما بينهم خلفاً عن سلف؛ كرجوعهم في مسائل النحو إلى النحاة وفي مسائل اللغة (إلى اللغويين) وفي مسائل الطب إلى الأطباء، وفي مسائل المساحة والجبر والمقابلة والخطأين وما شاكلها إلى أهل الحساب من غير بحث عن عدالتهم وفسقهم، بل يأخذون عنهم تلك المسائل مسلمة، ويعملون بها من دون نظر في دلائلهم التي أدت بهم إليها» وقال في موضع آخر: «وأما حديث عدم الوثوق بأهله وعدم عدالتهم فلا يصلح الإصغاء إليه، فإنه لا يشترط في ذلك حصول اليقين، ورجوع الفقهاء فيما يحتاجون إليه في كل فن إلى علمائه وتعويلهم على قواعدهم إذا لم يخالف الشرع شائع ذائع، كما في مسائل النحو واللغة والطب والحساب، من غير بحث عن عدالتهم وفسقهم. بل يأخذون تلك المسائل مسلمة» المنطلق الثالث: عدم كلامهم مفيداً للعلم ولا الظن وهذه الفكرة انتقدها الشيخ البهائي برؤية دقيقة، وبما أن هذه الفكرة جديدة بالبحث أكثر من غيرها، نصوغ الجواب عنها في صياغة تتضمن عدة نقاط، ونضمنها ما للشيخ البهائي من كلام في نقدها، وهذه النقاط كما يلي: الأولى: أنه يجب التعرف على واقع الموضوعات التي نريد استنباط أحكامها. الثانية: يجب أن يتحقق هذا التعرف عليها في مرحلة متقدمة على الإستنباط. الثالثة: أن التعرف عليها ليس أمراً صورياً وظاهرياً، بل هو بما أنه يندرج في دائرة المعرفة، فيجب إما يتحصّل بصورة العلم أو يتحصل - على الأقل - بصورة الظن، أي: نحصل في عملية التعرف عليه، إما على المعرفة العلمية أو المعرفة الظنية بواقع الموضوع. الرابعة: أنه كثيراً ما ينتهي الرجوع إلى أصحاب التخصصات إلى العلم أو الظن بالموضوعات التي يبدون آرائهم حولها، وحصول هذا العلم أو الظن بديهي ووجداني، لا يمكن إنكاره، ومن أنكره يخرج هذا الإنكار عن

الإنصاف، يقول الشيخ البهائي: «أما ما زعمت من أن شيئاً من كلامهم لا يفيد علماً ولا ظناً فبعيد عن جادة الإنصاف جداً». الخامسة: أنه بالإلتفات إلى أن للعلم صلة وثيقة بالبرهان والدليل (بمعنى أن البرهان هو الذي يفيد العلم) يعلم سرّ أنه لماذا تقيد نظرات أصحاب التخصصات العلم أو الظن في الذين يرجعون إليهم، وهو أن هؤلاء ذوي التخصصات تتطلق آرائهم بشكل نوعي من البراهين والدلائل، فإذا علم المراجع إليهم أنه وراء أقوالهم كمنت براهين ودلائل، يميل إليهم ويحدث فيه العلم أو الظن. قال الشيخ البهائي في مسألة القبلة والإعتماد على علماء الهيئة في تعيينه: «... وكيف لا يفيد شيئاً من كلامهم علماً ولا ظناً وقد ثبت أكثره بالدلائل الهندسية والبراهين المجسطية التي لا يتطرق إليها سوء شبهة، ولا يحوم حولها وصمة ريب» وقال في موضع آخر في إثبات آراء أصحاب الفنون: «... لحصول الظن الغالب بأن الجمّ الغفير من الحذاق في صناعة من الصناعات إذا اتفقت كلمتهم على شيء مما يتعلق بتلك الصناعة فهو أبعد عن الخطأ» وقال أيضاً: «قال شيخنا طاب ثراه في الذكرى أن أكثر إمارات القبلة مأخوذ من علم الهيئة، وهي مفيدة للظن الغالب بالعين والقطع بالجهة» المنطلق الرابع: إختصاص الشرافة بالعلوم الدينية: لعل الكثيرين لا يرون الشرافة إلا للعلوم الدينية، ومن هذا الذهنية ربما لا يسمحون لأنفسهم الرجوع إلى مثل هذه العلوم، ولعله استقرّ في ذهنيهم أن عدم الشرافة يساوي عدم الإعتبار وعدم الإعتبار، يساوي بطلان ما في هذه العلوم من معلومات ومضامين. والإشكال عليهم واضح، حيث إن كل علم يخدم البشر يتمتع بالشرافة. نعم تتمتع العلوم الدينية بشرافة أكثر، ولكن وجود شرافة أكثر لجملة من العلوم لا يعني نفي وجود الشرافة لغيرها. وكان الشيخ البهائي لا يرى هذه الفكرة صحيحة، ومن هذا المنطلق نجده قد استخدم وصف «الشريف لعلم الهيئة».

إمكانية امتلاك الفقهاء لبعض الإختصاصات العلمية بأنفسهم، سبق أن الفقيه في تشخيص واقع الموضوعات التخصصية يعتمد على الظن الحاصل له من الرأي العلمي الذي يبديه أصحاب العلوم التخصصية حول تلك الموضوعات، وعليه يلزم عليه الرجوع

إليهم، غير أن السؤال الذي نواجهه هو هل يمكن للفقير بدل الرجوع إليهم، يحاول أن يمتلك بنفسه تلك الإختصاصات، ويعتمد على اجتهاداته في مثل هذه الموضوعات التخصصية؟ وفي الجواب يقال: إنه مبدئياً تكون المعرفة التي تحصل له عبر ذلك أكثر قيمة من المعرفة الحاصلة من الظن الذي ينتجه رأي علماء العلوم التخصصية، غير أن ذلك يواجه مشاكل ينبغي أن لا نتجاهلها، وهي:

إمكانية ذلك، وسيما إذا أراد الفقيه التوسع في الحصول على شتى العلوم التخصصية التي يحتاجها في تشخيص الموضوعات في عملية الإستنباط.

أنه في بعض المجالات، يكون التخصص الذي يحصل عليه الفقيه (الذي مهمته الأصلية هي الفقه) أقل قدرأ مما لدى من يكون له تخصص أصلي وخبرة طويلة في تلك المجالات. أن اهتمام الفقيه في الحصول على التخصصات غير الفقهية لاستخدام نتائجها في الفقه، قد يضرّ في عملية صيرورة علم الفقه نفسه تخصصياً لديه، وعملية حصوله على اتجاهات ورؤى فقهية معمقة.

وعلى أي حال، فإنه مع ذلك كله، لا كلام (كما أشرنا) في إمكانية حصول الفقيه على التخصصات العلمية بنفسه، بل لا كلام في أهميته في الجملة، وقد أشار العلامة الشيخ البهائي إلى بعض الموارد التي حصلت لبعض الفقهاء في الفقه من الإستنباطات التخصصية غير الفقهية والإستفادة منها، وكمثال على ذلك، ما يشاهد في موضع من كتابه الفقه الموسوم بحبل المتين، من أنه بعد أن يشير إلى قواعد علمية من علم الهيئة ذكرها الفقهاء، يقول: «هذه نبذة من العلامات الدائرة على السنة الفقهاء رضوان الله عليهم وأكثرها مستنبط مما دلت عليه قواعد علم الهيئة فإن المدار في تعيين سمت القبلة في البلاد البعيدة على ما يقتضيه قواعد ذلك العلم».



# موقع الدليل القرآني في منهج الإستنباط الفقهي عند الشيخ البهائي

الشيخ خالد الغفوري<sup>(1)</sup>

(خلاصة المقالة)

## بيان إجمالي لموضوع البحث:

الشيخ بهاء الدين العاملي هو أحد أعلام الفقه البارزين في الفقه الإمامي، كما أنه يُمثّل الإتّجاه الأصولي بل هو ممّن ساهم في التنظير له، فإن هو كان مُستنداً في ممارسته الإجتهدية إلى المنهج الأصولي، وهذا المنهج عادة الرباعي المتعارف في الإستدلال بشكل أساسي، وهو: الكتاب والسنة والإجماع والعقل. هذا كله على صعيد التنظير الأصولي العامّ.

وأما على صعيد التطبيق الفقهي ومستوى التعامل مع هذا الرباعي فهذا ما يحتاج إلى تجلية لعناصر عملية الإستنباط الفقهي ومتابعة انعطافاتها ومطبّاتها، وقد عالجت هذه المقالة متابعة أحد الأدلّة الأربعة بل أهمّها، ألا وهو الدليل القرآني وبيان دوره في المنهج الإجتهدى للشيخ بهاء الدين العاملي.

(1) عضو الهيئة العلمية في جامعة المصطفى العالمية.

### ضرورة البحث وأهدافه:

- ١- إن تقويم الإنجاز المعرفي الذي قدّمه الشيخ البهائي في دائرة الإستنباط الفقهي يتوقّف على تحليل منهجه الفقهي، فلم ننع بالسرّد الساذج لإنجازاته.
- ٢- إنّ درجة الإهتمام بالدليل القرآني لا تتمثّل فقط بالجانب الكميّ وكثرة توظيف الدليل وتكرار المراجعة له فحسب، بل لهذا الإهتمام عدّة تجلّيات أهمّها كيفية التعامل مع هذا الدليل، بما تمثّله عمليات الإستدلال الفقهي من كرّ وفرّ ونقض وإبرام وتقريب لوجوه الدلالة وتفصيل للشواهد والمؤيّدات. وهذا ما يتطلّب الخوض في عمق التجربة الإجتهدية لشيخنا العالمي.
- ٣- تفعيل التراث الإسلاميّ بعامّة والفقهي بخاصّة، ومحاولة مسار البحث فيه من السمة الوصفية وتوظيف هذا التراث في واقع الأنشطة العلمية الحاضرة.

### مكوّنات المقال :

المقدّمة: وتناولت تبين أثر الدراسات المناهجية في إحياء التراث الإسلاميّ. كما أوضحت العلاقة الوثيقة بين المباني الأصولية وعمليات الإستنباط الفقهي.

البحث الأصلي: فقد عالج دراسة بعض النماذج الإجتهدية التي تعبّر عن مستوى عناية الشيخ البهائي بالدليل القرآني وكيفية تعامله معه.

### المصطلحات الأساسية في البحث:

الفقه، المنهج، إستنباط، دليل، قرآن  
موقع الدليل القرآني في منهج الإستنباط الفقهي  
عند الشيخ بهاء الدين العالمي

٢٠ - ٣٠ اربيهشت / ١٣٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين،  
ورضوان الله على السابقين الأولين، من الأنصار والمهاجرين والتابعين لهم بإحسان.

### المقدمة:

أولاً: تحلّ الدراسات المناهجية مكانة خاصّة في الدراسات العلمية؛ لما لها من  
أثر في تقويم المسار البحثي في المجالات المعرفية المختلفة، فإنّ هذا النمط من  
الدراسات المناهجية لا يُعتبر إضافة كميّة لقائمة البحوث فحسب بل إنّها تُمهّد الأرضية  
للنقلات النوعية وتُهيء المُعدّات لإحداث انعطاف في تحديد اتجاهات البحوث أو  
في سرعتها وكيفية نظرتها لسلم الأولوية، وبعبارة أخرى: تكون هذه الدراسة بمثابة  
العمومات الفوقانية التي تُهيمن على المجال المعرفي بكلّ امتداداته وبجميع أبعاده.

إنّ النهضة العلمية في مجال معرفي ما، سيما في مداها البعيد لا بدّ أن تتمثّل في  
بُعدين: البعد المضموني، والبعد المناهجي؛ فإنّ المادّة المعرفية لا تسبح في الفراغ  
وإنّما تتحرّك ضمن قالب منهجي معيّن، وبعبارة أخرى: إنّ ما دامت العملية الفكرية  
عبارة عن حركة العقل بين المعلوم والمجهول الحركة فإنّ هذه الحركة تفتقر الى  
مُحدّدات عامّة وهي القواعد المنطقية، وتفتقر أيضاً إلى مُحدّدات خاصّة وهي المنهج  
الخاصّ بكلّ مجال.

والمنهج بكلتا وجهتيه العامّة والخاصّة عنصر دخیل ومؤثّر جداً في إحداث  
النهضة المعرفية؛ ويُمكن تلمّس معالم هذا التأثير في آفاق عديدة، منها:

١ - تحديد الأولويات وتحديد الأهمّ من المهمّ؛ وذلك بلحاظ أنّ الدراسة المنهجية  
ما دامت تنطلق من رؤية شمولية للمجال المعرفي الذي تستهدفه الدراسة من  
ناحية، ومن ناحية أخرى: اعتمادها على ضوابط محدّدة، فحينئذٍ سوف تتبيّن  
مواقع المسائل ويتعيّن مدى أهميّتها.

وتبرز دور هذه النقطة فيما لو أخذنا بنظر الإعتبار الطريقة التقليدية المتعارفة في التدوين في دائرة العلوم الشرعية، أعني طريقة شرح المتون، وهذه الطريقة تُملي على الشارح أن يتبع الماتن في سيره البحثي، فيبحث ما يبحثه الماتن ويترك ما يتركه الماتن، ويمكث حين يمكث، ويسرع حين يسرع.

٢ - الفصل بين المسائل الأساسية والمسائل الإستطردادية، حيث إن ما درج عليه الباحثون في العلوم الإسلامية هو ذكر كل ما يروونه مناسباً ولو لأدنى درجات المناسبة، فنرى أحياناً تضخماً من الناحية الكمية في المطالب المطروحة، ولكن مقداراً معتداً به منها قد ذكر استطراداً، وليس له دخل في البحث المعقود. وهنا يبرز أثر الدراسات المنهجية بوضوح للفرز بين ما هو داخل في صميم البحث وبين ما هو دخيل على البحث.

٣ - تسريع حركة الإنتاج المعرفي، باعتبار أن الدراسات المنهجية تُحدد المسار الذي تتحرك فيه البحوث، وما دام العلم بل التفكير بشكل عام هو عبارة عن حركة بين المعلوم والمجهول، فإن هذه الدراسات سوف تُقلل هذه المسافة.

٤ - تحاشي التكرار والدوران في الحلقات المفرغة، فإنه عندما تقوم الدراسات المنهجية بتحديد الإنجاز الماضي لعالم معين (سواء أكان ذلك على نحو الإجمال أو التفصيل) فسوف لا يبقى أي مبرر للإعتذار عن عمليات التكرار المفصوح أو المبطن الذي كثيراً ما تُبتلى به بحوثنا الإسلامية.

٥ - وفي ضوء ما بينا سوف يتم تحديد دور ووظيفة اللاحقين للسابقين، فهل هي وظيفة إنتاجية؟ أو هي وظيفة تبيينية وتوضيحية؟ أو هي إعادة جدولة وبناء هيكلية للبحث؟ أم ماذا؟

٦ - تنظيم ما هو منجز من التراث، فإنه تراثنا الإسلامي على الرغم من سعته وثرائه لكنه مُصاب في حالات ليست بالقليلة بالتناثر والتبعثر من ناحية، وعدم التنظيم من ناحية ثانية، بل حتى أن المنظم منه قد تم تنظيمه على أسس غير

مُحكمة أو غير حيوية، وحينما يتمّ جدولة التراث عبر الدراسة المنهجية فسوف تسنح الفرصة لمعرفة التراث معرفة شاملة ودقيقة.

٧ - تحديد طبيعة العلاقة مع المجالات المعرفية الأخرى ذات الإرتباط، فإنّ ظاهرة التداخل بين المجالات المعرفية لا تكاد تخفى على كلّ متابع لتراثنا الإسلامي، فترى المفسّر يخوض في البحوث الفقهية، ولا يأبى الأصولي من التوغّل في بعض البحوث الكلامية وربّما الفلسفية أو اللغوية، فيما أنّ الدراسات المنهجية لهذا التراث سوف تقوم برسم الحدود لكلّ مجال معرفي ودائرة امتداداته.

٨ - الفصل قدر المُستطاع بين ما هو شخصي وذاتي من الإستنتاجات وبين ما هو موضوعي، (وإنّما قلت قدر المستطاع) لأنّ الفصل التامّ من الصعوبة بمكان في دائرة العلوم الإسلامية القائمة فعلاً، فضلاً عن التراث الماضي، بيد أنّ الدراسات المنهجية لها القدرة على عملية الفصل بنسبة عالية وجيد، سيما ما يتعلّق بتراث الشخصيات البارزة في تاريخ العلوم سواء أكانت مؤسّسة أو مكّملة؛ وذلك لأنّ الشخصيات البارزة تُحاط بهالة من القدسية والحصانة الروحية التي تحول دون تقويم إنجازاتها المعرفية تقويماً دقيقاً.

٩ - تحديد النسب العلمي للنظريات ومراحلها تاريخياً؛ فإنّ الوقوف على بذور نشأة هذه العلوم وكيفية صيرورتها ومراحل تطوّرها ماضوياً له تأثير ملموس على حركة هذه العلوم حاضراً، سيما في الدائرة الفقهية وفي منطقة الإجتهد الإسلامي؛ من قبيل: التأثير على نوعية الموقف تجاه بعض الآراء الفقهية المشهورة، وكذا التأثير على كيفية الرؤية قبالة بعض الإجماعات.

١٠ - تحديد مساحات الإبداع وفصلها عن مساحات التطوير، إنّ الدراسات المنهجية حينما تتصدّى لتحليل المادّة التراثية إلى عناصرها فحينئذٍ سيتجلّى بوضوح دور كلّ شخصية بالضبط، ففي أيّ مجال مارس الإبداع، وفي أيّ مجال مارس البناء والتطوير والتكميل، وفي أيّ مجال مارس التكرار، وبأية نسبة بدا مجتهداً وبأية نسبة بدا مقلداً.

إنّ جميع الخبراء في المجال الفقهي وكذا المختصّين في العلوم الإسلامية يعرفون مساحة العجز المنهجي ومناطق الفشل وظاهرة الفوضوية في العلوم الإسلامية على الرغم ممّا تتمتع به من عمق مضموني ودقّة في المحتوى، وكم فاتت علينا من الفرص البحثية بسبب الضعف المنهجي.

وأنا لا أبتغي طرح الإشكالية في عرضها العريض، بل أريد التركيز على الدائرة الفقهية داخل إطار المدرسة الإمامية وعلى الأخصّ القدماء من فقهاء الإمامية؛ لما يمثّلونه بشهراتهم وإجماعاتهم واستدلالاتهم وتفريعاتهم وإثاراتهم من حضور في الساحة الفقهية وهيمنة على أجوائها تعليمياً وتحقيقياً بشكل منظور أو خفيّ.

ثانياً: ونحن في رحاب دراسة منهج فقهي لفته كبير (الأ وهو الشيخ بهاء الدين العاملي) يجدر الالتفات الى أنّ دراسة منهج الإستنباط لفته ما، إذا أريد لها أن تكون دراسة عميقة وقريبة من الواقع ينبغي أن ترجع خطوة إلى الوراء لتعيين المُحدّدات الأصولية التي يتبنّاها هذا الفقيه؛ باعتبار أنّ النظريات الفقهية الإجتهدية هي نتاج التطبيق الأصولي، فالعلاقة بين علم الفقه وعلم الأصول علاقة النظرية والتطبيق على حدّ تعبير الشهيد الصدر.

وبما أنّ الشيخ بهاء الدين العاملي هو من أعلام الإتّجاه الأصولي والإجتهدية في المدرسة الإمامية، بل هو أبرز المساهمين في مأسسة هذا الإتّجاه والتنظير له، فإنّ دراسة كتابه الأصولي الموسوم بـ(زبدة الأصول) لتثبت هذه الحقيقة بوضوح.

إنّ عناصر عملية الإستدلال الفقهي بحسب المنطلق الأصولي للشيخ البهائي يتمثّل بالأدلة الأربعة المعروفة إمامياً، وهي:

١ - الكتاب.

٢ - السنّة.

٣ - الإجماع.

٤ - العقل، وقد طبّقه على الاستصحاب، وذيلّه بردّ القياس.

ولو أننا رجعنا إلى نمطية تعامله مع هذا الرباعي لرأينا أنه أعطى الأولوية للكتاب أولاً ثم تليه السنة الشريفة؛ فإنه صدر بحثه عن (الأدلة الشرعية) يبحث الكتاب، ومحاوَر بحثه ما يلي:

- أ - شرع ببيان تعريف الكتاب بشكل مفصّل، ثمّ ثنى بتثبيت تواتره وقطعية وصوله، وثلث بالنصّ على شرطية بحث ما فيه من آيات الأحكام في تحقّق الإجتهد.
- ب - وكانت له عودة تشريحية ثانية حول دلالة الكتاب، مُبيّناً أنواعها وضوابطها، وإن شَرَك في ذلك بين الكتاب والسنة؛ حيث كان القسم الثالث من كتابه تحت عنوان (في مشتركات الكتاب والسنة).

نماذج لتوظيف الشيخ بهاء الدين الدليل القرآني في الإستنباط الفقهي:  
لقد اتّضح ممّا مرّ طبيعة المنحى الأصولي للشيخ البهائي وموقفه الإيجابي من دور الدليل القرآني في عملية الإجتهد الفقهي ودخوله في الجملة كأحد العناصر المكوّنة للخبرة الإجتهدية.

إذن، أن الأوان للخوض في تقويم كيفية تعامله مع الدليل القرآني في مفاصل الممارسة الإجتهدية، وحيث إنّ الشيخ البهائي قد ترك عدّة كتب ورسائل فقهية من أهمّها كتابان: الحبل المتين، ومشرق الشمسيين، فسوف نركّز في دراستنا الحالية على المصدر الأوّل فقط؛ فإنّ مشرق الشمسيين معقود لبحث آيات الأحكام.

وسنقف على عدد من المحطّات البحثية، اخترنا فيها بعض النماذج:  
النموذج الأوّل: التكييف الفني للإستدلال بالدليل القرآني.

إنّ الإستدلال بالآيات الكريمة في الدائرة الفقهية واستنباط الأحكام قد يكون بشكل مباشر، وهذا النحو من الإستدلال ليس قليلاً، ولكن الذي نريد أن نبجّته هنا هو كيفية التعامل مع الدليل القرآني في هذه الصورة ودرجة العناية به، فربّما يتمّ التعامل بسطحية ويُقنَع بالإستناد إليه لأدنى دلالة سواء أكانت بمستوى الظهور أو الإشعار أو الإحتمال، وهذا ما يُشاهد في بعض المصنّفات في مجال (آيات الأحكام)

و(فقه القرآن) التي قد لا يكون التعامل تعاملًا جاداً، حيث أنّ بعض من صنّف في (فقه القرآن) إنّما صنّف من أجل التبرّك بالقرآن وتحصيل الأجر الأخروي، لا من أجل إثبات الحكم الشرعي واستنباطه.

وأما لو كان الهدف استنباط الحكم من القرآن فستواجهنا حالتان: الحالة الأولى: تمامية الاستدلال بالدليل القرآني وقدرته على إثبات المطلوب بحسب نظر الفقيه. وفي هذه الحالة عادة لا يتوانى الفقيه بالأخذ بهذا الدليل وتوظيفه لدعم رأيه.

الحالة الثانية: عدم تمامية الاستدلال بالدليل القرآني لدى الفقيه من الناحية الصفروية. وفي مثل هذه الحالة نرى الفقيه إمّا يترك التعرّض لهذا الدليل أو يتصدّى للردّ على من استدلّ به، ولا يُتعب نفسه أكثر من ذلك؛ لأنّه لا يجد نفسه معنياً كي يُولي اهتماماً زائداً بالدليل القرآني حينئذ.

إلّا أنّنا نرى الفقيه العاملي يتعامل مع الدليل القرآني على الرغم من أنّه لا يرى صحّة الاستناد إليه يتصدّى بكلّ ما أوتي من براعة وخبرة لتوظيفها لصالح الدليل القرآني، ويؤسّس لكيفية الاستدلال به، ففي بحث (موجبات الضوء) والمنع عن مسّ المصحف للمُحدث، فإنّه صرّح بأنّ غيره قد استند إلى الآية، قال: وقد اشتهر الاستدلال على هذا المطلب بالآية الكريمة، أعني قوله جلّ وعلا: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

ولكنّه لا يفلق ملفّ البحث ولا يختصره بحجّة عدم تمامية الاستدلال عنده، بل يقطع شوطاً مع الاستدلال ضمن عدّة خطوات:

الخطوة الأولى: السعي لدعم الاستدلال بالآية وتقويته، فنلاحظه يُحاول العثور على مؤيد للاستدلال بالآية، فيقول: ويُرشد إلى ذلك رواية إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن، قال: «المصحف لا تمسه على غير طهر، ولا تمسّ خطّه، ولا تعلقه، إنّ الله تعالى يقول: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.»

الخطوة الثانية: تقويم هذه المحاولة ومناقشتها، حيث طرح إشكالية الضعف

السندي للرواية، قال: «وفي طريقها ضعف»، ولم يكتفِ بذلك بل راح يبحث عن مستمسك لإنجاح محاولته هذه لكن دون جدوى، قال: «ولم أظفر في هذا الباب بحديث يُركن إلى سنده».

الخطوة الثالثة: التكييف الفني للإستدلال بالآية، فيطرح ثلاث مقدمات يتوقف عليها الإستدلال بها، فلو فرض تماميتها أمكن الإستدلال بها حينئذٍ وإلا فلا، وهذه المقدمات هي:

المقدمة الأولى: كون الضمير (هاء) في قوله: «يمسه» عائداً إلى القرآن، لا إلى الكتاب المكنون، أي اللوح المحفوظ.

المقدمة الثانية: إرادة الإنشاء من الجملة الخبرية، وهي قوله تعالى: «لا يمسه إلا المطهرون».

المقدمة الثالثة: أن يُراد بالمطهّرين: المتّصّفين بالطهارة الشرعية من الأحداث الصغرى والكبرى.

الخطوة الرابعة: تقويم هذا التكييف للإستدلال بالآية الكريمة والإنتهاء إلى نتيجة سلبية، فهو يُقرّر أنّ إثبات هذه المقدمات الثلاثة لا يخلو من إشكال وصعوبة، هذا بلحاظ الحد الأدنى من النقد، وهو عدم الدليل على هذه المقدمات.

وأما النقد في حده الأعلى وهو إقامة الدليل لإثبات ضدّ هذه المقدمات؛ وذلك:

١ - إنّ الظاهر من النصّ القرآني عود الضمير الى الكتاب المكنون، لا القرآن؛ لأنّه أقرب، لاحظ النصّ الشريف: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾.

٢ - إنّ صيغة «المطهّرين» إسم مفعول، لا إسم فاعل، ولهذا ذهب جماعة من المفسّرين إلى أنّ المعنى: (لا يطلع على اللوح المحفوظ إلا الملائكة المطهّرون من الأدناس الجسمانية).

٣ - إنّ الظاهر من الجملة الخبرية الإخبار، كما أنّ السياق يدعم ذلك، لاحظ

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فإن تقدم القسم يدل على كون الكلام مسوق لتأكيد حقيقة خارجية وإثبات صحة الإخبار عنها، ولا دلالة فيها على الإنشاء، كما أنّ ما بعدها من آيات مُساق لهذا الهدف نفسه، مع أنّ الكلام مترابط بعضه مع البعض.

٤ - إنّ الظاهر من الآية إرادة الطهارة بحسب معناها اللغوي والعرفي وهو القذارة المادية أو المعنوية، لا الطهارة المصطلحة لدى الشرع.

أقول: والمناقشتان الأخيرتان لم يذكرهما الشيخ بشكل صريح كما أوردناه نحن. النموذج الثاني: إنحفاظ مرجعية الدليل القرآني الوارد ضمن الحديث الشريف. إنّّه لا شكّ في مرجعية الدليل القرآني بحسب الإتجاه الأصولي فيما لو وقع الإستدلال بأية بما هي دليل مستقلّ، وأمّا لو ورد هذا الدليل ضمن غيره كما هو الحال في جملة من الأحاديث الفقهية التي تضمّنت بعض الآيات الكريمة فهل تبقى هذه المرجعية منحفظة كما في حالة استقلال الدليل القرآني؟ أم يتمّ التعامل مع هذه الحالة لا بلحاظ استقلالي، ويُعتبر هذا القسم من الأدلّة دليلاً من السنّة؟

فإن أخذنا بالشقّ الأوّل فتبقى المرجعية القرآنية منحفظة كما لو كانت مستقلة. وإن أخذنا بالشقّ الثاني فحينئذٍ سوف تدوب مرجعية الآية بشكل أوتوماتيكي ضمن الإستدلال بالحديث، ويبرز الإستدلال بالسنّة على السطح، وهذا ما تُمليه النمطية المدرسية التي نشاهدها لدى جميع المذاهب الإسلامية سنة وشيعة، ويترتب على هذه الرؤية تمرکز القيمة الدلالية والدليلية في حقيبة الإستدلال بالسنّة الشريفة، فهي صاحبة الإمتياز المعرفي، وما دام الأمر كما وصفنا فسوف يكون تمام الإستناد الى هذا الدليل، وليس إلى الكتاب فضلاً عن غيره، فلا مبرّر للبحث في الآية في نفسها والحال هذه، ويغيب أو يُغيب البحث في الآية.

بيد أننا إذا نظرنا بنظرة فاحصة إلى حقيقة القضية لوجدنا أن دور السنّة هنا دور المنبّه والمُرشد للدليل القرآني وإمكانية الإستدلال به بل بيان كيفية وحدود هذا الإستدلال، ولا ننفي اشتغال الحديث على حيثيات أخرى أيضاً، لكنّ هذه الحيثية لا يُمكن إغفالها، وعليه فلا يصحّ معرفياً أن نغفل الأصل الدلالي أو الدليلي ونتمسك فحسب بالفرع الذي يُرشد إليه.

إنّ الالتفات إلى هذه النكته سوف يُنتج لنا معرفة دقيقة أقرب إلى الواقع الشرعي على كلا الصعيدين: فقه القرآن، وفقه الحديث، فيما أنّ الغفلة عن هذه النكته سوف يوقع الباحث في محذور الإبتعاد عن فرصة الفهم الدقيق لهما.

ونحن نرى أنّ الشيخ البهائي كان مُلتفتاً إلى هذه النكته رغم عنايته الفائقة بالحديث أيّما عناية، فنراه في بحث (فضل الصلاة والحثّ عليها) يسجّل عدّة أحاديث، منها: عن معاوية بن وهب، قال: سألت أبا عبد الله عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم وأحبّ ذلك إلى الله عزّ وجلّ، ما هو؟ فقال: ما أعلمُ (= شيئاً) بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أنّ العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

ثمّ يتعرّض لتحليل فقرات الحديث بشكل دقيق، ثمّ يعرّج على تحليل الآية الكريمة والإستدلال بها، ولا يمرّ عليها مرور الكرام، بل يفتح ملفاً مهمّاً على الرغم من وجازته، ويقطع الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: إنه يطرح إثارة دلالية، فيقول: وفي جعله قول عيسى (على نبينا وعليه السلام): ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ مؤيداً لأفضلية الصلاة بعد المعرفة على غيرها من الأعمال نوع خفاء.

أقول: مراده من هذه الإثارة: هو تحديد آية فقرة من الحديث يُراد الإستدلال بهذه الآية عليها؟ ولا يكفي التعامل الإجمالي مع الحديث واستغفال القارئ وإقتناعه بهذا المقدار من العرض الذي لا يتجاوز الإستشهاد بالآية، فهل إنّ الحديث في مقام توظيف

الآية لإثبات كل ما تضمنه من مطالب؟ حيث اشتمل على أمرين:

أ - تقديم المعرفة وأولويتها على الأعمال.

ب - تقديم الصلاة وأولويتها على سائر الأعمال.

أم إنَّ الهدف هو الإستدلال على المطلب الأوّل فقط؟ أو المطلب الثاني فقط؟ أم

ماذا؟

الخطوة الثانية: محاولة الإجابة على هذه الإثارة، حيث أفاد قائلاً: «ولعلَّ وجهه ما يُستفاد من تقديمه ما هو من قبيل الإعتقادات في مفتتح كلامه، ثمَّ إردافه ذلك بالأعمال البدنية والمالية، وتصديره لها بالصلاة مقدّمًا لها على الزكاة».

أقول: حاصل الجواب: إنّه يُحتمل كون الإستدلال بالآية في الحديث على كلا

المطلبين، وهما:

أ - تقديم المعرفة وأولويتها على الأعمال.

ب - تقديم الصلاة وأولويتها على سائر الأعمال.

وتقريب الإستدلال:

أولاً: الإستدلال على المطلب الأوّل بنكته تقديم ذكر ما هو من قبيل الإعتقادات في مفتتح الآية على ذكر الأعمال البدنية والمالية، لا حظ تقدّم قوله تعالى حكاية عن عيسى: ﴿قَالَ إِنَّ عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ وتأخر قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

ثانياً: الإستدلال على المطلب الثاني بنكته تقديم ذكر الصلاة على الزكاة، لاحظ

قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾.

الخطوة الثالثة: طرح احتمال ثانٍ، وهو كون المراد الإستدلال على المطلب الثاني

فقط، وهو (تقديم الصلاة وأولويتها على سائر الأعمال) فقط، قال: «ولا يبعد أن

يكون التأييد لمجرد تفضيل الصلاة على غيرها من الأعمال، من غير ملاحظة

تفضيل المعرفة عليها».

وتقريب الإستدلال:

الإقتصار في الحديث على ذكر المقطع الأخير من الآية دون ذكرها كاملة، فهذا يدعم كون صدر الآية ليس مقصوداً، ولذا لم يُورده في الحديث، قال: وَيُؤَيِّدُه: عدم إيراده صدر الآية في صدد التأييد، والآية هكذا: ﴿قَالَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ \* وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. النموذج الثالث: توظيف الدليل القرآني في المنظومة الثقافية.

يواجه الفقه أحياناً بعض الشبهات التي قد تُزعزع الثقة بالحكم أو بعملية الإستدلال عليه، وهذه النقطة حريّة بالتأمل والإعتناء سيما في زماننا الحاضر، حيث تلاطم الأفكار وتزاحم الشبهات التي تهجم على جيل الشباب من أمتنا الإسلامية، ممّا يُملي على علماء الشريعة وسدنتها أن يُزودوا الأمة بمتطلبات الوقاية والدفاع عن العقيدة. وهنا نلتقي مع نموذج قدّمه شيخنا العاملي بما يتناسب مع عصره، فإنّه أورد حديثاً يتضمّن انتفاع الميّت بأفعال الخير التي تُهدى إليه من قبل الحيّ، قال: «وما تضمّنه الحديث الثاني من انتفاع الميّت بما يُهدى إليه من أفعال البرّ، ممّا لا خلاف فيه بين الأصحاب (رضوان الله عليهم) وقد ورد به أحاديث متكرّرة عن أصحاب العصمة سلام الله عليهم...».

بعد ذلك أثار شبهة في قبال هذا البيان، فقال: «وربّما يُظنّ المنافاة بين الحكم بانتفاع الميّت بما يفعله غيره عنه وبين قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾».

ثمّ شرع بتحليل هذه الشبهة وحاول الإجابة عنها ضمن عدّة خطوات، نقتصر على ذكر اثنتين، وهما:

الخطوة الأولى: إيراد ثلاثة وجوه في الجواب:

الوجه الأوّل: إنّ سعي الغير لا ينفعه إذا أوقعه عن نفسه، فأما إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالتائب عنه والوكيل القائم مقامه، كالوكيل في إخراج الزكاة والخمس مثلاً.

الوجه الثّاني: إنّ وصول ثواب تلك الأعمال إليه لا ريب أنّه نتيجة سعيه في تحصيل الإيمان وأصول العقائد في اتّخاذ الأصدقاء والإخوان وحسن معاشرتهم وإسداء المعروف إليهم أيّام حياته، فأهداؤهم تلك المبرّات إليه بعد موته ممّا حصل بسعيه في الحقيقة.

الوجه الثّالث: إنّ مضمون الآية مخصوص بأمة موسى وإبراهيم كما يُساعد عليه السّياق، فلاحظ النّص كاملاً: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى...﴾.

وأما هذه الأمانة المرحومة فلا بُد في أن يصل إليهم ما سعى فيه غيرهم أيضاً تفضلاً من الله تعالى عليهم.

#### الخطوة الثانية : الموازنة بين هذه الوجوه.

يرى الشيخ العاملي أنّ خير هذه الوجوه الثلاثة أوسطها، وأضعفها آخرها. أقول :

١ - إنّ نقطة الخلل في الوجه الأوّل هو كون هذه الروايات بالمطابقة ليست بصدد جعل حكم جديد، وإنّما كانت في مقام الإخبار عن حقائق غيبية، أجل لو كانت بلسان الجعل لأمكن تصوّر نسبة التقييد والتخصيص أو الحكومة والورود بينها وبين غيرها من الأدلّة كالأية.

٢ - كما أنّ نقطة الضعف في الوجه الأخير هو كون هذه الآيات بصدد ذكر قواعد عامّة قد أكّدت عليها الديانات السابقة، وإنّما ذكرها القرآن الكريم للاحتجاج، لاحظ ما تقدّم هذا المقطع من قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى \* وَأَعْطَى قَلِيلًا \* وَأَكْثَى \* أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يُرَى \* أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾...، وكان من جملة هذه القواعد هو: (أنّ استحقاق الإنسان على أساس عمله هو )، فلا يصحّ توهم تخصيص ذلك بالأمم السابقة.

٣ - وأمّا الذي يبدو في نظرنا أنّ جميع تلك الوجوه قاصرة عن دفع الشبهة بما فيها الوجه الثاني الذي اختاره المؤلّف؛ فإنّه يرد عليه أنّ نسبة فعل أو أثر إلى الإنسان تارة تكون بلحاظ عالم التكوين فهنا سوف يكون لمصاديق هذه النسبة مساحة واسعة وعرض عريض، فكلّ ما يكون للإنسان فيه دخل سواء أكان بنحو العلّة التامة أو الناقصة يصحّ نسبته للإنسان حينئذٍ، بل حتى لو لم يكن التأثير مباشراً ولو بعدة وسائل.

وأخرى تكون النسبة بلحاظ عالم الإعتبار هنا لا بدّ من وجود مصحّح للنسبة بالنظر الإعتباري، ونسبة الفعل سيما بلحاظ عالم الجزاء لا تصحّ مع نسبته الى الغير المباشر الذي هو أقوى من السبب البعيد.

٤ - الصحيح أن يُقال في حلّ الإشكال: إنّ هذه القاعدة تتحدّث عن الاستحقاق، وملاك الاستحقاق ثابت وهو العمل، إلا أنّ هذه القاعدة لا تنفي التفضّل الإلهي بفتح نوافذ متعدّدة للرحمة، ومنها يُهديه الحيّ للميت من أفعال الخير.  
نتائج البحث:

- ١ - دور الدراسات النهجية في تفعيل وإحياء التراث الإسلامي.
- ٢ - العناية الفائقة للشيخ البهائي بالدليل القرآني وتوظيفه له في الإستنباط الفقهي بأقصى ما يُمكن، وذكرنا ثلاثة نماذج لدعم ادّعائنا هذا:  
النموذج الأوّل: التكييف الفني للإستدلال بالدليل القرآني.  
النموذج الثاني: انحفاظ مرجعية الدليل القرآني الوارد ضمن الحديث الشريف.  
النموذج الثالث: توظيف الدليل القرآني في المنظومة الثقافية.
- ٣ - إنّ هذه الدراسة المنهجية نفسها تُعتبر محاولة لكيفية التعامل مع التراث تعاملًا جاداً واقتناص العناصر المفيدة فيه، وهذه المحاولة قابلة للتعميم على مجالات تراثية أخرى ولدراسة شخصيات أخرى.

## المصادر والمآخذ

١. القرآن الكريم.
٢. البهائي، محمد بن الحسين العاملي، الحبل المتين في أحكام الدين، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدّسة - مشهد، ط ١ / ١٤٢٤ هـ = ١٣٨٢ هـ. ش.
٣. البهائي، محمد بن الحسين العاملي، زبدة الأصول، مدرسة وليّ العصر العلمية - قم، ط ١ / ١٤٢٣ هـ = ١٣٨١ هـ. ش.
٤. البهائي، محمد بن الحسين العاملي، مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد، ط ١ / ١٤١٤ هـ = ١٣٧٢ هـ. ش.
٥. الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم، ط ١ / ١٤١٢ هـ.
٦. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، دار الكتب الاسلامية - طهران / ١٤١٠ هـ.
٧. الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، دار الكتب الاسلامية - طهران / ١٣٩٠ هـ.
٨. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، دار الكتب الاسلامية - طهران / ١٣٩٠ هـ.
٩. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الاسلامية - طهران، ط ٢ / ١٣٨٨ هـ.

# قراءة في المنهج الفقهي عند الشيخ البهائي

## الشيخ مالك وهبي<sup>(1)</sup>

الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد الذي اشتهر ببهاء الدين، ومنه اشتق اشتهاره أيضاً بالبهائي. من علماء القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين (٩٥٠ - ١٠٣٠ هـ). عالم من علماء جبل عامل، وابن بيت من أهل العلم والفضل، وابن أبيه المحقق الشيخ حسين بن عبد الصمد، بل تجاوز أباه، الذي وان كانت له شهرة في عصره في فضله وعلمه، إلا أن بقاء شهرته حتى زماننا هذا تعود إلى ولده، فصار يشار إلى الشيخ حسين بن عبد الصمد بـ «والد الشيخ البهائي». وجده شمس الدين محمد هو أخو الشيخ إبراهيم الكفعمي صاحب المصباح. وقد وصف الشيخ البهائي جده بصاحب الكرامات، على ما نقله المجلسي الأول عن أستاذه. وقد كان يفتخر على ما يبدو منه بكونه عاملياً، ويلوح ان أحب الألقاب الى قلبه «بهاء الدين العاملي» إذ في كل كتاب نراه، يسمي نفسه، في مقدمته وخاتمته، بـ «محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي». ولم يذكر في أي محطة من محطاته، ولا في أي كتاب من كتبه، لقبه الرسمي «شيخ الإسلام» الذي أعطي له في الدولة الصفوية. لا نعني

---

(١) أستاذ في الحوزة العلمية.

بذلك اي تشكيك في كونه قد استلم هكذا منصب، وإنما نعني أنه لم يكن يعني له شيئاً على الصعيد الشخصي.

وقد كنت منذ مدة طويلة أهتم بمتابعة كتب هذا العالم الفذ الذي قل نظيره في التاريخ، فلما عرض علي شرف المشاركة في الحديث عنه، شعرت وكأن روحه هي التي دعنتي، وقلت لعله في عليائه ونعيم حياته، قد رأى ما يجول في نفسي من تعظيم ومحبة له، وشوق لمتابعة كتبه، مما كان في دائرة قدرتي المعرفية.

لكنني لا أخفي أنني حين وعيت وجود هذا العالم الكبير، وأدركت بعضاً من علو شأنه في العلوم والمعارف، وجدت نفسي في حيرة باحثاً عن سر عظمته، وخلود ذكره وكتبه. وكنت دائم التفكير في شخصيته، حتى أنني حين طلب مني المشاركة في هذا المؤتمر الكريم، لم أكن قد تخلصت من حيرتي، بل زاد اضطرابي، فعن أي شيء أكتب، وكيف لي أن أعبر عن تميزه هذا؟

السؤال الذي كان يشغل بالي ليس هو تاريخ حياته، فهذا أمر يمكن لأي كان أن يقرأه ويطلع عليه من الكتب التي دونت لهذا الغرض، كتبها بعض معاصريه أو من عايشوه، أو كانوا قريبي العهد به. وليس هو عدد كتبه، أو عدد سفراته، أو أي شيء متعلق به مما كثر ذكره في تلك الكتب. ولا أخفي أنني لم أجد ضالتي فيما كتب إلا ما استطعت أن أقتنصه من ثنايا السطور، وشذرات من درٍ منثور، عساني أعرف سره الذي يشد أهل العلم إليه، ويوجب تتبع آرائه في كل ما كتب، وتتبع كتبه والتعليق عليها بالشرح والتوضيح أو بالنقد والتشريح.

لقد تجلت في شخصية عالمننا الجليل أبعاداً عديدة، منها الفقهي والأصولي، ومنها الرياضي والهندسي، ومنها السياسي والاجتماعي، ومنها الأخلاقي والعرفاني، ومنها الأدبي بشقيه العربي والفارسي، وغير ذلك من الأبعاد. وقلما اجتمعت في زمانه هذه الأبعاد في شخص واحد. وهنا تساءلت: أي بُعد هو الذي خلد شخصيته؟ أو ميزه عن كثير ممن عايشوه أو سبقوه؟ أو أتوا بعده؟ شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء يحيرك

سر شهرتهم، وذيوع صيتهم، وسر تميزهم عن غيرهم.

هل السرف في هذه الإحاطة العلمية؟ أم في النبوغ؟ أم في التقوى؟ أم في حجم الإنجازات والعطاءات؟ أم فيها كلها مجتمعة؟ أم في أمر آخر قد يكون خفي علينا، لا يعلمه إلا الله تعالى؟ فيفضل الرحمن على ثلة من خلقه بتخليد آثارهم لتكون صدقة جارية لهم توجب لهم استمرار الأجر ما دام في الكون حياة، وكأنهم في عمل دائم، وهم قد باتوا في راحة من عمل واستراحة دائمة من تعب، يستمر الأمر هكذا إلى أن تقوم الساعة.

عندما كنت أتأمل تاريخنا الفقهي، إبتداءً من الغيبة الصغرى، حتى عصرنا الحاضر. تساءلت: ما هو السر الذي جعل كوكبة من العلماء هم محط الأنظار؟ وهم المشتهرون والمخلدون، من بين سائر العلماء. علماً أن عدد العلماء المجتهدين على مر التاريخ إبتداءً من نشوء الحوزة العلمية الإمامية المباركة في النجف الأشرف وحتى يومنا هذا قد بلغوا مئات الألوف. فلماذا لم يلمع في سماء العلم والمعرفة إلا قلة قليلة منهم؟ ولماذا لا يظهر في كل حقبة زمنية الا قلة قليلة لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين واحياناً اليد الواحدة؟ مع أن الذي لا ريب فيه أنه في كل زمان هناك الألوف من المجتهدين.

يمكن لأي متتبع في كتب السير التي تتحدث عن تاريخ العلماء، أن يقرأ الآلاف من الأسماء، ويمكن لأي كان أن يتأكد أن عدد من التحق بالحوزات على مر التاريخ قد بلغ الملايين، ومع ذلك لم يكن يتخرج في كل عصر بنحو يليق بالحوزة وأهدافها، إلا القليل القليل. فالكثير الكثير منهم لا نعرف لهم أثراً باقياً، ولا ذكراً مهماً، ولا يُحفظ له رأي أو يُتتبع رأيه، وانما ذكروا في كتب قديمة، فنقلها الآخرون. والذين لهم ذلك الذكر الكبير لا يتجاوز عددهم المئات. بل يمكن أن أقول بكل صدق، لا يتجاوز عددهم المئة نفسها. والآخرون منسيون، وإن ذُكرت أسماءهم في الكتب التاريخية. لكن لا يشار إليهم ولا إلى آرائهم في الكتب الفقهية، ولا في كتب التفسير والحديث، أو غيرها.

قلة فقط هم الذين يشار إلى أقوالهم في الفقه والأصول والحديث والتفسير والفلسفة والهيئة والفلك والعلوم الرياضية. نعم قلة قليلة حتى يكاد يخيل إليك أنه النتاج لا يتناسب أبداً مع عدد الطلاب، وكأنه مكتوب على جبين هذا المسار العلمي، أن لا يعتلي عرشه إلا النوادر، ليكون شمسا من الشمس، وقمرًا من الأقمار.

لست هنا لأتحدث عن مشكلة في الحوزات أبداً، فإن هذه الشمس الساطعة والأقمار المنيرة هي أيضاً نتاج هذه الحوزات، ولربما أشرقت شمس في عصر واحد، واستمر إشراقها، ولربما مضى قرن ولم تشرق أي شمس إلا في زمانها وفي محيطها. كما يحكى عن القرن الذي تلا الشيخ الطوسي، فلم يظهر في ذلك القرن نور يحاكي نوره في سماء العلم والفضيلة.

لقد كان لكل واحد من هؤلاء العظماء ( القلة القليلة ) آثاره العميقة في مجتمعنا وتاريخنا ما تزال ماثلة حتى الآن، ومؤثرة في تفكير علمائنا، فلم يكن بمقدور أحد من العلماء أن يتجاهل ما قدمه هؤلاء من علوم حتى وإن خالف آراءهم، فالإطلاع على ما كتبوه يكاد يكون ضرورة تمهيداً لفهم الأمور كما يجب، وإعطاء الرأي المناسب.

كان كل واحد منهم مبدعاً، ولربما خفيت شمس في زمانها، ومنع بعضهم من حقه في التقدير والإقرار بالفضل، حتى إذا نقضى ربح من الزمن ارتفعت الحجب عن شمسه، وظهر علو شأنه كالعلامة الحلي المعروف بإبن ادريس.

يستحق هؤلاء أن نظهر الجانب المهم من شخصيتهم، الذي جعلهم اهلاً للتكريم الإلهي، حتى غدوا رموزاً في اختصاصاتهم. ربما كان لبعضهم حظٌ من التكريم في زمان مخصوص، لكننا هنا نتحدث عن من يحوهم زمانٌ ولا مكانٌ، ومن بينهم شيخنا الشيخ البهائي، بمعزل عن قيمة كل امرئ في عالم الآخرة.

فبعض أهل العلم والورع أناس اقتصر ظهورهم واشتهارهم في خصوص قراهم، أو مدنهم، أو بلادهم، ومنهم من اقتصر اشتهارهم على زمانهم أو زمان مخصوص، لكن القلة القليلة التي خلدت في التاريخ.

يستحق هؤلاء الذين نتحدث عنهم وهم بهذه الصفة من الرمزية والنموجية لمن أتى بعدهم، أن نُظهر جانب إبداعاتهم التي تميزوا بها عن غيرهم. قد يكون الإبداع سياسياً وقد يكون فقهيّاً وقد يكون اخلاقياً عرفانياً، وقد يكون علمياً وقد يتجسد الإبداع في شأن آخر لكنه في نهاية المطاف إبداع لم تقتصر نتائجه على بعض زمانه أو كل زمانه بل امتد للقرون التي أتت بعده.

ويحيرك أمر الشيخ البهائي فقد كان مبدعاً في مجالات شتى، وقد لاحظت وأنا أتابع بحوثه الفقهية منذ وقت طويل أنه لا يكتب إلا إذا كان في كتابه إبداعاً، ولم يكن يعطي عناية لبحث يجده مكرراً ومكتوباً ومقرراً عند غيره، فكل ما كتبه إبداعٌ ويتضمن طروحات جديدة.

ولم يقتصر اشتهار فضل الشيخ البهائي على الأزمنة المتأخرة عنه، بل عرف فضله في حياته، وكان ذلك داعياً كي يطلب منه السلطان الصفوي آنذاك أن يتسلم مشيخة الإسلام. التي تعاقب عليها جملة من العلماء الكبار منهم المحقق الكركي الذي أسس للحضور العاملي في السلطنة الصفوية، وتسلمها بعده والد الشيخ البهائي.

وقد برز اسم الشيخ البهائي إبان نهضة علمية بارزة، لعمت فيها أسماء آخرين، وفي عصره ظهر وأشرق علم المقدّس الأردبيلي، وصاحبي المعالم والمدارك، وكثير من أهل العلم، وأن يشرق اسم في زمن نهضة لهو أصعب بكثير من أن يشرق اسم في زمن انحطاط، إذ هناك فرق بين أن يشرق نجم بين النجوم فيتميز عن غيره، وبين أن ينفرد نجم في ظلام الليل فلا تجد غيره لتقارنه به، فمهما بدا النجم خافتاً سيظهر مضيئاً في محيط مظلم.

لم يظهر الشيخ البهائي في محيط خافت ليكون تميزه بسبب ضعف غيره لا بسبب قوته في نفسه، بل في محيط لامع يحتاج إشراقه إلى صفات فريدة ليتميز ويشرق.

وهو أحد الأئمة الكبار المنفردين بالعلوم المعروفة في ذلك العصر، جمع إلى الفقه والآثار والأصول والآداب، الهندسة والفلك والحساب والجبر وجميع أقسام الرياضيات

بإتقانٍ عجيبٍ وهضمٍ غريبٍ، كما جمع إلى كل ذلك الحكمة والكلام وبعض العلوم التي لم يحم حولها سواه كما قيل.

لم يدع مجالاً من مجالات العلوم إلا وعرف أسرارها، وكتب في دقائقها، وما كتب في شيءٍ لمجرد الحشو، ولا لإظهار النفس، بل إن كل كتبه تنبئ عن فكرٍ جديدٍ ودقائقٍ جديدة نبه عليها من كتاب الله الكريم، وروايات المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وقد وصفه المحقق البحراني في الحقائق الناضرة بمن يتتبعون الدقائق وينبهون عليها، ولم نجده وصف أحداً بهذا الوصف غير الشيخ البهائي.

كتب في الحساب والرياضيات والفلك فأبدع، وانكب العلماء بعده على شرحها وتوضيحها، وترجم بعضها إلى الألمانية والفرنسية ودُرِّست في معاهدهم وجامعاتهم. وكتب في الفقه فذاع صيته فقيهاً أصولياً حراً، وتبرك العلماء بشرح كتبه في الفقه والأصول والدراية. وتتبعوا أقواله وآراءه وذكروها في كتبهم الفقهية ودراساتهم البحثية، فاستبان من كلامهم أن قراءة فكر هذا الرجل في الفقه والأصول والدراية من المقدمات المهمة لفهم الفقه الإمامي، وله كتب في القرآن الكريم وفي العرفان، وله في الشعر ميدان واسع وذوق رائع.

وبعض النفوس لم تكن تعطي مفهوم العرفان حقه، فطعن في الشيخ البهائي لذلك. يذكر الشيخ البهائي بفئة من علماء الإسلام الذين كانوا يأخذون بجوامع العلم من كل الجهات، جامعين بين علوم فقهية دينية، ومعارف فلسفية، وعلوم هندسية حسية.

وهو مع تعدد هذه الجوانب العلمية لم يكن سطحياً فيها، بل كان في كل علم يغور أعماقه ويصطاد لؤلؤه. فغدا موسوعة علمية، وبرع في الكثير من العلوم، في الفقه والحديث والدراية والرجال والأصول، والفلك، والهيئة، والرياضيات، والآداب، والهندسة والجبر، والحكمة والكلام، وكان يتعاطى مع هذه الفنون، كأنها فنٌ واحد.

والمعروف أن من يريد ان ينتج في مجال العلوم عليه أن يخصص نفسه لجهة من

## الشيخ مالك وهبي

الجهات، ومحور من المحاور ليبعد فيه، ومن تشتت ذهنه بين العلوم والمعارف، وتشتت وقته في البحث عن هذا وذاك، قد يضعف إنتاجه، وقد يكون سطحياً في كثير من الحالات. لكن الشيخ البهائي برع فيها كلها كأنها علم واحد، وفن واحد حسب تعبير أحد تلامذته كما سيأتي.

ولقد أكسبته بعض المؤلفات في الرياضيات والحساب شهرة عالمية واسعة، في البلاد العربية والأجنبية، وأحصى له بعضهم ما يزيد عن تسعين كتاباً في فنون مختلفة من العلوم، حتى افتخر به أهل الإختصاص من العرب باعتباره أحد تجليات الفهم الرياضي الذي كان سابقاً على الآخرين. وباعتباره أحد النوابع في الفقه الإمامي الجعفري.

عاش بهاء الدين في النصف الثاني من القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادي عشر الهجريين أي في النصف الثاني من القرن السادس عشر والرابع الأول من القرن السابع عشر الميلاديين، وهو عهد ذو أهمية كبيرة عند المؤرخين، هو عهد الملوك العظام من أمثال السلطان العثماني سليمان القانوني (مُلك في سنة ١٥٢٠م حتى وفاته سنة ١٥٦٦م)، وصلت جيوشه فحاصرت مدينة (فيئة) عاصمة النمسا عام ١٥٢٩م، والشاه عباس الأول الصفوي في إيران (ملك من سنة ١٥٨٧م حتى وفاته عام ١٦٢٩م)، والسلطان المغولي جلال الدين محمد شاه أكبر في الهند (مُلك من سنة ١٥٥٦م حتى وفاته عام ١٦٠٥م)، والملكة إليزابت الأولى في انكلترا (ملكت من عام ١٥٥٨م حتى وفاتها عام ١٦٠٢م) ولويس الرابع عشر في فرنسا إنتحل زهواً لقب الملك الشمس (حكم بعدهم بقليل من سنة ١٦٤٢م حتى وفاته عام ١٧١٥م).

وقد لفتتني مقالة بعضهم بأنه: في ذلك العهد نشأ بتلك الدول علماء وفنانون كبار، فنشأ في انكلترا فرنسيس بيكون صاحب الطريقة التجريبية (١٥٦١م-١٦٢٦م) التي أفاد فيها من مضمون التراث العلمي العربي، والشاعر شكسبير (١٥٦٤م-١٦١٦م) وفي فرنسا الفيلسوف روني ديكارت (١٥٩٦م-١٦٥٠م) والراهب الرياضي غاسندي

(١٥٩٢م-١٦٥٥م) والشاعر المسرحي كورني (١٦٠٦م-١٦٨٤م). وقد ولد موليير في سنة ١٦٢٢م أي في عام وفاة بهاء الدين العاملي تقريباً، وفي إسبانيا الكاتب المشهور سرفانتس صاحب دون كيخوت (١٥٤٧م-١٦١٦م) والمصور الكبير فيلا سكينز (١٥٩٩م-١٦٦٠م) وفي ألمانيا الفلكي كبلر (١٥٧١م-١٦٣٠م) وفي إيطاليا الفيزيائي والفلكي غاليلو (١٥٦٤م-١٦٤٢م).

لقد كان عهد تلك الدول جميعاً في إقبال إبان تلك الحقبة، وكان من مفاخرها في عالمنا الإسلامي المحقق الميرداماد والشيخ البهائي وصدر المتألهين.

ومما تميز به ما يشاع عنه علمه بالجفر، حتى أن المجلسي نقل في شرحه على الفقيه: **أَنَّ الْجَفْرَ الْجَامِعَ وَالْجَفْرَ الْأَبْيَضَ مِنْ بَابِ مَحْضِ الْإِشْتِهَارِ، لَمْ يَرِدْ فِي حَدِيثٍ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ عَالِمٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ فِي صِغَرِ سِنِّهِ كَانَ وَاجِداً لِلْجَفْرَيْنِ، وَأَدْرَكَ جَمِيعَ عُلَمَاءِ الزَّمَانِ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِدْعَاءَ الْعِلْمِ بِهِمَا إِلَّا شَيْخُنَا الْبَهَائِيَّ، فَقَالَ: «إِنِّي عَالِمٌ فِي الْجُمْلَةِ بِمَا مَضَى، وَأَتَمَكُنُّ مِنْ اسْتِخْرَاجِ قَوَاعِدِ الْعِلْمِ بِالْجَفْرِ الْجَامِعِ»** فقلت له: «تعلم بعنوان أن كل كلماته في هذا الجفر ولما جمع يصير القواعد؟ فقال: «هذا المعنى يعلم به كل واحد، ولكن أعلم بعنوان»، وسعيت كثير السعي لإظهاره فلم يظهره.

وعلى كل حال فقد عرف عن جبل عامل حينها أنه بلد يعجُّ بالعلماء والفقهاء. وقد برزت فترة إقبال على علماء جبل عامل، إذ كانوا يدعون للذهاب إلى إيران لتسلم مواقع فيها للمساهمة في تقويتها، وتحمل أعباء المسؤولية الدينية. واختلفت مواقف علمائه من ذلك، فمنهم من رضي التوجه والمشاركة في تلك المسؤولية، ومنهم من آثر البقاء في جبل عامل، وفي محيطه، رغم ما كان يكلفه ذلك من معاناة على المستوى المعيشي، ومعاناة على المستوى الأمني إذ كانوا يعيشون في محيط سياسي ظالم لهم. نذكر على سبيل المثال الشهيد الثاني، وآخرين.

لكن المحقق الكركي المعاصر للشهيد الثاني، وأستاذه على ما يحكى، إرتأى المصلحة في التوجه إلى هناك، ورغب الكثير من العلماء للذهاب لتقوية للقيام بأعباء

## الشيخ مالك وهبي

المسؤولية الدينية في هذه الدولة التي تحتاج إلى كل عون من هذه الجهة، فهاجر من (كرك) فقط ثلاثون عالماً إلى إيران وتولوا مناصب القضاء وصلاة الجمعة وغيرها. وكان علماء الكرك يبعثون الرسائل من إيران إلى إخوانهم في الكرك وبعلبك وجبل عامل يحثونهم على الإلتحاق بأصفهان للعمل على نشر المذهب الإمامي، وتشببت دعائمه، فالمحقق الكركي أرسل إلى الشيخ حسين بن عبد الصمد (والد البهائي) الذي كان يدرس في بعليك وأغراه بالسفر إلى أصفهان، فاستجاب له، وتوجه ومعه ولده الشيخ البهائي، لكن الواضح أن الشيخ البهائي لم يكن يستهوي تلك المواقع، فساح في البلاد في أوائل عمره ما يقرب من ثلاثين عاماً، على ما قيل، على تشكيك في ذلك من قبل آخرين، وهو أمر لا يهمننا تحقيقه إذ لا يلغي حقيقة أن سياحته في البلاد كان طويلة. ثم بعد تلك السياحة عاد إلى إيران، واستلم مهاماً عند السلطان.

ويظهر من تلميذه السيد علي خان، أن الشيخ البهائي لم يكن سعيد الحال بالمكث عند السلطان، ويصفه قائلاً: «وكان قد سلك في أوائل عمره نهج السياحة، واتخذ الفَقْرَ دِرْعَهُ وَسِلَاحَهُ، فَطَوَى الْأَرْضَ وَذَرَعَ مِنْهَا الطُّولَ وَالْعَرْضَ، فَكَانَ مَدَّةَ سِيَاحَتِهِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، لَا يَلْتَدُّ بِنُومٍ وَلَا تَطْيِبُ لَهُ سِنَّةٌ إِلَى أَنْ قَامَ بِلِلَادِ الْعَجْمِ تَابِعاً لِسُلْطَانِهَا، رَاقِياً مِنَ الْمَكَانَةِ أَرْفَعَ مَكَانَهَا، وَلَمْ يَزَلْ مَشْوُشَ الْبَالِ، كَثِيرَ الْهَمِّ وَالْبِلْبَالِ، أَنْفًا مِنَ الْإِنْحِيَاشِ إِلَى السُّلْطَانِ، مُؤَثراً لِلْغُرْبَةِ عَلَى الْإِسْتِيْطَانِ، يَأْمَلُ الْعُودَ عَلَى السِّيَاحَةِ، وَيَرْجُو الْإِقْلَاعَ عَنِ تِلْكَ السَّاحَةِ، رَغْبَةً عَنِ دَارِ الْفَنَاءِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ، فَلَمْ يُقَدِّرْ لَهُ».

وتستوقفك عبارة « ولم يزل مشوش البال كثير الهم والبلبال»، ولعل ذلك مرتبط بأعباء ذلك الموقع الذي استلمه، وحجم المسؤولية وهو يرى مشاكل داخلية، ومشاكل خارجية، إضافة إلى ما يشكله ذلك من عقبة على مستوى جهاد النفس وبحوث العلم. وينقل المجلسي الأول تلميذ الشيخ البهائي، ما يظهر شيئاً من عدم الإرتياح الذي كان يعيشه الشيخ البهائي في الموقع الذي كان فيه. فقد نقل المجلسي، عن الشيخ البهائي، أنه قال، بعد أن وصف جده شمس الدين بصاحب الكرامات: «هكذا كان

حائناً، فلما جئنا إلى العجم ذهبنا تلك الأحوال».

طبعاً هو لم يقصد بالمجيء إلى العجم مجرد المكث بينهم، بل أراد المكث عند السلطان. وللشيخ البهائي نفسه عبارة تدل على تملله من ذلك المقام، فهو يقول :

« لو لم يأت والدي قدس الله روحه من بلاد العرب ولو لم يختلط بالملوك لكنت من أئق الناس وأعبدهم وأزهدهم. لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه الديار فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتصفت بصفاتهم ثم لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلا القيل والقال والنزاع والجدال، وآل الأمر أن تصدى لمعارضتي كل جاهل وجسر على مباراتي كل خامل».

ويورد الشيخ البهائي في مقدمة بعض رسائله، ما يشير إلى شكواه من ملل وهم وغم، قال: أنه يعرض للبال في بعض المحال ملالٌ يَمْنَعُ عن مطالعة العلوم الدينية، وكلالٌ يردع عن مزاولة الأعمال الأخروية، فيضطرُّ الإنسان إلى تطيبب الدماغ بلطائف المداعبات، وترويح الروح بطرائف المطائبات، تشجيعاً للخاطر المحزون، وتمشيطاً للقلب المسجون، وتحقيقاً لمن تراكمت عليه أفواج الهموم، وتلاطمت لديه أمواج الغموم أن يتشاغل بمذاكرة إخوان الصفاء، ومفاكرة خلان الوفاء».

وقد نبه بعضهم على ذلك بقوله: «ولعل إظهار بلوغ الهم إلى أن احتاج إلى المعالجة لم يتفق في كلام غيره».

هنا نستطيع أن نقول لقد كان الشيخ البهائي من عشاق العلم والمعرفة، ولم يكن يطيق حبس نفسه في دائرة خاصة من دوائر الحياة. كما كان من مجاهدي النفس، فلم يكن يرتاح للعيش الرغيد في ظل السلطان. وربما كانت لديه ملاحظات شديدة على عمل السلطان أوجبت له كل هذا الهم والغم، أو هذا التحسر على البقاء في دائرة السلطان، وعلى كل حال فقد كان يفضل عيش الفقراء على عيش الملوك والأمراء، تأسيساً بعلماء جبل عامل.

ومع ذلك لا ينبغي أن يعد هذا تنكراً من الشيخ البهائي لكرم الضيافة، فإن العطاءات

التي قدّمت في ذلك المجتمع الامامي، ببركات العلماء أمثال المحقق الكركي، والشيخ البهائي ووالده، والمحقق الميرداماد وآخرين، قد تركت أثراً كبيراً في تكوّن وتشكّل المجتمع الإيراني، كان له الفضل فيما آلت إليه الأمور فيما بعد، وأسست لأن يكون للعالم الفقيه حرّمته الشديدة لدى كل السلاطين على اختلاف طبائعهم وسلاقتهم، حتى إذا ما أراد أحدهم أن يواجه علماء الأمة، ويلغي حضورهم وتأثيرهم في مجتمع الإسلام، انقضض عليه المجتمع وطرده وناقده للعلماء، هذا كله من بركات تلك التأسيسات القديمة، وإن كان الفاصل الزمني قروناً لكنها نشاطات متصلة من عالم إلى عالم، ومن فقيه إلى فقيه، عصراً بعد عصر إلى أن لمسنا بركاتها.

كان غرضنا الإشارة إلى مستوى الزهد الذي كان يعيشه بروحه وكيانه بمعزل عن ظاهره والوضع الذي كان فيه. فقد فتحت له الدنيا علماً وجاهاً، فأثر الزهد والعرفان والفقه والقرآن، فكان أن جسد القول المأثور: «ليس الزهد أن لا تملك شيئاً، إنما الزهد أن لا يملكك شيء».

ولقد تجلّت روح التقوى لديه في كل شؤون حياته، وربما حكي عن المجلسي الأول، أنه نقل عن الشيخ البهائي قوله: «لم أرتكب المكروه أو المباح منذ أربعين سنة».

وفي كل كتبه ومقدماته ومنتهاها يشير إلى قصد القرابة بشكل جلي، ويذكر أمله بأن يكون ما يكتبه ذخراً له في غده، ووسيلة لنيل رضا مولاه. دل على صدقه في قوله وفي نيته اشتهار الكتب لاحقاً، واعتمادها لدى العلماء مراجع ومصادر بحث ومتابعة.

لم يكن الشيخ البهائي أسيراً في ذهنيته العلمية، ولم يكن يتبع مدرسة خاصة، كان مدرسة قائمة بنفسه. كان حراً في منهجه وتفكيره، لا يأسره إلا الدليل والبرهان، وهذه صفة تتدرج في العلماء، وإن ادّعاها الكثيرون، لكنها صفة مشتركة بين الذين برزوا في سماء العلم والمعرفة وخلصوا. وكل من كان في فلك عالم آخر، إضمحل ذكره لصالح ذلك العالم الآخر.

ولا نعني بالحرية هنا، أن العالم لا يكون مسؤولاً إلا أمام علمه، ولا يعترف بسطوة

فوق سطوة الدليل والبرهان، وسطوة الدين والإيمان. وبعض الناس إدعوا أنهم أحرار في تفكيرهم العلمي، وهم أسرى أهوائهم.

والحر يعشق المعرفة أينما كانت، ويلتقط الحكمة أنى وجدها. وهكذا كان حال شيخنا البهائي، فقد كان باحثاً عن العلم والمعرفة أينما كانت، ولئن تنوعت أسفاره، وكان بعضها للحج والزيارة. إلا أن كثيراً منها كان للعلم والمعرفة، والإلتقاء بعلماء المسلمين على إختلاف مشاربهم. كسفره إلى مصر حيث إلتقى بأهم مشايخها في حينه الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري، وسفره إلى القدس الشريف ولقاؤه بالشيخ الرضي بن أبي اللطف المقدسي، والشيخ عمر بن أبي اللطف. وسفره إلى دمشق وإجتماعه بالشيخ الحسن البوريني، وسفره إلى حلب ولقائه بالشيخ عمر الفرضي، وأثناء تواجده في حلب سَمِعَ بِمَقْدِمِهِ أَهْلَ جَبَلِ عَامِلٍ، فَرَامُوا أَنْ يَزُورُوهُ، فَخَافَ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُهُ وَأَنْ يَوْشَى بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ العُثْمَانِي أَنذاك سليم، فترك حلب وسفره إلى كرك نوح ولقائه صاحب المعالم، وهو السفر الذي أسس إلى أن يتلمذ على يدي الشيخ البهائي بعض أبناء صاحب المعالم.

وله في تلك الأسفار حكايا وقصص أورد بعضها في كشكوله، ونقلها آخرون في كتبهم، لن يتسع المجال لذكرها، ويسهل الإطلاع عليها لمن شاء التفصيل، وكلها تدل على إقرار من إلتقى به بفضلته وعلمه، وإن عامله بعضهم في بداية معرفتهم به بالإهمال لعدم تميز مظهر الشيخ البهائي بما يدل على نفسه.

وما كان له أن يسافر إلى البلاد الإسلامية التي كانت أغلب أسفاره إليها خاضعة للسلطان العثماني، وهو ابن الشيخ حسين بن عبد الصمد المعروف أحد أركان السلطنة العثمانية، لو لم يكن صاحب ذكاء وفطنة في كيفية التجول والتخفي، حتى إذا عرفه أحدهم، أو اضطر ليكشف عن نفسه أمام أحدهم، أخذ منهم موثيق أن لا يكشفوا أمره، وكان يُسرع بمغادرة البلد. وعندما عرف أهل جبل عامل بقدمه إلى حلب وعزموا على التوجه إليه للقاءه، ووصله الخبر بذلك، قفل راجعاً، أو عدل مسيره، حتى لا يفتضح أمره.

## الشيخ مالك وهبي

وهو مع تكتمه على نفسه، كان من أهل العشرة الحسنة مع أهل السنّة وعلماؤها، ولم يكن في قلبه إتجاههم أي شعور بالخصومة والعداوة، وقد لاحظ السيد نعمة الله الجزائري أنّ الشيخ البهائي كان سموحاً في معاشراته، لا يتعاطى بعدائية وخصومة مع أهل الطوائف الأخرى، قائلاً: «ولهذا كان كل طوائف المسلمين ينسبه إليه». وسمعتُ الشيخ الفاضل الشيخ عمر من علماء البصرة يقول: «إنّ بهاء الدين محمداً من أهل السنّة إلاّ أنّه كان يتّقي من سلطان الرافضة، وكذلك الملاحدة والصوفية والعشاق».

إنّ هذه الروح الأخوية والمتفهمة لأتباع المذهب السني جعلته موضع ازدراء قلة من العلماء، وقد حمّل عليه أحد علماء البحرين، واسمه الشيخ عبد الله بن صالح البحراني، قائلاً: «إنّ له بعض الإعتقادات الضعيفة، كاعتقاد أن المكلف إذا بذل جهده في تحصيل الدليل، فليس عليه شيء إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلد في النار، وإن كان بخلاف أهل الحق». قال: «وهو باطل قطعاً، لأنّه على هذا يلزم أن يكون علماء الضلال ورؤساء الكفار غير مخلصين في النار، إذا أوصلتهم شبهاتهم وأفكارهم الفاسدة إلى ذلك من غير إتباع لأهل الحق. فحملة البحراني هذه إنّما كان مصدرها مخالفة البهائي في رأيه لما عليه تفكير أمثال البحراني، الذين لا يعتبرون العقل حجة في أمثال هذه المواضيع».

أقول: إنّ من فهم النصوص حق الفهم، واطلع على ثقافة أهل البيت (ع) والعلم المودع لديهم، وما بثوه بين أشياعهم، لأدرك صوابية ما قاله الشيخ البهائي، وأنّ الحساب يوم الدين، يرتكز على مقدار المعرفة التي لا يكون العبد مقصراً في تحصيلها، لا على أساس الواقع.

لقد لفتني وأنا أتابع ما كتُب حول الشيخ البهائي، أنّه عاصر علماء كثيرين من أهل التمييز والذين أشرق شمسهم في زمانهم، وما بعد زمانهم، وكانوا من الخالدين في العالمين، مثل المقدس الأردبيلي، وصاحب المعالم والمدارك، كما أشرنا سابقاً.

ومع أن صاحب المعالم درس على والد الشيخ البهائي الذي كان من تلامذة الشهيد الثاني والد صاحب المعالم، لكن لم يحك عن أي لقاء حصل بينه وبينهم، إلا اللقاء اليتيم الذي حصل في كرك نوح مع صاحب المعالم خلال سياحته، على ما حكي عن بعض أحفاد صاحب المعالم.

ولقد تتبع الشيخ البهائي كلام صاحب المعالم وكان يعبر عنه في كتبه ببعض المعاصرين ونحو ذلك من العبارات. وشرح له (الاثني عشرية) وهي في الطهارة والصلاة على ما بيالي.

ربما لم يتسن لي الوقت الكافي لأطلع على من التقى به من علمائنا الكرام المعاصرين للشيخ، لكن وقائع الأمور تفرض أنه التقى بهم، ولم اقرأ فيما قرأت من أشار إلى ذلك بشكل واضح، سارداً لواقعة من تلك الوقائع، غير ما نُقل عن أحد أحفاد صاحب المعالم الذي حكى لقاء الشيخ البهائي بصاحب المعالم. مع أن الشيخ البهائي درس عند الشيخ عبد الله اليزدي صاحب الحاشية على المنطق المعروفة بحاشية التهذيب، وهو أيضاً أستاذاً لصاحبي المعالم والمدارك.

كما أن الشيخ اليزدي شريكاً للمقدس الأردبيلي في الدراسة عند جلال الدين الدواني، ومع ذلك لم يحك عن لقائه بالمقدس الأردبيلي.

لكن لفتنتي حكاية قد تؤكد لقاءه بالمقدس الأردبيلي، وتلمذه على يديه أيضاً، وإن لم يشر إلى ذلك في الكتب.

فقد حكي أن صاحب المعالم قد طلب من المقدس الأردبيلي شيئاً من خطه ليكون عنده تذكراً، فكتب له بعض الأحاديث في صفحة قَدَّرَ ورقة، وكتب في آخرها: «كُتِبَهُ العبد لمولاه امتثالاً لأمره ورجاءً لتذكّره وعدم نسيانه إياه في خلواته وعقيب صلواته، وفقه الله لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه بمحمد وآله» وفي تلك الصحيفة صفحة بخط شيخنا البهائي كتب فيها كلمات حكيمية، وفي آخرها: «كتب هذه الكلمات امتثالاً لأمر سيده صاحب الكتاب (حُرس مَجْدُهُ، وكُبت ضده) أقلُّ العباد بهاء الدين

محمّد البهائي أصلح الله شأنه سائلاً منه إجراءه على خاطره الخطير سيّما في حال الإنابات ومَظانّ الإجابات، وذلك سنة ٩٨٣هـ.

وهذا التاريخ يدل على أن كتابة الشيخ البهائي لكلمات السيد الأردبيلي كانت في حياة والده المتوفي سنة ٩٨٤هـ. فضلاً عن أنها كانت في حياة الأردبيلي، وبحضوره، وحياة صاحب المعالم والمدارك.

يلفتك في الشيخ البهائي كثرة تلامذته وقلة أساتذته. فهو على وفرة علومه وتعمقه فيها، لم يحك أن له أستاذاً في المنقول غير والده الذي يبدو أنه اعتنى به من صغره، وساعده في تحصيل العلوم الفقهية والدينية، يذكرك هذا باهتمام المقدس الأردبيلي بصاحبي المدارك والمعالم. وله في كتاب «الأربعون حديثاً» كلاماً يشعرك بأن والده كان الأستاذ الوحيد الذي يعترف بالتلمذة الكاملة له، فيقول وهو يروي في مقدمة كتابه الأربعون حديثاً: حدّثني والدي وأستاذي ومن إليه في العلوم استنادي حسين بن عبد الصمّد الحارثي الهمداني.

نعم ذكروا أيضاً أنه درس عند الشيخ عبد العالي الكركي ابن المحقق الكركي صاحب جامع المقاصد.

وتتلمذ على الملا عبد الله اليزدي صاحب الحاشية.

وتتلمذ على عدد قليل من الأساتذة في الرياضيات والهيئة والطب.

أما من التقاهم في أسفاره فلا يصلح عدّهم من أساتذته، وإن كانوا شيوخ رواية له. وفرق بين شيخ الرواية والأستاذ.

ويدلّك هذا العدد القليل من أساتذته، لكنهم الكبار في علومهم وفنونهم، وهو مع ما عليه من السمو في العلم والبحث والتحقيق، يدلّك على حسن اختيار الأساتذة من جهة، ومستوى وعيه وقدرته على التفهم والفهم والإستفادة والأستزادة من جهة أخرى، حتى تمكن أن يقدم هذا المجهود الرائع في مجالات شتى، كما تمّت الإشارة إليه سابقاً.

ولهذا قصده الكثيرون، وتلمذ على يديه فطاحل من أهل العلم أشرفت شمسهم

مدى الدهر، وتخرّج على يديه كبار من أهل العلم والفلسفة والفقہ وسائر العلوم. منهم الفيض الكاشاني وصدر المتألهين، وبعض أبناء صاحب المعالم.

حتى أن صدر المتألهين يذكر تلامذته عند الشيخ البهائي بشيء من الفخر، فنراه يقول في بعض ما كتبه في شرح أصول الكافي: حدثني شيخي وأستاذي ومن عليه في العلوم النقلية استنادي، عالم عصره وشيخ دهره بهاء الحق والدين محمد العمالي الحارثي الهمداني (نور الله قلبه بالأنوار القدسية) عن والده الماجد المكرم، وشيخه الممجد المعظم، الشيخ الفاضل الكامل حسين بن عبد الصمد (أفاض الله على روحه الرحمة والرضوان)، وأسكنه دارالجنان إلى آخر السند.

لقد لفتني ونحن نتحدث عن علم من الأعلام بهذه المرتبة التي وصفنا، والتي لخصها بعض تلامذته بقولهم: كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلو مرتبته أحداً في كل فنون الإسلام كمن له فن واحد. فانظر الى دقة التعبير «كمن له فن واحد».

لفتني وهو على هذه الصفة أنه كان متواضعاً للعلم، لا يتكبر على تلميذ، بل ينظر فيما لديه، فإن كان حقاً أخذ به غير معتن بأي مقام ولا مرتبة، فالحكمة ضالة المؤمن، ومن أولى بها من أهل العلم. هذا هو شأن أهل الفكر الحر، ومن تواضع للعلم فتح له ألف باب من العلم لن يفتح لأي متكبر فيه. وهو بتواضعه للعلم أمام تلامذته يكشف لهم عن نفس تربوي قلما نجده لدى كثير من الأعلام فيناقشهم، ويوجههم ويصوب أخطاءهم ويثني عليهم إن أصابوا، ويعترف لهم بالفضل إن بان الفضل فيهم، ويبدل رأيه إن ظهر له منهم ما يوجب الإقرار بحقانية ما قالوه. وهذا نمط تربوي يخلق في التلميذ ما يجب أن يكون في كل عالم وهو «أن تكون حراً إلا أمام العلم» «لا تكن أسيراً لقول، ولا لمقام. وناهيك بهذا أسلوب تربوي يخرج تلامذة أكفاء أقوياء».

يندر أن تجد هذا النفس وهذا الأسلوب بين أهل العلم في علاقاتهم مع تلامذتهم. فليس المدرس من يتولى إعطاءك المحاضرة بيدي فيها رأيه بأمور مختلفة في الفقه

والأصول. بل هو من يرشدك ويساعدك في بناء شخصيتك ويدلك على طريق البحث ويبيث فيك روح النقد والتدقيق، لا لتكون تبعاً له، بل لتكون صاحب شخصية حرة مستقلة مبنية وفق أسس سليمة.

يحدثنا المجلسي عن تواضع الشيخ البهائي إزاء العلم، وإن الحكمة ضالته يأخذها ولو من تلامذته بلا تكبر ولا تعجرف. ويحدث عن حالات خالف فيها شيخه في بعض الآراء وناقشه فيها وأنه كان أحياناً يستحسنها فيغير رأيه فيها قال، وهو يتحدث عن واقعة ناقش فيها شيخه، حتى بدل رأيه فيها: وكان إنصافه فوق أن يوصف مع أنني حين تكلمت بذلك كنت أصغر تلامذته وأحقرهم، ومظنون أنني لم أكن إذ ذاك بالغاً، وكثيراً ما كان يرجع عن اعتقاده بقولي وقول أمثالي. وفي ذلك الزمان كان يحضر أكثر فضلاء العصر في مجلسه العالي، مع أن إسكاتي كان في غاية السهولة لكثرة تبخره في جميع العلوم، ونشاهد في أبناء الزمان ما نشاهد، أصلح الله أحوالنا وأحوالهم بجاه محمد وآله الطاهرين.

وحكى في رياض العلماء في ترجمة الشيخ خير الدين وهو من أسباط الشهيد الأول: أنه كان معاصراً لشيخنا البهائي، وسكن بشيراز في مدة طويلة، والشيخ لما ألف الحبل المتين أرسله إليه بشيراز - على ما نقل - ليطلع فيه ويستحسنه، وكان الشيخ يعتقده ويمدحه، وبعد ما طالع كتب عليه تعليقات وحواشي وتحقيقات بل مؤاخذات.

ويقال أن هذه التعليقات طبعت بشكل مستقل لاحقاً.

ولم تقتصر نتائج الشيخ البهائي على كتب وآراء في العلوم المختلفة، بل له صدقة جارية تسبب إليه أنه أول من سنها ونبه عليها. فقد ذكر في رياض العلماء: أن المظنون أن عقد المؤاخاة يوم الغدير قد نشأ من شيخنا البهائي، وتبعه من تأخر عنه كالمحدث القاشاني وغيره. لقد تعددت مآثره، ومن أهم ما كتبه في العلوم الرياضية خلاصة الحساب الذي له شروحات وتعليقات كثيرة، وترجم إلى لغات أجنبية. ومن أهم ما كتبه في العلوم الفقهية الحبل المتين الذي اتبع فيه منهجية عرض كل الأحاديث المعتبرة

الواردة في المسألة، ثم النظر في دلالة كل حديث ليستخلص النتائج من مجموعها لاحقاً. وإذ لاحظنا أن هذه الكتابة كانت في زمن لم يكن فيه لا وسائل الشيعة، لأن الحر تلميذ تلامذة الشيخ البهائي، ولا البحار مع ما فيه من حشو. ندرك حينئذ أهمية الجهد الذي كان يبذله العلماء في استقصاء الروايات من الكتب الأربعة وسائر كتب الشيخ الصدوق والمفيد والطوسي وغيرهم. ولقد نبه الشيخ البهائي على أهمية كتاب الحبل المتين بعبارات ارتأيت ان أذكرها قبل أن اختتم البحث بعبارة موجزة عن مدفنه، أذكرها تبركاً، وليكون الموضح لمقام الكتاب كاتبه نفسه بلا إضافات.

قال في مقدمة الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي دلنا على الطريق القويم ومنّ علينا بالهداية إلى الصراط المستقيم ووقفنا عند تفرق الأهواء وتشعب الآراء للتمسك بكتابه المبين وهدانا عند تخالف المذاهب وتباين المشارب إلى التثبيت بأذيال أهل بيت نبيه سيد المرسلين وأشرف الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين صلاة و سلاماً دائماً دائمين إلى يوم الدين وبعد فإن الفقير إلى الله الغني، محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي وفقه الله للعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده يقول إن أهم ما توجهت إليه الهمم العوالي وأحق ما نقضت عليه الأيام والليالي هو العلوم الدينية التي عليها مدار أمر الاسلام والمعارف المليية التي إليها دعى الأنبياء عليهم السلام سيما علم الحديث ودرايته ونقله وروايته والبحث عن حاله والتفحص على رجاله والوقوف على رموزه والوصول إلى كنوزه فإنه بعد علم التفسير منبع العلوم الشرعية وأساس الاحكام الأصلية والفرعية فطوبى لمن وجه إليه همته وبيض عليه لمته وجعله شعاره ودثاره وصرف فيه ليله ونهاره وهذا الكتاب بذلت فيه جهدي وجعلته تذكرة لأولي الألباب من بعدي ينطوي على عيون الأحاديث الواردة في الأحكام العملية ويحتوي على خلاصة ما رواه أصحابنا رضي الله عنهم بالأسانيد المعتمدة عن العترة النبوية كنز مذخور بصحاح الأحاديث وحسانها وبحر مسجور بلؤلؤ الأخبار ومرجانها موشحة أحاديثه بتفسير المباني وتقدير المعاني وتبيين النكات وتوضيح المغلفات

واستكشاف الدلائل واستنباط المسائل إلى غير ذلك مما أنجر إليه الكلام في بعض الأوقات من سوانح المباحثات ولوايح المطارحات مما سمح به النظر القاصر وانتهى إليه الفكر الخاسر وهذا الكتاب إنما يعرف قدره من تأمل أصول أصحابنا قدس الله أرواحهم بعين بصيرة وسبر أغوار تلك الكتب بيد غير قصيرة وأفنى في فن الجرح والتعديل برهة من عمره وصرف في رد الفروع إلى الأصول شطراً من أيام دهره ثم غاية ما التمس منكم أيها الأخوان في الدين والشركاء في طلب اليقين أن تمنوا عليّ بإصلاح فساده وترويح كساده والإغماض عما لا يخلو عنه مؤلف ولا يسلم منه مصنف مما هو حقيق بأن يستر ولا يسطر ويضمّر ولا يظهر ويلفظ ولا يحفظ فإنكم تعلمون أن الفوص على درر الدقايق يتعذر مع تلاطم أمواج المحن والعوايق وإلى الله سبحانه المشتكى من دهر قل ما أضحك وطال ما أبكى ثم إن طرقت سمعكم ما لم تعهدوا طروقه ولا ح لكم برق لم تألفوا بروقه فلا تعجلوا باللجاج في سلوك ذلك السبيل وامكثوا قليلاً فعسى أن يتبدل الملح الأجاج بالعذب السلسبيل وها أنا باسطٌ كف السؤال إلى من لا يخيب لديه الآمال أن يعصمني عن اقتحام موارد الزلل في القول والعمل وأن يسهل لي إتمام ما أرجوه ويوفقني لإكماله على أحسن الوجوه وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله بلطفه العليم وفضله العظيم وسميته بالحبل المتين في إحكام أحكام الدين ورتبته على أربعة مناهج أولها في العبادات وثانيها في العقود وثالثها في الايقاعات ورابعها في الأحكام وما توفيقتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

لقد كان الشيخ البهائي من القلة القليلة الذين لهم مدفن متميز، تمت العناية به بشكل كبير، خلافاً لنظرائه الذين اشتهروا في سماء العلم والإسلام عامة والتشيع خاصة، فقد تجد قبورهم وأخص بالذكر المدفونين في أرض عاملة، بلا عناية ولا رعاية وهو أمر مؤسف. حتى أن السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة قد سمى جبل عامل بمضيعة العلماء بسبب ما رآه من عدم تقدير العلماء بعد وفاتهم. إن تظهير القبور يساعد على إظهار مقام وشأن المدفون، بما يستحقه من تقدير وتكريم، بل

## قراءة في المنهج الفقهي عند الشيخ البهائي

---

وتوسل ودعاء لله تعالى في أجوائهم، فإنها مقامات تنزل عليها الملائكة تحيطها عناية خاصة من رب العالمين، نسأله تعالى أن يلهم المعنيين إعطاء شأن مهم لهذه القبور.

## التقية بوصفها فلسفة سياسية

(مسعى تنظيري في اختبارات الفقيه العارف الشيخ بهاء الدين العاملي)

(٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م)

### أ. محمود حيدر<sup>(١)</sup>

تتوخى هذه الورقة الإقتراب من شخصية الفقيه العارف الشيخ بهاء الدين العاملي من الوجه الذي يدور معها مدار التجربة. وإذ يكون المسعى في هذه المنزلة يصير بديهياً أن ينال كل مكوّن من مكونات هذه الشخصية حظاً من المعاينة. ولأجل استقرائها وجدتني منصرفاً إلى تناول التقية كممارسة ومفهوم في سيرته العلمية والعملية. ولعل ما حملني على الدخول إلى التقية من باب النظر السياسي، يعود إلى أنها لم تتل ما تستحقه من درس في هذا المضمار، إذ لو عرفنا منزلتها على ما هي عليه من مكانة، لوجب أن نتعامل معها بوصفها فلسفة عمل ترسم قوانين الممارسة السياسية وتنظّم العلاقة بين الفقيه والسلطة، ثم لحملنا على أن نرى إليها كحالة مخصوصة في حياة الشيخ لها أبعادها الإيمانية والأخلاقية والسياسية في خلال الحقب التاريخية التي عاشها في كنف الدولة الصفوية. ومن طبيعة الحال، فإن دافعنا إلى بسط اختبارات

---

(١) أستاذ في الفكر الفلسفي.

الشيخ البهائي ضمن هذا الحقل هو لأجل إخراج مفهوم التقية من حصره الفقهي، والنظر إليه كأساس لفلسفة سياسية ذات هندسة معرفية جلية المعالم.

لم يفرد الشيخ بهاء الدين رسالة أو كتاباً في التقية، إلا أننا سنلقاها مشاراً إليها في ثنايا كتاباته الفقهية والكلامية والعرفانية، فضلاً عن الإستدلال عليها بما أفضت إليه اختبارات في السير والسلوك والإجتمع السياسي. لذلك سنلاحظ كيف أن التقية ليست مفهوماً منتزعاً من مكتوباته النظرية، فالعكس هو الصواب. ما يعني وجوب معاينة سيرته حتى بما هي تجلُّ عملي للمفهوم في ميدان التجربة التاريخية. ذلك ما سيتبين لنا على المستوى النظري لجهة حلول التقية في صميم المنظومة العامة للفكر الإسلامي بصفته الدينية والسياسية. كما سيتبين أيضاً وبصورة عملية، حين تتخذ هذه الأطروحة في الفكر الشيعي على الخصوص منزلة محورية أخذت تظهر قواعدها الفلسفية وامتكاتها الفقهية بدءاً من عصر الغيبة الكبرى.

ولئن انحصرت البحوث في العصر الإسلامي الأول، ضمن دائرة علم الكلام، حيث ارتفع منسوب الإهتمام بالإمامة والولاية بوصفهما امتداداً للنبوذة في حركة التاريخ، فقد تميّز العصر التالي بما يشبهه خلاء الميدان من هذين المفهومين، لينحصر النشاط المعرفي في دائرة التجريد الفلسفي. فنظرية «الفيلسوف الملك» عند (أفلاطون)، و«حكومة الحكماء» عند (أرسطو)، ستترك أثراً بيّناً على الفكر الشيعي، في حين سنلاحظ هذا الأثر في نظرية «الرئيس المطلق» عند (الفارابي)، و«الرئاسة العظمى أو رئاسة الأفاضل» عند (نصير الدين الطوسي).

وإلى عصر لاحق، وعلى وجه التعيين حتى العام ٧٠٠ للهجرة، بقي الفكر السياسي مقيّداً في أغلال العقل الفلسفي. فقد بدا أن البحث في طيّات الفلسفة مقدرٌ له الإستمرار من أجل العثور على بناء عقلي للحكومة الإسلامية، لكن لم تلبث الجهود النظرية المبذولة حتى تعود لتعرض من جديد عن السياسة وتحل في أحضان العلوم الشرعية. وبدلاً من أن تأتي هذه المرة إلى دائرة علم الكلام، راحت تتبوأ مكانتها في

الفقه وفروع الدين.. سوى أن التقية المتصلة اتصالاً وثيقاً بفلسفة العلاقة بين الحاكم والمحكوم طفتت تنمو وتتحرك خارج دوائر الجدل السياسي. كما لو كانت من القضايا المضمون بها على أهلها وعلى خصومها في الآن عينه. وتلك واحدة من المفارقات التي تجعلها منظومة مكتفية بذاتها، وبالتالي بوصفها حقل جاذبية يسري بخبر في حركة الزمان والمكان.

### التقية كمصطلح وماهية:

لقد ارتبطت التقية في تاريخ الأديان بصفة عامة بمراحل الإضطهاد التي عصفت بها على أساس من التمييز في الهويات العقائدية. وقد أباحها الإسلام بصفة عامة لحماية المسلم من أي ضرر في دينه ودنياه.

أما توسع الشيعة على وجه الخصوص، في استخدامها كفلسفة عمل، يتدبرونها في اجتماعهم السياسي المحكوم بالإضطراب والقلق، فعائد إلى الإضطهاد المديد اللاحق بهم بسبب من تموضعهم ككتلة تاريخية معارضة للإستبداد منذ العصرين الأموي والعباسي وصولاً إلى العصور اللاحقة.

ومصطلح التقية عدا عن كونه محل إجماع الفرق الإسلامية، هو مفهوم قرآني نطق به الوحي لفظاً ومعنى كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

ولئن كانت التقية عند الشيخ البهائي ممارسة سياسية ودينية واجتماعية افترضتها ظروف تاريخية محددة، فهي إلى ذلك شأنٌ موصول بمنظومة إيمانية ودينية ومعرفية ظهرت معالمها في زمن نزول الوحي وترسخت أركانها العملية والنظرية عبر أئمة أهل البيت عليهم السلام على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

والتقية بحسب اتفاق المحققين يقصد بها كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكالمة

المخالفين وترك مخالفتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا، وفرض ذلك إذا علم بالضرورة، وقوى في الظن، فمتى لم يُعلم ضرر بإظهار الحق، ولا قوى في الظن، لم يجب فرض التقية.

وكان أول من أتى بالتقية في الإسلام هو عمّار بن ياسر، فعندما أسلم عبّوه ولم يتركوه حتى نال رسول الله ﷺ، وجاء إليه، فسأله: «ما وراءك؟». قال: «شرّ يا رسول الله! والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخيراً»، فسأله: «كيف تجد قلبك؟»، قال: «مطمئن بالإيمان». قال: «فإن عادوا فعد»، فقد أقرّه الرسول ﷺ، على التظاهر بالشرك وسب النبي ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان وحياته يتهددها الخطر. ونزلت في ذلك الآية: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾، ومن ثم فقد جعل الشيعة التقية مبدأ من مبادئ الإسلام، وأخذت به الصوفية حتى أن منصور بن المعتمر كان يقضي الليل في النواح والبكاء، فإذا أصبح الصباح كحل عينية ودهن رأسه وخرج إلى الناس، وكان ذلك تقية من نوع إخفاء الزهد في القلب دون المظهر، وصار ذلك دأب الملامتية كما سيأتي معنا لاحقاً.

### التقية في مذاهب المسلمين الأربعة:

لقد أشكل على الشيعة قولهم بالتقية واستخدامهم لها. فزعم بعضهم أن التقية من النفاق. وكان رد الشيعة على هذه الدعوى أن النفاق ضدها، أي ضد التقية ذلك أن النفاق هو عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر، والتظاهر بالحق وإخفاء الباطل، فلا يصح في هذه الحال أن تعدّ التقية من قسم النفاق ومصاديقه وفروعه. وادّعى بعضهم أن التقية لا يجوز استخدامها إلا مع غير المسلم، أمّا المسلم فلا تستخدم معه، وهذا ادّعاء باطل ولا دليل عليه بحسب متكلمي الإمامية، بل الأدلة قائمة على خلافه، فكما أنها تستخدم مع غير المسلم فإنها تستخدم أيضاً مع المسلم الظالم اتقاءً لضرره. ولقد أباح الإسلام التقية بصفة عامة لحماية المسلم من أي ضرر في عقيدته

أو دنياه ولكن توسع الشيعة خصوصاً بكل طوائفهم في استخدامها واعتبارها من أساسيات الدين، يعزوه البعض إلى اضطهادهم عبر التاريخ خصوصاً في العصر الأموي والعباسي مما جعل التقية أمراً ضرورياً لحياة الشيعي.

لكننا سنجد كثيراً من الحقب التاريخية التي ازدهر فيها الجدل الكلامي كيف مورست التقية حتى بين كبار المسلمين وأئمتهم. ففي مسألة «خلق القرآن» كان واضحاً مدى اضطهاد السلطة العباسية للعلماء الذين قالوا بقدوم الكلام الإلهي، فاتهمهم بالشرك وأقامت عليهم الحد.

وقد ذكر المؤرخون أن المأمون العباسي قد اشتد في امتحان الناس ولزوم إقرار الفقهاء بما يراه، فجعل يرسل لعماله الكتب، وكانت تزداد شدةً، وعنفاً، وتهديداً ووعيداً، وكان من نتائج هذا الإمتحان أن استجاب جميع الفقهاء لذلك، ولم يمتنع منهم إلا نفر قليل، منهم أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، وأحمد بن نصر الخزاعي، وأبو يعقوب البويطي، ونعيم بن حماد، وهؤلاء قد ذاقوا حتفهم لامتناعهم عن الإجابة. وبقي الإمام أحمد بن حنبل، ولم يكن حظه كحظهم من القتل ويعلق ابن كثير على مواقف الفقهاء الذين استجابوا للمأمون في قوله بخلق القرآن، فيقول: إن إجابتهم كانت مصانعة، لأنهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه، وأن كان له رزق على بيت المال قطع، وإن كان مفتياً مُنْع من الإفتاء، وإن كان شيخ حديث رُدْع عن الإستماع. وهكذا نرى أن هذه المصانعة كانت ضرباً من الممارسة «الاتقائية»، التي ما لبثت أن أخذت قسطها من التنظير الفقهي والكلامي لدى جمع من كبار علماء وفقهاء المذاهب الإسلامية الأربعة. فلو عدنا إلى ما قيل في التقية عند علماء أهل السنة والجماعة لتبين لنا تطابقاً في أصل الأطروحة مع فقهاء الإمامية أئمتهم. فهي تعني إظهار المسلم لبعض الأقوال والأفعال الموافقة لأهل الكفر أو الجارية على سبلهم إذا اضطُر المسلم إلى ذلك من أجل اجتناب شرهم مع ثبات القلب على إنكار موافقتهم وبغضها والسعي لدفع الحاجة إليها، كما يمكن القول بأن التقية هي إظهار الكفر وإبطان الإيمان وذلك عند خوف

المسلم على نفسه من الكفار والمشركين.

وسيظهر لنا من المقتبسات المتخذة من كتب المذاهب الإسلامية ما يجعلها محل إجماع لا خلاف في أصله وأصالته. وقد أخرج البخاري من طريق قتبية بن سعيد، عن عروة بن الزبير: أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبي ﷺ رجل، قال ﷺ: ( ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة )، فلما دخل ألان له الكلام. فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألت له في القول؟ فقال: ( أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه ).

ويقول الإمام مالك بعدم وقوع طلاق المكره على نحو التقية محتجاً بذلك بقول الصحابي ابن مسعود: ما من كلام يدراً عني سوطيين من سلطان إلا كنت متكلماً به. وجاء في مستدرک الحاكم: حديثاً أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني حدثني أبي ثنا همام ثنا محمد بن بشر العبدي قال: سمعت سفيان ابن سعيد يذكر عن ابن جريج حدثني عطاء عن ابن عباس رضی اللہ عنہما «إلا أن تتقوا منهم تقاة» قال التقاة التكلم باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فلا يبسط يده فيقتل ولا إلى إثم فإنه لا عذر له.

ويقول البيهقي: أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي أنبأ أبو الحسن بن عبدوس الطرائفي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» قال أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم فلما من أكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه إن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.

وعند السيوطي: أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس قال نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين «إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين أولياء فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في

الدين وذلك قوله: «إلا أن تتقوا منهم تقاة».

وفي طبقات ابن سعد: قال أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي قال: أخبرنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر في قوله «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» قال ذلك عمار بن ياسر وقوله ولكن من شرح بالكفر صدراً قال ذلك عبد الله بن أبي سرح.

أما التقية عند الإمامية فتقوم على اجتناب شر الكفار والمشركين وذلك بموافقة بعض أفعالهم مع عدم الإيمان والتصديق بها قلباً، واضطرت الإثنا عشرية بسبب البطش والقتل والتنكيل الذي تعرض له الأئمة ومتبعيهم على مر العصور.

ينقلها العلامة الكليني وطبقاً لرواية عن الإمام جعفر الصادق قوله «لو قلت إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً» واعتبر بعض علماء الإثنا عشرية هذه الرواية من الروايات المتواترة. وعنه أيضاً قال: يا أبا عمر، إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له

• «وأن من لا تقية له لا إيمان له»

• ويرى علماء الإمامية أن اللازم على المؤمن أن يسعى في زمان الغيبة لرفع التقية، وذلك ما يتضح من قراءة الأدعية المأثورة عن المعصومين: «اللهم واجعل الصحة والنور في سمعي وبصري (...) واجعل الإرشاد في عملي، والتسليم لأمرك مهادي وسندي، والرضا بقضائك وقدرك أقصى عزمي ونهايتي، وأبعد همي وغايتي، حتى لا أتقي أحداً من خلقك ديني، ولا أطلب به غير آخرتي».

وقد علل السيد هبة الدين الشهرستاني (من مجتهدي الإثنا عشرية) لزوم التقية تعليلاً معقولاً وذكر أن «الشيعة قد اشتهرت بالتقية أكثر من غيرها لأنها ابتليت باستمرار الضغط أكثر من أي أمة أخرى، فكانت مسلوبة الحرية في عهد الدولة الأموية وفي عهد العباسيين على طوله، وفي أكثر أيام الدولة العثمانية، ولأجله استشعروا بشعار التقية أكثر من أي قوم. وقد نقل الكليني عن الصادق وصية الإمام

علي لأصحابه قال فيها: «... فإذا حضرت بلية فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، فإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الهالك من هلك دينه». ولقد أول الفقهاء قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ فقالوا: ونقل عن الباقر قوله: «كلما تقارب هذا الأمر كان أشد للتقية». ويقول الصدوق القمي (المتوفى سنة ٣٨١/٩٩١-٩٩٢) «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة...»، ووقت رفعها بخروج القائم، وعزز ذلك بقوله: «من تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله ودين الإمامية وخالف الله ورسوله». والواقع أن صيحة الصدوق إنما هي صرخة معذب رأى زملاءه يعدّون ويهانون ويشردون فنادى بهذا الإصرار على التقية.

وأياً تكن مناحي النصوص التي تناولت التقية تعريفاً واجتهاداً وتأويلاً، فهي تعود على الجملة إلى الباعث التاريخي ومقتضيات الإحتدام. الأمر الذي يفترض التعامل معها كأطروحة سارية في الإجتمع السياسي وامتداداته المتعاقبة في التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية الشريفة.

أما كون مرجعها إلى الباعث السياسي فهو ما يشير إليه الشهرستاني في معرض تحقيقاته عن الفتن التي اجتاحت العالم الإسلامي بعد وفاة النبي ﷺ بقوله: «... ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلَّ على الإمامة في كل زمان». وبقطع النظر عن الظروف التي كادت أن تُسَلَّ فيها السيوف «يوم السقيفة»، أو تلك التي سُلَّت فيها السيوف فعلاً وتقاتل فيها مسلمون، فالأكيد أن الإحتدامات السياسية في الإسلام ليست وليدة الأمس القريب. فمنذ أن طرحت قضية خلافة الرسول ﷺ اعتبر البعض أن الأمر سياسي (دنيوي محض)، في حين تمسك البعض الآخر بقداسة الخلافة لكونها «وظيفة دينية». ولا يقصد بـ«البعض الآخر» الإمامية فحسب، بل إن التيار الأساسي (أي السلطة التاريخية) هو من عالج المشكل وباستمرار على «قاعدة دينية» حسب تعبير الشهرستاني.

ثم إنَّ الماوردي في «الأحكام السلطانية» سوف يتعرض للخلاف المعروف حول الإمامة وهل توجَّب بالعقل أو بالشرع؟ فيذكر أن طائفة قالت: «وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم عن المظالم». ولكنه عندما يعرض لشروط الإمام وواجباته، يعرض ويثبت البعد الديني للخطة. أما ابن تيمية فإنه يثبت أن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالإجماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد عند الإجماع من رأس»، لكنه يقرن بين وجوب الإمارة والإيمان بالله إذ يقول: «الواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها الى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات». ولئن ميّز ابن خلدون بين السياسة كواقع وممارسة، وكمطلب أخلاقي يسعى إليه، فهو يفصل بين الملك (الذي هو طبيعي للإجماع الإنساني) والخلافة (التي هي حمل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال دنياهم وآخرتهم). هكذا يتضح إذن أن الفكر السياسي (السني) رغم إمامه بالنظرية الشهيرة القائلة «إن الدولة من الأمور الطبيعية وإن الإنسان من طبعه حيوان مدني»، كان في عمومها لا يفصل بين الديني والسياسي. وباستثناء بعض الكتابات غير الرسمية مثل أعمال إخوان الصفا والفارابي وبعض ما يستشف من شروح ابن رشد للسياسة الأفلاطونية، فإن السلطة والمفكرين كانوا يخلطون قليلاً أو كثيراً عن قناعة أو عن ضرب من الماكيافيلية بين الدين والسياسة.

وما ينبغي ذكره في هذا الصدد أن غلبة التأمل الفلسفي ومهنة القضاء وشخصية الفقيه علي ابن رشد، جعلته يقف من التصوف (على سبيل المثال) موقف السكوت لا موقف الرفض، وكان يبدي صرامة في إذاعة مقالات الصوفية في المدينة الإسلامية خيفة الفتنة، كما أبدى الموقف نفسه من مقالات المتكلمين والتصريح بمقالات الفلسفة. لقد سكت ابن رشد كفقيه، عن المعرفة الصوفية لأغراض عملية. وبعضهم قال لأغراض النأي بنفسه عن الفتنة التي يفضي إليها القول بالإيمان العقلي (...). لكن، أكثر ما صرفه عن التصوف، أنه قد وجد في الفلسفة الحسنَى وزيادة، فالفضيلة

التي يرنو إليها التصوف لا تغيب عن الإهتمام الفلسفي حيث تقضل الفلسفة القول فيها في إطار أفق نظري يرضي طموح رجل غلبت عليه العبادة العقلية وطمحت همته إلى الفهم السببي العقلاني لكل الظواهر التي تحيط به؛ ذلك لأنه كان يؤمن أن العقل هو إدراك الأشياء بأسبابها، فكانت نظرتة إلى الفضائل نظرة فيلسوف كما كانت نظرتة إلى العبادة نظرة فيلسوف؛ وهكذا فقد أحصى الفضائل ورتبها وعرف منزلتها في المدينة، وأرشد إلى طرق حمل الناس عليها لتصبح المدينة مدينة فاضلة، كما نبه إلى أهمية العبادة العقلية المنصبة على التأمل في الكون عوض هذه العبادة التي تجعل الصوفي منكفئاً طوال الوقت على الذات وتكاد تصرفه عن الكون حوله. فإذا كانت الشريعة الخاصة بالحكماء، هي علم طريق الآخرة، الذي «هو العلم بكيفية تصقييل هذه المرأة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله، فإن هذه الشريعة عند ابن رشد هي العلم بالمصنوعات علماً تاماً لمعرفة الصانع معرفة تامة.

### بهاء الدين أو «البراكسيس» الإمامي:

لا يفضي الكلام على ميل الشيخ البهائي نحو مغادرة البيئة السياسية والاجتماعية التي عاشها في ظل العهد الصفوي، أنه أراد التحرر من التقية كعقيدة وكفلسفة سياسية، وإنما هو انتقال متدبر يفضي إلى طور جديد في اختباراتة العلمية والعملية. فلقد حلت التقية محلاً عقلانياً بيناً في تجربته الدينية والسياسية. ولذا يجوز الحديث في هذا المنحنى عما نسميه «بعقلانية التقية» عند الشيخ. فهي بهذه المنزلة إلى أدنى منهج عقلاني عملي أخذ به عن دارية لمقاربة الأفهام في المجتمعات الإسلامية بمراتبها المختلفة، سواء في المخاطبة القولية أو في المعاشة العملية.

ولسنا نغاير حقيقة المعنى لو نحن وضعنا التقية كعادل موضوعي للمفهوم الأرسطي حول «البراكسيس» الذي يستخدم غالباً بمعنى الحكمة العملية. والذي هو في ممارسة

البهائي عماد الفلسفة العملية في الفكر السياسي الشيعي. وإذا كان لنا من فسحة لمقاربة «البراكسيس» في صيغته الإمامية، فهو يعني فن فهم الإرتباط بين الممكن والمستحيل في زمان ومكان معيّن. ولذا فإن المسألة تتعلّق أولاً وأساساً بمدى تلاؤم التقية مع العقيدة على مبدأ التعقل والتناسب. و«العقيدة»، كما يبيّن القرآن الكريم والسنة الشريفة هي نظام إلهي يهدي إلى «العمل».. وبعبارة أخرى: العقيدة هي منظومة ذات مفاهيم وقواعد توجّه العامل في أعماله. ولأنّ دائرة الأعمال بحاجة إلى إتجاه واسع جداً، لذلك عليها أن تتناول الجذور وتعالج المصدر. والمصدر هو الذي يقدّم على الأقل، معنىً لوجود الإنسان، بحيث يمكن تعريف الكمال على أساسه، وأما السعادة فهي الوصول إلى الكمال، وبهذه الدالة فإنّ السعي إلى السعادة توجّهاً وتسويغاً عقلايين. عند أرسطو، نلاحظ أن مفهوم «البراكسيس» يعني العلوم والأبحاث النظرية لفهم مبنى العمل الإرادي للفرد. ثمّ إنه يقسّم مجال هذا العمل إلى ناحيتين مهمتين:

الأولى: العمل الإنفرادي للفرد الذي يتكفّل علم الأخلاق البحث فيه (Etics).

الثانية: عمل الفرد ضمن الجماعة، حيث يبدأ من العمل ضمن الأسرة وينتهي بالعمل ضمن «الدولة» (Polis).

وبما أنّ القسم الخاص بسلوك الإنسان ضمن جماعة كبيرة (الدولة) هو الجوهر الأساس للسياسة، فقد اكتسب أهمية كبرى. لكن يمكن القول بوجود مفهوم محدّد أكثر لـ«البراكسيس» في كتابات أرسطو، والذي اكتسب أهمية، خلال القرون: الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين.. أي النظر إليه باعتباره أساس السلوك السياسي للفرد، بمعنى وجود الفرد في الدولة ولما كانت الحكمة العملية الأرسطية قائمة في جوهرها على تعقل مسار السلوك البشري، وهذا شأن التقية، فلا بد إذاً من التمييز بين «العقلنة» و«العقلانية» لتبيّن ماهية «الممارسة التقوية» كما قصدت إليها الشريعة، وكما أخذ بها فقه الإمامية قولاً وعملاً. ومقتضى التمييز أن نحاكم كل من المصطلحين من خلال إحالة كل منهما إلى حقل المعاينة.

يعتقد كثيرون أنهم داخل حقل العقلانية، ويعملون بمقتضاها ويأخذون بالأسباب المفضية إليها، لكنهم في واقع أمرهم لا يكونون إلا داخل ما نسميه بـ«العقلنة». والفرق بين ما يحسبونه ممارسة عقلانية وما هم عليه في الحقيقة هو فرقٌ شاسع. فالعقلنة التي نتوخى تمييزها عن العقلانية في معرض بحثنا هي ما وجدنا أن نعالمها كنظير للأيديولوجيا أي جعل ما ليس معقولاً أمراً يجوز الأخذ به ما دام يطابق المصلحة. فـ«العقلنة» في هذه الحال تصير أداة لتوظيف ما توفر من ذكاء العقل خدمة لأغراض لا صلة لها بالمصالح العليا للأمة. أما العقلانية المسددة بالإيمان والتخلُّق وتشريعات الوحي فمن شأنها أن ترسم قواعد التناسب بين الوسائل والغايات، وذلك على أساس أن بلوغ الغايات الشريفة لا تصلح ولا تتكامل إلا بوسائل شريفة. وفي هذه الحالة يستطيع العقل أن يوفر الأدوات اللازمة لإدراك الواقع والسيطرة عليه، بينما يوفر الإيمان الإتجاه القيمي الذي تتم فيه ممارسة هذه السيطرة. وهذا النوع من المطابقة التي تقوم على عدم التباين بين شرف الوسيلة وشرف الغاية، سوف يمكن فاعله من العثور على استهداء خاص في إدارة التعقيد التاريخي. وهذا الإستهداء هو ما نعينه بالتقية الخلّاقة. تلك التي يستطيع العامل بدقائقها وأحكامها، المشاركة البناءة في مجتمع مكتظ بالتنوع، والمفارقة، والإختلاف. وبهذا المعنى لا يعود ثمة تناقض بين الإيمان والعقل. ولو كان ذلك كذلك لمال الإيمان إلى نزع الصفة الإنسانية عن الإنسان. فإن الإيمان الذي يدمر العقل يدمر نفسه أيضاً، ويدمر إنسانية الإنسان، كما يؤدي في النهاية إلى إفقاد الأمة المؤمنة فرصة الإهتمام بمهدبها المنتظر.

من هذا المنفسح المعرفي سنجد كيف قارب الشيخ البهائي عقلانيته الخلّاقة، لمّا إن اضطربت أحوال الدولة الصفوية وصار أمرها على شاكلة الممالك الآفلة. في تلك الحقبة المرتجّة التي انتهت إليها الدولة الصفوية، لم يكن أمام الشيخ إلا أن يتعالى على التحيّز المذهبي. فقد انبرى إلى العمل بحذرٍ شديدٍ وبتقوية خلّاقة مع تداييع الولاء الأيديولوجي لدولة، دفعها الإحتدام مع مملكة بني عثمان إلى توظيف الإنتماء إلى التشييع كسلاح إستراتيجي في المواجهة.

## مندرجات التقية

حين تتبوأ التقية منزلة مركزية في الفلسفة السياسية الدينية عند البهائي، فما ذاك إلا لأنها أخذت بحاكمية العقل والعقيدة في تطبيقاته واختباراته متعددة الأحوال والمندرجات.

لعل إستقراءً إجمالياً لـ «البراسيكس» الإمامي الذي اعتمده الشيخ بهاء الدين، سوف يقودنا إلى رؤية التقية كما ظهرت في سلوكه ضمن سلم من المندرجات: المندرج الأول: ينبغي أن ننظر إلى التقية عند البهائي بوصف كونها موجّهاً ميثاً استراتيجياً ينتظم التدبير وحركة الوصل والفصل في مجتمع مكتظ بفوضى الولاءات المذهبية والسياسية والقومية. وهذا ما سنطلق عليه وفقاً للإصطلاح الحديث بـ«فن إدارة التعقيد» بين السلطتين الدينية والسياسية.

المندرج الثاني: النظر إلى التقية بواقع كونها منهجاً يُتعرّف بواسطته على كل ما هو مجهول من المعارف التي زخر بها المجتمع الإسلامي المتنوع في عصره. والتعرّف عند البهائي يرقى إلى مرتبة الواجبية تأسيساً على قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. فأما التقوى فلا يحصلها إلا من أكرمه الله بها ليكون التعرّف بهذه المثابة كرامة ممنوحة من المعرّف إلى المتعرّف إليه.

المندرج الثالث: التقية بما هي جريّ رحمانى من الأنا العارفة بالحق إلى الآخر المختلف، لا بقصد تحويله عن دينه ومعتقده وإنما للإقرار له بما هو عليه من قناعات واعتقادات، سعياً إلى ترحيب بقاء حصيلته المعرفة والتسديد والموعظة الحسنة. ولقد عمل البهائي بهذا سواء في محاولته الكلامية والفقهية مع علماء أهل السنة والجماعة، أو مع من اختلف معهم في الرأي والإجتهد من فقهاء الشيعة. بل إن البهائي سيمضي فوق ذلك لينشئ خطبته «التقوية»، حتى مع السلطنة

العثمانية التي كانت آنذاك على عداوة موصوفة مع الدولة الصفوية. فجرى سعيه في هذا المسعى مجرى الدفع القرآني (بالتي هي أحسن) وذلك لحفظ الوحدة الحضارية للمجتمعات الإسلامية. مثلما جرى مجرى وصية أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشر في تصنيفه الإنسانية على وجه العدل التام بين أخ في الدين ونظير في الخلق.

**المندرج الرابع:** النظر إلى التقية عند البهائي كمنفسح رحب لتلاحم الآفاق في فضاء التعددية الكونية. فالرؤية المتعالية التي أخذ بها سوف تمتد إلى ما يتجاوز كل حدود العصبية والتحيز السلبي، ثم ليبين أن عالمية الإسلام وخاتمته محفوظة بالحقيقة المحمدية، وأن الحق سيظهر آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً بعدما ملأت جوراً.

وما ذاك عند البهائي الإدراكه حقيقة العدل الإلهي، وليقينه بأن مهمة المكلف هي الأخذ بالسنة التاريخية تمهيداً لظهور الحق عبر الحلقة الخاتمة التي ينجزها إمام الزمان في سلسلة الحقيقة المحمدية.

**المندرج الخامس:** التقية بوصفها سرّاً داخلاً في التاريخ وفاعلاً فيه. فالسر ملكة من ملكات الكائن البشري ومرتبة تكوينية من مراتب النفس الملهمة. وتوسيعاً في الإيضاح فقد يتمكن الإنسان بالتقية من التكيف مع ظروف وشروط اجتماعه في أحوال العسر واليسر، وفي القبض والبسط والانتصار والهزيمة. ولما كانت التقية تقوم على حركة الضمير المسدّد بالعقل، فمقصدها الرئيسي هو إخفاء المضر حتى استحقاقه، وإظهاره على الملأ متى أن أوانه. وليس في الأمر اجتماع لتقيضين، وإنما هو ضرب من التراتب قوامه التأخير والتقديم على قاعدة التقدير الرحماني. ذلك بأن التعارض في الأحكام العقلية مستحيل، لأن العقل لا يناقض نفسه بإصدار حكمين متعارضين في موضوع واحد.

## نقطة التوسط بين الفقه والتصوف

إذا كانت التقية عند الشيعة معادل للسر عند الصوفية لكنها في فلسفة التشيع سر إيجابي سيكون له مفعوله الإحيائي لو نحن نظرنا إليه من زاوية مآلاته ومقاصده. أي كطريق يتغيّر قيامية الأمة ورجوعها إلى الأخذ بأصالة الوحي وهديه. كل هذه الأركان التي مرّ ذكرها سوف نرى كيف سيجمعها البهائي ضمن دائرة العقلانية المخترنة في عقيدة أئمة أهل البيت وفي الجمع الخلاق بين ظاهر الشريعة وحقائق الوحي...

لم يقصر الشيخ البهائي التزامه العبادات على ظاهرها، وإنما مضى في التصعيد المعرفي ليتبين حقائقها، وطبقات الفهم التي يختزنها. ولقد أعرب عن ذلك في غير محل، كما في قوله في الكشكول «إنّ ذرّات الكائنات تنضح ليلاً ونهاراً بأفصح لسان، وتعظك سراً وجهاراً بأبلغ بيان، لكنه لا يفهم نصائحها الغبي البليد، ولا يعقل مواعظها إلا من ألقى السمع وهو الشهيد».

وسيفصح شعراً عن غربته بإزاء ما لقيه في أيامه من افتراء واختصام من فقهاء الحروف، وهو ما نلاحظه على نحوٍ بيّن في قصيدته «الفوز والأمان»:

وإني امرؤ لا يدرك الدهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري  
أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم، كي لا يفوّهوا بإنكاري  
في هذين البيتين إعراب بيّن عن المسلك التقوي لدى الشيخ. وهو إعراب يفضي إلى تظهير التناسب بين الحد الأقصى من الإيمان، مع ما يستلزمه ذلك من مجاهدات في الفهم والتأويل والكشف والتلقّي الربّاني، وبين استراتيجية إدارة تعقيدات الإجماع السياسي.

يدرك الشيخ البهائي، وهو الجامع لشرائط العمل بمقاصد الشريعة، أن ما لا يرتضيه التخلّق لا يرتضيه الشريعة، وما لا يتناسب مع الأخلاق وأحكام الوحي لا يقبله العقل. وتلك سلسلة متلازمة لا ينفصم عراها، ذاك أن أي خلل في أي حلقة من حلقاتها

يفضي إلى اختلال الحلقات على الجملة. وهذي هي العقلانية التي تتجز صواب أمرها من الحقيقة المحمدية حيث تتجلى في أعماله بولاية أهل البيت كبيان صريح للنبوّة السارية في التاريخ.

سوف تؤسس التقية التي أخذ بها البهائي كفلسفة سلوك في الإجماع السياسي الإسلامي، مساراً مميزاً في أزمنة الفتن والحروب الأهلية التي شهدتها المجتمعات الإسلامية. فقد بذل البهائي جهداً خاصاً في نزع اللبس الأيديولوجي عن التشيع، وراح يخرج ثقافة الإمامية من قلعته الصماء، ليجري قوله وسلوكه «مجرى الأمر بين الأمرين» التي أرسى أئمة أهل البيت عليهم السلام مركزاته العقائدية والمعرفية والأخلاقية والسياسية سحابة الأحقاب التي سبقت الغيبة الكبرى.

ولئن عايناً مسعاه التوحيدي وهو يقف على رأس العمل الديني في الدولة الصفوية، سيظهر لنا كيف كان يحفر ثقافة الوحي في الحقول المكتظة بالإضطراب والتنازع بين طوائف الأمة وأقوامها.

سيظهر لنا أيضاً، أن صلته بعلماء أهل السنة والجماعة أفلحت في اختراق جدران التحيز المذهبي والقومي التي انشأها الإحتدام بين الصفويين والعثمانيين.

مثل هذا المنهج المتعالي والمفارق الذي أخذ به الشيخ البهائي سوف يمنح التقية بعداً خلاقاً يوازن بين موقعيته كمؤثر في حركة القرار السياسي للدولة الصفوية، وبين كونه عالماً ربانياً جاهد في الله فهداه الله إلى صراط العدل.

من حصائد منهج كهذا، أن كل طائفة من طوائف المسلمين كانت تسببه إليها. حتى أن المحدث التسجري ينقل عن الشيخ عمر وهو أحد علماء البصرة قوله: إن بهاء الدين محمداً هو من أهل السنة والجماعة إلا أنه كان يتقي من سلطان الرافضة، ويقصد الشاه عباس الصفوي.

واللافت، أن من علماء السنة من أقروا له بذلك النوع المتسامي من التقية بإزاء سلطة كانت بالنسبة إليهم عدواً غاشماً. وما ذاك إلا لاستهداء العامل بالقرآن والسنة

وتوجيهات المعصومين من حملة بيانات الوحي. على أن ما يستدل به على مفارقة العاملي «التقية السلبية» حيال هذه المنهجية، أنه في محاوراته مع كبار علماء السنة في مصر والشام وحب، غالباً ما كان يخفي تشييعه كما يروي الخوانساري في «روضات الجنات». فلقد مضى إلى هذا الموقف وهو على يقين من أنه بذلك إنما يستأنف عهداً قرآنياً تفترضه عليه عين الحقيقة المحمدية السارية في الزمن من غير انقطاع.

ولسوف يتبين لنا بوضوح مدى سعيه إلى إيجاد منفسح يرتفع بالتقية إلى مرتبة تستحق مكانتها في الحقيقة الدينية. فسناه يمارسها حتى وهو في حضرة السلطة التي منحته مشيخة الإسلام. فقد أراد بها الحد من المظالم والإستبداد ليعيش صراعاً حاداً في نفسه بين الإمتيازات المعطاة له، وبين قناعاته كعارف بالله ومكلف بإحياء أمر الإسلام ومقاصد الوحي. فقد كانت لغة الوعظ تظهر لديه بقوة في كثير من المواقع في مواجهة السلطة. وكان يردّد على الدوام ما تعلم من أبيه «شر العلماء من لازم الملوك، وخير الملوك من لازم العلماء». وهذا الأمر يفسر لنا قول ابن معصوم واصفاً حال الشيخ: لم يزل أنفاً عن الإنحباس إلى السلطان راغباً في الغربية عن الأوطان يؤمل العودة إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة ولم يقدر حتى وافته حمأه».

كان على الشيخ البهائي أن يمضي في مواجهة غربته إلى الحد الأقصى من الإلتزام بمشروع الوحي. وهكذا سيعمل بمبدأ الهروب إلى الله مما توجه عليه الفتن واهتزازات الواقع السياسي من مواقف تغاير قناعاته. وتلك كانت خاصية رهط كبير من علماء الإمامية وعرفائها عندما يضطروهم اليأس من مداراة السلطة إلى تجاوز الشروط التاريخية للعمل بالتقية على الجملة. كما في الدعاء الذي يرويه السيد ابن طاووس في مصباح الزائر: «اللهم اجعلنا يا رب ممن لا حاجة به إلى التقية في خلقك».

عند هذه المرتبة بالذات سنرى كيف بلغت اختبارات الشيخ البهائي «التقوية» حدها الأقصى، ليصرّح في إحدى سوانحه في «الكشكول»: «إذا اغارت جيوش الضعف على مملكة القوى بالعزلة والإنزواء عن الخلق فاسأل ربك التوفيق ولا تبال إذا عدم

الرقيق الشفيق». وفي إحدى قصائده يقول: «إن العزلة إنما تأتت بالعزلة يا هذا.. فما ينبغي أنت من الإختلاط بهذا وذاك.. توجه نحو العزلة أيها الفرد الحكيم وتفرّد عن جميع ما سوى الله.. فالعزلة هي الكنز المطلوب يا حزين يضيف: لكن إذا اقترنت بعلم وزهد فالعزلة بلا زاي الزهد علة وبلا عين العلم زلة».

ها هنا عود على بدء. لكأني به يقطع قوس الصعود في أول أمره ثم يمضي إلى قطع قوس النزول في أواسط امره، ثم ليعود كرة ثانية إلى قوس الصعود، آخذاً بطريق أهل الحق سبيلاً ينجيه من شرك التدافع. هذا ما سنلاحظه في نهاية كتابه «الحبل المتين» حيث يتوسل إلى الله تعالى: «أن يجعل بقية العمر مقصورة على الطاعات، وتدارك ما فات، مجنباً من التدنّس بأدناس السيئات، مصروفة في اكتساب السعادات الحقيقية». مع ذلك كان البهائي يدرك حقيقة أحواله الماضية وما آل إليه حاله في آخر عمره. ذلك ما يفصح عنه في إحدى سوانحه في الكشكول بقوله: «مصاحب الملك محسود بين الأنام من الخاص والعام، لكنه في الحقيقة مرحوم لما يرد عليه من الهموم الخفية التي لا يطلع الناس عليها، ولا تصل أنظارهم إليها».

### التشيع كوالد للتصوّف:

لم يتم اللقاء بين التصوف والتشيع في اختبارات الشيخ البهائي على سبيل المصادفة. ومثل هذا اللقاء، كان حاصل مناخ روحاني وعقائدي واحد يعود في مصادره الأولى إلى حقيقة الوحي ومقاصده. وسوف يتبين لنا كيف تظهرن التقية الخلّاقة في فلسفته السياسية كحصيلة منطقية لتلك العروة الوثقى بين التشيع والعرفان. ونستطيع أن نمضي إلى أبعد من ذلك لنرى أن ليس ثمة «بينية إنفصال» في صلة التشيع بالتصوف، وإنما هما كينونة واحدة تستوي فيها العلاقة بينهما على مبدأ الوالدية وبذلك يكون الثاني حاصل الأول، ولا تكون التقية في ذلك المبدأ سوى طريقة لتظهير حقيقة الوحي في مقام سريانه في الزمن.

فالتقية بهذه الدالة هي جوهر التصوف وراذؤه. ذلك لأن مقتضى العلم بباطن الشريعة، إنما هو إظهار الحقيقة بالإشارة والضمن بها على غير أهلها بعبارات لا يفقه سرها إلا الراسخون في التأويل. وأما التقية في السيرورة الإعتقادية والمعرفية عند الإمامية فمهمتها تظهير التواؤم والجمع بين شريعة الإسلام وطريقة أئمة آل البيت عليهم السلام في بيان الشريعة ومقاصدها. بهذا المعنى تدخل التقية كلازمة تأسيسية للمذهب الإمامي، فضلاً عن الصوفية، حيال التعاطي مع حركة المجتمع وما يترتب عليه في كل آن من شرائط وأساليب عمل. وهي تكون بذلك فعلاً ظاهراً لباطن عميق متصل بأسرار الوحي.

وما يجعل التشيع يقوم مقام الوالدية للتصوف أن كبار أولياء الصوفية أخذوا بعقيدة عصمة الأئمة من آل النبي وصولاً إلى الإمام الثاني عشر. وما ذاك إلا لينكشف لنا كيف أن الصوفية استنزلت ظاهر الإعتقاد الشيعي بعصمة الأئمة إلى باطن عقيدتهم، إذ تعدّ العصمة عندهم مصدراً من مصادر أسرارهم المقدسة.

ولا تتوقف التقية وهي تسلك بصاحبها إلى غايتها القصوى، على ولادة واحدة، فإنما هي متعددة الولادات. بل إنها تستصح عما لا حصر له من ظهورات الحقيقة الإلهية في نفس السالك. فلكي يُحصّل التوحيد المخلص من شوائب الشرك، سيكون على الموحّد أن يسدّد توحيده بسلسلة من المراتب والمقامات أهمها الزهد بعد التوبة من المعصية والورع من محارم الله.

دخلت التقية كما مرّ معنا دخولاً جوهرياً في الممارسة الدينية لعلماء الإمامية وفقهاؤها العارفين من أمثال الشيخ البهائي. فقد شكّل مقام الزهد في العرفان العنوان المفارق في الإجماع الديني السياسي.

ففي الكوفة التي نبتت في أرضها الممارسة الزهدية، سيكون لنا أمثلة بيّنة على صلة التقية بالصوفية وبالإمامية على وجه الخصوص. ونقرأ في أصول الكافي للكليني، أن منصور بن المعتمر كان يقضي الليل في النواح والبكاء، فإذا أصبح الصباح «كحلّ عينيه ودهن رأسه... وخرج إلى الناس».

هذا بطبيعة الحال ضربٌ من التقية كما أداها بعض كبار المتصوفة لكنها هنا ليست من نوع المحافظة على الحياة ونفي قدر القتل عن النفس، وإنما هي إخفاء للزهد في القلب دون المظهر لئلا يفتن المرء أو يملكه العجب، ولئلا يحمل الناس تظاهره بالزهد محمل طلب الشهرة. «الملامتية» كمختبر تواصل. لقد سرت التقية من الشيعة إلى واحدة من أبرز ظواهر التصوف الأول في التاريخ الإسلامي ونعني بها «الملامتية». ففي الكوفة كانت مواطن الملامة الأولى، وسيتبين لنا أن الصلة بين الملامة والتقية تكاد تبلغ حد المطابقة. ويكفي هنا أن نورد صفة الملامتي هي أنه «الذي لا يظهر خيراً ولا يضمراً»، وقد أظهر حمدون القصار (المتوفى سنة ٢٧١ / ٨٨٤-٨٨٥) جوهر الملامة المتصل بالتقية في قوله: «إذا رأيت سكراناً فتمايل لئلا تبغي عليه فُتبتلى بمثل ذلك».

وإذا كان لنا أن نرى إلى الصوفية كممارسة إجتماعية، فسنجد أن من أبرز آليات اشتغالها في السير وسط عالم ممتلىء بنوازع الظلم، هي كتمان السر وذلك يدل على حضور التقية في صميم عمل السالك وأسفاره المعنوية من عالم الخلق إلى عالم الحق. على سبيل الذكر، كان الجنيد البغدادي نفسه عاملاً بالتقية ومستتراً بها. حتى إنه كان «لا يتكلم قط في علم التوحيد إلا في قعر بيته بعد أن يغلق أبواب داره ويأخذ مفاتيحها ويقول: أتحبون أن يكذب الناس أولياء الله وخاصيته ويرموهم بالكفر والزندقة؟». ولعل من أوضح الأمثلة على رسوخ التقية في البيئات الصوفية قول الشعراني، لمناسبة محاولته إدماج المذاهب الفقهية في مذهب واحد نادى به، «فعلیکم أيها الإخوان باحتمال الأذى ممن يجادلکم في صحة هذا الميزان (= الرسالة التي شرح فيها مذهبه) ... فإنه معذور لا يكاد يسلم لي صحتها لغرابتها». وقال في موضع آخر: «ولو قام لي ألف مجادلٍ يجادلني على ترجيح مذهب على مذهب بغير دليل واضح لا أرجح إليه في قلبي، وإنما أرجح إليه إن رجعت مداراة لحجابه وأقول له: نعم مذهبك أرجح، أعني عنده لا عندي».

ويليق بالمقام أن نذكر أن الصوفية قد أخفوا أخذهم التقية لئلا يلحقوا بالشيعة فيضاعفوا من النعمة عليهم كعهدنا بهم في كل ما يصلهم بالتشيع، حتى لقد وجدنا السراج يذكر التقية ويعني بها التقوى والصلاح والإخلاص، وكذلك فعل الجنيد (المتوفى سنة ٢٩٨ / ٩١٠ - ٩١١) والحارث المحاسبي (المتوفى سنة ٢٤٣ / ٨٥٧ - ٨٥٨) وأبو سعيد الخراز (المتوفى سنة ٢٨٦ / ٨٩٩ حين قالوا: «التقية استواء السر والعلانية»). ولكنهم لم يستطيعوا أن يمنعونا من تبين معنى التقية من قول سهل بن عبد الله التستري (المتوفى سنة ٢٨٣ / ٨٩٦): «الفقير يلزمه ثلاثة أشياء: حفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره». ولمعترض أن يلاحظ أن هذه التقية خفيفة، وحفظ السر قد يكون بالسكوت عن التعبير عن الخوارج لا بالتظاهر بعكس ما يكنه المرء. ولكن التقية ليست إمدارة للمجتمع في عقائده وامتناعاً عن إثارته بما قد يستفزه من عقيدة المتقي، والسكون في حد ذاته نوع من المدارة. وبذلك تكون التقية من لوازم الصوفية في الظروف التي يخشى عليهم فيها من ثورة الناس أو السلطان، ولوم المتصوفة للحلاج على البوح بالأسرار دليل على ذلك.

### مفهوم العصمة عند الصوفية:

من الأمور التي لم يلتفت إليها الباحثون، موافقة المتصوفة والشيعة في إسباغ العصمة على الأولياء والأئمة وهو الأمر الذي أدى إلى تسييل التشيع لدى الدولة الصوفية واعتماده مذهباً لها، هذه الحقيقة التاريخية أدركها البهائي بعمق، لَمَّا وجد بالمعاصرة كيف مهد التصوف طريق أهل فارس إلى عقيدة التشيع وكيف شكلت العصمة القاعدة الإعتقادية الرئيسة في عملية التحول على أساس أن الإمام كما يروى عن هشام بن الحكم الكوفي هو أحوج إلى العصمة من النبي ﷺ لأن الثاني يوحى إليه فيسدد الله خطاه، وأما الأول فلا يوحى إليه ولذلك يحتاج إلى العصمة. أما المتصوفة فقد قالوا بذلك ولكن على صورة غير مباشرة، وكان غرضهم من ذلك إخفاء التوافق

الواضح بينهم وبين التشيع بعد أن جهدوا في ستر هذه الصلوات ذلك الزمن الطويل. ولعل أول من أخفى القول الصريح بالعصمة هم أصحاب كتب التصوف، وهم متأخرون عن بدايته فسموها بالحفظ، فقال الكلاباذي: «ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر من أن تقع تحت الإحصاء والعد». وقد عرض القشيري لهذه المسألة صراحة فتساءل عما لو يكون الولي معصوماً؟ ثم أجاب بقوله: «أما وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا، وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم. ولقد قيل للجنيد: العارف يزني يا أبا القاسم؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً». ولكن كيف نفسر هذه الإطرافة من الجنيد؟ لو كان الأمر صريحاً سهل التقدير لرأيناه (وهو سيد الطائفة) يجيب دون إبطاء بنفي العصمة، غير أن تردده جعل الأمر معقداً وزاد تعقيداً إجابته المبهمه وبخاصة أن الآية التالية هي: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ فهل قصد الجنيد إسباغ العصمة على الأولياء كما أسبغت على الأنبياء، وقد أشار من طرف خفي إلى المقابلة بين تبليغ رسالة التصوف وتبليغ رسالة الشريعة، وهما عند المتصوفة وجهان لحقيقة واحدة؟ ونظرة أخرى إلى عبارة القشيري توضح الأمر وتجلوه، في قوله: «ويجوز أن يكون من جملة كرامات ولي الله أن يعلم أنه مأمون العاقبة وأنه لا تتغير عاقبته، فلتتحقق هذه المسألة بما ذكر أن الولي يجوز أن يعلم أنه ولي». فكيف يعلم الولي أنه ولي وذلك توفيق إلهي ولا يكون موصوفاً بالصفات الإلهية ومنها بعده عن أن يخطئ؟ ويزيد الأمر وضوحاً قول القشيري أيضاً: «وأعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة من المعاصي والمخالفات». ثم إن القشيري قد عرّف الولي تعريفاً ينصبّ على هذا المعنى فقال: «يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون فعيلاً مبالغة من الفاعل كالعليم والتقدير وغيره، ويكون معناه ما توالى طاعته من غير تخلل معصية، ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول كقتيل

بمعنى مقتول... وهو الذي يتولّى الحقّ سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتولي فلا يخلق له الخذلان الذي هو قدرة العصيان، وإنما يديم له التوفيق الذي هو قدرة الطاعة، قال الله تعالى: «فإذا كان الله لا يخلق للولي الخذلان الذي هو قدرة العصيان فكيف لا يكون معصوماً»؛ ويتأكد الإتصال بين الصوفية والشيعية بقول ابن عربي: «فإن من شرط الإمام الباطن أن يكون معصوماً وليس الظاهر إن كان غيره يكون له مقام العصمة».

وحسب ابن عربي، إن النبوة الظاهرة هي تلك التي انقطع ظهورها، وأما الباطنة فلا تزال في الدنيا والآخرة؛ لأن الوحي الإلهي والإنزال الربّاني لا ينقطع إذ به حفظ العالم. ويقرر ابن عربي أن تلقيات الموحدين تكون «بحسب تجريده وصحة قصده وعصمته في طريقه». وأبو الحسن الشاذلي فإنه يصرّح تصريحاً بالعصمة ويرى، من غير لبس ولا إبهام، أن من خواص القطب «إمداد الله (له) بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة».

### التقيّة كمعادل للسر الصوفي:

يُعرّف الصوفي بالسالك الذي يحفظ سر أحواله ومقاماته ومقاصده عمّن ليس من أهل الحق. والملا متي بوصفه حفيظاً على سر الله حيث يكتّم في نفسه ما بينه وبين ربه على عدم التحقق من التقصير... وهو يفضل أن يكون مظهره مظهر المذنبين على أن يصرفه تعظيم الناس له عن الله»، وذهب بعضهم في تعريف الملاّمة بأنها «ترك التزيّن للخلق بحال وترك طلب رضاهم في نوع من الأخلاق والأحوال، وألا يأخذك في الله لومة لائم». والواقع أن الملاّمتية لم يكونوا يقصدون ازدراء الإحتقار، وإنما كانوا يقصدون إخفاء الأسرار بتحمل الأذى في سبيله فليس في الأمر ازدراء وإنما هي الفتوة التي تطورت من مطابقة الظاهر للباطن إلى الحرص على ما في الباطن ولو بتحمل الأذى من الناس. وفي رأي أبي حفص الحداد أنهم: «قاموا مع الحق تعالى

على حفظ أوقاتهم ومراعاة أسرارهم فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات وأظهروا الخلق قبائح ما هم فيه وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم».

ومن الأمثلة على جوهر الملامة القصة التي أوردها الشيخ بهاء الدين في الكشكول عن أبي حفص الحداد في تأديبه مريده أبا عثمان الحيري يقول فقد «أودع تاجر من تجار نيسابور جارية عند الشيخ أبي عثمان الحيري، فوقع نظر الشيخ عليها يوماً فعشقتها وشغف بها، فكتب إلى شيخه أبي حفص بالحال فأجابه بالأمر بالسفر إلى الري إلى صحبة الشيخ يوسف. فلما وصل إلى الري وسأل الناس عن منزل الشيخ يوسف أكثر الناس في ملامته وقالوا : كيف يسأل تقي مثلك عن بيت شقي فاسد؟! فرجع إلى نيسابور وقص على شيخه القصة، فأمره بالعودة إلى الري وملاقة الشيخ يوسف. فلم يبالي بدم الناس له وازدراهم به، فقيل له: إنه في محلة الخمارة. فأتى إليه وسلم عليه فرد عليه السلام وعظمه، وكان إلى جانبه صبي بارع الجمال وإلى جانبه الآخر زجاجة مملوءة من شيء كأنه الخمر بعينه! فقال له الشيخ أبو عثمان: ما هذا المنزل في هذه المحلة؟ فقال: إن ظالماً شري بيوت أصحابنا وصيرها خمارة ولم يحتج إلى شراء داري. فقال: وما هذا الغلام؟ وما هذه الخمر؟ فقال: أما الغلام فولدي من صلبتي وأما الزجاجة فخل. فقال له: ولم توقع نفسك في مقام التهمة بين الناس؟ فقال: لئلا يعتقدوا أنني ثقة أمين ويستودعوني جوارهم فأبتلى بحبهن! فبكى أبو عثمان بكاءً شديداً وعلم قصة شيخه».

ولو عايناً موقف الشيخ البهائي العاملي من رهط صوفية عصره لعرفنا منطقة التقاطع بين عرفانه وسلوك الملامية. وقد ذكر الباحثون «أن الملامية قوم ثائرون على الكثير مما كان مقروراً ومعترفاً به عند الصوفية وغيرهم من رجال الدين». بذلك يتضح جوهر الملامية الذين صبوا حركتهم في فرقة تختلف عن مثيلاتها من جماعات المتصوفة بحيث صار لهم اسم خاص وتعاليم خاصة ومثل خاصة. وثمة من

يذهب إلى ربط اصطلاح الملامتية ببعض الآيات القرآنية التي ورد فيها اللوم كقوله تعالى: ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ وقوله: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾. فيتضح بناءً على هذا استقلال الملامتية في الرأي وتعينها باعتبارها فرقة صوفية ذات اتجاه معين.

هل ثمة مشترك في هذا الحقل السلوكي بين الملامتية والشيعة؟ سؤال قد يجد له مكاناً للمقاربة حين يكون مجالنا الكلام على التقية. فهذه وإن اتخذت حضورها العميق في علوم الكلام والفقه لدى أئمة الشيعة وعلمائهم فهي متصلة اتصالاً وطيداً بمفهوم السر عند المتصوفة والعرفاء. وبهذا الإتصال تبدو التقية كما لو أنها الأقرب شهاً وتوازياً بالملامة ولكن على نشأة صوفية. فالملامتية تتطلب على سبيل المثال، ألا يظهر مريدها عبادته أو ورعه أو زهده أو حاله. وقد ورد في أصول الكافي أن الرسول ﷺ يقول برواية الإمام الباقر عليه السلام: «من طلب رضا الناس بسخط الخالق جعل الله حامده من الناس دأماً». ولذا فإن التقارب بين الملامتية والشيعة ظاهر من الأخبار الواردة من الأئمة عن التقية.

يتبين التشابه بين التقية الشيعية واللامتية التي عاش الشيخ البهائي أجواءها في فترة صعود الدولة الصفوية. فقد ظهرت الملامتية كطريقة صوفية مستمدة من توجيهات أئمة أهل البيت والروايات المنسوبة إليهم.

لعل من أظهر الأدلة على تلازم التقية بالسر تنبيهات الأولياء إلى حجب العلم اللدني الآتي من الحق على قلوب خواص الخلق عن عوام الخلق. والتنبيه إلى عدم إذاعة الأسرار جاء من الولي الأول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد رأينا كيف كان الإمام يسدي النصح إلى بعض الصحابة ممن يشتملون على هذا العلم كحذيفة بن اليمان بقوله: «يا حذيفة لا تحدث الناس بما لا يعرفون فيطغوا ويكفروا».

والحق أن أكابر الصوفية قد اعتبروا الولاية نوعاً من الإمامة لأنها وارثة النبوة وطبقوا مثل الإمامة كما مر بنا، وهذا التستري يخبرنا «أن الله ما استولى ولياً من

أمة محمد ﷺ إلا علمه القرآن إما ظاهراً وإما باطناً. قيل له إن الظاهر نعرفه، فالباطن ما هو؟ قال: فهمه، وأن فهمه هو المراد، ومن كلام الصادق عليه السلام حين سأله سائل عن حدود العلم وهل هو الممتد من الكتب السماوية إلى القرآن ومعرفة الأسرار؟ فأجاب الصادق عليه السلام: «ليس هذا هو العلم، إن العلم هو الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة». ومن هنا نستطيع أن ندرك «كيف سهّل على المتصوفة بعد أن سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلاً من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أياً كانت ويقولوا: إن التصوف ليس في الحقيقة إلا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ».

تأسيساً على ما مرّت الإشارة إليه من الإتصال العميق بين الإمامية والعرفان، يظهر لنا بجلاء كيف أفلح البهائي في تسطير إختبارات فريدة، سمّت بالتقية كمنهج نظري وممارسة إلى مصاف الحكمة العملية.

ومع أنه رضي بالتقية كضرورة تقتضيها موقعيته الدينية والسياسية، وعمل بها كأمر تكليفي، فقد مضى ليعرب عن مشقة الإختبار، وعن حزنه على ما صرّفه من وقت في مجتمع يكتظ بالفتن.

في نهاية كتابه «الحبل المتين» سنجده يتوسل الحق تعالى: «أن يجعل بقية العمر مقصورة على الطاعات، وتدارك ما فات. مجنّبةً من التدنّس بأدناس السيئات، مصروفة في اكتساب السعادات الحقيقية».

يفصح هذا التوسل لدى البهائي عن القسوة التي عاشها وهو على مقربة من سلطة الحاكم. ففي أعماقه لم يكن راضياً عن علاقته بالشاه. ذلك ليقينه من أن منطق السلطة لا يستوي على التكافؤ والخيرية مع منطق الفقيه العالم. وهو ما وصفه في أحد سوانحه في الكشكول بالقول: «مصاحب الملك محسود بين الأنام من الخاص والعام، لكنه في الحقيقة مرحوم، لما يرد عليه من الهموم الخفية التي لا يطلع الناس عليها، ولا تصل أنظارهم إليها. ولذلك قال الحكماء: صاحب السلطان كراكب

الأسد، بينما هو فرسه إذ هو فريسته، فلا تكن مغروراً من جليس الملك وأنيسه، بما تشاهد من ظاهر حاله، وانظر بعين الباطن إلى توزع ماله، وسوء مآله، وتقلب أحواله» ثم إنه كان يردد «من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة». لقد كان طبيعياً من عالم فقيه مثله أن تتعمق محنته، فهو في قرارة نفسه غير راض عن ارتباطه بالحاكم مع ما جرَّ عليه ذلك الإرتباط من قيل وقال، ونزاع وجدال، فكان ذلك من بواعث تنغيص حياته أحياناً فيلجأ إلى العزلة تنفيساً عن كربته: «العزلة عن الخلق هي الطريق الأقوم للأسد»، كما ورد في الحديث: «فر من الخلق فرارك من الأسد»، فطوبى لمن لا يعرفونه بشيء من الفضائل والمزايا، فالفرار الفرار عنهم والبدارَ البدارَ إلى الخلاص منهم، وبهذا يظهر أن الإشتهار بالفضائل من جملة الآفات، وأنَّ خمول الإسم أمانٌ من المخافات. فاحبس نفسك في زاوية العزلة، فإنَّ عزلة المرء عزُّ له» .

مع ذلك فالعزلة لم تكن مستطاعةً بالنسبة إليه، لذلك ظلَّ هذا القول ضمن حدود الدعوة أو الأمنية، لأنه آل على نفسه أن يعايش الناس، ويسعى جاهداً إلى الإصلاح ما أمكنه ذلك، لذا فإن معاشته للناس، وتعرُّفه أحوالهم، جعلت ظنَّه يسوءً بالنسبة إلى زمانه وأهل زمانه: «من طلب في هذا الزمان عالماً عاملاً بعلمه بقي بلا علم، ومن طلبَ طعاماً بلا شبهة بقي بلا طعام... ومن طلب صديقاً بغير عتب بقي بلا صديق» .

لقد حلتَّ التقية في فكر وسلوك الشيخ العاملي في المحل الذي يرفعها إلى مقام فلسفة العمل. فهي عنده لا تتوقف على شأن واحد من شؤون السفر في عالم الخلق، وإنما شكلت منهجاً يستهدي به إلى صراط الدنيا والدين ليضع بوساطتها الأمور في مواضعها على نصاب العدل والتناسب.



# التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

## الشيخ حسن علي أكبريان<sup>(١)</sup>

يتعرض هذا المقال إلى موضوع التبويب الفقهي وموضع تقسيم المسائل في كل باب، في كتابي الشيخ البهائي الفقهيين: الإثنا عشرية في الصلاة اليومية والجامع العباسي. والأول دون باللغة العربية، وترجم باللغة الفارسية، ولكن الثاني فهو باللغة الفارسية ولم يترجم إلى العربية.

والمراد بالتبويب الفقهي هو تقسيم مسائل الفقه إلى أقسام وبترتيب معين على أساس علمي أو فني، ويعنون كل قسم بعنوان عام، ثم تقسيمه إلى أقسام أخص؛ كتقسيم مسائل الفقه إلى: العبادات والمعاملات، وتقسيم العبادات إلى: الطهارة والصلاة و... وتقسيم المعاملات إلى: ما يحتاج إلى اللفظ وما لا يحتاج إليه، ثم تقسيم ما يحتاجه إلى: العقود والإيقاعات.

ويعدّ مبحث التبويب الفقهي من مباحث «فلسفة الفقه»؛ إذ العلوم به يؤثر في العلم التاريخية لعلم الفقه، وبالمدارس الفقهية والوقوف على مذاقاتها المختلفة، ورؤاها

---

(١) عضو الهيئة العلمية للمركز العالي في حوزة (قم).

العامّة تجاه الأشياء.

ومن المباحث المهمّة على هذا الصعيد هو أن التبويب الفقهي هل هو اعتباري أو أمر حقيقي؟ وهل أنّه يؤثّر في عملية الإستنباط أو هو صرف تنظيم؟ وهل هناك فرق بين التبويب الفقهي في مجال العلم وبينه في مجال التعليم والتدريس؟ وهل هناك فرق بين التبويب في مجال الفقه الإستدلالي وبينه في الرسائل العملية التي هي صرف فتوى؟

وهذه الدراسة تتعرض إلى تبويب الكتابين الإثنا عشرية في الصلاة اليومية والجامع العباسي لنقف على مذاق الشيخ البهائي في تبويبه الفقهي، ومنهما نعلم منهاجه في هذا الإطار. فبيّنت إثني عشر أمراً ضمن دراسة موجزة عن تبويب كتاب الإثنا عشرية، وإثني عشر أمراً في ضمن دراسة مختصرة حول تبويب كتاب الجامع العباسي، فتقع هذه الورقة المقدّمة إلى مؤتمر تكريم الشيخ البهائي في فصلين.

## الفصل الأول:

### تبويب الفقهي لكتاب «الإثنا عشرية في الصلاة اليومية»:

والكلام فيه يقع ضمن إثني عشر أمراً:

الأمر الأول: إن تقسيم مسائل الصلاة في هذا الكتاب من مبتكرات الشيخ البهائي؛ لأن التقسيم المتداول لهذه المسائل قبله وبعده كان سائلاً على منهج المحقق والعلامة الحليين. وأما منهج الشيخ البهائي فقد كان فنياً عددياً، كما كان منطقياً أيضاً. أما وجه الفنية العددية أنه جعل أبواب كتاب الصلاة إثني عشر باباً، وأدرج في كل باب اثني عشرة مسألة، وسماه «الإثنا عشرية» إشارة إلى مذهب الإمامية الإثني عشرية.

ولقد أتبعه في هذا المنهج الشيخ الحر العاملي في كتابه «الإثنا عشرية في الرد على الصوفية» إلا أن التبويب في كتاب الشيخ البهائي أكثر صعوبة؛ لأن أبواب ومسائل الصلاة محددة ومعينة لا يسهل التجول فيها، بخلاف كتاب الشيخ الحر، إذ الأبواب والفصول والمسائل فيه غير محددة فأتاحت للشيخ الحر فرصة التجول بحرية أكثر. وأما وجه المنطقية فإنه يبيّن على ثلاث تقسيمات منطقية. يقول موضحاً «إنّ الأمور المعتبرة في الصلوات الخمس إثنا عشر نوعاً، لأنها: إمّا أفعال أو تروك. وكلّ منها: إمّا واجبة أو مستحبة. وكلّ منها: إمّا لسانية أو جنانية أو أركانية. فصارت مسائل هذه المقالة الإثنا عشرية منحصرة في إثني عشر فصلاً». فيكون تفصيل تلك الأقسام إثني عشر نوعاً.

وهذه الهيكلية العامة لمباحث الصلاة لم تكن قبل الشيخ البهائي وكذلك بعده، إذ هي من مبتكراته وإبداعاته في التدوين، فإن المتعارف فيها تقسيم المباحث إلى: الوقت والقبلة واللباس والمكان وما يسجد عليه، ثم الأذان وأجزاء الصلاة؛ أو ما يقرب ذلك كما صنعه الشيخ البهائي نفسه في كتابه الآخر: الجامع العباسي.

وعلى أي حال، فالإثنا عشر نوعاً هي:

١. الأفعال الواجبة اللسانية؛

٢. الأفعال الواجبة الجنانية؛

٣. الأفعال الواجبة الأركانانية؛

٤. الأفعال المستحبة اللسانية؛

٥. الأفعال المستحبة الجنانية؛

٦. الأفعال المستحبة الأركانانية؛

٧. التروك الواجبة اللسانية؛

٨. التروك الواجبة الجنانية؛

٩. التروك الواجبة الأركانانية؛

١٠. التروك المستحبة اللسانية؛

١١. التروك المستحبة الجنانية؛

١٢. التروك المستحبة الأركانانية.

الأمر الثاني: إنه بيّن في الأفعال الواجبة اللسانية إثني عشرة مسألة، هي:

١. تكبير الإحرام؛

٢. قراءة الحمد في الثنائية وأولي غيرها؛

٣. قراءة سورة كاملة بعد الحمد؛

٤. مطابقة القراءة لأحادي القراءات السبع؛

٥. الجهر للرجل؛

٦. ذكر الركوع والسجود؛

٧. التشهد في الثنائية مرة وفي الثلاثية والرابعة مرتين؛

٨. الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليه وعليهم بعد الشهادتين؛

٩. التسليم؛

١٠. إخراج حروف جميع ما يجب التلفظ به من الأذكار وغيرها من المخارج

المقررة؛

١١. عربية جميع ما يتلفظ به واجباً أو مستحباً؛

١٢. التلفظ بما يجب التلفظ به عن ظهر القلب.

والملاحظ فيه: أنه بين فيها جميع الأذكار الواجبة من تكبيرة الإحرام إلى التسليم، وغير الإذكار من الواجبات اللسانية كـ «الجهر للرجال»، «إخراج حروف جميع ما يجب التلفظ به من الإذكار وغيرها من المخارج المقررة»، «عربية جميع ما يتلفظ به واجباً أو مستحباً حتى القنوت»، «التلفظ بما يجب التلفظ به عن ظهر القلب» فلم يعنون هذا النوع بـ «الأذكار الواجبة» بل بـ «الواجبات اللسانية» وفائدة عنوانه إمكان إدراج كفيات الأذكار فيها.

الأمر الثالث: أنه بين في الأفعال الواجبة الجنانية إثني عشر مسألة، هي:

١. تحصيل المعارف الخمس؛

٢. تحصيل العلم الشرعي بوجوب ما يجب في الصلاة؛

٣. العلم الشرعي بكونه طاهراً من الحدثين؛

٤. العلم اليقيني بدخول الوقت للقادر؛

٥. العلم بحال الساتر؛

٦. العلم بحال المكان؛

٧. الإجهاد في تحصيل القبلة؛

٨. العلم بما هو مكلف به من القصر أو الإتمام؛

٩. النية؛

١٠. الاستدامة الحكمية؛

١١. أجزاء المريض الأفعال على باله؛

١٢. عند الأخرس قلبه بمعنى التحريمة والقراءة والأذكار الواجبة.

## التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

والملفت للنظر فيه: ابتكارية هذا العنوان، فإنه لم يوجد هذا العنوان في أيِّ مصنّف فقهي قبل الشيخ البهائي، في مسائل الصلاة أصلاً، وإن وجد في كلمات القوم فإنّما هو صورة متفرقة أو ضمن عنوان آخر.

الأمر الرابع: إدراج بعض المسائل الفقهية بما لم يتعارف ذكرها في بحوث واجبات الصلاة، مثل مسألة: وجوب تحصيل العلم بأصول العقائد وأحكام الصلاة، فإنّ المتعارف في العلم بأصول العقائد طرحه في مجال شرائط صحة الصلاة، وليس في واجبات الصلاة.

والملاحظ فيه: أنّنا نعترف بوجوب تحصيل شرائط الصحة، إلاّ أن هناك فرق بين أن يعنون هذه المسألة بأنّ إسلام المصلّي شرط وبأنّ الإعتقاد بالإسلام من واجبات الصلاة؛ وأمّا العلم بأحكام الصلاة فليس بواجب إلا من باب المقدسة العلمية، والمتعارف ذكره في باب التقليد.

الأمر الخامس: اختلاف التعبير في موارد إحراز شرائط صحة الصلاة؛ ففي مورد إحراز الطهارة عبّر عنه بالعلم الشرعي؛ لإمكان إجراء الأصول العملية فيها؛ وفي مورد دخول الوقت عبّر عنه بالعلم اليقيني، ولعلّه لكونه شرط الوجوب أيضاً؛ وفي مورد القبلة عبّر عنه بالإجتهد، لأنّ العلم به في غالب الموارد يحتاج إلى الإجتهد؛ وفي ما عدا هذه الموارد عبّر عنه بالعلم.

الأمر السادس: أن الصياغة المعروفة لبيان مسائل الوقت والمكان والقبلة واللباس والطهارة، هو ذكرها بعنوان «شرائط الصلاة»، ولكن الشيخ البهائي أبدلها بصياغة أخرى، إذ ذكرها بعنوان «إحراز هذه الشرائط».

والسؤال هنا: أي الصياغتين أحسن لبيان أحكام الصلاة؟

أقول: وجه ترجيح صياغة الشيخ البهائي هو مناسبته لوظيفة المكلف التي هي موضوع الفقه.

وتوضيح ذلك يحتاج إلى بيان مقدمتين:

الأولى: أن موضوع علم الفقه بناءً على تعريف المشهور هو أفعال المكلفين من حيث تعلق الحكم الشرعي بها.

والثانية: إن نسبة موضوع العلم إلى موضوع المسائل نسبة الكلّي إلى جزئياته. وفصل بعض أن نسبة موضوع العلم إلى موضوع المسائل قد تكون كنسبة الطبيعي إلى أفرادها، وقد تكون كنسبة الكل إلى أجزائه، وقد يتحدان.

بعد بيان هاتين المقدمتين أقول: إن الصياغة المتعارفة تجعل شرائط موضوع هذه المسألة، وشرائط الصلاة بأنفسها من الأحكام والجعول الشرعية، وأما صياغة الشيخ البهائي تجعل فعل المكلف موضوع المسألة، ومعلوم أن جعل موضوعات المسائل من جزئيات موضوع العلم أحسن وأدق من أن تجعل جزئيات الحكم موضوعاً للمسألة.

الأمر السابع: مقصوده من الأركان في عنوان: «الأفعال الواجبة الأركانبة» وكذا في عناوين: «الأفعال المستحبة الأركانبة» و«التروك الواجبة الأركانبة» و«التروك المستحبة الأركانبة» أعضاء البدن في قبال اللسان والجنان، لا الركن الإصطلاحي الذي تبطل الصلاة بإخلاله ولو سهواً.

فبيّن في الأفعال الواجبة الأركانبة: الطهارة والقيام والإستقلال في الأفعال، والهوى للركوع، والركوع، ورفع الرأس من الركوع، والهوى للسجدين، والسجدين، ورفع الرأس من كل منهما، والنهوض بعد الرفع من السجدة الثانية أو بعد التشهد، والجلوس للتشهد، والتسليم، والإستقرار من غير تمايل.

وبيّن في التروك الواجبة الأركانبة: ترك الإنحناء الممتد، وترك الوقوف المتناول على رجل واحدة، وترك تباعد الرجلين بما يخرج به عن حدّ القيام، وترك استدبار القبلة، وترك التكفير، وترك الفعل الكثير عادة، وترك الأكل والشرب، وترك الدخول في فعل قبل إكمال الواجب قبله، وترك التحامل عن الأعضاء السبعة أو بعضها حال السجود، وترك المريض الحالة العليا وإن قدر عليها إلى تلوها، وترك المريض الحالات

## التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

المرتبة إذا لم يتمكن من الإستقرار معها إلى تلوها معه، وترك المريض الحالة الدنيا إذا قدر على العليا من غير تضرر.

ويبين في الأفعال المستحبة الأركانبة المستحبات للأركان الإثني عشر: الجبهة، والعين، والأنف، والرّقة والمنكبين، واليدين، والكفين، وأصابع اليدين، والظهر، والركبتين، والقدمين، وأصابع القدمين.

ويبين في التروك المستحبة الأركانبة المكروهات للأركان الإثني عشر: العين، والأنف، والضم، وشعر الرأس، والوجه، واليدين، والكفين، والأصابع، والظهر، والخصر، والرجلين، والقدمين.

والمختلف للنظر فيه: أن تجميع أحكام أعضاء البدن في الصلاة من مبتكرات الشيخ البهائي، وإن كان أحكامها مذكورة في الكتب الفقهية.

**الأمر الثامن:** أن الشيخ البهائي فرّق في بيان المسائل في هذه الأنواع المرتبطة بالأركان: ففي الأفعال والتروك الواجبة جعل عنوان ذات الأفعال والتروك موضوع المسائل، ولكن في الأفعال والتروك المستحبة جعل الأركان موضوع المسائل لا ذات الأفعال والتروك.

ولعل النكته في هذا التفريق أهمية الواجب بالنسبة إلى المستحب أولاً، وكثرة الأفعال والتروك المستحبة بحيث يزيد على الإثني عشر.

**الأمر التاسع:** أشرنا في الأمر السابع إلى نوعين من الأحكام المرتبطة بالتروك؛ أعني التروك الواجبة الأركانبة والتروك المستحبة الأركانبة. وتوجد هناك أربعة أنواع أخرى من الأحكام المرتبطة بالتروك فصارت ستة أنواع. وهذه الأربعة هي:

(أ) التروك الواجبة اللسانية وهي اثنا عشر: ترك التبويب في الإذان، وترك المدّ بين حروف التكبير، وعدم قراءة البسملة قبل تعيين السورة، وترك الترجيع المطرب في القراءة، وترك التأمين لغير تقية، وترك قراءة السورة في الثالثة والرابعة، وترك قراءة سورة يفتوت براءتها الوقت، وترك القراءة في أثناء الحمد والسورة

## الشيخ حسن علي أكبريان

من غيرها بحيث يخلّ بالنظم، وترك قراءة العزيمة، وترك الدعاء بالمحزم، وترك الكلام، وترك العدول عن السورة بعد بلوغ نصفها.

(ب) التروك الواجبة الجنائية وهي إثنا عشر: ترك قصد الإفتتاح سوى تكبيرة الإحرام، وترك نية الوجوب في الفعل المندوب، وترك نية الندب في الفعل الواجب، وترك الإستدامة الحكمية بالعدول عن اللاحقة إلى السابقة لو ذكرها في الأثناء مع عدم فوت المحل، وتركها بالعدول عن السابقة إلى اللاحقة إذا ظهر إيقاعها في المختص بأختها، وترك قصد كون الآية المشتركة بين السورتين من غير المقروءة، وترك قصد إتمام الصلاة ابتداءً أو عدولاً في مواضع التخيير إذا ظنّ ضيق الوقت عنها تامة، وترك قصد الإقامة أثناء التلبس بالمقصورة، وترك ما قصد قطع الصلاة أو قصد فعل يستلزم قطعها كالتقهة، وترك تعليق قطعها أو فعل ما يقطعها على أمر متوقع الحصول، وترك قصد غير الصلاة ببعض أفعالها الواجبة، وترك قصد الرياء بواجب أو مستحب.

(ج) التروك المستحبة اللسانية وهي اثنا عشر: ترك الكلام في أثناء الأذان والإقامة، وترك الإعراب في أواخر فصولهما، وترك الترجيع فيهما، وترك الكلام بعد الفراغ من الإقامة، وترك القراءة لمريد التقدم خطوة أو اثنتين في أثناء التخطي، وترك التأوّه بحرف، والسكوت بعد قراءة الفاتحة، وترك المأموم القراءة، وترك المأموم القارئ قراءة الآية الأخيرة إن نقصت قراءته عن قراءة إمامه ليركع عنها، وترك الإدغام الكبير، وترك إشباع الحركات، وترك القرآن بين السورتين.

(د) التروك المستحبة الجنائية وهي إثنا عشر: ترك قصد حصول النواب، أو الخلاص من العقاب، وترك ضم أحد القصدین إلى التقرب، وترك نية القصر في الأربعة، وترك العدول في أثناء المنوي إتمامها في أحد الأربعة إلى القصر قبل ركوع الثالثة، وترك الإستدامة الحكمية بالعدول عن نية الحاضرة إلى القائمة، وترك

## التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

الوسواس في النية وغيرها من الأفعال، وترك إحضار غير المعبود بالبال، وترك حديث النفس، وترك قاصد القربة بالفعل ملاحظة ما يلزمه من الأمور الخارجة، وترك الإستدامة الحكيمية بالرجوع في الأثناء لتدارك الأذان والإقامة لناسيهما. والملاحظة المرتبطة بهذه الأحكام الستة التروكية: أنه عبّر عن المحرمات اللسانية والجنانية والأركانية بالتروك الواجبة اللسانية والجنانية والأركانية، وعبّر أيضاً عن المكروهات اللسانية والجنانية والأركانية بالتروك المستحبة اللسانية والجنانية والأركانية.

وبعبارة أخرى: إنه قسّم الأحكام إلى الواجب والمستحب. ولا أدري هل اعتقد بأن ترك الحرام واجب وترك المكروه مستحب، بمعنى أن النهي عن الشيء يستلزم (أو هو عين) الأمر بتركه؟ أو استعمل هذه الصياغة تسامحاً ومجازاً؟ أو هناك أمر آخر فني؟ ولكن قال: «ولا بأس في إطلاق المستحب على ترك المكروه، فإنه متعارف عندهم» فهل هذا الإستعمال حقيقة أو مجاز؟

الأمر العاشر: مقصوده من التروك الواجبة اللسانية، ليس فقط الأفعال اللسانية التي تبطل الصلاة بها، بل يشمل حتى التي تحرم تكليفاً ولا تبطل الصلاة بها. فمثلاً التبويب في الأذان وإن كان بدعةً وحراماً إلا أنه لا يبطل الصلاة. والشاهد لهذا العموم أن الشيخ البهائي لم يصرّح بمبطله هذه الاثني عشر إلا في ثلاثة موارد منها، فجمع بين العنوان المتعارف في الفقه أعني: مبطلات الصلاة، وما يحرم في الأذان لا يبطل الصلاة.

الأمر الحادي عشر: أنه بيّن الأفعال المستحبة اللسانية في إثني عشر: الأذان والإقامة، والتكبيرات الست، والاستعاذة قبل القراءة، والجهر بيسملي الحمد والسورة في السرية، وترتيل القراءة، وسؤال الجنة، والتعوذ من النار عند قراءة آيتينهما، وتكرار تسبيحات الركوع والسجود ثلاثاً وخمساً وسبعاً، والقنوت في كل ثانية بعد القراءة قبل الركوع، والتكبيرات الزائدة على الست الإفتتاحية سوى التحريمة، والدعاء في مواضعه بالمأثور، والتعقيب.

## الشيخ حسن علي أكبريان

وبين الأفعال المستحبة الجنانية في إثني عشر: إستشعار الخوف عند القيام إلى الصلاة، وإحضار القلب، وأن يخطر بباله لعلها تكون آخر صلواتي، وإحضار فصول الأذان والإقامة بباله إذا كان مريضاً لا يقدر على التلفظ بها، والخشوع في الصلاة، ونية الإمام كونه جامعاً في غير ما تجب فيه الجماعة، وإستشعار عظمة الله سبحانه وكبريائه، وإستصغار ما سواه حال التكبير، وأن يحضر بباله حال الركوع: أمنت بك ولو ضربت عنقي، وأن يحضر بباله في السجدة الأولى: «اللهم إنك منها خلقتنا» وفي رفعها: «ومنها أخرجتنا» وفي الثانية: «واليها تعيدنا» وفي رفعها: «ومنها تخرجنا تارة أخرى»، وأن يحضر بباله حال التورك في التشهد حين يرفع اليميني ويخفض اليسرى: «اللهم أمت الباطل وأقم الحق»، وملاحظة معاني ما يقرأه في الصلاة، وأن يقصد الإمام بصيغة الخطاب في التسليم: الأنبياء والأئمة والحفظة والمأمومين، وأنه يترجم عن الله تعالى للمأمومين بالسلامة والأمين من عذاب يوم القيامة.

وقد ذكرنا في الأمر السابع ما بيّنه في الأفعال المستحبة الأركانية.

والملفت فيه: إعراضه في هذه الفصول الثلاثة عن الصياغة المتعارفة في ذكر مستحبات الصلاة، لأن المتعارف هو ذكر جميع المستحبات في كل عمل أولاً، ومن غير تفكيك بين اللسانية والجنانية والأركانية ثانياً. فأَيّ الصياغتين كانت أولى؟ بطني أن لكل منهما مرجحات، ولكن للصياغة المختارة للشيخ البهائي مناسبة فنية عديدة.

الأمر الثاني عشر: أن الشيخ البهائي قد بالغ في الأفعال المستحبة اللسانية في بيان الألفاظ المأثورة المستحبة تفصيلاً، بحيث بتفاوت عما كان يراعي في غيرها من الإيجاز. وهذا يشعر باهتمامه بمستحبات الصلاة. وترى أيضاً هذا الاهتمام منه في كتاب الجامع العباسي.

وكذا أنه قد بالغ أيضاً في بيان المستحبات الجنانية من جهتين:

الأولى: أن كثيراً من هذه المسائل الإثني عشر متداخل و يليق بها أن يجتمع بينها في مسألة، ولكن فصلها للإهتمام بها.

## التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

والثانية: المبالغة الكمية النسبية بالنسبة إلى سائر الأبواب والمسائل، وهذا أيضاً يشعر باهتمامه بمستحبات الصلاة.

إلى هنا تمّ دراسة التبويب الفقهي من كتاب «الإثنا عشرية في الصلاة اليومية». وفي الختام أقول (وبحق أقول): حينما رأيت تبويبه الفني قلت لنفسي: لماذا هذا التكلّف في تجميع الأبواب إلى اثني عشر، ثم تجميع المسائل في كل باب إلى اثني عشر؟! ولا أجد الشيخ البهائي في عمله هذا، ألا أن يزيد باباً أو مسألة إلى الأبواب والمسائل المتعارفة في سائر الكتب أو ينقص منها كي يستكمل العدد!!

ولا يخفى على القارئ أنني لما استكملت دراستي حول تبويب هذا الكتاب إلى اثني عشر شعرت إن إيرادي على الشيخ لم يكن في محله، وكأنّه كان يرد على ملاحظتي بشكل أجلي، فخجلت ممّا اعتراني من ذلك الشيء الذي داخلني وكنت أحسه محض تكلف فحسب.

## الفصل الثاني:

### تبويب الفقهي لكتاب الجامع العباسي:

إن دراسة تبويب المسائل الفقهية في هذا الكتاب يتوقف على بيان أمور:  
الأمر الأول: إنَّ الشيخ (رحمه الله) لم يوفِّق إلى إتمام كتابه إلا في خمسة أبواب،  
فأتَمَّ بقية الكتاب تلميذه نظام الدين ساوجي بأمر من الشاه الصفوي إلى العشرين  
باباً. لكن لا يعني هذا أنَّ الأبواب لم تكن من الشيخ البهائي؛ لأنه نفسه عدَّ جميع هذه  
الأبواب في مقدمة كتابه. ويليق بذكرها كما يلي:

الباب الأول: في بيان الطهارة، أعني الوضوء والغسل والتيمُّم وتوابعها.

الباب الثاني: في بيان الصلوات الواجبة والمسنونة.

الباب الثالث: في الزكاة والخمس والواجبين والمسنونين.

الباب الرابع: في الصوم الواجب والمسنون.

الباب الخامس: في الحجّ.

الباب السادس: في الوقف والتصدّق والقرض والعتق والجهاد مع الكفار.

الباب السابع: في الرسول الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ وسائر الأئمّة

المعصومين ﷺ وأيام ولادتهم ووفياتهم.

الباب الثامن: في النذر والعهد واليمين والكفارة.

الباب التاسع: في البيع والرهن والشفعة وتوابعها.

الباب العاشر: في الإجازة والعارية وأحكام العصب وتوابعها.

الباب الحادي عشر: في النكاح بالدوام والمتعة والتحليل وملك اليمين.

الباب الثاني عشر: في الطلاق والخلع والعدّة.

الباب الثالث عشر: في الصيد وشرائطه.

الباب الرابع عشر: في ذبح الحيوانات والحلال والحرام منها.

## التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

الباب الخامس عشر: في آداب الأكل والشرب واللباس وشروطها.

الباب السادس عشر: في القضاء وشروطه.

الباب السابع عشر: في الإقرار والوصية وشروطهما.

الباب الثامن عشر: في قسمة تركة الميت.

الباب التاسع عشر: في الحدود المقررة الشرعية بالسرقة والزنا واللواط والسحق وغيرها.

الباب العشرون: في بيان دية قتل الإنسان ودية قطع أعضاء الإنسان ودية جرح

الإنسان ودية كلب الصيد وكلب الماشية وكلب البستان والزرع.

الأمر الثاني: إن هذا الكتاب مشتمل على جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى

الديات؛ ومن هذه الحيثية يشبه التبويب المتعارف في زمانه من كتب الشرائع والقواعد واللمعة، على أن الهيكلية العامة في الأبواب أيضاً (أي الإبتداء بالعبادات والإنهاء بالديات) تشبه هذه الكتب وإن تختلف عنها في بعض المواضيع.

الأمر الثالث: أن منهج تبويب هذا الكتاب مع هذه الكتب الثلاثة مختلف:

فالشرائع مشتمل على اثنين وخمسين كتاباً مبوباً على أربعة أقسام هي: العبادات والعهود واليقاعات والأحكام. واللمعة أيضاً مشتمل على نفس الكتب الإثنين والخمسين، إلا أنه يختلف عنها في بعض المواضيع: كالقضاء والشهادات، فإن اللمعة جعلهما بعد النذر وقبل الوقف، والشرائع جعلهما بعد الفرائض وقبل الحدود. وأما القواعد فأدغم بعض الكتب في البعض؛ كالدين وتوابعه، والأمانات وتوابعها، والإجارة وتوابعها، والوقف والعطايا.

أما الشيخ البهائي فقد أتبع العلامة في هذا الإدغام، ولكن اختلف معه في كيفية

الإدغام؛ سوف نذكرها في الأمر الآتي.

الأمر الرابع: بعض مواضع اختلاف الشيخ البهائي مع العلامة في هذا الإدغام هو:

أن الشيخ البهائي جعل الجهاد والعتق والقرض من توابع الوقف، في حين أن العلامة

جعل الفرض من تواع الدين، والجهاد والعتق أفردهما في كتابين؛ وأن الشيخ البهائي جعل العاربية والغصب من تواع الإجارة، في حين أن العلامة جعل العاربية من تواع الأمانات والغصب جعله أصلاً وأفرض له تواع.

الأمر الخامس: أن الشيخ البهائي خص باباً مفصلاً للزيارات في حين أنهم لم يذكروا غالباً الزيارات في كتب الفقه، فضلاً عن كونه باباً مستقلاً.

الأمر السادس: أنه ألزم نفسه بذكر المستحبات: من أنواع الصلوات المسنونة، ومن مستحبات الصلاة ومستحبات أجزائها. وهذا الأمر ظاهر وملحوس من كتابه الآخر «الإثنا عشرية في الصلاة اليومية».

الأمر السابع: كل ما ذكرناه كان في مجال التبويب، وأما على صعيد تقسيم مسأله في كل باب فهو أيضاً يختلف عن تقسيم المسائل في سائر الكتب. فمن أهم الأمور في تقسيم المسائل في هذا الكتاب أمران:

١. المبالغة في استخدام الأعداد وبشكل إفراطي؛ فمثلاً في عدّ الواجبات في الصلاة يقول: «فصل في أن الأفعال الواجبة في الصلوات الخمسة اليومية ثلاثمائة واثنان وسبعون». إن بيان هذه الواجبات وإن يوجد في سائر الكتب الفقهية أيضاً إلا أن تجميعها وعدّها بهذه الصورة، وتقسيمها بواجبات الركعة الأولى والثانية... من مبتكرات الشيخ البهائي. وأنت لا تجد مثل هذا العود في جميع الكتب الفقهية وإن تجهدت نفسك.

٢. تقسيم المباحث إلى الواجب والمستحب والمكروه والحرام. وهذا الأمر كان يلتزم به في كتابه الآخر «الإثنا عشرية في الصلاة اليومية» أيضاً.

الأمر الثامن: المسائل التي في كتاب الجامع العباسي تتناسب مع تقسيم مسائل كتاب الآخر الإثنا عشرية في الصلاة اليومية في باب الصلوات اليومية، وهي كما يلي:

المطلب الأول: في بيان الصلوات الواجبة.

المقصد الأول: في بيان الصلاة اليومية.

- المبحث الأول: في بيان ستر العورة.
- المبحث الثاني: في مكان المصلي ويشتمل على فصل في أحكام المساجد.
- المبحث الثالث: في ملاحظة أوقات الصلوات الواجبة والمسنونة.
- المبحث الرابع: في ملاحظة القبلة.
- فصل في أن المعتبر في الصلاة إثنا عشر نوعاً.
- فصل في أن الأفعال الواجبة في الصلوات الخمسة اليومية ثلاثمائة وإثنان وسبعون.
- واحد وعشرون منها في الركعة الأولى.
- ثمانية عشر منها في الركعة الثانية.
- الفصل الأول في بيان ما يتعلّق بالنية.
- الفصل الثاني في بيان ما يتعلّق بتكبيرة الإحرام.
- الفصل الثالث في بيان ما يتعلّق بالقيام.
- الفصل الرابع في بيان ما يتعلّق بقراءة الفاتحة والسورة.
- الفصل الخامس في بيان ما يتعلّق بالركوع.
- الفصل السادس في بيان ما يتعلّق بالسجود.
- الفصل السابع في بيان ما يتعلّق بالتشهد.
- الفصل الثامن في بيان ما يتعلّق بالتسليم.
- الأمر التاسع: أن هذا التقسيم والترتيب بلحاظ: شروط صحة الصلاة، ثم بيان أحكام الصلاة بترتيب أجزائها من تكبيرة الإحرام إلى التسليم. وهذا التقسيم والترتيب متعارف في سائر الكتب الفقهية المذكورة؛ وأما تقسيم المسائل في «الإثنا عشرية» كان بلحاظ أن أحكام الصلاة إما أفعال أو تروك، وكلّ منها إما واجبة أو مستحبة، وكلّ منها إما لسانية أو جنانية أو أركانية. وهذا المعيار في تقسيم المسائل غير ملاحظ فيه شروط الصلاة وأجزائها.
- الأمر العاشر: أن الشيخ البهائي في ضمن بيان أحكام الصلاة خصّ فصلاً لبيان

ما ذكره في «الإثنا عشرية» فقال: «لا يخرج جميع ما يتعلق بالصلاة من تلك الإثني عشر... ونحن بيّنا في الرسالة الإثنا عشرية التي قد ترجم بأمر الأشرف الأرفع بالفارسية أن كلاً من هذه الإثني عشر ينقسم إلى إثني عشر قسماً، وقد ذكرنا هناك كل هذه الأقسام بالترتيب والتفصيل».

ولكنّه مع ذكره هذا المطلب بعنوان: فصل في عرض سائل الفصول، إلاّ أنّه لم يستبطن ذلك الفصل أيّ حكم من أحكام الصلاة، بحيث أنّه لو قمنا بحذف هذا الفصل فإنّه لا ينثلم الكتاب ولا يصيبه الضرر. وهذا يشير إلى أنّ هذا الفصل وتقسيم المسائل بشكل الإثنا عشرية كان صرف صياغة بيان فحسب، لم يعمد عليه في كتاب الجامع العباسي.

الأمر الحادي عشر: أنّ الشيخ البهائي في كتاب الإثنا عشرية جعل أحكام الطهارة من أحكام الصلاة، أمّا وفي كتاب الجامع العباسي فلم يعدّها منها. والعلّة في ذلك وجود باب مستقل في الجامع العباسي للطهارة أولاً، وحاجة المصلي لأحكام الطهارة عند الصلاة ثانياً، وشرطة الطهارة للصلاة ثالثاً. فلا يكون ذلك عيباً في كتابه الإثنا عشرية.

الأمر الثاني عشر: أنّه أدرج أحكام المساجد في بحث مكان المصلي في كتاب الجامع العباسي ولكنّه لم يبيّن أحكام المساجد في كتابه الآخر الإثنا عشرية بتاتاً، وذلك لأمرين:

١. كون كتاب الجامع العباسي كتاباً فقهياً كاملاً أولاً، وتعارف بيان أحكام المسجد في بحث مكان المصلي في سائر الكتب الفقهية ثانياً، وذلك الأمر يبرر وجود أحكام المسجد في كتابه الجامع العباسي.

٢. عدم شرطية المسجد لصحة الصلاة أولاً، وعدم كون كتاب الإثنا عشرية كتاباً كاملاً فقهياً، وهذا يبرر عدم وجود أحكام المسجد في كتاب الإثنا عشرية. ومنه اتّضح اختصاراً الفرق بين كتابي الشيخ (رحمه الله) من منهاج في التبويب

## التبويب الفقهي وتقسيم المسائل في آثار الشيخ البهائي

الفقهي وبين سائر كتب فقهاء الإمامية كالمحقق والعلامة من جهة، وبين هذين الكتابين من تبويب وترتيب في مسأله وفصوله ومحتوياته، وانكشف مذاق البهائي على هذا الصعيد، وما طرح من مبتكرات في فنّ التبويب الفقهي على ضوء هذين الكتابين. ولعلّ هذه الورقة المقدّمة لمؤتمر تكريم هذه الشخصية المتميزة تلقي بعض الضوء على جانب آخر من جوانب إبداعاتها العلمية والعملية، الفكرية والفنية، وتضيف جلالاً إلى جلالتها، وسمواً إلى رفعتها، وأنّ في الإسلام رجالاً لم يميزوا بالإبداع العلمي والمعرفي فحسب، بل حتّى على صعيد الذوق الفني أيضاً، وبلغوا به شأواً عظيماً. فالسلام عليك - يا سيدي وشيخي - يوم ولدت ويوم رحلت عنا ويوم تبعث حياً.

## الفصل الثالث:

# الإنجازات العلمية والفنية عند الشيخ البهائي



### الأبحاث:

- علوم الرياضيات والفلك في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي د. أليس كوراني.
- الموسوعية في فكر وثقافة الشيخ البهائي السيد هاشم الشخص.
- الإنجازات العلمية والفكرية في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي د. حسن يعقوب.
- رياضيات الشيخ البهائي أ. رفيف الصباح.
- الشيخ البهائي وإنجازاته الهندسية، تحليل ودراسة مقارنة مع النظريات الحديثة المهندس نسيم حطيط.
- المنهج العلمي في مدرسة الشيخ البهائي الشيخ عبد الكريم حبيل.
- مجاميع الشيخ شمس الدين الجبعي الشيخ رضا المختاري.
- البهائي: الشخصية النموذجية. الشيخ حسن عبد الساتر.
- قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي الشيخ حسين معتوق.
- الشيخ البهائي (قدوة المجتهدين) الشيخ علي أكبر الهي.



# علوم الرياضيات والفلك في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي

## د. أليس كوراني<sup>(1)</sup>

الحديث عن الشيخ بهاء الدين العاملي يطول، ولن أحيط بسيرته أو بعلومه كلها، بل سأسلط الضوء على جانب من منهجه في تطبيق العلوم الرياضية والفلكية في الفقه والمعارف العامة التي شغلت أوساط العلماء آنذاك، أملة أن يكون هذا البحث المختصر مسباراً إلى عمق محيط هذا العالم الزاخر بكنوز المعرفة.

اشتهر الشيخ بهاء الدين العاملي بصفته عالماً إمامياً متقدماً، وكان شاعراً وأديباً وفيلسوفاً حكيماً، وملماً بمبادئ الطب؛ وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية. أما براعته في علوم الرياضيات والهندسة والفلك، فلم تقل شأناً عن معارفه الدينية واللغوية والفلسفية، فكان عالماً موسوعياً استوعب علوم عصره ووظفها في خدمة الدين والناس، وكان نسيج وحده في كل أبواب العلوم التي طرقها.

وإذا كانت علوم الرياضيات والفيزياء والفلك قد استبعدت عن مناهج الحوزات الدينية في هذا العصر، فإنها كانت من صلب اهتمام الشيخ البهائي، وكثير من علماء

(1) باحثة إسلامية ولغوية.

## علوم الرياضيات والفلك في خدمة الدين عند بهاء الدين العمالي

الدين والباحثين في أمور الشريعة في العهود الإسلامية الماضية، فلم يكن علم الفلك، أو علم الهيئة، كما كان يُسمى، ببعيدٍ عن قضايا زمانية ومكانية اتّصلت بإقامة الشعائر الدينية.

وترتبط المظاهر الكونية بحياة العرب والمسلمين، على مستوى الدين والدنيا، منذ العصور الجاهلية إلى اليوم... واسمحو لي بالتحدّث قليلاً عن ذلك، لأن علوم بهاء الدين العمالي تعدّ ضمن سلسلة متّصلة بعلوم السابقين، هدّبها وطوّرها وابتكر طرائق لتسهيل فهمها وتوظيفها في العلوم النظرية والتطبيقية.

فالعرب، منذ العصر الجاهلي، رصدوا عياناً الظواهر الكونية لارتباطها بحياتهم الدنيوية والدينية، صحيح أنّه لم تكن لهم معرفة شاملة بعلم الفلك، لكنهم كانوا على دراية بالأنواء والمواقيت، وبالرغم من أنّ المعلومات المتعلقة بمعرفتهم تلك قليلة، فإنّ ما أشارت إليه كتب التراث، من أدب ولغة وجغرافيا وغيرها، تدلنا على أنّهم أولوا عنايتهم بالأنواء، وهي بعض النجوم، تتقارن اثنين اثنين، ويتزامن طلوعها وغروبها مع سقوط الأمطار، ونتاج المواشي ومعالجة النخيل.

وورد في المعاجم اللغوية تفسير للنوء والأنواء، ملخصه أنّ النوء هو النجم إذا مال للمغرب، وقيل معنى النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه، وهو نجم آخر يُقابله من ساعته في المشرق في كلّ ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كلّ نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة، وإنما سُمي نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع وذلك الطلوع هو النوء.... وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بدّ من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم، لذلك جاء النهي عن الاعتقاد بأن النجوم هي المسببة للأمطار، أو لما ادّعاها المنجمون من أنّ الحوادث التي تصيب الإنسان مرتبطة بمواقع الكواكب وحركتها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ قَالَ سُقِينَا بِالنَّجْمِ فَقَدْ آمَنَ بِالنَّجْمِ وَكَفَرَ بِاللَّهِ، وَمَنْ قَالَ

سَقَانَا اللَّهُ فَقَدْ آمَنَ بِاللَّهِ وَكَفَرَ بِالنَّجْمِ». فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أي في وقت كذا فإن ذلك جائز، أي أن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات.

ولحاجتهم إلى المياه في أعمالهم الزراعيّة، ولا سيّما عرب جنوب الجزيرة العربيّة، كان لا بدّ لهم من رصد زمن وقوع الأمطار، فراقبوا السّحب والبرق والرّعود، واستطاعوا إلى حد بعيد معرفة إذا كانت مصاحبة للأمطار أم لا، فذكروها بلحاظ ترتيبها وأوصافها وألوانها، وهي مدوّنة في كتب اللّغة والأدب.

واهتمّوا بمواقع النّجوم، لحاجتهم إلى الإهداء للجهات في أسفارهم البريّة والبحريّة وإلى الوقوف على تقلّبات الأحوال الجويّة، وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. فكانوا إذا سألهم أحدهم عن طريق قالوا: «عليك بنجم كذا وكذا»، أو «خذ بين مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها...» وإلى غير ذلك من إشارات تفيد اعتمادهم على النّجوم والكواكب والمطالع لمعرفة الطّرق والجهات، فظهرت الكتب في الأنواء، وفيها كيفة الإهداء بالنّجوم والمسير بطلوعها وغروبها.

وقد اشتهر بعض الجاهليّين بعلمهم بمواقع النّجوم، منهم: «بنو مرّة بن همام الشّيبانيّ» و«بنو مارية بن كلب»، إذ كان النّاس يستعينون بالعالمين بالأنواء، فكان يقال عن الخبير بها: «ما بالبادية أنوأ من فلان»؛ أي أعلم بأنواء النّجوم منه، كالحارث بن زياد بن ربيع، الذي لم يكن في الأرض عربيّ أبصر منه بنجم.

ورأى بعض الباحثين أنّهم وقعوا على علم اليونان وغيرهم من الأمم التي تهتم بالأنواء والفلك، من خلال أهل العراق والشّام قبل الإسلام، واليهود الذين خالطوهم في مدن الحجاز.

ثم دوّن الأدباء واللّغويّون معارف العرب بالأنواء، فإبن قتيبة، مثلاً، ألف كتاباً أسماه «الأنواء في مواسم العرب»، وقال عنه: «هذا الكتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب في

علم النجوم: مطالعها، ومساقطها، وصفاتها وصورها، وأسماء منازل القمر منها، وأنوائها وفرق ما بين يمانيتها وشماليتها، والأزمنة وفصولها، والأمطار وأوقاتها، واختلاف أسمائها في الفصول، وأوقات التبدّي لتتبع مساقط الغيث، وارتباد الكلا وأوقات حضور المياه، وما أودعته العرب أسجاعها، في طلوع كل نجم من الدلالات على الحوادث عند طلوعه، وعن الرياح وأفعالها وتحديد مهابها، وأوقات بوارحها، وعن الفلك والقطب والمجرة، والبروج والنجوم الخنّس، والشمس والقمر، ودراري الكواكب ومشاهيرها، والاهتداء بها، وعن السحاب ومخايله ماطره ومخلفه، والبروق خلبها وصادقها، وأمارات خصب الزمان وجدوبته، إلى غير ذلك».

فالعرب «عرفوا الآثار في الأرض والرمل، وعرفوا الأنواء ونجوم الإهتداء، لأن كل من كان بالصّحاح الأمايس حيث لا أمانة (علامة) ولا هادي مع حاجته إلى بعد الشّقة مضطراً إلى التماس ما ينجيه ويؤديه. ولحاجته (أي العربي) إلى الغيث وفراره من الجذب وضنه بالحياة، اضطرتّه الحاجة إلى تعرّف شأن الغيث. ولأنّه في كل حال يرى السّماء وما يجري فيها من كوكب، ويرى التّعاقب بينها والنجوم الثّابتة، وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فarda، وما يكون منها راجعا ومستقيما».

ويخبرنا الجاحظ أنّ أعرابياً وصف لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ونجوم الإهتداء ونجوم ساعات الليل والسّعود والنّحوس، فقال قائلٌ لشيخ عبادي كان حاضراً: أما ترى هذا الأعرابي يعرف من النّجوم ما لا نعرف! قال: ويل أمك من لا يعرف أجداع بيته!!!.

وكانت منازل القمر معروفة عند العرب وغيرهم من الفرس والروم والهند، ولم يختلفوا في أنّها ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة في منزل منها، ثم يستتر قبل أن يصير هلالاً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ أَنْزَلَتْ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

وبالنسبة إلى تقسيم السَّماء إلى «بروج» فقد حذا العرب في ذلك حذو الأمم القديمة كاليونانيين، مثلاً، فجعلوا البروج اثني عشر برجاً، وإلى ذلك أشار كثير من المفسرين إلى ما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾؛ و﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، فعلى سبيل المثال جاء في تفسير الميزان: «في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السَّلام: في قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾، فالبروج الكواكب، والبروج التي للربيع والصَّيف: الحمل والثَّور والجوزاء والسَّرطان والأسد والسَّنبله، وبروج الخريف والشتاء: الميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدَّلو، والحوت، وهي اثنا عشر برجاً».

ويرى العلماء القدماء أنّ في «كلّ برج من البروج منزلان وثلاث من منازل القمر، وهي نطاق الفلك، والفلك مدار لها. وإنما سُمِّي فلِكَ لا استدارته». وفي تفسير الرّازي: أنّ في البروج ثلاثة أقوال أحدها: أنها هي البروج الإثنا عشر وهي مشهورة، وثانيها أنّ البروج هي منازل القمر، وإنّما حسن القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة، وثالثها أنّ البروج هي عظام الكواكب سمّيت بروجاً لظهورها.

وبخصوص المواقيت، فإنّ السَّنة عند العرب اثنا عشر شهراً، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾.

وهي مقسّمة عندهم إلى «أربعة أجزاء، لكلّ جزء منها سبعة أنواع، لكلّ نوع ثلاثة عشر يوماً، إلاّ نوع الجبهة فإنّه أربعة عشر يوماً، زيد فيه يوم لتكمل السَّنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، وهو المقدار الذي تقطع الشَّمس فيه بروج الفلك الإثني عشر، لكلّ برج منزلتان وثلاث منزلة، وكلّما نزلت الشَّمس منزلة من هذه المنازل سترته؛ لأنّها تستر ثلاثين درجة: خمسة عشر من خلفها، ومثلها من أمامها، فإذا

انتقلت عنها ظهرت».

وبالحساب عرفت مواقيت العبادات والأيام والشهور، واحتسبت أيام السنة الشمسية والقمرية، قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وقال تعالى أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾.

ويظهر أن الذين تولوا التوقيت في الجاهلية، هم الكهان وسدنة الكعبة ومن لهم صلة بالأصنام، لأنهم كانوا هم الذين يقومون في الحجاز بضبط المواقيت والنسيء. وليس بمستبعد أن يختص رجال الدين في العربية الجنوبية بالتوقيت أيضاً.

لأن اهتمام العرب بالأنواء والنجوم لم يكن، بادئ الأمر، سوى معرفة أوقات هطول الأمطار، وطرق السفر براً وجواً، ولما ظهر الإسلام، زاد اهتمامهم بها لعلاقتها بأوقات الصلوات والصوم ومعرفة اتجاه القبلة، فكان لا بد من مراقبة أطوار القمر وترقب ظهور الهلال، والوقوف على حركة الكواكب وأوضاع الشمس من طلوع وزوال وغروب، ومراقبة الفجرين والشفقين، وغير ذلك مما له علاقة بإقامة الشعائر الدينية.

وفي عصر الفتح وقف المسلمون على معارف أمم تقدمت عليهم في مضمار العلوم، فعربوا كتبهم، واستعانوا بتلك العلوم لتطوير أوضاعهم بما فيها أمورهم المتعلقة بضبط أوقات طقوسهم الدينية من صوم وصلاة، أو تحديد جهة القبلة، واحتاجوا إلى الحساب لاحتساب قسمة الميراث وتحديد الديات والزكاة، وغيرها من الأمور التي لا تستقيم إلا بعلوم الحساب والهندسة، ولأهميتها في تقدم عجلة بلادهم إلى الأمام.

ولضبط أوقات الصلوات استعانوا بالمزول منذ العهد الأموي، ولا سيما أن أوقات الصلوات تتغير على مدار العام وترتبط بخط العرض الأرضي، لارتباطها بموقع الشمس في السماء بالنسبة إلى الأفق المحلي، وتحددت أوقات الصلوات الليلية من خلال ظواهر تحدث في الأفق، ومن خلال الغسق والسحر، ثم شغف علماء الإسلام بصناعة المزوال.

وشهد العالم الإسلامي نهضة علمية في العصر العباسي، بعد حركة الترجمة

## د. أليس كوراني

الكبيرة، فاستوعب المسلمون علوم الأمم الأخر وهضموها وطوّروها، فبرز منهم علماء كبار في حقول الرياضيات والفلك أمثال ابن طارق (ت نحو ١٨٠هـ - ٧٩٦م)، والخوارزمي (ت ٣٠٠هـ - ٨٨٩م)، والبتاني (ت ٣١٨هـ - ٩٢٩م)، والبيروني (ت ٣٨٨هـ - ٩٩٨م)، وابن يونس (ت ٣٩٩هـ - ١٠٠٩م)، وابن الهيثم (ت ٤٣١هـ - ١٠٣٨م)، والبيروني (ت ٤٤٠هـ - ١٠٤٨م). ولم تعد الظواهر الفلكية من كسوف وخسوف وغيرها بعيدة عن فهم العلماء، فعلى سبيل المثال، أجرى البيروني حسابات فلكية لمعرفة زمن خسوف القمر المرتقب فوق مدينة كاث بخوارزم، وخلص إلى حدوثه في اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو/ أيار عام تسعمائة وثمان وتسعين للميلاد، واتفق مع العالم الفلكي أبي الوفا البوزجاني على أن يراقب ذلك الخسوف فوق مدينة بغداد في الوقت نفسه.

وكما توقع هذان العالمان، فقد خسف القمر في اليوم المحدد، وسجل كل منهما لحظته فوق مدينته، وعندما تراسلا عرفا المسافة بين المدينتين، وذلك من خلال احتساب الفرق بين وقت خسوفه في كاث ووقت خسوفه في بغداد.

وقد شغلت الحسابات الفلكية الكثير من العلماء والفلكيين المسلمين، ووضعوا معايير لتحديد إمكانية رؤية الهلال، وأسهبوا في دراسة هذا الموضوع في كتبهم ورسائلهم، فعلى سبيل المثال، وضع ابن طارق معياراً يعتمد على ارتفاع القمر فوق الأفق وقت الغروب، وعلى مدة مكوثه.

وطوّر الفلكيون المسلمون الآلة الفلكية الأسطرلاب، واهتموا بها اهتماماً كبيراً، فإلى جانب استعمالاتها المتعددة، فإنهم استخدموها في تحديد مواقيت الصلاة، ومعرفة اتجاه القبلة.

وكان محمد بن إبراهيم الفزاري (توفي نحو ١٨٠هـ - ٧٩٦م) أول من عمل في الإسلام أسطرلاباً، وتطوّرت صناعة هذه الآلة في العصور التالية، وللشيخ البهائي رسالة في الأسطرلاب هي الرسالة الحاتمية.

وبعد هذا التقدّم المذهل للعرب والمسلمين في العلوم، مرّ العالم الإسلاميّ بمرحلة من الانحطاط السياسيّ والثقافيّ، فانعكس ذلك على مجمل الحركة العلميّة، وتخلّفت الدّراسات في شتى أنواع المعارف. ومع إحكام العثمانيين سيطرتهم على معظم الشّرق الإسلاميّ، تراجع الاهتمام بالعلوم، لاهتمامهم بالشؤون الحربيّة والعسكريّة، فلم يعيروا الرياضيات والفلك اهتماماً يذكر، فانتكست الحركة العلميّة، وتراجعت الأبحاث فيها، وكانت مشيخة الدّولة تعمل على فكّ الترابط بين العلوم العقليّة والنقليّة، وشجّعت آثار السلف والخوض فيها، ويكفي أن نعلم أنّ شيخ الإسلام في الدّولة العثمانيّة أصدر فتوى تقضي بمنع جواز وقف مكتبة الصّدر الأعظم لأنّ في هذه المكتبة كتباً في علم النّجوم والفلك والتّاريخ!

فقد أهملوا العلوم وأربابها، فلم ينفقوا على المجامع العلميّة، إذ كانت أموال الخزينة تذهب بمعظمها إلى المجهود الحربيّ، وكان هدفهم بسط سيطرتهم على مناطق واسعة من العالم تحت مسمّى الخلافة الإسلاميّة، وانشغلوا بحروب ومناوشات مع دولة إيران، تلك الحروب التي اتّخذت طابعاً مذهبيّاً، وكان الشّاه إسماعيل (توفي عام ٩٣١هـ/١٥٢٤م) قد وحدّ إيران ذات الأعراق المتعدّدة زمن حكمه الممتدّ بين عامي ١٥٠١م و١٥٢٣م على أساس المذهب الشّيوعيّ، وجعلها دولة تحكمها المؤسّسات والقوانين وقادرة على صدّ الهجمات القريبة والبعيدة التي كانت تتعرّض لها أراضيها... وعلى الضّفة الأخرى تسلّم السّلطان سليم الأوّل (توفي عام ٩٤٦هـ/١٥٢٠م) الحكم في الدّولة العثمانيّة، وخاض عدّة حروب وانتصر فيها، ومن أجل أطماعه التّوسّعية، تذرّع بالخصومة المذهبيّة لمحاربة الشّاه إسماعيل. واستمرّت الحروب مستعرة بين الدّولتين بعد وفاة الشّاه إسماعيل، وبقي العثمانيّون يضطهدون من خالفهم في السياسة والمذهب، ما حدا بعدد من علماء جبل عامل في لبنان إلى الهروب إلى إيران، وكان من بينهم الشّيخ حسين عبد الصّمد (توفي عام ٩٤٨هـ/١٥٧٦م) والّد الشّيخ البهائيّ، الذي رأى في إيران ملجأً يسمح له بمتابعة نشاطه العلمي والديني.

وإذا وصلنا إلى عصر الشاه عباس الأول وهو أشهر ملوك الدولة الصفوية، (حكم من سنة ١٥٨٧ إلى ١٦٢٩م) نجد أنه استطاع إعادة هيكلة الدولة بعد التصدعات الداخليّة والهزائم الخارجيّة، فعقد بداية صلحاً مع العثمانيين، ثمّ استردّ عسكرياً منهم بعض المناطق والمدن، وأبطل سبّ الخلفاء الثلاثة في أراضي مملكته، وقسا على حكام الولايات والقوادم، وأحبّه الناس للعدل الذي انتشر، وللحركة العمرانيّة والعلميّة التي شهدتها البلاد.

وعكست الأجواء الاجتماعيّة والسياسيّة بظلالها على الحركة الدنيّة، فكانت البدع والمذاهب الباطلة، كما كان التطرّف والمغالاة من جهة، والاستهتار والتّهتك من جهة أخرى، وغرق الناس في بحر من الآراء المتناقضة، واحتلّ الإيمان بالتنجيم والسحر والخرافات مكانة بينهم...

وكان لعلماء جبل عامل الدور المهم في حفظ الدين والمذهب الشيعي من الوقوع في الإفراط أو التفريط في إيران، وعن هذا الدور قال الشهيد مطهري: «إنّ لعلماء جبل عامل، دوراً مهماً في الخطوط العامّة للدولة الصفويّة الشيعيّة، فالصفويون كانوا صوفيّة، ولو لم يعتدل خط الصوفيّة الدرؤيشي، بسيرة علماء جبل عامل الفقهيّة العميقة، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة عميقة في إيران، لكان خطّ الصوفيّة الصوفيّ ينتهي إلى ما انتهى إليه العلويون في الشام أو تركيا، وكان لهذا العامل أثر كبير في صيانة السيرة العامّة للدولة والأمة الإيرانيّة من تلك التحريفات في الصوفيّة وتعديل نفس العرفان والتصوّف الشيعي».

في تلك الأجواء عاش الشيخ البهائيّ قرابة سبعين سنة في إيران، واستطاع أن يحمي أحكام الشريعة من الوقوع في مستنقع الجهل، والأخذ بها بعيداً عن الآراء المتطرّفة التي لا تمتّ إلى جوهر الدين بصلّة، وعمل على تلازم العلم والدين، وتسلم مشيخة الإسلام في أصفهان في عهد الشاه عباس.

وكان اهتمام الشيخ البهائيّ بالرياضيات كبيراً، وكذا بعلوم الفلك والهندسة جنباً

إلى جنب الفقه وعلوم الدين والآداب من لغة وشعر، حتى ذاع صيته في البلاد، وألّف كتابه «خلاصة الحساب» وقدمه للأمير حمزة ميرزا [توفي عام ٩٩٦هـ/١٥٨٧م] أخي الشاه عباس الكبير، وألّف كتاباً آخر أسماه «بحر الحساب» الذي لم يُعثر إلى الآن على نسخة منه، ويبدو أنه ضاع مع الكتب الكثيرة للبهائي بعد وفاته، وكان البهائي يشير إليه في أكثر من مناسبة في كتبه، وفيه الكثير من النظريات الهندسية وأمور تتعلق بالمساحة والأحجام، وفيه الكثير من المبادئ الرياضية إلى جانب طرائق مهمة لحلّ مسائل حسابية معقدة وصعبة شبيهة بالألغاز، هدف منها شحذ الذهن، وكسر رتابة الملل التي قد يحس بها الطالب في الحلقات الدنيئة. وأدرج الكثير من معارفه العلمية، من حساب وهندسة وفلك وطب، في كتابه «الكشكول».

فعن أهمية العلوم الرياضية يقول شيخنا: «إن علم الحساب لا يخفى علوّ شأنه، وسموّ مكانه، ورشاقة مسائله، ووثاقة دلائله، وافتقار كثير من العلوم إليه، وانعطاف جمّ غفير من المعاملات عليه». ومن أجل ذلك ألّف كتابه «خلاصة الحساب» وقال فيه: «هذه رسالة حوت الأهم من أصوله، ونظمت الأهم من أبوابه وفصوله، وتضمّنت منه فوائد لطيفة هي خلاصة كتب المتقدمين، وانطوت منه قواعد شريفة هي زبدة رسائل المتأخرين، وسمّيتها خلاصة الحساب، وربّتها على مقدّمة وعشرة أبواب». وفي خاتمة الكتاب يقول: «...واعلم أيّها الأخ، الطالب لنفائس المطالب، أنّي قد أوردت لك في هذه الرسالة الوجيزة، بل الجوهرة العزيزة، من نفائس عرائس الحساب، ما لم يجتمع إلى الآن في رسالة ولا كتاب، فاعرف قدرها، ولا ترخص مهرها، وامنعها عمّن ليس أهلها، ولا تنزلها إلا إلى حريص على أن يكون بعلمها، ولا تبدلها لكثيف الطبع من الطلاب، لئلا تكون معلقاً للدرّ في أعناق الكلاب، فإن كثيراً من مطالبها حري بالصيانة والكتمان، حقيق بالاستتار عن أكثر أهل الزمان، فاحفظ وصيّتي إليك، والله حفيظ عليك».

أمّا ترتيب مباحث الحساب في هذا الكتاب فرتبها الشيخ البهائي على مقدّمة

## د. أليس كوراني

وعشرة أبواب، عرّف في المقدّمة بعلم الحساب والعدد، وحوى الباب الأوّل المسمّى «في صحاح الحساب» ستّة فصول عالج فيها تباعاً: الجمع، والتّصنيف، والتّفريق، والضّرب، والقسمة، واستخراج الكسور.

والباب الثّاني بعنوان: «في حساب الكسور» وفيه ثلاث مقدّمات عن الكسور، وستّة فصول، فالفصل الأوّل: «في جمع الكسور وتضعيفها»؛ والثّاني: «في تنصيفها وتفريقها»؛ والثّالث: «في ضرب الكسور»؛ والرّابع: «في قسمتها»؛ والخامس: «في استخراج جذر الكسور»، والسّادس: «في تحويل مخرج الكسور من مخرج إلى مخرج».

وفي الباب الثّالث عالج استخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة.

والباب الرّابع: في استخراج المجهولات بحساب الخطأين.

والباب الخامس: في استخراج المجهولات بالعمل بالعكس وقد يُسمّى بالتّحليل والتّعكس.

والباب السّادس: «في المساحة»، وقد حوى مقدّمة وثلاثة فصول، عرّف في المقدّمة

بالمساحة والسّطوح؛ والفصل الأوّل: في مساحة السّطوح المستقيمة الأضلاع، والفصل

الثّاني في مساحة بقيّة السّطوح، والفصل الثّالث: في مساحة الأجسام.

وفي الكتاب الكثير من المبتكرات الرّياضيّة التي لا يتّسع المقام لعرضها والحديث عنها.

ولأهمّيّة الحساب والرّياضيّات، فإنّ «خلاصة الحساب» بقي معتمداً في حوزات

النّجف الأشرف حتى أواخر الخمسينات من القرن العشرين، ونظراً إلى المنهج العلميّ

في هذا الكتاب، وطريقة ترتيب الموضوعات وسهولة معالجتها، فإنّه اعتُمد أيضاً في

مختلف مدارس إيران حتى منتصف القرن المنصرم، وترجم إلى أكثر من لغة.

وقد وظّف الشّيخ البهائيّ الرّياضيّات في خدمة المسائل الفقهيّة، وهذا يظهر

جليّاً في الرّسوم البيانيّة التي وضعها لتبيان توزيع الميراث، في الرّسالة الموسومة بـ

«الفرائض البهائيّة»، ففيها شرحٌ لطرائق القسمة واستخراج الجذور، كما فيها شرح

لأنواع الكسور والنّسب العدديّة وغير ذلك مما يفيد قضية الموارث.

وظهرت الأعمال الحسابيّة والهندسيّة في رسالته الفقهيّة: «تحقيق مقدار الكرّ»،

أي مقدار المياه المتعلقة بعملية التطهر، والكرّ هو كلّ ماء بلغ وزنه ثلاثمئة وسبعين كيلوغرام تقريباً، وإذا كان في أنابيب الإسالة فإنه يساوي ثلاثمئة وسبعة وخمسين ألفاً ومئتي سنتماً مكعباً... ومما قاله في مقدّمة هذه الرّسالة:

«... جال بخاطري أن أرتّب مقالة أذكر فيها ما قامت عليه الدلائل الصّحيحة من مقداره (أي الكرّ) وقادت إليه الحجج الصّريحة من كمّية أشباره، وأن أشير فيها إلى ما هو المشهور من أشكال الآنية وكيفية مساحتها على ما قامت عليه الدلائل الهندسيّة، فإن فقهاءنا إنّما بيّنوا مساحة المكعب من الأشكال تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً إلى أفهام المبتدئين، وأمّا استعمال باقي أشكاله كالمستدير والمثمن والمثلث والمعين فقد جعلوها موكولة إلى القواعد الحسابيّة والدلائل الهندسيّة، وقد أوردت في هذه الرّسالة ما لا بدّ منه للطالب ليكون محيطاً بكيفية مساحته على اختلاف أنواعها، عالماً بطريقة تكسيره على تباين أوصافها سالكاً في ذلك أقرب طريق وأيسره ذاكراً فيه أسهل وجه وأقربه...».

وبعد المقدّمة، فإنّ الرّسالة مقسّمة على سبعة مباحث، هي: في تعريف الكرّ؛ في معنى مساحة الجسم، في تحديد الكرّ بحسب المساحة، في تحديد الكرّ بالوزن، في الصّور المتصوّرة بالكرّ، في الأشكال الهندسيّة وطريقة ضربها؛ في مساحة الحوض المستدير.

ففي كلّ مباحث هذه الرّسالة يظهر علم الحساب والهندسة على نحو صريح. أما إنجازاته الهندسيّة فما زالت ماثلة للعيان، من ذلك مشهد أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السّلام في النّجف الأشرف الذي وضع تصميماً لتجديد عمارته وفق معايير هندسيّة وفنيّة، على نحو إذا حان وقت الظّهر، تكون الشّمس قد وصلت إلى منتصف كلّ إيوان في الصّحن الشّريف. وبنى مسجد الشّاه عبّاس في أصفهان بقبّته المشهورة هي قبة الصّدى، وأشرف على مشاريع الرّي في أصفهان، وينسب إليه بناء المنارتين المهترئتين في إحدى ضواحيها.

## د. أليس كوراني

أما على مستوى علم الفلك، فقد اهتمَّ الشيخ البهائيُّ بهذا العلم اهتماماً كبيراً، ووضع مؤلِّفاً وصفيّاً حول أهم قضايا علم الفلك، هو «رسالة تشريح الأفلاك»، التي تشتمل على خمسة فصول بين دفتي المقدمة والخاتمة.

تحدّث في المقدمة عمّا تضمّنته هذه الرّسالة من معلومات مهمّة تتعلّق بفضّ الهيئة، أي بعلم الفلك، وتحدّث فيها عن نشأة العالم، ورأى أنّ السّماوات السّبعة المذكورة في القرآن الكريم هي الكواكب السّيّارة السّبع، فقال: «... ثمّ السّماوات السّبع للسّيّارات السّبع المشهورة، ﴿... كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾».

أمّا الفصول فهي كالآتي: الفصل الأوّل: في بيان الدوائر العظام والصّغار والقسّيّ المشهورة؛ الفصل الثّاني: في شرح صور الأفلاك السّبع السّيّارة؛ الفصل الثّالث: في الحركات وما يتبعها؛ الفصل الرّابع: في ما يتعلّق بالكرة الأرضيّة وفي اختلاف أوضاع بقاعها؛ الفصل الخامس: شرح الصّبح والشّفق.

ومثلما اعتمد الرّياضيّات في كثير من الأمور الفقهيّة، فإنّه اعتمد علوم الفلك أيضاً، كتحديد وقت الزّوال، وأوقات النّوافل، وتحديد اتجاه القبلة، وعن ذلك يقول: «أكثرها مستنبط مما دلّت عليه قواعد علم الهيئة [أي علم الفلك]، فإنّ المدار في تعيين سمت القبلة في البلاد البعيدة، هي على ما تقتضيه قواعد ذلك العلم...». ويذكر أنّ الطّرائق التي أوردها علماء الهيئة في استخراج سمت القبلة كثيرة جدّاً، ثم يختار ما اختاره نصير الدّين الطّوسيّ بلفظه: «إنّ الشّمس تكون مرّة بسمت رأس مكّة شرفها الله تعالى حين كونها في الدّرجة الثّامنة من الجوزاء، والدّرجة الثّالثة والعشرين من السّرطان وقت انتصاف النّهار، والفضل بين سائر نهارها ونصف نهار سائر البلدان يكون بقدر التّفاوت بين الطّولين، فليؤخذ التّفاوت». ثمّ يذكر الطّريقة المشهورة في استخراج سمت القبلة بالأسطرلاب، ما يدلّ على علمه التّام باستخدام هذه الآلة الفلكيّة، والاستفادة منها في تحديد جهة القبلة. كما يذكر طريقة الدّائرة الهنديّة، عارضاً بعض وجوه الضّعف فيها عند تحديد القبلة، ويراهما أنّها طريقة

تقريبية بالنظر إلى إفادتها التوجه إلى عين الكعبة كما هو سبيل علماء الهيئة. فالمسلمون بدءاً من عصر الإسلام الأول وحتى ألف عام قد اعتمدوا الجنوب لتحديد القبلة، على قاعدة الحديث: «ما بين المشرق والمغرب قبلة»؛ واستعانوا بمواقع النجوم ليلاً لتحديد اتجاه القبلة.

يذكر الشيخ بهاء الدين العاملي في رسالته «جهة القبلة» أنّ المصلي في الكوفة يمكن أن يستدلّ على أن القبلة باتجاه الجنوب، إمّا بالسفر منها إلى مكة وتدبر الطريق، أو العمل بالأمارات المعروفة لأهل العراق، كجعل الجدّي على المنكب الأيمن، والمغرب والمشرق على اليمين واليسار.

فعلى امتداد مرحلة القرون الوسطى كان شروق الشمس وغروبها في الانقلاب الشتوي معتمدين لتحديد القبلة في كثير من المناطق، وظلّ الاتجاه الجنوبي التام معتمداً في بلاد الشام، علماً أنّ الفلكيين حدّدوا حسابياً أنّ القبلة في دمشق تقع على ٣٠ درجة نحو الشرق انطلاقاً من الجنوب. كما اعتمدوا على ظواهر فلكية تحدث في الأفق كبزوغ نجم أو أفوله، وعلى اتجاهات الرياح، فعندما جرى اعتماد اتجاه الرياح ما لمعرفة وجهة القبلة، كان يفترض معرفة حدود الاتجاه من حيث تهبّ الرياح، فالقبلة إذاً، تحدّدت بوساطة ظاهرة فلكية تحدث في الأفق، كبزوغ نجم بارز أو أفوله، أو كشروق الشمس أو غروبها في الاعتدالين أو في الانقلابين، كما تحدّد اتجاه القبلة بوساطة اتجاهات الرياح، ووضعوا لها تصاميم تظهر اتجاهات هبوبها بلحاظ مواقع بعض النجوم وشروق الشمس وغروبها.

والمسلمون من الأجيال الأولى عرفوا أنّ الكعبة موجهة فلكياً، فمحورها الكبير موجه نحو بزوغ النجم سهيل في نصف الكرة الجنوبي، والمحور الصغير موجه نحو شروق الشمس في الانقلاب الصيفي، لذلك استخدموا اتجاهات فلكية لكي يولّوا وجوههم شطر الجزء الموافق من الكعبة.

وكانت السلطات في العالم الإسلاميّ تقترح طرائق مختلفة لتحديد القبلة، كانت

بعض مدارس الفقهاء تفضل الغرب الحقيقي الذي مثل اتجاه انطلاق الطريق نحو مكة، وكانت المدرسة المنافسة تفضل الجنوب الحقيقي، وهناك من فضل قبلة الصحابة في المساجد الأولى أي في اتجاه غروب الشمس في الانقلاب الشتوي، في حين وجد من فضل القبلة التي حددها الفلكيون حسابياً.

وحاول بعض الفقهاء حلّ هذا الاختلاف بلحاظ أنّ الوضع الأمثل للمسلم هو يسمح بالتقاء خطّ الرؤية مع الكعبة على افتراض أن رؤيتها ممكنة بالفعل، فأجازوا الصلاة في أي اتجاه يقع في حقل رؤية المؤمن الواقف في الوضع الأمثل، واستخدموا التعبيرين «جهة الكعبة» و«عين الكعبة» أي «الواقف في اتجاه الكعبة مباشرة» و«الواقف في الاتجاه العام للكعبة»، وأورد الشيخ البهائي آراء الفقهاء حول هذا الأمر.

وقد «ابتكر الفلكيون المسلمون طرقاً لتحديد موقع القبلة حسابياً في أي مكان انطلاقاً من معطيات جغرافية متوفرة، معالجين موضوع هذا التحديد كمسألة من مسائل علم الجغرافيا الرياضية، وهذا ما تقوم به السلطات الإسلامية حالياً. غير أنّ الطرق الرياضية لم تكن سهلة المنال قبل نهاية القرن الثامن [الميلادي] أو بداية القرن التاسع. يضاف إلى ذلك، أن القبلة المحددة حسابياً لم تلق، على كل حال تطبيقاً شاملاً في العصور اللاحقة، وهذا ما تظهره مباشرة دراسة اتجاهات المساجد في القرون الوسطى، التي لم تكن إجمالاً موجّهة بشكل صحيح نحو مكة المكرمة، أو على الأقلّ لم تكن موجّهة وفق التحديد العلمي للقبلة. وكانت الطرق المستخدمة عادة لإيجاد القبلة مشتقة من علم الفلك الشائع، فقد استخدم الشروق والغروب الفلكيان...».

وحدّد الفلكيون المسلمون، القبلة كاتجاه لدائرة كبرى تمرّ في مدينة مكة، وجرى قياس هذا الاتجاه بالزاوية المحددة بين خطّ زوال مكة وخطّ الزوال المحلي للمكان الذي يراد معرفة اتجاه القبلة فيه، فاستطاعوا حسابياً معرفة اتجاه القبلة لمناطق كثيرة، معتمدين على خطوط العرض والطول، وعلى حساب المثلاث وطرائق هندسيّة

طوّروها بدمج طرائق يونانية وهندية.

وحول تحديد القبلة يقول الشيخ البهائي في رسالته «تشریح الأفلاك»:

«وأما سمت القبلة، فهو نقطة من الأفق، من واجهها واجه القبلة الكعبة، فإن تساوى البلد ومكة -شرفها الله- طولاً، فقبلته نقطة الجنوب إن زاد عرضه، وإلا فنقطة الشمال؛ وإن زاد طولاً وعرضاً فعد من نقطتي من الجنوب والشمال إلى المغرب بقدر ما بين الطولين، ومن نقطتي المشرق والمغرب إلى الجنوب بقدر ما بين العرضين، وصل ما بين كل من النّهائيتين بخط، واخرج من مركز الدائرة إلى نقطة تقاطع الخطين خطاً، فهو على صوب القبلة، وقس على هذا إن نقص طولاً وعرضاً أو طولاً وزاد عرضاً أو بالعكس، وإن ساوى عرضه عرضها، فضع ثامنة الجوزاء والثالثة والعشرين من السرطان حال كون الشمس في أحديهما على خط وسط السماء في صفحة الأسطرلاب المعمول لعرض البلد...»، ثم يتابع تحديد القبلة بقياس الدرجات وغير ذلك مما هو محدد في كتابه.

وامامت القبلة فهو نقطة من الافق من واجهها واجه  
القبلة الكعبة فان تساوى البلد ومكة شرقاً فبالله تعالى  
طولا فقبلته نقطة الجنوب ان زاد عرض والا فبقطة  
الشمال وان زاد طولاً وعرضاً فعد من نقطتي الجنوب  
والشمال الى المغرب بقدر ما بين الطولين ومن  
نقطتي المشرق والمغرب الى الجنوب بقدر ما بين العرضين  
وصل ما بين كل من النهايتين بخط واخرج من مركز  
الدائرة الى نقطة تقاطع الخطين خطاً فهو على صوب  
القبلة وتس على هذا ان نقص طولاً وعرضاً او طولاً  
وزاد عرضاً او بالعكس وان ساوى عرضهم عرضها  
نضع ثامنة الجوزة او الثالثة والعشرين من  
السرطان حال كون الشمس في احدهما على خط  
وسط السماء في صفحة الاسطرلاب المعوله لمرضا بلد  
وعلم المري من اجزاء الجحج ثم ادر العنكبوت  
بقدر ما بين الطولين الى المغرب ان كان طول  
اكثر وبالخلاف ان كان اقل فحتم انتهى احد  
الجزئين من مقتطرات الارتفاع فظل المقياس  
وقت بلوغ الشمس اليه على صوب القبلة طريق  
اخر اسهل من الاول تاخذ يوم كون الشمس في احد  
الجزئين السابقين لكل خمس عشرة درجة او بمقتضى  
من التفاوت بين الطولين ساعة ولكل درجة الربع دقائق

أما بخصوص تحديد أوقات الصلاة، فيسهب الشيخ البهائي في الحديث عن تحديد أوقات الصلوات النهارية بلحاظ موقع الشمس في دائرة البروج وحركة الظل في كتاب «الحبل المتين في أحكام أحكام الدين».

وقد ردّ بهاء الدين العاملي، على من رفض آراء علماء الفلك في تحديد سمت القبلة أو أوقات النوافل وغيرها من الموضوعات الشرعية، فمما قاله: «وأما قولك ينبغي القطع بعدم جواز التّعويل على كلام علماء الهيئة في باب القبلة وغيره فمما لا يلتفت إليه بعد تصريح محققي علمائنا قدس الله أرواحهم بخلافه، بل قال شيخنا طاب ثراه في الذكرى أن أكثر أمارات القبلة مأخوذ من علم الهيئة وهي مفيدة للظنّ الغالب بالعين والقطع بالجهة... وأما ما زعمت من أن شيئاً من كلامهم لا يفيد علماً ولا ظناً، وقد ثبت أكثره بالدلائل الهندسية والبراهين المجسطية التي لا تتطرق إليها شبهة، ولا يحوم حولها وصمة ريب... وأما قولك أنه لا وثوق لك بإسلامهم فضلاً عن عدالتهم، فكيف يجوز ذلك التّعويل من كلامهم قبل تيقن مضمونه، فكلام عار عن حلية السداد، إذ اليقين غير شرط، ورجوع الفقهاء في ما يحتاجون إليه من كلّ فنّ إلى علماء ذلك الفنّ وتعويلهم على قواعدهم، إذا لم يكن مخالفته لقانون الشرع شائع ذائع معروف في ما بينهم خلفاً عن سلف، كرجوعهم في مسائل النحو وفي مسائل اللغة إلى النحاة، وفي مسائل الطبّ إلى الأطباء، وفي مسائل المساحة والجبر والمقابلة وما شاكلها إلى أهل الحساب، من غير بحث عن عدالتهم وفسقهم، بل يأخذون عنهم تلك المسائل مسلّمة ويعملون بها دون نظر في دلائلهم، التي أدّتهم إليها لحصول الظنّ الغالب بأنّ الجَمّ الغفير من الحدّاق في صناعة من الصناعات إذا اتفقت كلمتهم على شيء مما يتعلّق بتلك الصناعة فهو أبعد عن الخطأ، وهذا من قبيل الظنّ الحاصل بخبر الشيعاء... وليت شعري كيف يفيدك كلام الجوهرى، مثلاً، الظنّ في المسائل اللغوية، فتتبعه في جميع ما يليق به إليك من معاني ألفاظ الكتاب والسنة، ولا يفيدك كلام المحقق نصير الملة

والدين [نصير الدين الطوسي] مع جم غفير من علماء الهيئة الظن في ما يلقونه إليك في مسائل الفن، بل كيف تقول على قول فلان اليهودي المتطبب إذا أخبر المريض الفلاني مما يضره الصوم، ويتحتم له الإفطار، أو يضره القيام أو القعود في الصلاة، ويتعين له الاستلقاء مثلاً، فتفطر في شهر رمضان، وتصلّي مستلقياً مومياً أياماً، عديدة لاعتمادك على كلامه لما بلغك من حداقته في ما يتعلق بفضله، فبالأولى أن تقبل قول جماعة من علماء الإسلام، في ما يتعلق بفضلهم، مع إطباق الخاصّ والعام على حداقتهم في ذلك الفن إلى ما لا مزيد عليه.

وكان له رأي في مسائل فلكية كالردّ على القائلين بثبات الأرض دون دورانها حول الشمس، في رسالته الموسومة بـ «تشریح الأفلاك»، كما ردّ على الذين قالوا إنّ أنوار الكواكب ذاتية، شارحاً ذلك في رسالته بعنوان «جميع أنوار الكواكب مستمدة من الشمس»، وعلاقة ذلك بمواقيت الصلاة.

ولما كانت الرياضيات أم العلوم بنظره، فإنّه استخدمها أيضاً في مسائل فلسفية لها علاقة بطبيعة المادة، فأبطل رياضياً قول من قال بوجود الجزء الذي لا يتجزأ، في رسالته الموسومة بـ «الجواهر الفرد»، وساق البراهين الرياضية لإثبات ذلك وهذا ما دفع بالكثيرين إلى الإعتقاد بأنه حطم الذرة وسيطر على طاقتها، فنسبوا إليه اختراعات، فأهل أصفهان يؤكّدون أنّ مدينتهم كانت تنعم بالمياه الساخنة على مدار العام، دون معرفة سرّ مصدر حرارتها، إلى أن جاءت بعثة أثرية بريطانية، فوصلت إلى خزان المياه الدافئة واكتشفوا أنّ تحته شمعة سوداء صغيرة صنعها الشيخ البهائي، وكانت مضاءة فأطفأوها وأخذوها إلى بلادهم لفحصها، ولكنهم عجزوا عن إعادة إشعالها. كما نسبوا إليه ساعة دوامة الحركة.

وفي طيات كتبه الكثير من النظريات أو الآراء العلمية، وطرائق حسابية في حلّ المعادلات الرياضية مبتكرة لا يتسع المقام لذكرها، فحتى كتبه ورسائله الفقهية لم

تخلُّ من قواعد العلم وآليات تطبيقاته، فمنهج الجمع بين العلوم النظرية والتطبيقية. والنظر في حياة البهائيِّ ومؤلفاته يدفعنا إلى التساؤل: لماذا تستبعد الحوزات الدينية في هذا العصر الرياضيات وعلوم الفلك وأليات الطبِّ والتشريح؟؟ ألا يحتاج طالب العلوم الدينية إلى المبادئ العامة في الرياضيات والفلك وغيرهما من العلوم في دراسته الحوزوية؟؟ لا أقول هنا التبحر فيها لأننا في عصر التخصص، لكن الأمور الأولية في العلوم والمعارف العلمية، لا بد أن يطلع عليها طالب الشريعة كأبي طالب علوم أخر... أذكر هنا أن المرعشي النجفي قدس سره لما علم أن بعض علماء الدين اختلفوا في تحديد القبلة وفي مواقيت الصلاة والصيام في المناطق القريبة من القطب الشماليِّ وسأله رأيه، أسف لذلك وقال لو أنهم أخذوا مبادئ الرياضيات والهندسة والفلك في الحوزة لما عجزوا عن معرفة ذلك.

أما الحديث عن محاولة توحيد المناسبات الدينية في الدول الإسلامية بالاستعانة بعلوم الفلك والرياضيات فذو شؤون وشجون، وستبقى المدارس الفقهية، على اختلاف مشاربها، بحاجة إلى تلك العلوم، مهما حاولوا إبعادها.

وأخيراً ألم يحن الوقت لردم الهوة بين العلوم والدين؟ ألا نحتاج إلى منهج بهاء الدين العملي العلمي في معالجة أمور الفقه والشريعة؟ هذا المنهج الذي حافظ على أصالة المباني الفقهية، لكنه لم يستبعد علوم الرياضيات والفيزياء والفلك، بل كانت إحدى مداميكه.

# الموسوعية في فكر وثقافة الشيخ البهائي

## السيد هاشم الشخص<sup>(1)</sup>

### تمهيد:

ليس عزيزاً أن تجد عالماً بارعاً ومتميزاً في بعض العلوم الشرعية أو متخصصاً في بعض المجالات المعرفية ويحمل بذلك شهادة خاصة كالفقه والفلسفة والتفسير وعلم الكلام أو الطب والهندسة والفيزياء والرياضيات وغيرها. لكن أن ترى عالماً جامعاً لأهم المعارف والعلوم وبارعاً فيها الدينية والدنيوية متعدد الإتجاهات موسوعياً في فكره ومعارفه منفتحاً على مختلف المجالات العلمية، فأن هذا في غاية الندرة وعزيز الوجود وأما أن يجمع إلى جانب ذلك كله نشاطات إجتماعية ودينية وانفتاحاً على واقع الناس وهموم الأمة وتصدي بجدارة لقضايا إسلامية كبرى غاية في الأهمية كمنصب القضاء الأعلى في دولة هي الدولة الثانية الأقوى في العالم الإسلامي (إيران) في ذلك العصر فإن ذلك يعد بحق فلتة من فلتات الدهر وأعجوبة من أعاجيب العصر.

---

(١) أحد علماء الإحصاء.

هذه الأمور كلها اجتمعت في شخصية العلامة الكبير الشيخ البهائي العاملي (رضه) وسأحاول في الجملات التالية إلقاء بعض الضوء على مميزات هذه الشخصية العظيمة وبعض الخصائص المهمة التي اجتمعت فيها مما جعلتها شخصية موسوعية جامعة بامتياز وأجملت حديثي عن جانبين من شخصيته الجانب العلمي والجانب العملي.

### أولاً: الجانب العلمي:

كل من تحدث عن الشيخ البهائي من معاصريه ومن جاء بعدهم وصفه بأبلغ العبارات وأجلها بالعلم الجم والمنزلة الرفيعة والمقام الشامخ، وكل من قرأ كتبه واطلع على مؤلفاته عرف جيداً منزلته العلمية السامية ومكانته المتميزة وموسوعيته الجامعة لمختلف العلوم والمعارف.

وأكتفي هنا ببعض ما قيل في وصفه والثناء عليه قبل استعراض جملة مؤلفاته في مجالات مختلفة.

قال في وصفه تلميذه العلامة المجلسي الأول:

«هو شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ. ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلو مرتبته أحداً».

وقال أيضاً: «الشيخ الأعظم والوالد المعظم الإمام العلامة ملك الفضلاء والأدباء والمحدثين بهاء الملة والدين».

وقال عنه تلميذه الآخر السيد حسين بن السيد حيدر الكركي العاملي: «أفضل المحققين وأعلم المدققين خلاصة المجتهدين، كان أفضل أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم التي لم يحم حولها من أهل زمانه ولا قبله على ما أن من علماء العامة والخاصة، وكان منصفاً في البحث».

وقال عنه الشيخ الحر العاملي: «حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق، وجلالة القدر، وعظم الشأن وحسن التصنيف، ورشاقة العبارة، وجمع

المحاسن وأظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تحصر.  
وكان ماهراً، متبحراً، جامعاً، كاملاً، شاعراً أديباً منشئاً ثقة، عديم النظرير في  
زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها».

وقال الشيخ يوسف البحراني: «كان هذا الشيخ علامة فهامة محققاً، دقيق النظر،  
جامعاً لجميع العلوم، حسن التقدير، جيد التحرير، بديع التصنيف أنيق التأليف».  
أما من حيث التأليف والتصنيف فقد ترك الشيخ البهائي مؤلفات جمة تزيد على  
المائة مؤلف (على كثرة انشغالاته ومسؤولياته) تحوي مختلف العلوم والمعارف، بل  
كتب وألف في ما لم يكتب عنه إلا القليل من العلماء.

وفيما يلي نظرة سريعة على جملة من مؤلفاته حسب الموضوعات التي تطرق لها:

أ- في علم الحكمة والكلام:

- ١- الجوهر الفرد (في الحكمة): ذكره في (الغدير) ج ١١ ص ٢٦١.
- ٢- رسالة في تحقيق عقائد الشيعة في الفروع والأصول مفصلاً.
- ٣- حاشية شرح العضدي على مختصر الأصول (في أصول العقائد).
- ٤- رسالة مختصرة في إثبات وجود صاحب الزمان عليه السلام.

ب- في التفسير:

- ١- العروة الوثقى في تفسير القرآن الكريم: في تفسير سورة الفاتحة وشيء من  
سورة البقرة، لم يتم
- ٢- عين الحياة في تفسير القرآن الكريم: تفسير مزجي مختصر إلى أوائل سورة آل  
عمران.
- ٣- الصراط المستقيم في تفسير القرآن الكريم: ذكره في كتاب (الغدير).
- ٤- جواب ثلاث مسائل تفسيرية.
- ٥- حواشي على تفسير البيضاوي.

٦- حل حروف القرآن: كذا جاء في كتاب (الغدِير)، ويعني بها ظاهراً الحروف المقطعة.

٧- الحاشية على (شرح أنوار التنزيل) للبيضاوي.

ج- في علم الأصول:

١- تهذيب الوصول إلى علم الأصول.

٢- زبدة الأصول: مختصر يشمل جل قواعد أصول الفقه، وعليه أيضاً حواشي له.

٣- الحاشية على (مبادئ الأصول) للعلامة الحلي.

د- في علم الفقه:

١- الحبل المتين في أحكام الدين: شرح فيه أكثر من ألف حديث صحيح، وحسن،

وموثق، في الطهارة والصلاة جمع فيه الأحاديث الصحاح، والحسان، والموثقات

مع الشرح والبيان والتوفيق بين متنافياتها.

٢- الإثنا عشرية الخمس: في الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

٣- الجامع العباسي في الفقه: فقه عملي ألفه باسم الشاه عباس الماضي الصفوي

مرتباً على عشرين باباً، خرج منه خمسة أبواب في العبادات إلى آخر الحج، مطبوع.

٤- رسالة في أحكام سجود التلاوة.

٥- رسالة في استحباب السورة ووجوبها رد فيها على بعض معاصريه القائلين

بوجوب السورة في الصلاة الواجبة، ثم رجع أخيراً عن فتواه إلى القول بالوجوب.

٦- حاشية (إرشاد الأذهان) في الفقه.

٧- حاشية على (القواعد الشهيدية) في الفقه.

٨- حواشي على (مختلف الشيعة في أحكام الشريعة) للعلامة الحلي.

٩- رسالة في شرح عبارة في بحث الوضوء من كتاب القواعد للعلامة الحلي: «فيمن

توضأ خمسة وضوءات وصلّى بكل وضوء صلاة، ثم علم ببطلان وضوئيه من

الخمسة».

- ١٠- شرح بعض عبارات ( القواعد ) « للعلامة الحلي » في أحكام المياه وأحكام الحائض والنفساء.
- ١١- حواشي ( شرح التذكرة ) للعلامة الحلي.
- ١٢- رسالة في ذبائح أهل الكتاب: مختصرة، مطبوعة.
- ١٣- شرح ( الرسالة الإثني عشرية ) « لشيخ حسن صاحب المعالم » في الطهارة والصلاة.
- ١٤- شرح ( الفرائض النصيرية ) « للمحقق الطوسي » في أحكام المواريث، لم يتم.
- ١٥- رسالة في القبلة.
- ١٦- رسالة في القصر والتخيير في السفر.
- ١٧- رسالة في الكر: بالعربية.
- ١٨- رسالة أخرى في الكر ومساحته بالفارسية ألفها باسم السلطان ( شاه طهماسب ).
- ١٩- مشرق الشمس وإكسير السعادتين: وقد يعبر عنه ( مجمع النورين ومطلع النيرين ) لإجتماع الكتاب والسنة فيه ذكر فيه آيات الأحكام وتفسيرها وما يناسبها من الأحاديث الصحاح والحسان مع التوضيح والبيان، خرج منه كتاب الطهارة فقط إلى أواخر غسل الأموات، مطبوع.
- ٢٠- رسالة في المواريث.
- ٢١- هداية العوام: رسالة عملية في الفقه لعمل مقلديه.
- هـ - في علم الرجال:
- ١- رسالة في الدراية: وتسمى ( الوجيزة ).
- ٢- الحاشية على ( خلاصة الأقوال في الرجال ) للعلامة الحلي.
- ٣- الحاشية على ( معالم العلماء ): لإبن شهر آشوب.
- ٤- حواشي على كتاب ( الفهرست ) للشيخ منتجب الدين.
- ٥- حواشي على ( رجال النجاشي ).

- ٦- رسالة في طبقات الرجال.
- ٧- فوائد الرجال: مختصر طبع مع (تقيق المقال).
- و- في العلوم الغربية:
- ١- التحفة الحاتمية (رسالة فارسية في الإصطربلاب).
- ٢- الصحيفة: رسالة عربية في الإصطربلاب، ويقال لها (الصحيفة الإصطربلابية).
- ٣- الجبر والمقابلة: كذا جاء في (الغدير) ج ١١ ص ٢٦١.
- ز- في الفلك وعلم الهيئة:
- ١- رسالة في بيان أن أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس.
- ٢- رسالة في تشريح الأفلاك: فارسي.
- ٣- حواشي على (تشریح الأفلاك) كذا جاء في (رياض العلماء) ج ٥ ص ٩٠.
- ٤- رسالة في تضاريس الأرض.
- ٥- رسالة في حل إشكال عطارذ والقمر.
- ٦- رسالة في نسبة القطر الى المحيط.
- ح- في علوم اللغة العربية:
- ١- شرح (ألفية بن مالك) بالفارسية.
- ٢- الصمدية في النحو: كتبه لأخيه الشيخ عبد الصمد.
- ٣- تهذيب البيان في النحو.
- ٤- الحاشية على (شرح الكافية) في علم النحو للجامي.
- ٥- شرح (الشافية): في علم الصرف.
- ٦- أسرار البلاغة.
- ٧- الحاشية على (المطول) في علم البلاغة.
- ط- في الأدب والشعر:
- ١- ديوان شعر: بالعربية والفارسية: جمعه محمد رضا الحر العاملي كذا جاء في (رياض العلماء).

- ٢- رياض الأرواح: مجموعة قصائد من بحر الوافي أولها:  
ألا يا خائضاً بحر الأمانى رعاك الله ما هذا التواني  
أضعت العمر عصياناً وجهلاً فمهلاً أيها المغرور مهلاً  
٣- سوانح الحجاز: (ديوان شعر)، ومنه مطلع قصيدة  
يا نديمي ضاع عمري وانقضى قم لإستدران وقت قد مضى  
٤- وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان : قصيدة من بحر الطويل مطلعها:  
سرى البرق من نجد فجدد تذكاري عهداً بحوزى والعذيب وذو قار  
وهيَّج من أشواقنا كل كامن واجج في أحشائنا لاجع النار  
ذكرها في (الغدير) ج ١١ ص ٢٦٢ وهي قصيدة طويلة معروفة.  
٥- الكشكول: وهو كتاب علمي أدبي ثقافي متعدد الفوائد، وفيه الكثير من الأخبار  
للمؤلف وغيره، طبع مكرراً في ثلاث مجلدات وهو من كتبه المشهورة المتداولة.  
٦- لطائف الأسمار وظرائف الأخبار: على نمط الكشكول.  
٧- المخلاة: كتاب جامع لمختلف المواضيع والفوائد والأدب والأشعار، على  
غرار (الكشكول) أيضاً.  
ي- في الألفاظ:  
١- رسالة في لغز الزبدة: كذا جاء في (رياض العلماء) ج ٥ ص ٨٩.  
٢- لغز القانون: ذكره في (الغدير) ج ١١ ص ٢٦١.  
٣- لغز الكشاف: ذكره في الغدير أيضاً ج ١١ ص ٢٦١.  
٤- لغز الكافية: في ثلاث صفحات، ذكره في (الذريعة) ج ١٧ ص ٣٣٦.  
٥- لغز النحو: ذكره في (الغدير) ج ١١ ص ٢٦١.  
٦- لغز الصمدية: ذكره في (الذريعة) ج ١٧ ص ٢٣٥.  
ك- في العلوم المتفرقة:  
١- الحاشية على الكتاب (من لا يحضره الفقيه).

- ٢- شرح الأربعين حديثاً: ذكره في (رياض العلماء) ج ٥ ص ٩٠.
  - ٣- شرح (الصحيفة السجادية) للإمام زين العابدين عليه السلام.
  - ٤- الحديقة الهلالية: في شرح دعاء الهلال للإمام زين العابدين عليه السلام.
  - ٥- شرح دعاء الصباح والمساء من أدعية الصحيفة السجادية.
  - ٦- مفتاح الفلاح: في أدعية اليوم والليلة، مطبوع ومداول.
  - ٧- رسالة في مقتل الإمام الحسين عليه السلام.
  - ٨- رسالة في النفس والروح.
  - ٩- الحاشية على (حاشية ملا عبد الله) في علم المنطق.
  - ١٠- بحر الحساب: في الرياضيات وهو كتاب كبير في الحساب.
  - ١١- خلاصة الحساب: وهو اختصار للكتاب المذكور، معروف ومداول.
- وهو إضافة إلى ذلك كله يجيد الشعر ويحسنه باللغة العربية والفارسية وله قصائد جمّة باللغتين يقول عنه صاحب الكتاب (ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا):
- «إن شعره باللسانين مهذب محرر، وبالفارسية أحسن وأكثر»
- ومرت الإشارة إلى قصيدته المشهورة في مدح صاحب الزمان عليه السلام، وفي كتابه (الكشكول) كما في كتاب (سلافة العصر) وكتاب (الغدير) الكثير من أشعاره.

### ثانياً الجانب العملي:

ومع إبداع الشيخ البهائي في مجالات عملية متعددة كان له في المجال العملي عدة نشاطات بارزة وإبداعات مهمة أيضاً سجلها له التاريخ بكل اهتمام، ويمكن أن نجملها في الأمور التالية:

#### أ- التدريس:

كان قُدْرَتُهُ مع مهامه الكثيرة يقوم بالتدريس لجملة من رجال العلم، وله نشاط بارز في هذا المجال، قد تخرج عليه عدد من كبار العلماء وعظماء الطائفة، ومنهم على سبيل المثال:

- ١- المولى محسن الفيض الكاشاني صاحب كتاب (الوافي).
  - ٢- السيد ماجد البحراني.
  - ٣- السيد حسن بن السيد حيدر الكركي العاملي.
  - ٤- الشيخ سلطان العلماء، صاحب الحواشي المشهورة على شرح (اللمعة) و(المعالم).
  - ٥- المولى الشيخ محمد تقي المجلسي الأول والد صاحب (البحار) وغيرهم كثير.
- ب- منصب القضاء الأعلى:
- وتسلم الشيخ البهائي (بأمر من الشاه عباس الكبير الصفوي) منصب رئاسة القضاء الأعلى في عموم إيران، وهو ما يعبر عنه ذلك الحين (بمنصب شيخ الإسلام ورئيس العلماء)، وكان له في هذا المنصب دور مهم جداً حيث نشطت الحركة العلمية في عهده وقويت شوكة التشيع وعمّرت المدارس والمساجد وأصبحت (أصفهان) عاصمة الدولة الصفوية «ذلك الحين» حاضرة علمية ثقافية رائدة وقصدها واستوطنها العديد من أهل العلم والفضل.
- لكنه لم يدم في هذا المنصب طويلاً حيث استعفى من منصبه لأمر هو رآها، وقرّر السياحة في بلاد الله العريضة.
- ج- إقامة صلاة الجمعة:
- وهنا أيضاً أبلى الشيخ البهائي بلاءً حسناً حيث كان إمام الجمعة الرسمي في عاصمة الدولة الصفوية (أصفهان) يأتّم به العلماء والفضلاء ورجال الدولة وعموم الناس.
- د- الإنفتاح على عموم الناس:
- ومع موقع الشيخ البهائي العلمي والرسمي في الدولة الصفوية فإنه لم ينس الإنفتاح على الأطراف الأخرى فكان من دعة الوحدة الإسلامية ويسعى دائماً إلى نزع فتيل أي فتنة، ولم يعهد عنه إطلاقاً أنه استغلّ منصبه للانتقام من أحد أو الإساءة إلى أحد رغم كثرة حساده وأعدائه.

ه- رعايته للفقراء والأيتام:

وكان أيضاً (رغم موقعه وانشغالاته) يراعى بعناية الفقراء والأيتام ويقضي حوائج الناس ويسد فاقتهم يقول بعض من ترجم له: «وكانت له دار مشيدة البناء رحبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل، فكم مهد بها وضع، وكم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشيا، ويوسعهم من جاهه جناباً مغشياً» (الكشكول طبعة بولاق - مصر ص ٣٩٥).

و- تأسيسه المدارس والمساجد وإبداعه المعماري:

وفي هذا المجال أيضاً قام بدور كبير، حيث أسس بمعونة الدولة الصفوية مساجد ومدارس ذات طراز معماري متميز وعجيب ولا تزال بعض آثاره قائمة اليوم، وكان لذلك أثر كبير في تقوية شوكة المسلمين ودعمهم وعزتهم.

ز- السياحة في الأرض:

وبعد كل تلك الإنجازات والنجاحات العظيمة قرّر الشيخ البهائي التخلي عن كل شيء والسياحة في الأرض ليكسب ويعطي ويطلع على الشعوب الأرض وتجارب الآخرين فكسب الكثير وأعطى الأكثر.

وشملت جولته السياحية التي استمرت ثلاثين عاماً - عدداً كبيراً من بلاد العالم الإسلامي ابتدأها من بيت الله الحرام وزيارة النبي وأهل بيته الكرام (عليهم السلام) ثمّ جال في بلاد الرافدين ومصر وفلسطين وبلاد الشام وعموم المدن الإسلامية في العالم.

# الإنجازات العلمية والفكرية في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي

## د. حسن يعقوب<sup>(1)</sup>

هذا اللقاء المبارك من على الأرض التي كانت مسقط رأس الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي (المعروف بالشيخ البهائي) رحمة الله عليه يضفي على المؤتمر والمؤتمريين والحضور الكريم والجهة الداعية الجليلة روح الوفاء والنماء والتميز لرجال ساهموا في صناعة تاريخنا وحاضرنا وجزءاً مشرقاً من حضارتنا وأكملوا تواصلاً رسالياً أصيلاً قدم آثاراً وأعمالاً علمية وفقهية وشعرية أضاءت لطلاب العلم والباحثين سبلاً جديدة وصنعت في عصر شيخنا الجليل فتوحات علمية واعتبرها معاصروه ضرب من المعاجز.

ولأنني اخترت بحثي عن حلقة الوصل بين المعارف والعلوم العصرية والعلوم الفقهية عند البهائي فذلك لسببين: أولاً: لأن السمعة والسمعة التاريخية للشيخ البهائي أنه قدم إنجازات رائدة واكتشافات علمية بقيت أصداؤها على مدى التاريخ.

ثانياً: لأن أبواب العلم مهما تعددت وتفرعت فإنها تتفتح على بعضها البعض وتتصل بشكل أو بآخر ولا يمكن الفصل بينها.

(١) نائب سابق في البرلمان اللبناني.

## الإنجازات العلمية والفكرية في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي

لذلك فإن اشتغال البهائي العلمي الباهر مرده غالباً لعوامل ثلاث:

- ١- المعية وذكاء وعقلية الشيخ البهائي الرياضية.
- ٢- المكتبتين الكبيرتين العلميتين اللتين ورثهما عن أبيه ووالد زوجته.
- ٣- علاقته المميزة وانفتاحه على الشاه عباس الكبير رأس السلطة في بلاد فارس وصاحب المال والقرار والنفوذ لتطبيق وتنفيذ أفكار الشيخ البهائي ومشاريعه. ولأن هذا البحث يحتاج إلى عدة محاضرات وسلسلة أبحاث كي تفيه حقه بالشرح والتفصيل إلا أنني اخترت بعض العناوين العلمية البارزة باختصار شديد:

أ- البهائي العالم.

ب- البهائي الفقيه.

ج- البهائي الأديب والشاعر.

أعلمية البهائي برزت من خلال مزج العقيدة والفقه بعلم الطبيعة والحساب والرياضيات والفيزياء ألخ مع العلم إن هذه الصفة كانت تطلق في عصره (وما زالت حتى اليوم) على علماء الدين الفقهاء.

وقد عرف الخفاجي الشيخ البهائي العالم بقوله: «زين بأثره العلوم النقلية والعقلية، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية، لا سيما الرياضيات فإنه راضها، وغرس في حدائق الألباب رياضها».

وأشهر تأليفه كتاب بحر الحساب وكتاب خلاصة الحساب حيث أن الكتاب الأول بحر الحساب لم يستسخ في عصره ويعتقد أن الأوربيين الذين زاروا إيران كسياح وتجار ومبعوثين ومستشرقين قد سرقوه، أما الكتاب الثاني خلاصة الحساب الذي يعد أهم كتبه العلمية والذي نال بسببه شهرة فائقة في الأوساط العلمية....

فلقد قدم البهائي كتابه بأسلوب ممنهج وعلمي من حيث التبويب والترتيب وقد استوعب فيه العلوم الرياضية وقدم الابتكارات الجديدة التي لم يسبقه أحد إليها مع اهتمامه الكبير بالناحية التطبيقية بعلوم الفلك والهندسة والضوء وحساب الموارد والأعمال التجارية

وغيرها.... إن الشيخ البهائي كان الوحيد الذي أبدع في علم الرياضيات والفلك بعد قرن ونصف من العقم والجمود الفكري في إيران وفي مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى حيث يتفق المؤرخون والباحثون أنه كان وحيد عصره في علم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والهيئة والنجوم والإسطرلاب وغيرها..... وأن آثاره في الرياضيات والفلك ظلت زمناً طويلاً مرجعاً لكثيرين من علماء المشرق ومنبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات ونستطيع القول أن آثاره أسهمت في النهضة الأوروبية العلمية الحديثة.

لقد أبدع العلامة المسلم الموسوعي طرائق حسابية أساسية في رؤية شاملة خارقة تشمل قواعد حساب الأعداد الصحيحة أو الصحاح وقواعد الكسور وميزان العدد وطريقة إيجاد الجذر للعدد الصحيح معتمداً على طرق فذة ابتكرها لذلك فإن أكثر مؤرخي العلوم يعترفون بغزارة علم البهائي النظري والتطبيقي.

والذي يعيننا بشكل أساسي في بحثنا هذا هو العقلية العلمية للشيخ البهائي واعتماده المنهج الرياضي والمنطق العلمي في معارفه ومباحثه الأخرى من أدبية وفلسفية وفقهية وسواها واعتماد هذا المنهج العلمي في حججه الفقهية وباقي معارفه النظرية والعلمية حيث أن الشيخ البهائي يعتبر أن العلوم الرياضية هي أشرف العلوم بل هي الأساس لكل العلوم لذلك كان يلجأ دائماً إلى مقدمة رياضية يبرهن من خلالها صواب الفكرة التي يعالج: فإن شيخنا الجليل عندما يتحدث في ميدان الفلسفة ومباحثها فإنه يعتمد حديث المتصل والمنفصل الذي هو موضوع علمي وفكري طويل ومتشعب فقد برزت فيه ألمعيته ومدى تعمقه في علم الحكمة، فمعنى المتصل أن الخط مثلاً قابل للإنقسام غير المتناهي، وكذلك السطح والمادة يتألف كل منها من نقاط أو أجزاء دقيقة ومحدودة وأن الإنقسام يقف عند هذه الأجزاء وهو متناه وأن اتصال الخطوط والسطوح والأجسام والطاقة، والضوء أو انفصالها شغل المفكرين منذ قدم الزمن.... وأثرت هذه القضية في التراث الإسلامي، فالإعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ مذهب فريق واسع من المسلمين، وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين.... وقد أخذ الأشعري هذه النظرية

## الإجازات العلمية والفكرية في خدمة الدين عند بهاء الدين العاملي

عن سابقه من المعتزلة إذ حصر المتناهي في المخلوقات والأشياء المحدثة، وترك اللاتناهي لله عز وجل... والفلاسفة المشاؤون (إبن سينا وغيره من اتباع أرسطو) قالوا: أن الجسم كم متصل وفرقوا بين الإنقسام بالفعل والإنقسام بالقوة، فأجازوا الثانية إلى ما لا نهاية وأنكروا الأولى وورث هذا العلم والفلسفة هذه المشكلة في العصور الحديثة وتوزعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم فلاسفة وفيزيائيين وكيميائيين.

والمثل الثاني الذي عبر عنه البهائي نفسه عندما تحدث عن أن كل جسم له صورة فإنه لا يقبل صورة أخرى إلا بعد أن تفارقه الصورة الأولى مفارقة تامة كجسم مشكل بالتثليث لا يقبل صورة التربيع....

ومثل آخر عندما نفى البهائي الجواهر المفردة ورد على العلماء الطبيعيين وعلى المتكلمين معتمداً على البراهين الرياضية (ص ٦٢) وأبطل نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أو (الجوهر المفرد) معتمداً ٩ براهين رياضية.... لا يتسع الوقت الآن لذكرها، وبعد أن توصل العلماء في العصر الحديث إلى تأكيد أن الذرة التي تسمى باللغة العربية المعاصرة (اتوم atom) وأن تكوينها يشتمل على كهارب تدور حول (noyau) نواة بروتونات ونيوترونات (proton et neutron) وصولاً إلى الفوتون photon.

فالإنصال والإنفصال جانبيين متقابلين لحقيقة واحدة.

أختم بالقول أن صبغة النفس العرفانية والنقد البناء (للمتسرّعين والفقهاء والمتصوفة) جعل الفقه علماً ميسوراً لعامة الناس من خلال المنهج العلمي (أول من ألف الفقه الميسر) (جامع «فارسي» عباسي) وجعل المعارف الفقهية الأساسية في متناول طبقات الشعب المختلفة (أثر النضج العلمي على آرائه الفقهية).

- كذلك علم القرآن الكريم من خلال منهج واضح خاص جمع بين البحث التشريعي والمنطقي والأدبي، كذلك في المسائل الاعتقادية (من خلال سرد رصين علمي دون تجريح). لذلك لا يسعني إلا اعتماد ما قاله تلميذ البهائي السيد أشرف الطبطباي عندما قال في شرحه (بحر الحساب) أنه رزقنا الله رؤيته.

# رياضيات الشيخ البهائي

## أ. رفيف صباح<sup>(1)</sup>

تهدف هذه المقالة إلى تبيان مبتكرات البهائي العلميّة في علمي الرياضيات والحساب، من خلال كتابه خلاصة الحساب بالتحديد.

أمّا المصادر المعتمدة فهي كتاب «بهاء الدين العامليّ فقيهاً وأديباً وعالمياً» والمصادر الأخرى التي اعتمدت في هذا الكتاب مصادر لدراسة رياضيات بهاء الدين العامليّ. وأهمّها مخطوطات كتاب خلاصة الحساب المتوافرة لدينا، لا سيّما المخطوط العائدة ملكيته إلى العلامة السيّد مهدي آل إبراهيم (المتوفّى سنة ١٩٧١م)، وقد كان هذا الكتاب جزءاً من برنامج الدراسة في حوزة النجف الأشرف في أوائل القرن العشرين حين كان السيّد مهدي لا يزال طالباً فيها.

لكن قبل كل شيء أودّ أن أتحدّث عن كتاب «بحر الحساب» المفقود الذي افترضت الدكتورّة دلال عباس أنّه مسروق.

### كتاب بحر الحساب:

ذكر أكثر المهتمين بجمع آثار الشيخ بهاء الدين العامليّ كتاباً له اسمه «بحر

---

(١) أدبية ومترجمة.

الحساب»، لكنَّ أحدًا منهم لم يدَّع أنه رأى هذا الكتاب، أو رأى شرحًا له أو تعليقًا عليه. ولكنَّ الواقع أنَّ للشيخ بهاء الدين كتابًا يحمل هذا الاسم، لأنَّه يُحيلُ في كثير من مواضع «خلاصة الحساب» عليه، ويقول إنَّ فيه تفصيلًا لكثير من النظريات الهندسيَّة وقوانين المساحات والحجوم، وعددًا من المبادئ الحسابية، وأنَّه أدخل فيه أيضًا طرقًا جديدة لحلِّ مسائل مختلفة صعبة، تشدُّ الذهن وتمرِّنه على حلِّ الأعمال المعقَّدة الملتوية.

يقول مثلاً في الباب السادس من خلاصة الحساب، في مساحة الأجسام: «ولبعضها طرق خاصَّة لا تسعها الرسالة... وبراهين جميع هذه الأعمال مفصَّلة في كتابنا الكبير «بحر الحساب». ويقول في الفصل الثاني من الباب السابع المتعلِّق بمعرفة ارتفاع المرتفعات: «وبراهين هذه الأعمال مبينة في كتابنا الكبير».

وفي الباب العاشر كذلك يقول في شرح إحدى المسائل... بعد إيراد عدة حلول لها: «ولا استخراج هذه المسألة ونظائرها طرق آخر تُطلبُ مع براهينها من كتابنا الكبير وفقنا الله لإتمامه».

وذكر في الكشكول أيضًا مسألة حسابية هيئوية هندسية... وبعد عرضها قال: «طريق استخراجها بالجبر والمقابلة يُطلب من كتابنا الكبير الموسوم ببحر الحساب». وبما أنَّ كتاب «خلاصة الحساب» قد قُدِّمَ للأمير حمزة ميرزا «سلطان حمزة بهادر خان»، المقتول سنة ١٥٨٦هـ/١٥٨٦م، فمعنى ذلك أنَّه قدَّمه له قبل رحلة الحج التي بدأها سنة ١٥٨٤هـ/١٥٨٤م، أو بعدها وقبل الوفاة، أي ألفه قبل وفاته بما يقارب الأربعين سنة، ونعرف من خلال سيرته، أنَّه تابع رسالته التعليمية حتى نهاية حياته، ورجَّحنا مشاركته في تصاميم الكثير من الأعمال العمرانيَّة في عهد الشاه عباس الكبير، فالراجح أن يكون مصدرها الكتاب الكبير المفصَّل، أكثر من الكتاب المختصر، والموضوع أساسًا للتدريس.

إنَّ هذا الكتاب ضاعَ مع ما ضاعَ من مكتبة البهائيِّ الخاصَّة بعد وفاته، ويذكر

المؤرّخون أنّه وقف كتبه، ومن بينها أيضًا الكتب التي ورثها عن والد زوجته، «ولما توفي ضاعت أكثر تلك الكتب لأسباب منها عدم اهتمام المتولي لها».

أو أنّ يد أحد المنتفعين سطت عليه، وبخاصّة أنه لم يُستنسخ في عصره، يقول تلميذ البهائيّ السيّد أشرف الطباطبائيّ في شرحه على خلاصة الحساب، الذي ألفه سنة ١٠٢٨هـ/١٦٢٨م، بعد وفاة البهائيّ بثمانى سنوات، عندما يأتي الكلام في المتن عن «بحر الحساب»، يقول: «رزقنا الله رؤيته»، ولعلّه لم يُنسخ في عصره ولا بعد عصره، لأنّ نسّاخ الكتب وشارحيها (كما نلاحظ من أسماء شارحي كتب البهائيّ) هم من الطلاب الذين ينسخون عادةً ما هم بحاجة إليه، والكتب التي هم بصدد دراستها، وإذا عرفنا أنّ المرحلة التي تلت عهد الشاه عباس الكبير، قد قلّ فيها الإهتمام بدراسة الرياضيات، وطفّت فيها الدراسة الفقهية على سائر العلوم، نفهم لمّ نسي أمر هذا الكتاب.

ثمّ ألاّ يُحتملُ أن يكون قد سرقه أحد أولئك الأوروبيين، الذين أتوا إيران كسبّاح وتجار ومبعوثين ومبشّرين، ابتداءً من حكم السلطان محمّد خدابنده، والمهمّة الأساسية لهؤلاء الوافدين، كانت التنقيش عن الكنوز العلميّة الضائعة، وبينهم حتّمًا من يهّمه أمر مثل هذه الكتب، لأنّ أوروبا كانت قد بدأت تشهد نهضة علميّة واسعة، وحركة النقل عن العلماء العرب والمسلمين كانت على قدم وساق.

ولم يكن الشيخ البهائيّ شخصيّة نكرة في عصره، بل كان يعرفه القاصي والداني، وكان أولئك الوافدون على بلاط الشاه عباس الكبير، على معرفة به وبإنجازاته العلميّة، لعلاقته الرسمية بالشاه، ولشهرته بين الخاصّة والعامة...

وإذا كان الشيخ البهائيّ قد علّم الأمير حمزة ميرزا الرياضيات مباشرة أو بشكل غير مباشر، بواسطة كتابه «خلاصة الحساب»، فيكون قد اشترك في تعليمه مع شخص آخر لا يُستبعد أن يكون على معرفة بأمر هذا الكتاب، «فقد ذُكر أنّ فيليب الثاني ملك إسبانيا أرسل سفيرًا إلى الشاه، محمد خدابنده، راهبًا كاثوليكيًا، كان يجيد الفارسية فتقرّب من الشاه، وتولّى تدريس ولي عهده حمزة ميرزا الرياضيات

والنجوم والفلك، وأنّ الشاه غَضَّ طرفه عن مصالحة العثمانيين بناء على طلبه».

### كتاب «خلاصة الحساب»

لقد نال بهاء الدين العامليّ بسبب هذا الكتاب شهرة لا نظير لها، وذلك لما فيه من معلومات مفيدة لا يستغني عنها طالبُ العلم... ولقد اعتُمدَ كتاب «خلاصة الحساب»، حتى نهاية النصف الأوّل من هذا القرن، لتدريس الرياضيات والحساب في مختلف مدارس إيران، وكان داخلاً ضمن منهج دراسة الطلاب في النجف الأشرف حتى نهاية الخمسينات من هذا القرن، لذلك لا تخلو مكتبة رجل الدين الذي درس في النجف في النصف الأوّل من القرن الحالي من مخطوطة لهذا الكتاب.

أهمّ ما يميّز خلاصة الحساب المنهج العلميّ الذي اتبعه صاحبه وطريقة ترتيب موضوعات الكتاب وتبويبها، بأسلوب بليغ، جميل أخذ.

ويُقسم الكتاب إلى تمهيد ومقدّمة وعشرة أبواب وخاتمة، يمكن تلخيصها وتعريفها كما يلي:

التمهيد: يتحدث فيه عن أهمية علم الحساب بالنسبة إلى العلوم الأخرى، فيقول بعد التحميدات:

«إنّ علم الحساب لا يخفى علوّ شأنه، وسموّ مكانه، ورشاقّة مسأله، ووثاقّة دلائله، وافتقار كثير من العلوم إليه، وانعطاف جمّ غفير من المعاملات عليه، وهذه رسالة حوت الأهمّ من أصوله، ونظّمت المهمّ من أبوابه وفصوله، وتضمّنت منه فوائد لطيفة هي خلاصة كتب المتقدّمين، وانطوت منه قواعد شريفة هي زبدة رسائل المتأخرين... وسمّيتها خلاصة الحساب، وربّتها على مقدمة وعشرة أبواب بتوفيق القادر الوهاب».

إذا فالبهائيّ يعتمد في كتابه على «خلاصة كتب المتقدّمين»، و«زبدة رسائل المتأخرين»، كما يقضي اليوم كلّ مبحث علمي، جامعيّ السّمات ينطلق من الذخائر العلميّة السابقة لبحثه في شكل جامع تكامليّ الحلقات شمولي الأبعاد».

المقدّمة: يعرف فيها أولاً بعلم الحساب فيقول:

«الحساب علمٌ يُستعلم منه استخراج المجهولات العدديّة من معلومات مخصوصة، وموضوعه العددُ الحاصل في المادّة كما قيل، ومن ثمّ عدّ الحساب من الرياضيّ وفيه كلام».

ثم يعرف بالعدد: «والعدد قيل كميّةٌ يطلق على الواحد وما تألّف منه فيدخل الواحد، وقيل نصف مجموع حاشيته فيخرج (الواحد). وقد يتكلف لأدراجه بشمول الحاشية الكسر».

مبتكراته:

١- لخص بهاء الدين العامليّ في هذا الكتاب: الحساب والجبر وأعمال المساحة المتفرّقة في عشرات الكتب عند العلماء السابقين المسلمين، وقدم هذه المعلومات في صورة مرتّبة كلّ الترتيب، واضحة كلّ الوضوح، وأورد العدد من الأمثلة التي تزيل الغموض عن الموضوعات المستعصية، وبين أنواع المعادلات وطرق حلّها، كذلك المسائل المستعصية الحلّ، كما قدّم قواعد وفوائد لتسهيل أعمال الحاسب، كما ذكر هو نفسه في مقدّمة الكتاب. ويقول محمّد جواد تهراني في مقدّمة شرحه بالفارسيّة على خلاصة الحساب: «إنّ هذا الكتاب في غاية الإختصار والإيجاز، على الرغم من احتوائه لأمّهات المسائل الرياضيّة وأصولها، ويمكن القول إنّ لصاحبه السّبِق في طريقة عرضه لهذه المسائل».

نموذج: في الفصل الأوّل المربوط بقاعدة الجمع، يشرح كيفية كتابة الأعداد، وبعدها كيفية الجمع، ثم صورة بيانية للمسألة:

ترسم العددين متحاذيين، وتبدأ من اليمين بزيادة كل مرتبة على محاذيها، فإن حصل أقلّ من عشرة ترسم تحتها أو أزيد، فالزائد أو عشرة فصفراً، حافظاً في هاتين الصورتين في الذهن للعشرة واحداً لتزيده، على ما في المرتبة التالية، أو

ترسمه بجنب سابقه أن خَلَّتْ، وكلُّ مرتبةٍ لا يحاذيها عددٌ فانقلها بعينها إلى سطر الجمع وهذه صورته: «فإن تكثر سطور الأعداد فارسمها متحاذاة المراتب، وابدأ من اليمين حافظاً لكلِّ عشرة واحداً كما عرفت وهذه صورته:»<sup>(١)</sup>.

٢- ويقول علماء الرياضيات<sup>(٢)</sup>، إنَّ أوضح تفسير لكلمتي «جبر ومقابلة»<sup>(٣)</sup> هو تفسير بهاء الدين العامليّ لهما: «استخراج المجهولات بالجبر والمقابلة محتاج إلى نظر ثاقب وحدس صائب وإمعان فكر في ما أعطاه السائل، وصرف ذهن في ما يؤدي المطلوب من الوسائل. فتفرض المجهول شيئاً وتعمل ما تضمّنه السؤال، سالكاً على ذلك المنوال لينتهي إلى المعادلة، والطرف ذو الإستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك على الآخر وهو الجبر، والأجناس المتجانسة المتساوية في الطرفين تسقط منها وهو المقابلة، ثم المعادلة إما بين جنس وجنس، وهي ثلاث مسائل تسمّى المفردات، أو جنس وجنسين وهي ثلاث أخر تسمّى المقترنات»، ويقصد بالطرف ذي الإستثناء الحدّ الذي يسبق إليه بالإشارة السالبة<sup>(٤)</sup>.

٣- كما ساهم في تطوير الرموز التي أوجدها الخوارزميّ للجذور والمربّع والمكعب والمجهول.

(١) (م.ن) ص ٢٥ و ٢٧.

(٢) علي عبد الله الدفاع: المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين ص ٢٤ و «إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٢١٩ وجلال شوقي: رياضيات بهاء الدين العامليّ ص (١٢٢-١٢٥) نقلًا عن: (David Eugenne Smith, History of mathematics (New York, Ginn and company, 1925).

(٣) إنَّ العرب هم أول من أطلق لفظه جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم، وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة، وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزميّ في زمن المأمون، كما أنَّ الخوارزمي ومن أتى بعده من علماء المسلمين اتفقوا على تفسيرهم لكلمتي (الجبر والمقابلة). تراث العرب العلميّ، إسهام العلماء المسلمين في الرياضيات ص ٢٢ المدخل إلى تاريخ الرياضيات ص ٢٧، الرياضيات في الحضارة الإسلاميّة ص ١١٢.

(٤) إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٢١٩ والمدخل إلى تاريخ الرياضيات ص ٣٦.

## أ. رفيف صباح

يقول بهاء الدين العاملي: «يسمى المجهول شيئاً، ومضروبهُ في نفسه مالاً، وفيه كعباً، وفيه مال المال، وفيه مال الكعب، وفيه كعب الكعب إلى غير النهاية... ويضيف: «وإن كان استثناء يسمى المستثنى منه زائداً والمستثنى ناقصاً، وضرب الزائدين مثله زائداً، والمختلفين ناقصاً، فمضروب عشرة أعداد وشيء في عشرة أعداد إلا شيئاً: مائة إلا مالاً»<sup>(١)</sup>، وهو في لغة العصر الحديث وكما هو موضح في شرح الخلاصة<sup>(٢)</sup>: يصير  $(١٠ + س) (١٠ - س) = ١٠٠ - س٢$ .

٤- اهتم بهاء الدين العاملي: اهتماماً ملموساً بالمتواليات وأنواعها، فاتبع أستاذه الكرخي<sup>(٣)</sup>، ولكنه زاد عليه بابتكار متواليات أخرى<sup>(٤)</sup>.

أ- أوجد مجموع مضروب عدد في نفسه وفي مجموع ما تحته من الأعداد.

ب- اكتشف قانوناً لجمع الأعداد المفردة بحسب تسلسلها الطبيعي.

ج- ابتكر قانوناً لجمع الأعداد المزدوجة بحسب تسلسلها الطبيعي.

٥- ابتكر طريقة تسمى استخراج المجهولات «بالعمل بالعكس»، أو طريقة التحليل والتعاكس وهو العمل بعكس ما أعطاه السائل: «فإن ضعّف نصف، أو زاد فأنقص، أو ضرب فأقسم، أو جذر فربّع، أو عكس فاعكس، مبتدئاً من آخر السؤال ليخرج الجواب»:

(١) اللباب: من ص ٢٦٦-٢٨٦.

(٢) (م.ن) من ص ٢٨٠-٢٨٢، وقد أورد تهراني أمثلة توضيحية لكل من هذه المسائل، ولكل مثل بيان توضيحي مفصّل.

(٣) الكرخي: أبو بكر محمد بن الحسين الكرخي المتوفى بين سنة ١٠١٩ أو ١٠٢٩ م «من أعظم نوابغ الرياضيين الذين ظهوروا في بداية القرن (الخامس الهجريّ الموافق الحادي عشر الميلاديّ) وهو من أكثر المشتغلين بعلم الحساب وأعلى من كتب فيه أصالة، وله فيه مصنّفان معروفان أولهما: «الكافي في الحساب» ويعرض فيه لقواعد العمليات الحسابية، وثانيهما كتاب «الفجريّ»، الدفاع ص ٣٦ والرياضيات في الحضارة الإسلامية ص ١٢٥.

(٤) الدفاع: إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٢٢٤، والرياضيات في الحضارة الإسلامية من ص

١٣٥-١٣٧.

مثل: «فلو قيل أي عدد ضرب في نفسه وزيد على الحاصل اثنان وضعف وزيد على الحاصل ثلاثة دراهم وقسم المجتمع على خمسة وضرب الخارج في عشرة حصل خمسون؟ فاقسمها على العشرة، واضرب الخمسة في مثلها وانقص من الحاصل ثلاثة ومن منصف الإثنين والعشرين وجذر التسعة جواب»<sup>(١)</sup>.

٦- استنتج طريقة جديدة لإيجاد الجذر الحقيقي التقريبي للمعادلة الجبرية، وسماها طريقة الكفتين أو طريقة الميزان الرياضي.  
ويعرف البهائي الميزان بقوله: «واعلم أن ميزان العدد ما يبقى منه بعد إسقاطه تسعة تسعة، وامتحان الجمع والتضعيف لجمع ميزاني المجموعين، وتضعيف ميزان المضعف، وأخذ ميزان المجتمع، فإن خالف ميزان الحاصل، فالعمل خطأ»<sup>(٢)</sup>.  
يعرف ميزان العدد بأنه ما يبقى من العدد بعد إسقاطه تسعة تسعة، بمعنى أننا نجمع الأرقام المكونة للعدد، ونستبعد منها جميع التسعات الصحيحة، فما يبقى بعد ذلك فهو ميزان العدد، مثال ذلك<sup>(٣)</sup>، عملية الجمع التالية حيث نبين ميزان كل عدد على حدة (إلى اليسار)، ثم ميزان المجتمع (ميزان حاصل جميع موازين الأعداد) الذي لا بد وأن يساوي ميزان الحاصل (أي ميزان حاصل جمع الأعداد، وهو مبين إلى اليمين):

٣	العدد الأول: ٩٣٥٧٢٤
٢	العدد الثاني: ٦٧٠٣٥٨

(١) اللباب ص ١٨٢. والحل هو التالي: إذا بدأنا من آخر المسألة... نقسم الخمسين على عشرة ينتج ٥، ثم نضرب ٥ في مثلها ينتج ٢٥ وننقص من ٢٥ العدد ٣ نحصل على ٢٢ ومن نصف العدد ٢٢ ننقص ٢، نحصل

٢٢ - ٢ = ٩، والجواب هو الجذر التربيعي للعدد ٩، أي ٣... (اللباب ص ١٨٤).

(٢) نماذج للميزان في اللباب ص ٣٩، ٤٦، ٩٩، ١٠٦، ١٢١.

(٣) رياضيات بهاء الدين العاملي ص ٣٦.

وتسري قاعدة اختبار صحة العمليّات الحسابيّة على جميع العمليّات البسيطة من جمع وطرح وتفریق وقسمة وضرب، حيث يكون تحويلها إلى صورة عملية الضرب. ويقول علي عبد الله الدفاع<sup>(١)</sup>: بقيت طريقة بهاء الدين العامليّ المسماة (الميزان) تُستعمل في جميع معاهدة وجامعات أوروبا، حتى جاء في القرن السابع عشر الميلاديّ الإنجليزيّ إسحاق نيوتن، الذي دَرَس واستعمل طريقة الميزان لبهاء الدين العامليّ، ثم ابتكر طريقة أخرى لإيجاد الجذر الحقيقيّ التقريبيّ، وسماها طريقة نيوتن ورفضون المعروفة باللغة الإنجليزيّة (the New- Raphson Method) وهي طريقة تمتاز بدقّة أكبر إذ أنّها تركز على نظرية حساب التفاضل والتكامل<sup>(٢)</sup>.. وجلّ عمل نيوتن كما قلنا كان مرتكزاً على أبحاث بهاء الدين العامليّ وأفكاره، هو وغيره من علماء المسلمين<sup>(٣)</sup>.

ويرى الدفاع أنّ من الواجب أن تدرّس طريقة الميزان التي تدلّ على عبقرية بهاء الدين العامليّ، لطلاب المعاهد والمدارس والجامعات، عندما يحين وقت شرح «طريقة الخطأين» لإيجاد جذر المعادلة الحقيقيّ التقريبيّ، المعروفة باللغة اللاتينيّة (Re Gula bourum)، وباللغة الإنجليزيّة (False position)، ثم يتبع هاتين الطريقتين

(١) أعطى علي عبد الله الدفاع مثلاً مطولاً على كيفية إيجاد الميزان لمعرفة الجذر الحقيقيّ التقريبيّ للمعادلة (إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٢) المعروف لدى علماء الرياضيات أنّ صاحب فكرة حساب التفاضل والتكامل هو العالم العربيّ ثابت بن قرّة الذي استخدم بكثرة نظرية الجاذبية التي طورها أبو الريحان البيرونيّ، ولكن نيوتن هو الذي طبقها على الأجسام المتحركة (إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٢٢٨).

(٣) إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ص ٢٢٧.

بالترتيب المنهجي طريقة نيوتن ورافسون المشهورة<sup>(١)</sup>.

٧- قدّم بهاء الدين العاملي قاعدة مبتكرة لتعيين الأعداد التامة، وهي قاعدة ثبتت صحتها كما يقول جلال شوقي حتى البلايين على الأقل، وقد أمكن باستخدام هذه القاعدة تعيين الأعداد التامة السبعة الأولى<sup>(٢)</sup>.

٨- عرض جلال شوقي قاعدة في بيان تقسيم الغرماء التي استخدمها بهاء الدين العاملي في حساباته مع صورة توضيحية:

«تضرب دين كل واحد من الغرماء في التركة، وتقسم الحاصل على مجموع الديون، فخارج القسمة هو نصيب صاحب المضروب في التركة». مثال: التركة عشرون، وأحد الديون ثمانية، والآخر عشرة، والآخر اثني عشر ومجموع الديون ثلاثون.

- رسم لوحة وفيها خلايا كما هي موضحة في الشكل.
- وضع التركة فوق ومجموع الديون تحت كما في الشكل.
- وضع كل واحد من الديون بخلية، وفوق مقدار التركة.
- كما في الشكل المخصّص له حرف «أ» حتى يتسنى له إجراء عملية الضرب.

التركة ٢٠			
٢٠	٢٠	٢٠	أ
١٢	١٠	٨	
٤٠	٠٠	١٦٠	ب
٢٠	٢٠	١٦٠	
٢٤٠	٢٠٠	٣٠	ج
٢٠	٣٠	٥	
٨	٦		

(١) الدفاع: المدخل إلى تاريخ الرياضيات ص ٣٦.

(٢) رياضيات بهاء الدين العاملي ص ١٢٣-١٢٧.

## أ. رفيف صباح

	كسر ٢٠	كسر ١٠	د
مجموع ديون ٣٠			

- ضرب الشركة في كل من الديون، ونتج عنه المقادير كما في الشكل الموضَّح بحرف «ب».

- ثم قسم حاصل ضرب الديون في الشركة على مجموع الديون والنتائج موضَّح بالشكل ومخصَّص له حرف «ج».

- وضع الباقي في الخلية التي تحت النصيب لكل دين ووضع لفظ كسر فوقه كما في الشكل الموضَّح بحرف «د».

د	[نصيب صاحب الثمانية: $8 \times \frac{2}{3} = \frac{16}{3}$ ]
س	نصيب صاحب العشرة: $10 \times \frac{2}{3} = \frac{20}{3}$
أ	نصيب صاحب الإثني عشر: $12 \times \frac{2}{3} = 8$ .

٩- استخراج بهاء الدين العاملي القيم التقريبية للجذور الصماء باستعمال طرق خاصة.

١٠- ومن مبتكراته ما جاء في الباب التاسع من خلاصة الحساب حيث يقول: «قواعد شريفة وفوائد لطيفة، لا بدَّ للحاسب منها ولا غناء له عنها»، وقد اقتصر هذا الباب على اثني عشرة قاعدة وفائدة، يقول إنَّها كلُّها من مبتكراته وأنَّه لم يسبقه أحد إليها يقول طوقان الحقيقة أنَّه مبتكر في بعضها وقد استعمل لها طرقاً طريفة فيها بعض الإبداع. وفيها شيء من المهارة والمقدرة تدلُّان على عمق التفكير».

١١- وجاء في خاتمة خلاصة الحساب: «قد وقع للحكماء الراسخين في هذا الفنِّ مسائل صرفوا في حلِّها أفكارهم، وتوسَّلوا إلى رفع حجابها بكلِّ وسيلة، فما استطاعوا إليها سبيلاً، وما وجدوا عليها مرشداً ودليلاً، فهي باقية على عدم

انحلال من قديم الزمان، ومستصعبة على سائر الأذهان إلى الآن، وقد ذكر علماء هذا الفن بعضها في مصنّفاتهم وأوردوا شطراً منها في مؤلفاتهم، تحقيقاً لاشتمال هذا الفن على المستصعبات في الأبيات، وإفحاماً لمن يدّعي عدم العجز في الحسابيات، وتحذيراً للحاسبين من التزام الجواب، عما يورد عليهم منها، وحثاً لأصحاب الطبائع الوفاة على حلّها والكشف عنها، وأنا أوردت في هذه الرسالة سبعة منها على سبيل الأنموذج اقتداءً بمنارهم، واقتفاءً لآثارهم....».

ومن المستصعبتين الثانية والرابعة، يمكن القول بأنّه من المحال تقسيم المكعب إلى مكعبين، أو ضعف المربع إلى مربعين، ومن هذا يتّضح سبق علماء المسلمين على «فيرما» في النظرية المنسوبة إليه، فقد جاءت ملاحظة «فيرما» بعد وفاة بهاء الدين العاملي بحوالي خمسة عشر عاماً، وبعد تأليف بهاء الدين العاملي لكتاب خلاصة الحساب بأكثر من أربعين سنة، لأنّ العاملي قدّمه إلى وليّ عهد السلطان محمّد خدابنده «حمزة ميرزا»، الذي قُتل سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٥م.

١٢- تطبيق علم الجبر على الحياة اليومية:

نماذج من المسائل المتفرقة التي أوردتها في الباب العاشر، بقصد شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطالب. يستعمل في حلول بعض المسائل طرقاً جبرية، وفي بعضها الآخر طرقاً حسابية، يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه، ويقوّي لديه ملكة التفكير، من هذه المسائل:

- أ- «عددُ ضوعف وزيد عليه واحد، وضربَ الحاصل في ثلاثة وزيد عليه اثنان، وضربَ المبلغ في أربعة وزيد عليه ثلاثة، بلغ خمسة وتسعين فما العدد؟».
- ب- «سمكة ثلثها في الطين وربعها في الماء والخارج منها ثلاثة أشبار، كم أشبارها؟»

ج- «رجلان حضرا بيع دابّة، فقال أحدهما للآخر، إن أعطيتني ربع ما معك على

ما معي تمّ لي ثمنها فكم مع كل واحد منهما، وكم الثمن؟».

د- «قيل لشخص كم مضى من الليل، فقال: ثلث ما مضى يساوي ربع ما بقي، فكم مضى وكم بقي؟».

هـ- «رمح مركوزة في حوض، والخارج عن الماء خمسة أذرع، فمال مع ثبات طرفه حتى لاقى رأسه سطح الماء، وكان البعيد بين مطلعته في الماء، وموضع ملاقاته رأسه له، عشرة أذرع، كم طول الرمح؟  
الحل:

«فبالجبر تفرض الغائب في الماء شيئاً، فالرمح خمسة وشيء، ولا ريب أنه بعد الميل وتر قائمة أحد أضلعها عشرة أذرع، والآخر قدر الغائب منه أعني الشيء. فمربع الرمح أعني خمسة وعشرين مالاً وعشرة أشياء مساو لمربعي العشرة والشيء أعني مائة ومالاً بشكل العروس، وبعد إسقاط المشترك يبقى عشرة أشياء معادلة لخمسة وسبعين والخارج من القسمة سبعة ونصف، وهو القدر الغائب في الماء، فالرمح اثنا عشر ذراعاً ونصف.

ب د = ٥ أذرع وهو الجزء الخارج عن الماء.

د ج = البعد بين مطلع الرمح من الماء وموضع ملاقاته رأسه للماء = ١٠ أذرع.

ب

ج ١٠ أذرع ٥ أذرع سطح الماء

أر = س = الجزء الغائب في الماء.

أ ج = الجزء الخارج عن الماء + الجزء الغائب في الماء = ٥ + س.

استعمل بهاء الدين العاملي في حل هذه المسألة نظرية مثلث قائم الزاوية.

١٣- وفي حله لمسألة السمكة التي ثلثها في الطين وربعها في الماء والخارج منها

ثلاثة أشبار: يورد عدة حلول:

أ- من طريق التناسب.

ب- حلّ جبري.

ج- بحساب الخطأين.

د- بالتحليل. وفي نهاية الحلّ يقول: وقس على ذلك أمثاله:

تنظر النسبة بين الكسور الملقاة، وبين ما بقي من المخرج المشترك، وتزيد على العدد الذي أعطاه السائل بمقتضى تلك النسبة، وهذا العمل الأخير من خواص هذه الرسالة<sup>(١)</sup>، معنى ذلك أنه من مبتكراته:

أهمّ ما يميّز كتاب «خلاصة الحساب» أنّ بهاء الدين العامليّ، نهج فيه منهجاً فلسفياً يقوم على العناية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية، واستقامته في نظر العقل. هذا المنهج العلميّ كما يقول عبد الله الدفاع «اندهش منه علماء العصر الحديث»<sup>(٢)</sup>.

لقد استوعب بهاء الدين العامليّ العلوم الرياضيّة بفروعها المختلفة، وقدّم العديد من الإبتكارات التي لم يسبقه أحد إليها، كما أنّه اهتمّ بالناحية التطبيقية في مجالات البيئة بمختلف مظاهرها، كالفلك والهندسة والضوء والهندسة المعماريّة وحساب الموارد والأعمال التجاريّة.

وإلى جانب هذه الإبتكارات الرياضيّة التي تحدّثنا عنها، فإنّ التجديد عنده كما لاحظنا تجديد منهجيّ، فهو أبداً لم يسر على خطى أحد غيره، بل هو يأخذ المادّة أيّاً كانت ويطبّعها بطابعه الخاصّ، المتحرّر من جميع القيود المصطنعة التي كانت تكبل معاصريه.

## الأسلوب:

في كتاب «خلاصة الحساب»: أسلوب سلس، جذاب، تعليمي، يبدأ بمقدّمات كليّة ثمّ يلجأ إلى التقسيم والتنفيذ:

(١) المخطوط ص ٩ واللباب ص ٢٧.

(٢) المخطوط ص ١٢ واللباب ص ٣٥-٣٧.

فمثلاً حين تحدّث عن قاعدة الجمع، فصّل في ما يجب أن يفعله التلميذ: كيفية ترتيب الأعداد، وكيفية جمعها بالتفصيل مع صور بيانية: «... ولنورد هذه الأعمال في فصول:

الفصل الأوّل: في الجمع ترسم العديدين متحاذيين وتبدأ من اليمين... وهذه صورته... وإن كثرت سطور الأعداد فارسمها متحاذية المراتب وابدأ من اليمين حافظاً لكل عشرة واحداً، وهذه صورته...»<sup>(١)</sup> «في التضعيف تبدأ من اليسار وتضع نصف كل عدد تحته... فإن انتهت المراتب ومعك كسر فضع له صورة النصف هكذا ١/ ٢، ولك أن تبدأ من اليمين راسماً للجدول على هذه الصورة... واعلم أنّ التضعيف في الحقيقة جمع المثليّن، إلا أنّك لا تحتاج إلى رسم المثليّن بل تجمع كل مرتبة إلى مثلها...»<sup>(٢)</sup>.

وإذا أعطى نموذجين لحلّ مسألة معيّنة فإنّه يحدّد أيّهما الأفضل: «... ولك الإبتداء في هذه الأعمال من اليسار إلا أنّك تحتاج إلى المحور والإثبات، ورسم الجداول، وهو تطويل بغير طائل وهذه صورته...»<sup>(٣)</sup>.

«تبصرة: فإن كثرت المراتب وتشعب العمل فاستعن بالقلم، فإن كان ضرب مفرد في مركب فارسمهما، ثم اضرب المفرد بصورته في المرتبة الأولى، وارسم أحاد الحاصل تحتها، واحفظ لعشرات أحاداً بعدتها لتزيدها على حاصل ضرب ما بعدها إن كان عدداً، وإن كان صفراً حافظاً لكل عشرة واحداً لتفعل به ما عرفت، ومتى ضربت في صفر فارسم صفراً، وإن كان مع المفرد أصفاراً فارسمهما على السطر الخارج، وإن كان ضرب في مركب فالطرق فيه كثيرة: كالشبكة، وضرب التوشيح

(١) المخطوط ص ١١ واللباب ص ٣٥.

(٢) المخطوط ص ١٥ واللباب ص ٨٥.

(٣) المخطوط ص ٤٣ واللباب ص ١٣٦-١٣٧.

والمحاذاة وغيرها... وأشهرها الشبكة...»<sup>(١)</sup>.

هذا الأسلوب التعليمي المباشر يستعمله في الكتاب كله، ونراه يلجأ في كل موضوع من الموضوعات إلى ذكر عدة قواعد وطرق وحلول حسابية وجبرية مناسبة: قواعد أساسية وقواعد حزئية مع أمثلة تفصيلية على كل منها... وبالإضافة إلى الأسلوب التعليمي المباشر، فإنه يلجأ إلى التنوع لتقريب المعلومات إلى الأذهان.

في نبذة تحصيل مخارج الكسور يضع عنواناً: «لطيفة» يقول تحته: يحصل مخرج الكسور التسعة من ضرب أيام الشهر في عدة الشهور، والحاصل في أيام الأسبوع. وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقال: اضرب أيام أسبوعك في أيام سنتك»<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا النسق من التوضيح والتنوع والتبسيط وعرض الأدلة يتابع الرسالة.

(١) المخطوط ص ١٥ واللباب ص ٨٥.

(٢) المخطوط ص ٤٣ واللباب ص ١٣٦ - ١٣٧.

## المراجع:

- ١- إسهام علماء المسلمين في الرياضيات، لعلّي عبد الله الدفاع، تعريب وتعليق جلال شوقي، الطبعة الأولى دار الشروق، بيروت القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٨١م.
- ٢- الأعمال الرياضيّة لبهاء الدين العامليّ، ط. أولى. معهد التراث العربيّ بجامعة حلب، حلب ١٩٧٦م، وط. دار المشرق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٣- ايران در زمان صفويه، أحمد بخش، تبريز ١٣٤٠ش [١٩٦١م].
- ٤- تاريخ روابط ايران وأروبا در دوريه صفويه. قسمت أول، چاپ تهران ١٣١٦ش [١٩٣٧م].
- ٥- تاريخ العلم، لجورج سارطون، ترجمة لفييف من العلماء، دار المعارف بمصر ١٩٢٧م.
- ٦- تراث العرب العلميّ في الرياضيات والفلك، لقدري حافظ طوقان، الطبعة الثالثة، دار الشروق بيروت- القاهرة- ١٩٦٣م.
- ٧- تاريخ فرهنگ ايران از آغاز تازمان حاضر، عيسى صديق، چاپ دوم، تهران، بهمن ١٣٣٨ش [١٩٥٩م].
- ٨- خلاصة الحساب للبهائيّ: مخطوطة السيّد مهدي إبراهيم بخط رقاع واضح. رجب ١٤١٨هـ - ١٩٠٠م.
- ٩- زندگانی شاه عباس أول، نصر الله فلسفي، جلد أول، چاپ أول: تهران ١٣٣٤ش [١٩٥٥م].
- ١٠- زندگانی شاه عباس أول- جلد دوم، چاپ چهارم تهران ١٣٤٧ش [١٩٦٨م].
- جلد سوم، چاپ دوم، تهران ١٣٤٥ش [١٩٦٦م].
- ١١- زندگانی شاه عباس أول، نصر الله فلسفي، جلد چهارم، چاپ دوم، تهران ١٣٤٦ش [١٩٦٧م].

١٢- كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي، على مصطفى مشرفة  
ومحمد مءسي أحمد، ط. أولى: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة  
١٩٦٨م.

١٣- مجلة الصفر: «بهاء الدين العاملي» غازي أبو شقرا، المجلد الرابع، العدد  
١٩، ١٩٨٧م.

١٤- اللباب: شرح وترجمة خلاصة الحساب، وشرح ترجمة تشريح الأفلاك المتن  
للشيخ البهائي والشرح للسيد محمد جواد ذهني تهراني ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. قم.  
انتشارات كتبي نجفي.

١٥- المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين، لعلي عبد الله الدفاع،  
طبعة أولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

16- Huisman. A. J. W: «les manuscrits arabes dans le monde. Leiden.  
E. J. Brill, 1967.

# الشيخ البهائي (رض) ... وإنجازاته الهندسية

(تحليل ودراسة مقارنة مع النظريات الحديثة)

## المهندس نسيم حطيط<sup>(1)</sup>



إن التحدث عن الامام البهائي (رض) هو الحديث عن العالم، والفيلسوف، والمهندس المعماري وعالم الرياضيات، وعالم الفلك والشاعر، ضمن العبودية لله

---

(1) أستاذ الهندسة المعمارية وهندسة الحدائق (معهد الفنون الجميلة) الجامعة اللبنانية، رئيس مجلس تنفيذ المشاريع الإنشائية الكبرى سابقاً.

سبحانه والمحصل للمعرفة من الرحمة والمشية الإلهية.

لقد كان الشيخ البهائي من علماء الفلك في العالم الإسلامي الذي اقتربوا من نظرية إمكانية حركة الأرض قبل انتشار نظرية كوبر نيكوس» ورائداً في الهندسة المعمارية والتخطيط المدني (urbanisme) والذي بدأه في أصفهان ونجف آباد والنجف الأشرف.

وتكريماً واعترافاً بإنجازاته الهندسية فقد أعلن المجلس الأعلى للثورة الثقافية في إيران يوم ٢٣ نيسان من كل عام يوماً (للمهندس المعماري الوطني) بمناسبة ميلاد الشيخ البهائي، الذي اشتهر بهذا الاسم، لصفاء دينه وعقله وفكره وسلوكه، فإنه يمثل واحداً من النخبة العلمية والفقهية التي انطلقت من جبل عامل.

إن العالم الديني في الإسلام، لا ينحصر علمه بالفقه والثقافة الدينية، بل يجتهد ليؤلف منظومة متكاملة من كل العلوم والثقافات إنطلاقاً من تعريف الفلسفة بأنها أم العلوم ونبعها ومركزها، فالعالم مشروع فيلسوف يتعاطى بشكل متلازم مع الدنيا والآخرة، مع تغليب الآخرة وتسخير الدنيا لأجلها وليصل إلى الدرجة العليا من العبودية والخشوع لله سبحانه مصداقاً لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالشيخ غير العالم وقد تميز التاريخ الشيعي بعلمائه ومفكره على كل المستويات من الطب والهندسة والأدب والفقه والفلك وغيرها إنطلاقاً من مبدأ أن الإسلام هو الدين الداعي والمحفز للتفكير والعلم.

إن الآيات التي تدعو للتفكير في القرآن الكريم، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة فاطر الآية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

وفي الحديث النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وقال علي ؑ: «لقد علمني رسول الله ﷺ» «ألف باب من العلم وفي كل باب ألف باب». واعتماداً على الدعوة الإلهية والسنة النبوية والأئمة ؑ، سار علماءنا الأبرار وكان منهم العلامة الشيخ البهائي (رض) (توفي سنة ١٠٣١هـ) الذي سطع نجمه في كل الساحات الفقهية والعلمية وسأتاوّل في هذا الحديث إنجازاته العلمية في العمارة والهندسة في المرحلة الصفوية في إيران والتي تركزت في (أصفهان) وفي العراق (الصحن الحيدري الشريف) الذي وضع تصاميمه الشيخ البهائي وقد مزج بين (العمارة والفلك والفقه) (العمارة في خدمة الفقه والعبادة).

إن المبدأ الأساس الذي ارتكزت عليه معارف وعلوم الإمام البهائي (رض) يناقض فكرة أن الدين أفيون الشعوب وأن الإسلام يقيد الإنسان في سلوكياته وعباداته ومعارفه العقلية، بل على العكس يطلق إمكانياته العقلية والمعرفية نحو الفضاء الأوسع ليصبح خليفة الله سبحانه على الأرض، وتصبح معرفة الله والعبودية لله محفزاً نحو العلم والمعرفة، ويؤكد على العداوة بين الدين والجهل، وأن العالم المؤمن يستطيع الوصول إلى جوهر العلم والتعمق فيه أكثر من غيره إذا أراد أو سمح له وتوفرت البيئة الحاضنة، لأنه يحاول من خلال المعرفة التعرف إلى الله سبحانه من خلال مخلوقاته الحية والجمادة والطبيعية ليعرف كينونتها، وكيف سخر الله بعض مخلوقاته للإنسان وما على الإنسان إلا أن يسعى.

إن التاريخ يعيد نفسه، فبعد أربعماية عام على إبداعات البهائي وابن سينا، وجابر بن حيان والفارابي وغيره تعود الجمهورية الإسلامية في إيران إلى ساحة العلم والمعرفة من خلال علمائها المؤمنين بالله سبحانه لتصل إلى علم الذرة والمفاعلات النووية وما حققته على الطريق الموصل لهذه الدرجة من العلوم مع تمسكها بدينها وعقائدها، وأن الدين (والعلم الخاضع للدين) هما الجناحان التي تعلق بهما الأمة نحو الفضاء الرسالي الإنساني وتأمين خدمة الناس وتسيير معاشهم، وأن هدف العلم هو الحياة

والرفاهية وليس القتل كما فعلت أميركا في هيروشيما وناكازاكي في اليابان، وكما تفعل كل يوم في العالم ضد من يخالفها الرأي ويتصدى لمشاريعها اللاإنسانية.

### المنهج الهندسي عند الشيخ البهائي رَحِمَهُ اللهُ

حرر العاملي باباً خاصاً لتعيين مساحات الأشكال الهندسية المستوية وأحجام الأجسام المنتظمة، ويتناول أعمال المساحة العملية وتقويم البراهين الهندسية على صحة الطرائق المتبعة بها، فيعرض لطرائق قياس فرق المنسوب بغرض شق القنوات وطرائق تعيين علو المرتفعات وأعماق الآبار.. كذا قياس ارتفاع الشمس من دون إسطرلاب أو آلة ارتفاع. ويفرد الشيخ العاملي خاتمة أبحاثه لسبع مسائل يسميها: «المستعصيات السبع»، وهي مسائل بعضها صعب وبعضها الآخر مستحيل الحل، وقد سبق العاملي في حل ما عُرف في ما بعد في العلم الحديث، بنظرية «فيرما»، نسبة إلى العالم الفرنسي بيير دي فيرما.

- العمارة في خدمة الدين (الوظيفة) بناء المساجد (قنوات المياه) المآذن.
- الإبداع الفني لتحقيق الجمالية والوظيفة («حديقة صورة العالم أصفهان»، «قبة الصدى المسجد الكبير»، «الصوت الذي يغطي القاعة»...).
- اللمسات الفنية التي تركز على مفاهيم ومصطلحات قرآنية ودينية (سبع سماوات، سبع أراضين..) تردد صدى الصوت في المسجد الكبير سبع مرات، وقصر عالي قابو.
- تسخير المعارف الفلكية في خدمة الواجبات الدينية من خلال تحديد المواقيت الشرعية (جدار الصحن الحيدري، القبلة في المسجد الكبير...).
- تسخير الفيزياء لخدمة الوظيفة العامة (الحمام الساخن والشمعة).
- استخدام الرصاص والذهب لمقاومة (الإنقباض والتمدد الحراري) في القباب لحماية المنشأة المعمارية من التفسخ والإنهيار، وهذا الأسلوب يستخدم حديثاً

- في المنشآت الكبيرة (joint.....) .
- إستخدام بعض الوسائل اللطيفة ليقوم الناس بتقليب الطين ومزجه ليتماسك بشكل أكبر من خلال رمي بعض القطع الذهبية في كومة الطين ودعوة الناس للبحث عنها تطوعاً، مما يعطي الطين قوة وتماسكا أكبر.
  - إستخدام المعادلات الرياضية والفيزيائية والهندسية في بعض المساجد مثل (المسجد الكبير)

### الآثار المعمارية في أصفهان تلك التي حققها الشيخ البهائي

- ميدان تصوير العالم (نقش جهان) .
- مسجد الشاه عباس (الإمام الخميني) .
- قبة الصدى.
- الحمام الساخن بالشمعة التي لا تنطفئ.
- المنارتان المهترتان ( منار جنبان) .
- تصميم مقام أمير المؤمنين(ع) النجف الأشرف.
- قصر ( شهيل ستون) قصر الأربعين عموداً.
- جسر ( سي وسه بل) جسر ال (٢٣) قنطرة.
- قناة نجف آباد المائية.
- مسجد الشيخ لطف الله الميسي العاملي.

### الصحن الحيدري الشريف:

يقول العلامة الأمين عن الشيخ البهائي (كان يضع تصاميم المعاهد والمعابد والقصور وغير ذلك من الأبنية التي اشتهر ( الشاه عباس الكبير) بإنشائها وهي مبان ضخمة لا يزال جملة منها قائماً ومنها عمارة المشهد العلوي في النجف، وهذه التصاميم

تشهد بخبرته وبراعته الفنية في فرع الرياضيات والهندسة وقد وضع تصاميم كثيرة من تلك المعابد والمساجد على أسس فنية يستفاد منها تعيين المواقيت الشرعية هذا إلى الروايات أخرى شائعة عند الجمهور عن أعماله الرصدية والفلكية في أصفهان وغيرها من ديار الفرس والعرب ومما لا شك فيه أن سور أمير المؤمنين (ع) القائم اليوم يرجع إلى عصر الشاه عباس الكبير وأن الشيخ البهائي أشرف على وضع أسسه وإنشائه.

- لقد صمم الحجرات الخاصة بالصحن التي تقع في أطراف الصحن الشريف بشكل أن كل حجرة تقابل كوكبا من الكواكب المرئية للعلوم فإن كان طالب العلم الرياضي يقابل مجرته الكوكب الخاص بالعلم، وهكذا وضع الصحن الحيدري على نحو يتحقق فيه والإستفادة منها في علم الرياضيات والهندسة. أول الظهر في أي فصل من فصول السنة بوصول الشمس إلى الجدار<sup>(١)</sup>.

حيث إستفاد من خبرته ومعارفه الفلكية في التصميم ليقوم بواجبه الديني الشرعي وقد كرر هذا النموذج في تصاميم كثيرة من المساجد على أسس متينة وحسابات فلكية ليتبين المواقيت الشرعية<sup>(٢)</sup> ومن بديع صنع الشيخ البهائي قُدِّسَ سَمِيُّهُ في عمارة الروضة العلوية حيث صمم شكل البناء بحيث يُعرف وقت الزوال صيفاً وشتاءً متى بلغ الظل موضعاً بعينه.

ويبدو أن القبة المشاهدة الآن مقام الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في النجف هي قبة الشاه عباس الصفوي وإنما أجرى عليها نادر شاه التذهيب وبعض التغييرات التي لا تؤثر بالهيكل العام كما يقول الشيخ الكاظمي، إن القبة الموجودة اليوم هي من أبنية الشاه عباس الصفوي الأول والمباشر له شيخنا بهاء الدين العاملي، وقد احتمل الدكتور

(١) الغزوات والفضائل ص ٢٥٤.

(٢) الشيعي: الإمام العاملي، مجلس النجف الدران (١٧-١٨) السنة الأولى.

حسن الحكيم: إن مشروع القبة هذا قد استغرق زمناً طويلاً حيث بدأه الشاه عباس الأول وأكمله ولده الشاه صفي ثم قام نادر شاه بالتذهيب وفق تخطيط الشيخ البهائي وهندسة للصحن الشريف والقبة والمئذنتين.

وهنا يذكر الخليلي نقلاً عن لونكريك في أثناء وصفه للوالي محمد باشا الذي انتهت مدة ولايته ببغداد صيف ١٦٥٩م/١٠٧٠ للهجرة، وكان الخاصكي محمد وهو المتدين من الطراز القديم قد بعث بالذهب إلى المدينة لتزيين القبة ثم أضاف منارة إلى مشهد النجف.

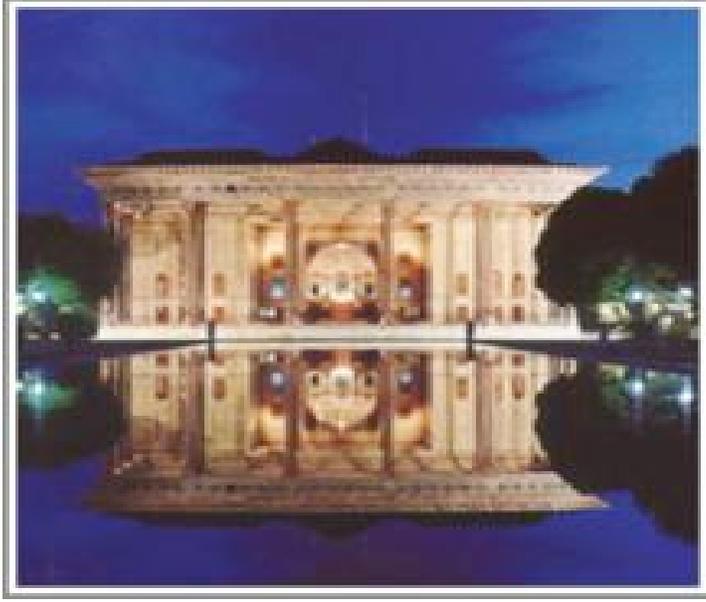
المئذنة الهزاة (مسجد جانبان): يمكن للشخص أن يصعد للمئذنة الأولى ويهزها المقابلة دون إحداث أي ضرر أو عيب في البناء وذلك قبل (٤٠٠ سنة) وهذه المنارات المهتزة بنيت بإشراف الشيخ البهائي حتى الآن لا يعرف سر هندسة المنارات التي تهتز ولا تقع.



توظيف الخداع البصري في إعطاء جماليات للمبنى العماري عبر إستعمال المرايا المائية وذلك في مبنى:

أ- قصر ( شهيل ستون): قصر الأربعين عموداً حيث يبلغ عدد أعمدة المبنى في الواجهة الرئيسية عشرين عموداً، لكنها تنعكس على صفحة مياه الأحواض والنوافير الكبيرة

فتخيل الرائي أنها أربعون عمودا (صورة رقم ١) قصر شهيل ستون).



ب- جسر (سي وسه بل): على نهر زانيدة، جسر (٣٣ قنطرة) الذي تتعكس صفحته على مياه النهر.



- لقد صمم الشيخ البهائي جسر (سي-سه-بل) أي جسر ثلاثة وثلاثون قنطرة لمنع فيضان نهر (دزينده) وذلك عبر احتساب كمية المياه منذ أوائل كانون الأول من كل عام ولمدة ١٩٧ يوماً لإنهاء ذوبان الثلوج في الجبال المحيطة واحتساب كمية مياه البحر لمدة ١٦٨ يوم قبل هذا التاريخ حيث وصل إلى إستنتاج أساسي لمنع الفيضان وإستغلال المياه بأن يقسم مجرى النهر إلى ثلاثة وثلاثون سهماً حيث تساوي قيمة السهم المائبة خمسة أجزاء زمنية من اليوم، مما يضمن أن لا تغمر المياه الجسر وقد توصلت الأبحاث العلمية والعملية التي أجريت إلى نفس النتيجة التي توصل إليها الشيخ البهائي قبل ٤٢٠ عاماً، مما يثبت المستوى والكفاءة العلمية التي وصل إليها المرحوم الشيخ البهائي بالإضافة إلى رسالته المكتوبة في (تضاريس الأرض) والرسالة الثانية بعنوان (نسبة أكبر الجبال لقطر الأرض).

مسجد الشاه عباس: في أصفهان وترتفع مآذنه حوالي أربعين متراً (٤٠م) وقد تم تركيزه وتوجيهه بما يتلائم مع إتجاه القبلة ويخالف الشكل الهندسي المستطيل لساحة (صورة العالم) مما أعطى التصميم والتخطيط العام للساحة المركزية لأصفهان بعداً جمالياً وتناغماً هندسياً يقوم على إستخدام (التناقض) بين عنصر من عناصر الساحة والتصميم العام، وهذا الأسلوب يستخدمه المعماريون المعاصرون وفق نظرية عدم مراعاة حدود المكان الجغرافي (العقار) وذلك خلافاً للنظرية القائمة في التخطيط المدني القائم على وجوب إنعكاس حدود العقار على الخط الغلافي للمنشأة أو المبنى المعماري.

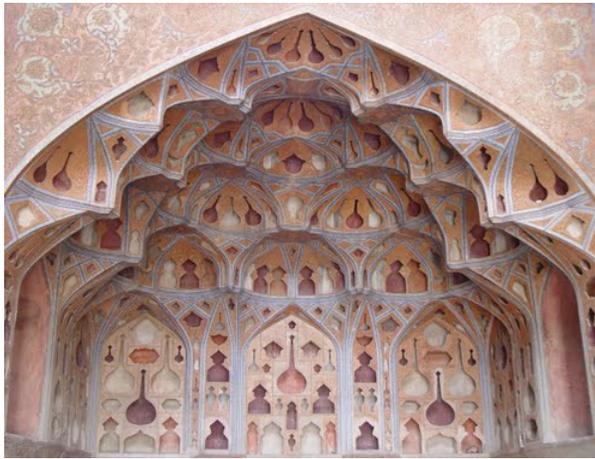
قصر عالي قابو: لقد صمم القصر لإقامة الشاه عباس واستقبال السفراء وكبار الضيوف ومن مميزات القصر:

- يتكون القصر من ستة طوابق، والشرفة الرئيسية بنيت بنظام الدوبلكس الحديث المعمول به قوانين البناء.
- يضم الطابق السادس غرفة الموسيقى الخاصة بالنساء.
- يتميز المدخل الرئيسي بزواياه (يمين وشمال المدخل) العاكستين للصدى،

حيث يمكن سماع همس الشخص في إحدى الزاويتين، من شخص يقف في الزاوية الأخرى، رغم المسافة الفاصلة بينهما.



غرفة الموسيقى: في قصر (عالي قابو) وسط (ساحة تصوير العالم) حيث بنيت غرفة في الطابق السابع (غرفة الموسيقى) التي تعتمد على مبدأ (الصدى) حيث حفرت في الحائط تجاويف من الجص بأشكال وأحجام وأعماق مختلفة وإنحناءات في لخطوط وانفراجات الزوايا وفق مبدأ (انعكاس الصوت).



صورة رقم ١

حيث كان الموسيقيون يدخلون إلى الحجرة ويعزفون الموسيقى ثم يعزفون ويقفلون الباب، ليعود الشاه وحريمه ليدخلوا ويستمعوا إلى الموسيقى عند إقفال الباب من جديد (صورة رقم ١) ولا تزال منظومة ومعادلات غرفة الموسيقى سرّاً لم يكتشفه أحد حتى الآن.

**قبة الصدى:** قبة المسجد العباسي (مسجد الإمام الخميني الآن) وقد أصبح مسجد الإمام الخميني، بني في عهد الشاه عباس الأول، قبل أربعمئة عام، وكان صاحب فكرة بنائه الشيخ بهاء العاملي وقد صممت القبة الخاصة بالمسجد بحيث أن صوت المؤذن يتضاعف إلى أضعاف مضاعفة من خلال منصة عادية إستفاد الشيخ البهائي من تردد الصوت على زوايا الحوائط، بالإضافة إلى دراسة إنعكاس الصدى بحيث يتردد الصوت إلى سبع مرات في حال وقوف الشخص في نقطة محددة تحت القبة.

**حمام الشيخ البهائي:** إن المعجزة العلمية الكبرى فقد ظهرت في حمام الشيخ البهائي في أصفهان من خلال تصميم وبناء فرن لحمام العامة، والتي لاتزال آثاره موجودة في المدينة حيث استطاع تأمين حرارة الفرن بواسطة شمعة واحدة وضعت في علبة، وكانت الشمعة كفيّلة بتأمين حرارة الفرن بواسطة شمعة واحدة وضعت في علبة، وكانت الشمعة كفيّلة بتأمين حرارة الفرن بواسطة شمعة واحدة وضعت في علبة، وقد احترقت الشمعة لفترة طويلة وأمنت تسخين مياه للحمام وفقاً للتعليمات الخاصة التي وضعها الشيخ البهائي، والتي نصت على وجوب عدم فتح العلية حتى لاتتطفئ الشمعة ولن تعود ثانية للعمل، وهذا ما حصل بالفعل بعد محاولة بعثة إنكليزية اكتشاف سر منظومة التشغيل، حيث لم يستطع أحد إعادة النظام للعمل بعد ذلك ورغم وجود العديد من النظريات حول كيفية عمل هذا النظام، فإن احدي الشروحات العلمية تقول، وفي العام ١٩٧٠ تم حفر نظام التدفئة الخاص بالحمام و اكتشفت سلسلة من خطوط الأنابيب تحت الأرض مصنوعة من الطين المجفف تحت الشمس، وقبل اكتشاف الغاز الطبيعي الحيوي، فإن هذه الشبكة كانت لتوجيه آبار المراحيض التي كانت شائعة في المنازل والمساجد الإيرانية واستدراج الغاز والأبخرة

المنبعثة منها نتيجة التخمير والتفاعل الكيميائي إلى هذه العلبة مركز الإحتراق المغلق، وتأمين حرارة كافية لتسخين الغاز دون أن تؤدي إلى انفجاره وقد أثبت العلم الحديث في العقود الماضية إمكانية استخدام هذا الغاز المسمى كبريتيد الهيدروجين (H<sub>2</sub>S) وغاز الميثان في الأعمال المنزلية حيث أن درجة غليان هذا الغاز ( ٥ , ٨٥ درجة مئوية) وذلك ضمن نظرية استخراج الطاقة من النفايات (RdF) Refuse drive fuel ويقال أن الإنكليز قد حاولوا إكتشاف (سر الشمعة) فخرّبوا الحائط ولم يصلوا إلى نتيجة في أبحاثهم، وأخيراً أعلن أحد العلماء الإيرانيين توصله لإستنتاج علمي يكشف سر بقاء الشمعة وقدرتها على التسخين من خلال إستعمال الشيخ البهائي للذهب وقدرته الكبيرة على ( النقل للحراري) والتي تحفظ التسخين الدائم، ولكي يضمن عدم سرقة الذهب وللحفاظ عليه، فقد تم إغلاق الحائط لإخفاء السر الحقيقي لهذه العملية العلمية ولم يستطيع أحد إكتشاف السر الحقيقي لهذا الإنجاز بعدما صمد أكثر من أربعماية عام.

وحديثاً تم العمل على توليد الطاقة الكهربائية والغاز، من الغازات المنبعثة من المطامر الصحية، حيث يستخدم الغاز المتولد للحرق في الأفران والمراجل لكي تنتج بخاراً، ومن ثم توليد الطاقة الكهربائية، أو إنتاج الماء الساخن لأغراض التدفئة المنزلية المركزية وغيرها الكثير. وتنتشر في بعض البلدان تلك الطريقة، حيث وصلت إلى حوالي ٣٠٠ موقعاً للإنتاج، وصلت سعتها إلى حوالي ٥٠٠ في سنة ١٩٩٥، وإلى ٦٠٠ في سنة ١٩٩٨، ويمكن لها أن تتزايد سعتها الإنتاجية أكثر فأكثر<sup>(١)</sup>.

تخطيط مدينة نجف آباد: لقد صمم الشيخ البهائي خرائط مدينة (نجف آباد)

وفق معايير التنظيم المدني لتحقيق الأهداف التالية:

- تصميم الشوارع واتجاهاتها بما يتلاءم مع حركة الريح والشمس للتحكم بإمكانة الظل والمسارات الهوائية.

(١) الدكتور عبدالكريم الحسني الحجازي the.democratic.green.party-irq@bostreammail.com

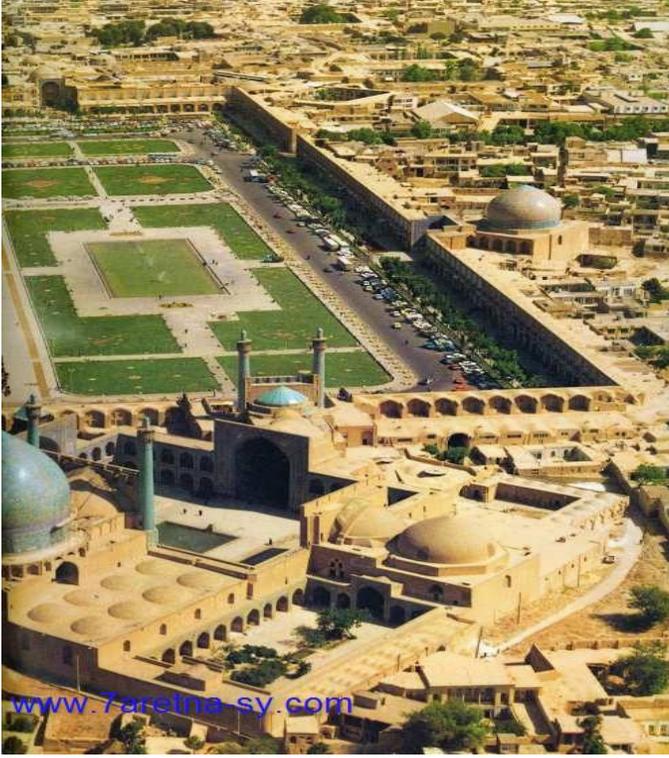
- توزيع أقتية الري والقنوات المائية على الأحياء والمنازل السكنية وقد قال المهندس (سيفريد) «إن ما قام به الشيخ البهائي في التخطيط المدني (urbanisme) لم يكن الأول في عصره لناحية أسس ومبادئ التصميم، وإنما بقاء هذه الأسس في التصميم المدني حتى عصرنا الحاضر».

وقد صمم قلعة المدينة أيضاً.

قناة نجف آباد المائية: بطول تسعة فراسخ (الفرسخ يساوي ٥٥٤٤ متر) أي ما يساوي حوالي ٥٠ كيلو متر والتي توزع مياهها على إحدى عشرة بركة، لا تزال تستعمل حتى اليوم بأجزاء كبيرة منها ومن مبادئ التخطيط المدن الذي اعتمده الشيخ البهائي في قناة نجف آباد المائية ما يسمى في قناطر الحزام الذهبي.  
ميدان تصوير العالم (نقش جهان):

لقد قام الرسول ﷺ بوضع تخطيط للمدينة منطلقاً من المركز باعتباره يحتوي القلب النابض الذي يضخ الحياة إلى المحيط والدماغ المفكر الذي ينشر العلم في الأرجاء ألا وهو المسجد، ثم جعل باقي فعاليات تلتف حوله.

إن الساحة المركزية لمدينة أصفهان (ميدان تصوير العالم) هو عبارة ساحة مستطيلة واسعة جداً في وسط أصفهان. طولها نحو ٥٠٠ متر وعرضها ١٥٠ متراً، وقد أنشئ هذا الميدان في القرن الحادي عشر الهجري ليكون مكان اجتماع للشعب أمام المقر الملكي. ويحتوي هذا الميدان على عدة آثار معمارية راقية، منها: مسجد الشاه عباس الكبير، مسجد شيخ لطف الله، قصر عالي قابو.



إن الساحة المركزية (نقش جهان) والتي أوكل التخطيط العمراني فيها للشيخ البهائي والتي تركز على مبدأ مركزية السلطة<sup>(١)</sup> التي أرادها الشاه عباس الصفوي من خلال توزيع مباني السلطة المركزية<sup>(٢)</sup> القائمة على ثلاثة قوى أساسية:

١ - سلطة الشاه المتمثلة بقصر (عالي قابو).

٢ - السلطة الدينية (المسجد).

٣ - طبقة التجار المتمثلة (بالبازار الإمبراطوري).

وقد توزعت هذه المباني في حديقة نقش جهان وفق التخطيط التالي:

قصر علي قابو في ثلث الضلع الغربي الطويل، ومسجد الشاه في الضلع الأقصر

(١) «the land of the great sophy p ١٧: sir roger steven.

(٢) Savary.

## المهندس نسيم حطيط

العرضي للساحة في الجهة الجنوبية على يمين القصر (أصحاب اليمين...)، أما البازار الخاص بالتجارة فكان في الضلع القصير المقابل لمسجد الشاه في الجهة الشمالية (أصحاب الشمال..) على شمال القصر الملكي مركز السلطة الحاكمة.



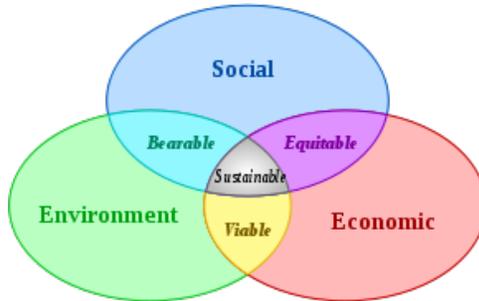
مع مهمات التخطيط العمراني للمدينة، لتخصيص حيز ما لفعالية ترفيهية في مدينة قروسطية، وهذا الإنزياح في مخطط المسجد، وأن برر حدوثه لأجل تثبيت إتجاه المحراب نحو الكعبة في مكة، فإنه أكسب المبنى مشهداً بانورامياً معبراً، مكنه لأن يرى من جميع نقاط نظر المشاهد الواقف في الميدان وبهذا الإجراء فقد جمع معماريو المسجد وبناته، مزايا إستحقاق تكوينات الصيغة التماثلية وجلالها، مع إمكانية إتساع الرؤية المنظورية وهي حالة أغنت التخطيط المبتدع لريادتها، مسهمة في تفرد عمارة المسجد في عموم الممارسة المعمارية العالمية، ولقد أثار هذا الإنزياح كحدث تصميمي مبدع وجاد اهتمام كثر من المعماريين والدراسيين وتحليلهم وقراءاتهم له قراءة خاصة

## الشيخ البهائي (رض)... وإنجازاته الهندسية

وتحضر هنا محاولة (لويس كان) (LUIS KHAN) المعبرة والمليئة بالدلالات، في تأكيده على إنحراف كتلة مبنى المسجد عن الكتل الأخرى أثناء إشتغاله على تصاميم مفردات التكوين الخاص بمجمع برلمان بنغلادش في دكا (١٩٧١) وقد قيم ذلك لإستدعاء كإيماءة إحترام شديدة الوضوح لذلك الحل التصميمي الفريد الذي اجترح يوما في أصفهان.



لقد أسس الإمام البهائي (رض) لمنهج هندسي يعرف الآن بالعمارة المستدامة (Sustainable Architecture) والذي يقوم على أساس المجتمع والبيئة المحيطة والتوفير الإقتصادي، عبر الإستفادة من الطبيعة المعادلات الكيميائية المصطنعة في المنشأة المعمارية وقد بدأ بتنفيذ الأعمال الهندسية في حياته واستفاد المهندسون والمهرة من العمال منها لإستكمال ما بدأه الإمام البهائي (رض) منذ ٤٠٠ سنة حتى اليوم.



## الشيخ البهائي و هندسة الديكور:

لم ينس الشيخ البهائي التكامل بين العمارة والتزيين و الزخرفة الداخلية المعروفة حديثاً بالهندسة الداخلية و الفنون الزخرفية بحيث عمل على استخدام الألوان المتعددة والتي ارتكزت بشكل أساسي على اللونين الأزرق رمزاً للسماء والأبيض لرمزيته في الصفاء والنقاء، وإمكانية تصنيعها من المواد الطبيعية لتزيين بلاطات القيشاني والمخطوطات القرآنية وتلوين المقرنصات والرسوم النباتية وفق أسلوبين:

الأول: مبدأ التناسق الكلي (symmetrical).

الثاني: تماثل (عدم التناسق) (symmetrical-particular).



وذلك في أنماط الألوان على الحوائط أو تبليط الأرضيات، وقد استطاعت هذه الألوان الصمود لمئات السنين رغم الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة.



مسجد الشيخ لطف الله:



يقع المسجد في الضلع الشرقي لساحة (نقش جهان) مقابل قصر (عالي قابو)، وقد تم تخصيصه لصلاة زوجة الشاه والنساء والحريم الملكي، وسمي باسم الشيخ لطف الله الميسي العاملي أحد كبار العلماء في العهد الصفوي، والذي كان الشيخ البهائي أحد، تلامذته ويتميز هذا المسجد بالمزايا التالية :

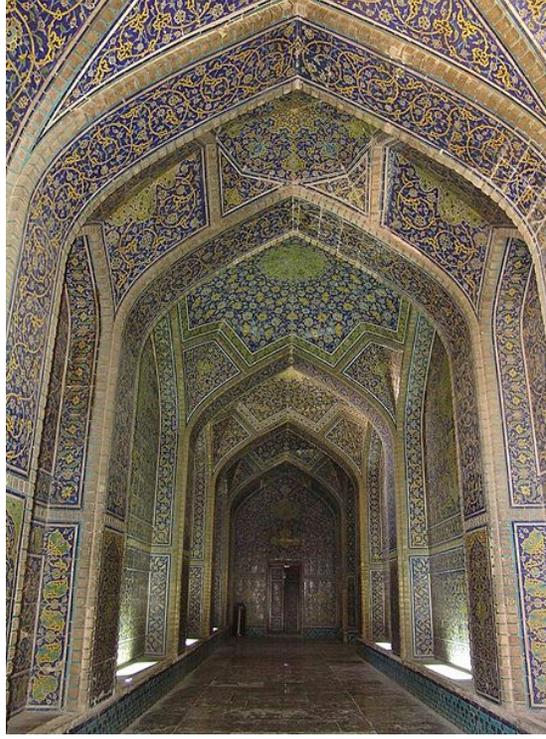
- حفر نفق (ممر) يربط بين قصر (عالي قابو) والطابق السفلي للمسجد لحماية النساء عند خروجهن للصلاة.
- المسجد الأوحى الذي لا يضم مأذنة، لأنه خصص لصلاة النساء.
- يتكون من طابقين سفلي وأرضي، إن تحديد القبلة في هذا المسجد وفق حسابات الشيخ البهائي قبل ٤٢٠ عاماً، جاءت متطابقة ١٠٠٪ مع البرامج الهندسية عبر الكمبيوتر والأقمار الصناعية، برنامجي Qibla Locator, (google earth)



الزخارف الجميلة والألوان في القبة التي تغطي كل قاعة الصلاة، ووحدة من الخصائص الفريدة للمسجد هو الطاووس في مركز قبته.. ويمكن ملاحظة ذلك، إذا وقفت عند بوابة مدخل القاعة الداخلية وإلقاء نظرة على مركز القبة، والطاووس، الذي ذيله وأشعة الشمس القادمة من فتحة في السقف حيث يظهر الإبداع الزخرفي في الطاووس الذي ينتهي رسمه في أعلى القبة.



ومع أن المسجد عبارة عن هيكل بسيط فإن الزخرفة الداخلية والخارجية على حد سواء معقدة exceedingly خيرة واستخدمت في بنائه المواد والعاملين الحرفيين الموهوبين روبرت بايرون كتب عن هذا الأفق: (أنا لا أعرف أي مثال للعبقريّة الإسلاميّة الفارسيّة الدقيقة كما في داخل القبّة)



إن مواد البناء المتوفرة في عهد الإمام البهائي كانت تقتصر على الطوب والجص والطين، ولا تتوفر مواد الإسمنت أو الحديد المستعمل في البناء أو الخرسانة المسلحة ومع ذلك استطاع عبر المواد الضعيفة، بناء المنشآت والمباني المعمارية الضخمة التي احتوت الإبداع في التصميم والوظيفة، وكذلك بناء الجسور والقنوات المائية التي لا زالت حتى اليوم تؤمن الوظيفة التي بنيت من أجلها ومقاومتها لكل العوارض الطبيعية من زلازل وفيضانات وأمطار وسيول، وإعتداءات الإنسان عليها وتعرضها للتخريب أو الضرر في زمن الحروب، بينما نجد الآن أن بعض المباني تنهار بعد سنوات على تشييدها مع إستعمالها لمواد البناء الحديثة.

ووصفت منظمة اليونسكو أصفهان التي تعد أحد المحاور السياحية الرئيسية في إيران بأنها (تراث البشرية). ولا غرو فأصفهان التي يقصدها الكثير من السياح الأوروبيين تضم أراضيها العديد من القصور العملاقة التي تحكي تراث وأثار وتاريخ

الماضي العريق، مثل: قصر (علي قابو) الذي يقع غرب ميدان نقشي جاهان ويعود هذا المبنى إلى العصر الصفوي، كان الغرض من بنائه استقبال السفراء والرسل من الدول الأجنبية، ويتكون القصر من ستة طوابق تحوي العديد من الشرف، وتعد الزخارف الجصية واللوحات الموجودة في هذا القصر من الأشياء التي تبعث على الدهشة. ويعد الزائر لقصر (علي قابو) الكثير من الزخارف والنقوش والرسوم المنحوتة.

إن الشيخ البهائي (رض) يشكل نموذجاً للفقيه العالم، المتعدد المواهب والإبداع، الباحث في أمور الدين والدنيا، لخدمة الإنسان كخليفة الله على الأرض وعبداً له سبحانه، والعمل على تسخير العناصر الدنيوية الطبيعية منها والفلكية والصناعية الناتجة عن دمج العناصر وتركيبها للوصول إلى اختراعات ونتائج تسهل أعمال الإنسان وتساعد في عبادته ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>...

لقد كان البهائي حلقة في سلسلة من العلماء الأعلام في التاريخ الإسلامي الذين كانوا مصداقاً لقوله تعالى (عبدني تكن مثلي تفلح للشيء كن فيكون) ليس بمعنى الألوهية، بل بالهداية العقلية والمعرفية التي منحها الله لعباده بالعقل والروح.

(١) سورة الجاثية الآية: ١٣.

# المنهج العلمي في مدرسة الشيخ البهائي

## الشيخ عبد الكريم الحبييل<sup>(1)</sup>

### تمهيد:

في تاريخ البشرية رجال ملأوا الدنيا شموخاً وعظمة وبلغوا القمة السامقة علماً وعطاءً ومجداً تفتخر بهم البشرية في الإبداع والتجديد وألئك هم نواذر الزمان لا تسمح بهم الدنيا إلا على فترات متباعدة ليجددوا للأمة عزتها ويمدوها بنبض الحياة فهم معجزة الزمن والأئمة المجددون حقاً ومن ألك العظماء نابغة الدهر العارف البار والعلامة المبدع والمفكر الكبير والأديب الشهير والعالم النحرير الشيخ البهائي (قَدَّرَنَّهُ الشَّريف).

### بطاقة مجد:

هو الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد الحارثي الهمداني العاملي الجبعي ولد بمدينة بعلبك سنة ٩٥٢هـ ونشأ في ظل والده الشيخ حسين بن عبد الصمد والذي كان هو الآخر عالماً محققاً جامعاً أديباً جليل القدر عظيم المنزلة من تلامذة الشهيد الثاني قَدَّرَنَّهُ الشَّريف، انتقل بمعية والده وهو صغير إلى بلاد فارس في عهد الدولة

(١) من علماء (القطيف) - السعودية.

الصفوية، وهناك أخذ العلم عن والده وغيره من كبار العلماء حتى أصبح تاج علمائها وجمال سلطانها فذاع صيته في البلدان وملاً اسمه الآفاق وتزعم منصب شيخ الإسلام فيها متخذاً من مدينة أصفهان مقراً أخيراً له إلى أن وآفاه الأجل في اليوم الثاني عشر من شهر شوال لعام ألف وثلثون للهجرة النبوية الشريفة (١٢/١٠/١٠٣٠هـ)، ونقل جثمانه الطاهر إلى مدينة مشهد الرضا عليه السلام حيث دفن في داره بجوار مرقد الإمام عليه السلام وقبره الآن في رواق من أروقة الحرم المطهر معروف باسمه يقصده المؤمنون لقراءة الفاتحة والدعاء.

### مدحه والثناء عليه:

طأطأ كل من ترجم حياة الشيخ البهائي لعظيم شأنه وجيل قدره وسمو منزلته واعترف الخاص والعام ممن عاصره ومن تأخر عنه بشخصيته العملاقة في مراتب العلم وسماء المعرفة وقداسة النفس وسمو الأخلاق وهذه نبذة يسيرة مما قيل في حقه: وصفه المجلسي الأول بقوله: ( الشيخ الأعظم والوالد المعظم الإمام العلامة ملك الفضلاء والأدباء والمحدثين بهاء الملة والحق والدين ).

وأطراه السيد المدني في سلافته بقوله: ( علّم الأئمة الأعلام وسيد علماء الإسلام وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه وفحل الفضل الناتجة لديه أفراده وأزواجه وطود المعارف الراسخ وفضاؤها الذي لا تحد له فراسخ... إلى أن يقول: فهو علامة البشر ومجدد دين الأمة على رأس القرن الحادي عشر إليه انتهت رئاسة المذهب والملة وبه قامت قواطع البراهين والأدلة جمع فنون العلم وانعقد عليه الإجماع<sup>(١)</sup>.

وترجمه العلامة الأميني في غديره قائلاً في حقه: ( بهاء الملة والدين وأستاذ الأساتذة والمجتهدين وفي شهرته الطائفة وصيته الطائر في التطلع من العلوم ومكانته الراسية من الفضل والدين غني عن تسطير ألفاظ الثناء عليه وسرد جمل الإطراء له )<sup>(٢)</sup>.

(١) سلافة العصر ص ٢٨٩.

(٢) الغدير ج ١١ ص ٢٩١.

## الشيخ عبد الكريم الحبيل

ووصفه الحنفي في شرحه لرائية المترجم بقوله : ( صاحب التصانيف والتحقيقات وهو أحق من كل حقيق بذكر أخباره ونشر مزياءه وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه وكان أمة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم والتضلع من دقائق الفنون وما أظن أن الزمان سمح بمثله ولا جاد بنده وبالجملة فلم تشنّف الأسماع بأعجب من أخباره).

### سعة علمه:

أجمع العلماء والمفكرون في كل زمان ومكان مع اختلاف مشاربهم وأديانهم على أنّ الشيخ البهائي عالم موسوعي رهن كل حياته للعلم دراسةً وكتابةً ونشراً حتى برع في كثير من العلوم وتخصص بها واشتهر اسمه في الآفاق بحيث لا يوجد عالم ولا طالب على ظهر الأرض إلا ويعرف قدره بل تجاوزت شهرته حدود المعقول وبلغت به إلى حد الأسطورة فنسبوا له غرائب العلوم في شتى المجالات، حيث قال عنه الشيخ عبد الله نعمه في كتابه فلاسفة الشيعة ( امتاز بشخصية علمية ومكانة رائعة في جميع ميادين العلم وبلغ من شأنه العلمي لدى الناس حداً يكاد يلحقه في عداد الشخصيات الأسطورية ) فلاسفة الشيعة ص ٤٥٥ . وكيف كان فقد تميز الشيخ البهائي بموسوعته المعرفية لأنه طرق أبواب العلم وبرع في الكثير منها فهو عالم في الفقه والحديث والرجال والدراية والأصول والفلك والهيئة والرياضيات والأدب والحكمة وعلم الكلام وألّف في شتى ميادين العلم حتى بلغت مؤلفاته من كتب ورسائل الثمانين مؤلفاً ونال بعضها شهرةً عالمية حتى أصبحت محطاً للدرس والتحقيق.

### عصره العلمي:

يمثل عصر الشيخ البهائي قده نهاية النضج للمرحلة الثالثة من مراحل تطور الفقه الإجتهادي الذي أرسى معالمها المحقق الحلي في القرن السابع الهجري وبداية المرحلة الرابعة التي رسم معالمها المحقق الأردبيلي في أواخر القرن العاشر الهجري. وقد نشطت في المرحلة الثالثة ثلاث مدارس نشاطاً باهراً هي:

مدرسة الحلّة فجل عامل ومن ثم أصفهان عرفت باستقلالها عن محاكاة الفقه غير الإمامي، وقد تميزت تلك المرحلة بتخريج عدد كبير من جهابذة العلم أمثال العلّامة الحلي وابنه فخر المحققين والشهيد الأول وابن المتوجّح البحراني وزين الدين الخطي وابن فهد الحلي والفاضل المقداد والصيمري والمحقق الكركي والفاضل القطيفي والشهيد الثاني وغيرهم.

كما تميزت بإثراء العلم والفقه خاصة بموسوعات علمية في شتى أنواع المعارف والعلوم. ومن أبرز خصائص هذه المرحلة الإهتمام الجاد بعلم أصول الفقه واستخراج القواعد الفقهية وتدوينها والتصنيف الرباعي لعلم الحديث ووضع قواعد ثابتة لعلم الرجال والتركيز على الفقه المقارن، وظهور الموسوعات الفقهية الإستدلالية وفي آخر هذه المرحلة وبعد استقرار الدولة الصفوية التي اعتمدت فقه أهل البيت عليه السلام قانوناً رسمياً للدولة اشتدت الحاجة لتدوين مجموعة من الرسائل الفقهية المرتبطة بقضايا فقه الدولة مما جعل فقه أهل البيت عليه السلام مستقلاً استقلالاً تاماً في مجال النظرية والتطبيق.

أما ما يخص المرحلة الرابعة والتي امتدت لقرنين من الزمن حيث ابتدأت كما قلنا من أواخر القرن العاشر واستمرت حتى أواخر القرن الثاني عشر والتي لمع في بداية تأسيسها نجم الشيخ البهائي قدس سره فأهم ما امتازت به هو ما يلي:

أ- الإهتمام بعلم أصول الفقه وتبويب مباحثه وتنقيحها بدقة عقلية متناهية ومن أبرز ما كتب فيه معالم الدين للشيخ حسن بن الشهيد الثاني والوافية للفاضل التوني وزبدة الأصول للشيخ البهائي نفسه.

ب - الإعتداد الكبير على العقل كمصدر من مصادر التشريع.

ج - الإتجاه إلى عمومات ومطلقات النص القرآني بشكلٍ جاد.

د - التشكيك في قيمة كثير من اجماعاء القدماء وآرائهم.

كما أن تلك المرحلة تميزت بظهور اتجاهين فكريين متضادين:

الإتجاه الأول:

هو الإتجاه العقلي الذي عرف بتشدده في قبول الأخبار المروية في كتب الحديث ومال إلى الإعتماد بشكل ملفت على مصدرين مهمين من مصادر التشريع هما القرآن الكريم والعقل، وكان للنشاط الفلسفي بمدرسة اصفهان دور بارز في بروز هذا الإتجاه خصوصاً أن قسماً من فقهاء هذه المرحلة هم من فطاحل الفلاسفة كذلك.

الاتجاه الثاني:

الإتجاه الأخباري الذي عرف عنه بتسامحه في قبول الأخبار والإعتماد عليها بشكل كبير وتقليص دائرة العقل أو عدم فسح المجال له في عملية الإستنباط، ومما لا شك فيه أن ظهور هذا الاتجاه كان كردة فعل لتمادي جملة من الفقهاء الأصوليين في الإتجاه العقلي وأسفرت ردة الفعل تلك عن الإهتمام الكبير بجمع الأخبار وتدوين الموسوعات الحديثية بل ذهب بعض فقهاء هذا الإتجاه إلى ضرورة الإعتماد على كل ما جاء في الكتب الأربعة بل قال بعضهم بقطعيتها صدورها وعدم حجية ظواهر القرآن الكريم، إلا ما كان منه مفسراً برواية واردة عن أهل البيت عليهم السلام.

أبرز علماء عصره:

ازدهر العلم في عصر الشيخ البهائي وبالأخص في عاصمته اصفهان التي كان للدولة الصفوية دور فيه إذ كانت تكرم العلماء وتجلهم وتدعم المراكز العلمية في النجف الأشرف وأصفهان فيبرز من بينهم نخبة من كبار الأساتذة والمجتهدين أشهرهم:

أ- أحمد بن محمد الأردبيلي المعروف بالمقدس (مؤلف كتاب: مجمع الفائدة والبرهان).

ب- والد الشيخ البهائي نفسه حسين بن عبد الصمد العاملي.

ت- علي بن إبراهيم القطيفي.

ث- عبد العلي بن محمود الخادم (الجابقي).

- ج- محمد بن علي الموسوي (مؤلف كتاب: مدارك الأحكام).  
ح- جمال الدين الحسن بن زين الدين العاملي (مؤلف كتاب : معالم الدين).  
خ- السيد ماجد البحراني.  
د- محمد بن محمد الحسيني (السيد الداماد).

### منهجه العلمي:

قبل الحديث عن منهج الشيخ العلمي نذكر نبذه مختصرة للتعريف بالمنهج ضمن نقاط هي:

#### أ- المنهج لغة:

يقال (منهج) بفتح الميم و (منهج) بكسر الميم ويقال أيضاً (منهاج) بكسر الميم وهو في اللغة العربية الطريق الواضح هكذا عرفه المعجم الوسيط.

#### ب- المنهج في الاصطلاح:

عرّف المنهج في الاصطلاح بعدة تعريفات أشهرها ما ذكره عبد الرحمن بدوي في كتابه (مناهج البحث العلمي) بأنه: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة. وعرفه الدكتور الفضلي في كتابه أصول البحث ص ٥١ بأنه: [مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة].

#### ت- أقسام المنهج:

تقسّم المناهج المتبعة في العلوم إلى قسمين هما:

#### ١ - المناهج العامة:

وهي القواعد المنهجية العامة التي يرجع إليها عند البحث في أي حقل من حقول المعرفة، وتقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: المنهج النقلی: وهو المتَّبَع في دراسة النصوص المنقولة.

الثاني: المنهج العقلي: ويستخدم في دراسة الأفكار والمبادئ العقلية.

الثالث: المنهج التجريبي: وهو المتَّبَع في دراسة الظواهر العلمية في العلوم الطبيعية.

الرابع: المنهج الوجداني: وهو الطريقة المتَّبعة للوصول إلى معارف التصوف والعرفان.

## ٢ - المناهج الخاصة:

هي مجموعة من القواعد وضعت لتستخدم في حقل خاص من حقول المعرفة أو علم خاص من العلوم.

تنبيه:

هناك مناهج عامة أخرى من الضروري أن ننبه عليها وهي:

### أ - المنهج التكاملي:

وعرّف بأنه استخدام أكثر من منهج في البحث بحيث تتكامل فيما بينها، كأن يستخدم الباحث المنهج النقلی والعقلي معاً في مقام البحث.

ويقسم هذا المنهج إلى قسمين هما:

#### ١ - تكاملي عام:

وهو الذي يستخدم في علم من العلوم.

#### ٢ - تكاملي خاص:

وهو الذي يستخدم في بحث مسألة من مسائل العلم كبحث مسألة فقهية.

### ب - المنهج المقارن:

عرف بأنه مقابلة الأحداث والآراء بعضها ببعض لكشف ما بينها من شبه أو علاقة.

### ج - المنهج الجدلي:

عرف بأنه الحجّة بالحجة.

ملحوظة:

تقسيمات المناهج التي ذكرتها هنا هي من كتاب (أصول البحث للشيخ الفضلي) حفظه الله.

### تعريف منهجه العلمي:

بعد هذه النبذة عن التعريف بالمناهج نضع النقاط على الحروف للتعريف به:  
اتبع الشيخ البهائي قَدَسَ سَمِيُّهُ في كتبه العلمية (الدينية منها خاصة) المنهج التكاملي العام أما في كتبه الرياضية فهو يسير وفقاً للمنهج العقلي وفي كتبه الفيزيائية يتبع المنهج التجريبي بينما نراه في أشعاره وعرفانياته يتبع المنهج الوجداني، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عقلية وقادة وعبقرية فذة وخبرة بالعلوم والمعارف قل أن تجد لها نظيراً بين من سبقه أو جاء بعده، ولناخذ للتدليل على ذلك بعض التطبيقات من كتبه وبحوثه:

التطبيق الأول: من كتاب زبدة الأصول في مبحث حجية خبر الواحد ص ٩١-٩٢  
قال: «يجوز التعبد بخبر الواحد عقلاً إجماعاً منا واختلف في وقوعه فمنعه المرتضى وابن زهرة وابن البراج وابن إدريس وفاقاً لكثير من قدمائنا وقال به المتأخرون وهو الأظهر لظواهر قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، ولما شاع وذاع عن أصحاب أئمتنا عليهم السلام ومن يليهم من شدة الإهتمام بأخبار الآحاد وتدوينها والاعتناء بشأنها نقلاً وتصحيحاً والبحث عن حال روايتها ذمماً ومدحاً وتعديلاً وجرحاً وما ذلك إلا للعمل،

(١) سورة الحجرات الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة الآية: ١٢٢.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٧٤.

والنهي عن إتباع الظن إنما هو في الأصول لحكايته عن الكفار، وأصالة البراءة ضعيفة بعده، وتجوز المعارض لا يمنع العمل قبل ظهوره، والتوقف بعد خبر ذي اليدين لإضراده بينهم مع أنه لنا لا علينا إن صح.

نجد الشيخ في هذا المقطع الأصولي يحتج بعدة أدلة.

أولاً: بالعقل في قوله (يجوز التعبد بخبر الواحد عقلاً).

الثاني: بالنقل حيث يستدل بآيات الذكر الحكيم.

الثالث: بالسيرة وهي راجعة إلى النقل في قوله (ولما شاع وذاع عن أصحاب أئمتنا عليهم السلام ومن يليهم من شدة الاهتمام بأخبار الأحاد...) ثم ينتهي بالرد على من يخالفه ويفند آراءهم.

التطبيق الثاني: من كتابه مشرق الشمسيين ص ٢٩٢-٢٩٣ في مبحث كيفية الوضوء: أولاً: أتبع النقل وعرض الأدلة واستدل بتسعة أحاديث ذكر مصادرها من الكتب الأربعة.

ثانياً: ناقش مسح الرأس والرجلين ببلة اليدين بدون أخذ ماء جديد مناقشة فقهية، وهو هنا وإن أتبع منهجاً تكاملياً إلا أنه سار فيه طبق المنهج الخاص به باتباع القواعد التي وضعت له.

التطبيق الثالث: من كتابه خلاصة الحساب ولناخذ هذا المقطع التالي:

[والعدد إن ساوى مجموع عوامله فهو تام، فإن زاد عليها أو نقص أطلق عليه عدد زائد أو ناقص على التوالي، مثال ذلك العدد ٦، فإن عوامله هي ١، ٢، ٣ بمعنى أنه يقبل القسمة على أي منها، ومجموع هذه العوامل يساوي  $1+2+3=6$  = العدد المراد. ومن هنا اتسمت تسميته بالتام، أما في العدد ٤ على سبيل المثال، فعوامله ١، ٢ ومجموعها  $1+2=3$  فيكون العدد ٤ الحالة تلك عدداً زائداً وفي صورة معكوسة: إذا اخترنا العدد ١٨، على سبيل المثال، فعوامله هي ١، ٢، ٣، ٦، ٩، ومجموعها  $1+2+3+6+9=21$  وبذلك يكون العدد ١٨ أنقص من مجموع عوامله ولهذا السبب يسمى عدداً ناقصاً].

ونحن هنا أمام منهج عقلي لا مناص منه لأن المبحث من علم الرياضيات ودراسة الأعداد التي تخضع لقواعد عقلية صرفة في أغلبها.

التطبيق الرابع: من كتابه الكشكول، المجلد الثاني ص ٧٨.

قال: في سبب رؤية الأحوال الشيء شيئين (قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري وله كتاب في المناظر والمرايا: قولهم أن الأحوال يرى الشيء شيئين ليس على إطلاقه بل إنما يرى الشيء شيئين إذا كان حوله إنما هو باختلاف أحد الحدقتين بالإرتفاع والإنخفاض ولم يستقر زماناً يألف منه المرئيات، أما إن كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنةً ويسرة، أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا.

ومما يؤيد ذلك أن الإنسان إذا غمز إحدى حدقتيه حتى يخالف الأخرى يمنةً أو يسرة فإنه يرى الشيء شيئين، ويوجد في الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحالة، فلا يرى الشيئين، والحق أن الذي يغمز إحدى عينيه حتى يرتفع أو ينخفض عن أختها إنما يرى الشيء شيئين، لأنه يرى الشيء المرئي بإحدى العينين قبل الأخرى فيصل إلى تقاطع الصليبين شبح هو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط، ولولا ذلك لرأى هذا الرائي الشيء الواحد متكثرًا بغير نهاية على نسبة زوج الزوج البتة، كما في تضعيف رقعة الشطرنج).

وكذلك ما قاله في المجلد نفسه من الكشكول ص ١٩١.

[إن أردت معرفة ارتفاع مخروط ظل الأرض تضع شظية الكوكب على مقنطرة ارتفاعه فالمقنطرة الواقع عليها نظير درجة الشمس ارتفاع رأس المخروط، فإن كان شرقياً أقل من ثمانية عشر لم يغرب الشفق بعد وإن كان أكثر فقد غرب أو مساوياً فابتداء غروبه، وإن كان غربياً أقل فقد طلع الفجر أو أكثر لم يطلع بعد أو مساوياً فابتداء طلوعه وإن وقع النظير على خط وسط السماء فنصف الليل].

ولا شك أننا هنا أمام منهج تجريبي بحث لأنه يتحدث عن ظاهرتين علميتين من

العلوم الطبيعية فلا مجال للنقل أو الوجدان فيهما.

التطبيق الخامس: قصيدته الغديرية التي مطلعها:

رعى الله ليلة بتنا سهارى خلعنا بحب العذارى العذارا  
ولما سرى النجم والبدر حارا أماطت ذات الخمار الخمارا  
وصيرت الليل منها النهارا

أو قصيدته الاستنهاضية للإمام الحجة عليه السلام والتي مطلعها:

ياكراماً صبرنا عنهم محال إنَّ حالي بعدكم في شر حال  
إن أتى من حبكم ريح الشمال صرت لا أدري يميني من شمال  
حبذا ريح سرى من ذي سلم عن ربا نجد وسلع والعلم  
يا أخلأئي بحزوى والعقيق لا يطيق الهجر قلبي لا يطيق  
هل لمشتاق إليكم من طريق أم سددمت عنه أبواب الوصال

أو قوله:

جاء البريد مبشراً من بعد ما طال المدى  
بالله خبرني بما قد قال جيران الحمى  
يا أيها الساقى أدر كأس المدام فإنها  
مفتاح أبواب النهى مشكاة أنوار الهدى  
قد داب قلبي يابني شوقاً إلى أهل الحمى  
هذا الربيع إذا أتى يا شيخ قل حتى متى  
قم يا غلام وقل لنا الدير أين طريقه  
فالقلب ضيِّع رشده ومن المدارس ما اهتدى

قل للبهائي الممتحن داو الفؤاد من المحن  
بمدامة أنوارها تجلوعن القلب الصدا  
ومما لا ريب فيه أن هذا منهجٌ وجدانيٌ بحثٌ قد تيمم الحب قلب الشاعر فهام في  
معشوقه وراح يتلظى من أعماق قلبه إلى ساعة لقاء أو نظرة تكحل ناظريه بطلعة محيا  
محبوبه ليبرد لوعة فراقه الطويل.

### معالم مدرسته:

من البداهة بمكان أن شخصية بحجم الشيخ البهائي قَدَّرَ اللهُ التي امتازت بذلك الكم  
الهائل من المعارف والعلوم والبحث والتدريس والكتابة والتأليف والحضور الفعّال في كل  
ميادين الحياة والترابط الوشيج بينه وبين أساطين المعرفة من علماء عصره أن تكون له  
هيمنة كبرى على طلاب العلم ممن عاصره ومن جاء بعده، الأمر الذي يجعلهم في حالة  
إعجاب وإكبار له ولمنهجه الفكري الخاص به مما جعل له بصمات واضحة في المسلك  
العلمائي من بعده ترى أثرها جلياً في كتبهم وبحوثهم وتلمذهم على كتبه أكثر من قرن  
من الزمن، فحينما تعرف المدرسة العلمية بأنها (المذهب العلمي التي تتكون من المنهج  
الخاص بها والباحثين الذين ينتهجونه في التعامل مع قضايا ومسائل العلم) نرى ذلك  
منطبقاً تمام الإنطباق على الشيخ البهائي (فده). ونتلمس ذلك من خلال المظاهر التالية:  
أولاً: اتخذ كتبه متوناً دراسية برهة من الزمن وبعضها استمر لقرون وتجاوز حدود  
القارات في العالم ومن تلك الكتب:

أ - تشريح الأفلاك.

ب - خلاصة الحساب.

ج - زبدة الأصول.

د - الفوائد الصمدية.

ثانياً: الشروح التي حظيت بها كتبه بشكل لم نلحظه في كتب غيره ممن عاصره من العلماء أو من جاء بعده.

وإليك نبذة عن بعض كتبه التي تم شرحها وبعده شروح:

١ - زبدة الأصول: شرحت أكثر من ثلاثين شرحاً ولمدة قرنين ونصف من الزمن فأول شرح لها قام به تلميذه الشيخ جواد بن سعد الكاظمي وآخر شروحها قام به الميرزا محمد بن سليمان التكايني المتوفى حدود ١٢١٠هـ، كما تمّ نظمه شعراً كذلك.

٢ - الإثنا عشرية: حظيت بما يقارب من عشرة شروح.

٣ - الأربعين: حظي بأكثر من أربع حواشي وترجمة.

٤ - تشریح الأفلاك: حظي بما يقرب من خمسة عشر شرحاً.

٥ - الجامع العباسي: عليه ما يقرب من عشر حواشي.

٦ - خلاصة الحساب: حظي بما يقرب من أربعين شرحاً كما ترجم إلى عدة لغات.

٧ - الفوائد الصمدية: عليه ما يقرب من عشرة شروح.

٨ - مفتاح الفلاح: حظي بخمسة شروح وثلاث تراجم.

٩ - أَلغاز البهائي: عليه ما يقرب من سبعة شروح.

١٠ - الوجيزة: حظي بما يقرب من ستة شروح.

١١ - وسيلة الفوز: عليه شرحان.

١٢ - تهذيب البيان: عليه ثلاثة شروح.

١٣ - الحبل المتين.

ثالثاً: إتباع طريقته في الكتابة والتصنيف:

ومن أئلك الذين تأثروا به تلميذه السيد علي خان المدني المعروف بابن معصوم فقد سار على منواله في كتابه رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية، وتلميذه الآخر محمد تقي المجلسي المعروف بالمجلسي الأول فقد تأثر به كثيراً في كتابه شرح

مشيخة الفقيه بل اعتبر شرحه ذاك من فوائده، وممن تأثروا به أيضاً صدر المتألهين الشيرازي فقد حذا حذوه في التفسير.

### مميزات مدرسته:

أهم ما يمتاز به مدرسة الشيخ البهائي هو ما يلي:

أولاً: الإتجاه العقلي في تبويب العلوم وتصنيفها ومناقشة الأدلة والتأمل العقلي في كيفية الإستدلال بها ومزجها بقواعد علمي المنطق والفلسفة.

ثانياً: تقعيد قواعد ثابتة للعلوم لتكون أسساً يسير عليها العلماء.

ثالثاً: التوجه نحو القرآن الكريم كمصدر رئيسي من مصادر التشريع.

رابعاً: محالة التوفيق قدر الإمكان بين الشرع والعقل.

خامساً: الإستعانة بالعلوم الأخرى كعلم الفلك والرياضيات في فهم النصوص والاستفادة منها في ذلك.

سادساً: وضع آلية لفهم الحديث والذي يمكننا تسميته بفقهِ الحديث من خلال فهم الظاهر وفهم المقصود.

### وفي الختام.....

نبقى حائرين أمام عبقرية تلك الشخصية الفريدة التي كلما فتحت باباً من أبواب علمه لتدنو منه شبراً انفتح لك باب آخر من أبواب بحره المتلاطم لتقر منه باعاً وكأنه شاء أن يبقى لغزاً تحار فيه عقول العلماء من بعده ليضاف إلى كتابه أَلغاز البهائي.

## مجاميع الشيخ شمس الدين الجبّعي<sup>(1)</sup>

### الشيخ رضا المختاري<sup>(2)</sup>

هو العالم المتتبع الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح اللوزاني الجباعي الحارثي العاملي جدّ الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي (رحمهم الله) المولود سنة ٨٢٢ هـ والمتوفى ٨٨٦ هـ، كما أخبر بذلك ولده عبد الصمد<sup>(٣)</sup>.

سافر إلى الحجاز سنة ٨٤٧ هـ وإلى الروم سنة ٨٥٣ هـ وإلى العراق سنة ٨٥٥ هـ وإلى بيت المقدس سنة ٨٥٨ هـ وإلى العجم سنة ٨٧٩ هـ، وورد العراق سنة ٨٨٠ هـ ثمّ رجع في هذه السنة إلى الشام<sup>(٤)</sup> كما قال هو نفسه:

سافرت إلى الحجاز سنة خمس وأربعين وثمانمائة، وإلى الروم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وإلى العراق سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وإلى بيت المقدس سنة ثمان وخمسين وثمانمائة....

(١) جدّ الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (٨٢٢ - ٨٨٦ هـ).

(٢) محقق وباحث في الحوزة العلمية بقم، ومدير مؤسسة تراث الشيعة.

(٣) الضياء اللامع، ص ١١٩.

(٤) الضياء اللامع، ص ١١٩؛ بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٢٠٣.

وسافرت إلى العجم في أوّل ذي القعدة سنة تسع و سبعين و ثمانمائة. ووردت العراق سنة ثمانين و ثمانمائة، ثمّ رجعت في هذه السنة إلى الشام. ومات والدي علي بن الحسن بن محمّد بن صالح اللوزاني في جمادى الأولى سنة إحدى وستين وثمانمائة، وخلف خمسة أولاد ذكور محمّد ورضي الدين و تقيّ الدين وشرف الدين وأحمد.

و ماتت والدتي فاطمة بنت الحاجّ حسين بن إبراهيم بن علامة أول يوم من شهر رمضان سنة خمس و خمسين و ثمانمائة (حشرها الله مع الأئمة الميامين بحق محمّد وآله الطاهرين)<sup>(١)</sup>.

#### قال الشيخ آقا بزرك الطهراني:

أمّا ولده عبدالصمد فتوفي ١٥ ع ٢ - ٩٣٥ وهو جدّ الشيخ البهائي ووالد الحسين بن عبدالصمد. ولا أعلم من أحوال أبي المكارم وأبي المحاسن غير ما ذكر هناك، وكان لأبي المحاسن زهرة ولداً اسمه عليّ، وهو من أجلاء تلاميذ الشهيد الثاني، بل من مصاحبيه. ترجمه في أمل الآمل، وتفصيل ترجمته في رسالة ابن العودي. وأمّا أولاد والد صاحب الترجمة، فأولهم محمّد وهو المترجم له هنا، وأمّا الثاني رضي الدين، والرابع شرف الدين فما اطّلت عليهما.

وأمّا تقيّ الدين فهو إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد بن صالح الجبّعي اللوزي الكفعمي (م ٩٠٥ هـ) صاحب البلد الأمين (ذ ٣: ١٤٣) وأحمد هو جمال الدين بن عليّ بن الحسن صاحب زبدة البيان (انظر: الذريعة، رقم: ١٢٥).<sup>(٢)</sup>

وكيف كان، فمن الآثار الباقية للشيخ شمس الدين محمد مجاميعه القيّمة التي تعدّ من المراجع المهمّة لأهمّ المصادر المتأخّرة منها، وهي كالبساتين النضرة و الحدائق الخضرة التي فيها ما تشتهيئه الأنفس، وتلذّ الأعين، مشتملةً على رسائل مستقلة

(١) . مجموعة الجبّاعي؛ بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٢٠٢.

(٢) . الضياء اللامع، ص ١٢٠.

في الأحاديث والعلوم الأدبية والأشعار والأخبار المستخرجة من المصادر، والحكايات والنوادر وغيرها، خالية عن الهزليات التي توجد في أمثالها. وقد أكثر في البحار من النقل عنها، معبراً عنه هكذا: «وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي...».

قال المحدث النوري رَحِمَهُ اللهُ :

... اعتبار ما يوجد فيها من الأخبار وغيرها يعرف من اعتبار جامعها الذي لا يحوم حول جلالته قدره خيال<sup>(١)</sup>.

هذه المجاميع من المخطوطات القيّمة الجامعة للتراث الفكري، والتي تعتبر (بحق) من أهمّ المراجع الأدبية وأوثقها، فهي منذ تأليفها وجمعها لم تزل موضع الإعجاب والإكبار، ونظر الباحثون إليها بعين العناية والاعتبار، وحرصوا حرصاً شديداً على الإحتفاظ بها وكثرة النقل والأخذ عنها واتّخاذها مصدراً هاماً يرجع إليها؛ لأنّ القارئ يلمح فيها أموراً وخصائص هامة من أدب القوّة والعاطفة وأدب السخرية والفكاهة والملح اللفظية المتطرّفة والحوادث السياسيّة، مع سرد طائفة كبيرة من تراجم الكتاب والشعراء والمؤرّخين والأدباء، وفيهم من عاصره واجتمع به وتحدّث إليه.

وقد كتب رجال البحث عن هذه المجموعات وترجموا لمؤلّفها، وكلّها ثناء لمقام مؤلّفها العلمي والأدبي.

والواقع أنّ هذه المجاميع تراث فكري هامّ إلى حدّ يمكن اعتبارها حافظاً أساسياً للحياة الأدبية في القرن التاسع الهجري، فضلاً عن أنّ ميزتها الأولى هي أنّها من آثار رجل أجمع التاريخ على ثقته وفضله وغزارة علمه وجدّه وكده واجتهاده، وخصوصية ذهنه وسعة تفكيره.

وعلى آية حال فقد كانت لشمس الدين الجباعي عدّة مجاميع، ووصل إلينا بحمد

(١) . خاتمة مستدرک الوسائل، ج ١، ص ٢٨٢ - ٢٨٥.

اللّه سبحانه وتعالى أربعة منها، وتوجد عندنا مصوّراتها في مؤسسة تراث الشيعة، سنعرّفها حسب تاريخ تأليفها، ونذكر المكتبات التي تحتفظ بأصلها:

## 1. المجموعة الأولى

هي الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقمي ١٧٩٥ و ١٧٩٦، ذكرت في فهرسها (ج ٨، ص ٣٦٠ لغاية ٣٦٨) وعرّف بها المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ في مقالة «نفايس المخطوطات العربية في إيران» ونشرت هذه المقالة في مجلة معهد المخطوطات العربية، في القاهرة، السنة الثالثة، عام ١٩٥٧ م، ثم في نشرة نسخه هاى خطى العدد ١٣، ص ٣٠٨ إلى ٣٠٩، وفي هذه المخطوطة أرجوزة في الكلام لإبن داود الحلّي، والمنهج القويم له أيضاً، وكشف اليقين للعلامة الحلّي وغيرها، و فرغ الجبّاعي من كتابة قسم من هذه المجموعة في شعبان سنة ٩٥٢هـ و فرغ من كتابة قسم آخر منها في ٢١ شهر رمضان سنة ٩٥٢هـ. حيث جاء فيها:

فرغ من كتابتها العبد الفقير محمد بن علي بن حسن الجبّاعي (غفر الله له و لجميع المؤمنين)، وذلك يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر الله رمضان المعظم سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة.

والظاهر أنّه لم ينقل شيء منها من مجاميع الشهيد الأوّل، وكتب فيها الشيخ عبد الصمد جدّ شيخنا البهائي بعد رسالة المنهج القويم، قابلتها بنسخة أخرى من خطّ كاتبها أيضاً في سنة سبع وخمسين وثمانمائة وذلك سنة سبع عشر وتسعمائة. وكتبه عبد الصمد حامداً مصلياً<sup>(١)</sup>.

## 2. المجموعة الثانية

هي الموجودة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١) برقم ٨٩٣٢، ومما كتبها الجبّاعي في هذه المجموعة الجمانة البهية في نظم الألفية، منهاج الكرامة، قسم من

(١) . وانظر وصفها أيضاً في فهرس مخطوطات جامعة طهران، ج ٨، ص ٣٦٠ - ٣٦٨.

مصباح الزائر، وغيرها<sup>(١)</sup>، وكتب الجباعي في آخر رسالة منهاج الكرامة: وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربّه محمّد بن عليّ بن حسن الجباعي (غفر الله له ولجميع إخوانه المؤمنين)، وذلك لإثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة حامداً لله تعالى، مصلياً على خيرته من بريته محمّد النبي والأصفياء من عترته.

وكتب في الصفحة ١٢٥:

تمّ بقلم العبد الفقير محمّد بن علي الجباعي، وذلك ليلة السبت ثامن عشر من شوال سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة هجرية. وصلى الله على سيد ولد آدم، محمد الرسول الأعظم، وعلى الأئمة المعصومين. ونقل الجباعي فيها عن خطّ الشهيد مطالب مراراً، والظاهر أنّها لم تكن عند المحدث النوري.

### 3. المجموعة الثالثة

هي التي موجودة الآن في مكتبة ملك الوطنية بطهران، برقم ٦٠٤ في أربع ومائتين ورقة، نسّخها الجباعي عام ٨٥٧، كما في الورقة (١٨٣ ب) منها، وهذه هي التي أكثر العلامة المجلسي قدس سرّه النقل عنها في بحار الأنوار، خصوصاً مجلّد الإجازات<sup>(٢)</sup>. والكثير من هذه المجموعة منقول من خطّ الشهيد الأوّل، وليس جميعها منقولاً من مجموعة الشهيد كما لا يخفى على من راجعها.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني في وصف هذه المجموعة:

وقد كتبها عن خطّ شيخنا الشهيد في ٨٦١ هـ، وهذه النسخة كانت عند العلامة المجلسي على ما ينقل عنها في البحار، وحصلت عند شيخنا العلامة النوري، وهي

(١) . انظر وصفها تفصيلاً وما ورد فيها في الشريعة إلى استدراك الذريعة، ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) . منها: بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٦٧ - ١٦٨، وج ١٠٧، ص ٢٠٢ - ٢١٠.

موجودة الآن عند سبطه الفاضل الآقا ضياء الدين ابن الحاج شيخ فضل الله النوري بطهران وفهرست ما فيها إجمالاً الآتي:

- الأربعين في فضائل أمير المؤمنين، للشيخ الجليل محمد بن أحمد بن الحسين النيسابوري جدّ الشيخ أبي الفتوح المفسّر الرازي.
  - الأربعين من الأربعين عن الأربعين، للشيخ الأجل منتجب الدين عليّ بن عبيد الله من أحفاد عليّ بن بابويه القميّ.
  - الأربعين، للسيد محيي الدين أبي حامد محمد بن عبد الله بن عليّ بن زهرة ابن أخي السيد أبي المكارم بن زهرة الحسيني الحلبي.
- وأخبار متفرقة منتخبة من أصول القدماء مثل كتاب الصلاة لحسين بن سعيد، وكتاب إسحاق بن عمّار، وكتاب معاذ بن ثابت، وكتاب عليّ بن إسماعيل الميثمي، وكتاب معاوية بن حكيم، وكتاب إبراهيم بن محمد الأشعري، وكتاب فضل بن محمد الأشعري، وكتاب زيد، ورسالة في القراءة والظاهر أنّها لابن مالك صاحب الألفية، والمجتبى في الأدعية، للسيد رضي الدين عليّ بن طاوس الحلّي.

وفي آخر أربعين الشيخ منتجب الدين هكذا: «نجز لإحدى وعشرين مضت من شهر رجب ٨٦١ بكرك نوح، بقلم محمد بن عليّ بن حسن بن محمد بن الصالح الجبّعي اللوزاني من نسخة بخطّ الشيخ شمس الدين محمد بن مكّي كتبها بالحلّة ٧٧٦ وهو نقل من نسخة بخطّ محمد بن محمد بن عليّ الحمداني القزويني تاريخها ٦١٣»<sup>(١)</sup>.

#### 4. المجموعة الرابعة

هي التي عرّف بها الطهراني وقال:

وهي الموجودة بالنجف بمكتبة مدرسة السيد البروجردي... وكتب في آخرها [أي في

(١) انظر الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧ - ٧٩.

آخر السبع العلويات] أنه: فرغ من كتابتها لنفسه... في أخريات شعبان المبارك سنة ثمان وستين وثمانمائة<sup>(١)</sup>.

وكتب في التعريف بهذه المجموعة وأوصافها ومحتواها المرحوم محمد هادي الأميني ولد العلامة الأميني (رحمهما الله) مقالة تحت عنوان «من كنوز الأدب المنسى» نشرتها مجلة العرفان في لبنان، في العدد الأول من السنة ٥٢، في ربيع الأول ١٣٨٥هـ، وأراد الأميني تحقيقها ونشرها فلم يوفق لذلك.

وقال في وصفها:

أما محتوياتها فلم يقتصر اهتمام المؤلف لجمع ناحية واحدة من المواضيع، وإنما جمع كل ما راق له وطاب من حكم وأمثال وحكايات وحوادث وفقه وأحكام ونوادير ولطائف ومفاخرات ومقامات وإجازات علمية، ففيها شعر ليويس الديلمي والسيد الحميري وأبو البركات وابن الحجّاج والموسوي وابن حمّاد والصاحب والشريف والناشي والعمري والبشروي وابن عرندس والمثقب العبيدي والنابغة الذبياني وأبو الحسين الجزار وعليّ بن الجهم وأبو نؤاس وشديد بن أبي كامل وموسى بن جابر الحنفي وأبو أمية أوس الحنفي وبشار وابن دريد ومحمد بن مكي وأبوطالب وعبد الله بن حمدون النديم ومهلل والزمخشري والوزير المغربي وابن خالويه وابن طاوس وابن حيوس والقاضي أبو الحسن الجرجاني وفخر الدين وأبو عثمان الخالدي والبحثري وأبو تمام والصابي ومحمد بن غالب والعمري وابن المعتز والأبرص وحاتم والغنوي وعمر بن الورد وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن وسعيد بن عبد الرحمن والفرزدق وأبو العتاهية وسلم الجاسر والعتبي والمخزومي ودعلب وأبو تمام واليوسفى وابن العلاف وابن الرومي وأبو الفتح والخوارزمي وزباد الأعجم وأنس بن رنيم الهذلي وابن إدريس الشافعي والأضببط بن قريع والتمتبي وابن المنجم الواعظ والحيص ورضي الدين ابن طاوس وابن نما وجمال الدين بن طاوس

(١) الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٧ - ٧٨؛ وذكرت هذه المجموعة في فهرس مخطوطات مدرسة البروجردى في نشرة نسخه هاى خطى، العدد ٥، ص ٤٢٩ - ٤٣١، برقم ١٢٧١ - ١٢٧٢.

وذو الرمة وأبو العلاء المعري ورضي الدين علي بن الحسن بن أحمد بن معية وابن أبي الحديد وأم سنان بنت جيثمة بن حرب المذحجية وأبو سعيد النخعي والسيد المرتضى والمهدي ومحمد بن حازم وأبو بكر بن الأزهر وجحظة البرمكي ونفطويه النحوي الواسطي والسهروردي ومحمد بن حمويه الجويني وأبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين المغزي وأبو عبد الله الصبوري وأبو عمرو الشيباني النحوي وأبو نعيم الفضل بن دكين وأبو الفتح محمد ابن عبد اللطيف تقي الدين السبكي والوكيع القاضي محمد بن خلف بن حيان العتبي وعلي بن أفلح الرئيس الكاتب البغدادي العالم الشاعر ومنصور بن إسماعيل أبو الحسن التميمي ويحيى بن أحمد بن ظافر الحلبي والوزير عون الدين بن هبيرة وكشاجم ومحرز بن خلف التونسي وواصل بن عطاء المعتزلي وقرواس وزملام الموصلية وقوام الدين الواسطي والحسن بن علي الجويني والشيخ أبي علي الحسن بن هود والحسن بن رشيق وابن الجوزي والسعدي وزيد بن غرا التميمي وابن المنادي وأبو عبد الله بن المعلّس وابن فارس وطريف بن مالك وأحمد بن يحيى بن ثعلب النحوي الشيباني وعلي بن محمد التهامي وأبو الحسن علي الملك الأفضل بدر الدين بن يوسف بن أيوب وشرف الدين بن عين وأبو علي محمد بن أحمد بن قاسم الروزي وأحمد بن محمد إبراهيم بن الخطّاب والقاضي التّوخي وأبو حامد محمد الغزالي وفخر الدين الرازي وأبو عبد الله وعبد الله بن ثابت بن يعقوب النحوي التوزي البغدادي ومحمد بن جرير الطبري.

هذا ما في المجموعة من شعر، وفيها من التراجم الشيء الكثير، كما نجد فيها مختصر الجعفریات حسبما حدّثنا صاحب المستدرک وكتاب الجعفریات ويقال له أيضاً الأشعثیات من الكتب القديمة المعول عليها عند الأصحاب، ويحتوي على ألف حديث بإسناد واحد عظيم الشأن وهو مرتّب على كتب الفقه الطهارة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحجّ، الجنائز، الطلاق، النكاح، الحدود، الدعاء، السنن والآداب، وقد روى جميع الأحاديث الشريفة السيّد الأجلّ إسماعيل بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن آباءه ولذا يقال له الجعفریات.

## الشيخ رضا المختاري

ويرويه عن أبي الحسن موسى الشيخ أبو علي محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي؛  
ولذا يقال لها الأشعثيات.

والكتاب في غاية الإعتبار يروي عنه شيخ الطائفة أبو محمد هارون بن موسى  
التلعكبري وأبوالمفضل الشيباني وعلي بن جعفر بن حمّاد وعبدالله بن المفضل  
وإبراهيم بن محمد بن عبد الله القرشي ومحمد بن عبد الله المعروف بإبن السقا  
وغيرهم من فطاحل رجال الشيعة، وقد طبع عدة مرّات وجاء في آخر المختصر، يقول  
محمد بن علي الجباعي: إلى هنا وجدت من خطّ الشيخ محمد بن مكّي الجعفريات على  
إنّي تركت بعض الأحاديث وأولهم ناقص ولعلّ آخرهم كذلك، وذلك يوم الإثنين سادس  
شهر ربيع الأول سنة اثنتين و سبعين و ثمانمائة.

كما إنّ المؤلف انتخب أحاديثاً من الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب  
بن إسحاق الكيني الرازي، وجاء في آخر الأحاديث المنتخبة: «هذا آخر ما اختير من  
كتاب الكافي الكليني، والحمد لله أولاً وآخراً، وذلك يوم الجمعة رابع شهر رجب  
سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، والحمد لله. كتبه العبد محمد بن علي بن حسن بن  
محمد بن صالح الجباعي».

وفي أسفله هكذا: لكاتب الحروف بهاء الدين العاملي:

شرب كأس الموت يكرهه كل من يمشي على الغبرا  
و بعين العقل لو نظروا لراوه الراحة الكبرى  
وله أيضاً:

وثورين حاطا بهذا الورى فثور الثريا و ثور الثرى  
وهم تحت هذا و من فوق ذا حمير مسرجة في قرى  
في العشرين من شهر رجب سنة ٩٩١ أيام العزم على التوجه إلى بيت الله الحرام.  
تقع المجموعة في ٢٤٨ صفحة بالقطع الربع ٥ / ٢١ / ١٤ كاخذ أسمر خشن كتابة

مختلفة غير منقوطة في كل صحيفة خ ٢٥ و ١٩ و ٢٩ سطرًا طوله ١٠ سم. ومعها السبع العلويّات لعزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد برواية الشيخ الإمام جمال الدين أبي العباس أحمد بن الحدّاد الحلّي، ولا شكّ في أنّها بكاملها بخطّ الجباعي أيضاً كما جاء في آخرها ونصّه: «تمّت السبع العلويّات والحمد لله... فرغ من كتابتها لنفسه العبد الفقير محمّد بن علي بن حسن الجباعي في أخريات شعبان سنة ٨٦٨ ختم بخير». وفي المخطوطة غير ما ذكر من النوادر والفوائد التاريخية والأدبيّة القيّمة والتي تعتبر ثروة فكريّه ضخمة نافعة جديرة بالنظر والبحث وأولّها هكذا: وجد على خاتم عقيق أحمر مكتوب: (١)

أنا درُّ من السما نثروني يوم تزويج والد السبطين  
كنت أنقى من الجبين ولكن صبغوني بدم نحر الحسين  
وفرغ الجباعي من كتابة بعضها في أخريات شعبان ٨٦٨، وفرغ من كتابتها في رابع شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة، ونقل فيها مطالب عن مجاميع الشهيد، وهي التي قال عنها المحدث النوري: «نقلها كلّها من خطّ شيخنا الشهيد». (٢)

فهذه المجاميع الأربع نسخ الأصل منها بخطّ جامعها بقيت سالمّة عن حوادث الدهر ووصلت إلينا بحمد لله سبحانه، إحداها الآن في النجف الأشرف في مكتبة العلامة كاشف الغطاء، وثلاثة منها في طهران في مكتبات مجلس الشورى وجامعة طهران وملك. وتوجد مصوّراتها عندنا في مؤسسة تراث الشيعة.

بقيت مجموعة أخرى لم تصل إلينا ولا نعلم كيفيّتها وكانت عند المحدث النوري بخطّ بعض أحفاد شمس الدين الجبعي، كما قال النوري قدس سرّه في تعداد مجاميع الجباعي: «والمجلّد الآخر بخطّ بعض أحفاده نقله عن خطّه» (٣).

(١) . مجلّة العرفان، السنة ٥٢، العدد الأوّل وانظر أيضاً الذريعة، ج ٢٠، ص ٧٩.

(٢) . خاتمة مستدرک الوسائل، ج ١٩، ص ٢٠، ٢٩٨ - ٢٩٩، ٢٨٢ - ٢٨٥.

(٣) . خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٢٠، ص ٧٧، ص ١١٢ - ١١٣؛ مصفّى المقال، ص ٤١٢ - ٤١٣.

ولا يخفى أنّ إحدى مجاميعه لم تكن موجودة عند المحدث النوري كما صرح به، حيث قال: «وقد أكثر في البحار من النقل عنها وعن أخرى لم تصل إلينا»<sup>(١)</sup>. وقال العلامة السيد حسن الصدر رحمته الله في ترجمة الشيخ شمس الدين الجبعي: صاحب المجاميع.... التي أكثر النقل منها العلامة المجلسي، وأكثرنا نحن عن بعضها النقل أيضاً وقد وفق الله للعثور على مجموعتين...<sup>(٢)</sup>. وكيف كان فقد نقل العلامة المجلسي في البحار وتلميذه المولى عبد الله في الرياض والمحدث النوري في مستدرك الوسائل وخاتمة، والسيد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل والسيد محسن الأمين في أعيان الشيعة والطهراني في الذريعة وطبقات أعلام الشيعة مطالب كثيرة عن مجاميع الجباعي. ووردت ترجمة شمس الدين الجباعي صاحب المجاميع في بعض كتب التراجم لأهل السنة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) . خاتمة مستدرك الوسائل، ج ١٩، ص ٣٨٢ - ٣٨٥.

(٢) . تكملة أمل الآمل، ص ٣٥٦ - ٣٥٨.

(٣) الأعلام للزركلي (ج ٦، ص ٢٨٨) ومعجم المؤلفين لكحّالة (ج ٢، ص ٥٠٤).



## البهائي: الشخصية النموذجية

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

### الشيخ حسن عبد الساتر<sup>(1)</sup>

كان من بركات الإسلام على العرب وغيرهم من الشعوب التي انضوت تحت لوائه وأمنت به، حضه وتحريضه لهم على الأخذ بأسباب المعرفة ومناهجها وفتح آفاق التكفير على مراكز المعرفة آنذاك حيث كانت مغلقة أمام الفكر الصنمي الفارق بأوثان الجاهلية ونواحيها ولذا ترى القرآن الكريم ورسوله العظيم ﷺ يدعو المسلمين إلى سلوك دروب العلم والمعرفة ويرفعان من شأن العلماء حيث جعل مدادهم أفضل من دماء الشهداء ومن هنا راح المسلمون في أول عصور الإسلام يرتقون سلم المعارف وإستكشاف آفاق الكون وسبر أسرار الطبيعة وإجتراح الحلول لما كانوا يصادفونه من مشكلات في تلك العصور فأسسوا بذلك مبادئ كثيرة من العلوم التي فرعت وبنيت على تلك الأسس. وهكذا راح العلم يتقدم من عصر إلى عصر ويتطور على أيدي المسلمين وغيرهم. حتى تمحض في عصرنا الراهن عن ثورة علمية وتكنولوجية مفتوحة في أبعادها الزمنية والمكانية وإن كان يشوب بعدها الإنساني أكثر من علامة إستفهام ونحن

(١) أستاذ في الحوزة العلمية.

إذ نسجل ما أسسه المسلمون الأوائل من مبادئ في أكثر مفردات المعرفة الاجتماعية لا ننكر دور الشعوب الأخرى السابقة فيما صنعته من حضارات نسبية كالليونان والفرس والمصريون والآشوريون والهنود بينما ذهب المسلمون بعيداً قارب المطلق في صنع حضارة استفادت منها غالبية البشرية كما استفاد الغرب من رياضيات الخوارزمي ونصير الدين الطوسي في علم الجبر والفلك والفلسفة. كما استفاد وأخذ عن ابن الهيثم علم البصريات والضوء والفلك وأخذ الرازي علم الصيدلة والطب عندما ترجم كتابه الحاوي كما ترجم كتاب القانون لابن سينا. وقد بقي جابر بن حيان مصدر علم الكيمياء حتى القرن التاسع عشر حيث خطى خطواته التالية على يد لافوزيه العالم الفرنسي وقد ترجم الغرب جل كتب ابن سينا والفارابي والغزالي والطوسي وابن باجه وابن طفيل والسيد الداماد وصدر المتألهين في الفلسفة لا سيما شروح ابن رشد لفلسفة أرسطو وتحليلاته المنطقية بحيث على أساسها أسست الرشدية اللاتينية وصارت هي المصدر الوحيد الذي عرف الغرب من خلاله الفلسفة اليونانية. وكذلك استفاد المفكرون المسيحيون في الغرب من الفلسفة الإسلامية لا سيما منهج التصوف والمذهب العقلاني فيها. حيث أحدث ثورة في الكنيسة الغربية من خلال إشكالات جديدة في اللاهوت المسيحي لا تزال محاولات الإجابة عليها مستمرة إلى الآن ولا ننسى ما قدمه باقر الصدر للفكر الإنساني من بحوث في الإقتصاد والفلسفة والمنطق والإجتماع والتاريخ أخيراً ولم يستقبل المسلمون عصر ما قبل النهضة العربية حتى كان علماء المسلمين خصوصاً علماء الشيعة منهم قد آثروا كل مفردات الفكر العلمي. بما أضافوه خصوصاً علماء الشيعة منهم قد آثروا كل مفردات الفكر العلمي. بما أضافوه من بحوث في الدين والعقيدة إذ فضلاً عما تركه المحققون الأوائل من روائع معرفية أمثال الصدوق والكليني والمفيد والمرتضى والطوسي والحلي والشهيد الأول والثاني والكركي وحسين بن عبد الصمد جدنا والحر العاملي فقد كان صاحب الذكرى ترجمة حية لكل من تقدم من علماء الإسلام. إذ أن بهاء الدين العاملي (عمنا) مضاف إلى

ما تركه من آثار في الفقه والأصول والمنطق والفلسفة واللغة والأدب وأسرار البلاغة والتفسير والرجال والدراية. قلت مضافاً إلى كل هذا فقد ولج حقولاً علمية أخرى فائقة الأهمية وترك فيها آثاراً ما زالت محل دراسة إلى الآن في الحوزات العلمية مثل خلاصة الحساب في علوم الرياضيات وبحر الحساب، ورسالة في الجبر والمقابلة، ورسالة في تشريح الأفلاك. ورسالة في الأسطرلاب أو البوصلة ورسالة في الهيئة ورسالة هندسية في الكرة وغيرها من الرسائل المترجم أكثرها إلى لغات عالمية حيث صارت مصدراً لكثير من الدراسات العالمية.

في الختام هذه الجولة السريعة في بعض ربوع ما تركه علماؤنا الأوائل والمسلمون من روائع على صعيد البحث والمعرفة. وقاموا بكل هذه الإنجازات التي منها إستفادت البشرية. بالرغم من صعوبة الظروف التي حققوا فيها كل هذه النجاحات العلمية دون أن يكون متوفراً لهم شيء من الوسائل العلمية والمعرفية كما هو متوفر في عصرنا هذا. نسأل المسلمين في عصرنا هذا ماذا أنجزنا نحن في ظل كل هذه المعارف التي يسهل الحصول عليها مع وجود المعاهد والجامعات العلمية، يذكر أن أكثر من مليوني ونصف مليون بحث علمي ينجز سنوياً في العالم. وينجز العرب منها ألفي بحث بينما تنجز إسرائيل وحدها أكثر من مئة ألف بحث سنوياً. وهكذا هناك دول صغيرة هي من أهم الدول الصناعية في العالم أمثال فنلندا وسويسرا أو دول لا تملك الموارد الطبيعية إلا قليلاً مما هو موجود في بلاد المسلمين مثل اليابان بينما تعتبر من أحد أكبر عمالقة الصناعة والإقتصاد في العالم.

إنه لأمر غريب حقاً أن يكون العالم العربي سوقاً إستهلاكية للصناعات الغربية، أين نحن من هذا التقدم وكيف يبرر أمراء البترول العرب وملوكهم هذا التخاذل عن توظيف القدرات البترولية التي لديهم في إنشاء مراكز الأبحاث العلمية وعدم الإعتماد على الإنتاج الريعي المتمثل في بيع النفط الذي لم يكن لهم فضل في إنتاجه أو إستكشافه، وإنما يهدرون ثروات العرب والمسلمين على بناء القصور وشراء الأسهم في البورصات

## البهائي: الشخصية النموذجية

---

الغريبة الخاسرة دائماً. والمؤسسات الجاهلية والملاهي العبيثة والكيد لبعضهم عن طريق إستئجار الدول الإستعمارية لضرب بعضهم الآخر.

والحمد لله رب العالمين

# قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

## الشيخ حسين معتوق<sup>(1)</sup>

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا  
ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله الدائمة على  
أعدائهم وظالميهم إلى قيام يوم الدين.

الشيخ بهاء الدين أبو الفضائل محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني  
العاملي المعروف بالشيخ البهائي قَدَسَ سَمِيُّهُ المتوفى سنة (١٠٣٠هـ) أو (١٠٣١هـ) الموافق  
لـ (١٦٢٢م) كان من كبار العلماء في عصره، وله مساهماته الفاعلة في مختلف العلوم  
المتداولة في عصره سواء العلوم الدينية أو غيرها، وما دونه في علوم الحديث الشريف  
يعتبر من أفضل ما دون في هذا المجال، ولهذا فإن من المناسب التعرض لمجموعة  
من الأبحاث ومقارنتها بالرجوع إلى تلك المصنفات المهمة، وستعرض لذلك إنشاء  
الله تعالى في عدة مباحث.

---

(١) أستاذ في الحوزة العلمية (الكويت)، والأمين العام للتحالف الإسلامي الوطني.

## المبحث الأول

(فيما أفاده في تقسيم الحديث وتنويعه)

قسم الشيخ البهائي قَدَسَ سَمِيُّهُ في كتابه الوجيزة في علم الدراية وفي مشرق الشمسين الحديث المتصل الإسناد إلى أقسامه المعروفة (الصحيح والموثق والحسن والمقبول والضعيف)، وهو يدل على اختيار الشيخ البهائي والذي كان من أهم الشخصيات المؤثرة إن لم يكن أهم شخصية في عصره على الإطلاق للمنهج الأصولي ورفضه القول بصدور جميع الروايات الموجودة في الكتب الأربعة فضلاً عن غيرها، وفي مقابله لاسيما في العهد الصفوي الذي كان عبارة عن المحيط الذي عاصره برزت وبقوة المدرسة الإخبارية والتي تأسست في عصره على يد معاصره الشيخ محمد أمين الاسترآبادي المتوفى سنة (١٠٢٢هـ) والتي كان لها تأثيرها البالغ في تلك المرحلة وقد انضم إليها شخصيات مهمة ومؤثرة لاسيما من جيل تلامذته أو تلامذة تلامذته كالحجر العاملي المتوفى سنة (١١٠٤هـ) والفيض الكاشاني المتوفى سنة (١٠٩١هـ) والتي كانت ترفض هذا التقسيم وأنه لا داعي له لأن الأحاديث الموجودة في كتب المتقدمين سواء في الكتب الأربعة أو غيرها إلا النادر في غير الكتب الأربعة قطعي الصدور، وادعت المدرسة الإخبارية أن هذا التقسيم متأخر وأول من ذهب إليه هو العلامة الحلي المتوفى سنة (٧٢٦هـ) وأن منهج المتقدمين كان بخلاف ذلك، يقول المحدث الاسترآبادي:

أول من قسم أحاديث أصول أصحابنا التي كانت مرجعهم في عقائدهم وأعمالهم في زمن الأئمة، وكانوا مجمعين على صحة نقلها كلها عنهم: إلى الأقسام الأربعة المشهورة بين المتأخرين العلامة الحلي أو رجل قريب منه، ثم من جاء بعده وافقه كالشهيد الأول والفاضل الشيخ علي والشهيد الثاني وولده صاحب كتابي المعالم والمنتقى والفاضل المتبحر المعاصر بهاء الدين محمد العاملي، والسبب في إحداثه غفلة من أحدثه عن كلام قدمائنا<sup>(١)</sup>.

(١) الفوائد المدنية ص ١٧٢، ١٧٣ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤٢٤ هـ.

ونجد المحدث الاسترآبادي في مناقشة آراء موقف المدرسة الأصولية من علم الحديث يبدأ بعرض قول العلامة الحلي، وينتهي ببيان رأي معاصره الشيخ البهائي<sup>(١)</sup>. واستمرت المدرسة الإخبارية بعد مؤسسها بنفس النقد على القول بتقسيم الحديث وتوزيعه على يد عدة من العلماء منهم الحر العاملي في خاتمة الوسائل والفوائد الطوسية والمحدث البحراني في مقدمات الحقائق والدرر النجفية والسيد نعمة الله الجزائري وغيرهم إلى أن آل أمرها إلى التقلص بعد التصدي الشديد لها من قبل المحقق الشيخ محمد باقر الوحيد البهبهاني المتوفى سنة (١٢٠٨هـ)، ولكن مع ذلك استمرت بعض آثارها وبقوة إلى يومنا الحاضر.

وبالجملة فالشيخ البهائي بهذا التقسيم كان يبين رأي المدرسة الشيعية إلى أن ظهرت في أيامه المدرسة الإخبارية التي رفضت هذا التقسيم والأسس العلمية التي يركز عليها. وقد استند المحدث الاسترآبادي إلى إثبات أن جميع الروايات الموجودة في كتب الحديث المعروفة قطعية الصدور وأنه لا يوجد فيها روايات غير معتبرة وأنه لا داعي إلى التقسيم المذكور لأنه تلك الأحاديث مقطوع بصدورها ولتمكنهم من تحصيل القرائن الموجبة للقطع بحيث يمكنهم وبسهولة أن يتوصلوا إلى الواقع، وكانوا لا يجيزون إلا العمل بالأخبار المقطوع بصدورها، وحينئذ فهم ليسوا بحاجة إلى ذكر الأخبار التي لم تثبت عندهم فضلاً عما لو ثبت لهم أنها موضوعة.

يقول المحدث الاسترآبادي:

«صريح كلام رئيس الطائفة أنه لا يجوز العمل بخبر لا يوجب القطع بما هو حكم الله في الواقع أو حكم ورد عنه: ويجوز العمل بخبر يوجب القطع ب ورود الحكم عنه، وإن لم يوجب القطع بما هو حكم الله في الواقع<sup>(٢)</sup>».

(١) الفوائد المدنية ص ١٧٤.

(٢) الفوائد المدنية ص ١٤٥، أقول: وصدور الحكم عنهم وإن نقطع بكونه هو حكم الله تعالى في الواقع قد يتحقق مع احتمال أن يكون قد صدر من الإمام المعصوم عليه السلام تقية.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

إلى أن يقول: وقد اختار المحقق الحلي وابن إدريس ما اختاره رئيس الطائفة بعينه، وأنا اخترت مختارهم لتواتر الأخبار بجواز العمل بخبر الثقة، وبخبر يفيد العلم بورود الحكم عنهم: وبالتوقف عند خبر لا يفيد القطع بورود الحكم عنهم<sup>(١)</sup>. وعلى هذا الأساس مضافاً إلى شواهد أخرى ذكرها وفصلها عدة من بعده كالحر العاملي في خاتمة الوسائل والمحدث البحراني في مقدمات الحدائق بأن القدماء كانوا متسالمين على أن الروايات الموجودة في الكتب الأربعة وبقية الكتب المعروفة كبقية مصنفات الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والشيخ الطوسي وكتاب كامل الزيارات ونظائرها قطعية الصدور، وأن هذه القناعة كانت محل اتفاق بين الفقهاء إلى زمن المحقق الحلي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، وأن أول من خرق هذا التسالم وشكك في هذه الحقيقة هو العلامة الحلي أو رجل قريب منه، ورسخها من بعده ممن تقدمت الإشارة لهم.

ويمكن أن نسجل على ما ذكره المحدث الاسترآبادي وأتباعه الملاحظات التالية:  
الملاحظة الأولى: أن ما نقلوه عن فقهاءنا المتقدمين يتعارض مع كلماتهم وعباراتهم الصريحة فالملاحظ أن المتقدمين ضعفوا جملة من الروايات المذكورة في بعض كتبهم وكذلك الروايات الموجودة في كتب غيرهم من الكتب الأربعة فضلاً عن غيرها، ولا بأس بذكر بعض الشواهد:

١- حكم شيخ الطائفة الطوسي المتوفى سنة (٤٦٠هـ) في كتابيه التهذيب والإستبصار بضعف بعض الروايات والتي نقل بعضها غيره كالشيخ الصدوق المتوفى سنة (٣٨١هـ) وثقة الإسلام الشيخ الكليني المتوفى سنة (٣٢٩هـ) بنفس الإسناد الذي أورده، ونكتفي ببعض عباراته:

- قال في كتاب الإستبصار في رد بعض الروايات: ... ولأن هذه الأخبار أربعة منها

(١) الفوائد المدنية ص ١٤٥.

الأصل فيها عمار الساباطي، وهو واحد، وقد ضعفه جماعة من أهل النقل وذكروا أن ما يتفرد بنقله لا يعمل به، لأنه كان فطحياً، فاسد المذهب، غير أننا لا نطعن في النقل بهذه الطريقة، ولأنه وإن كان كذلك فهو ثقة في النقل لا يُطعن عليه، وأما خبر زرارة فالطريق إليه علي بن حديد، وهو ضعيف جداً لا يُعول على ما ينفرد بنقله.<sup>(١)</sup>

- وقال في رد بعض الأخبار أيضاً: فأول ما في هذا الخبر أنه لم يروه غير محمد بن سنان عن المفضل بن عمر، ومحمد بن سنان مطعون عليه، ضعيف جداً، وما يختص بروايته ولا يشاركه فيه غيره لا يُعمل به<sup>(٢)</sup>.

- وقال في رد بعض الأخبار أيضاً: ... أول ما في هذه الأخبار أن الخبرين منهما وهما الأخيران مرسلان، والمراسيل لا يعترض بها على الأخبار المسندة لما بيناه في غير موضع، وأما الخبر الأول فراويه أبو سعيد الآدمي، وهو ضعيف جداً عند نقاد الأخبار، وقد استثناه أبو جعفر بن بابويه في رجال نواذر الحكمة<sup>(٣)</sup>.

٢- صرّح السيد المرتضى علم الهدى المتوفى سنة (٤٣٦هـ) في بعض رسائله بوجود أحاديث غير معتبرة في كتاب الكافي، بل يذكر بشأن حديث نقله الشيخ الكليني بأنه من الأحاديث الموضوعة:

يقول في مقام الجواب عن رواية من روايات الكافي:

إعلم أنه لا يجب الإقرار بما تضمنه الروايات، فإن الخبر المروي في كتب الشيعة وفي كتب جميع مخالفينا يتضمن ضروب الخطأ وصنوف الباطل من محال لا يجوز أن يتصور، ومن باطل دل الدليل على بطلانه وفساده كالتشبيه والجبر والرؤية...<sup>(٤)</sup>

(١) الاستبصار ج ٣ ص ٦٥ ذيل حديث ٣٢٥.

(٢) الاستبصار ج ٣ ص ٢٢٤ ذيل حديث ٨١٠، وراجع أيضاً التهذيب ج ٧ ص ٣٦١ ذيل حديث ١٤٦٤.

(٣) الاستبصار ج ٣ ص ٢٦١ ذيل حديث ٩٣٥.

(٤) رسائل الشريف المرتضى رحمته الله ج ١ ص ٤٠٩.

إلى أن قال:

وهذا الخبر المذكور بظاهره يقتضي تجويز المحال المعلوم بالضرورات فساده وإن رواه الكليني رحمه الله في كتاب التوحيد، فكم روى هذا الرجل وغيره من أصحابنا رحمهم الله تعالى في كتبهم ما له ظواهر مستحيلة أو باطلة والأغلب الأرجح أن يكون هذا الخبر موضوعاً مدسوساً<sup>(١)</sup>.

٣- حكم الشيخ المفيد في رسالته في العدد والرؤية بضعف عدة من الروايات أخرجها ثقة الإسلام الكليني في الكافي وغيره ممن تقدم عليه وممن تأخر عنه<sup>(٢)</sup>.

والشواهد بهذا الشأن كثيرة، لكن لا يسع المقام لإستقصائها.

الملاحظة الثانية: أن المحدث الإسترأبادي وغيره ينقلون عن المتقدمين في كتبهم ما ليس له عين ولا أثر وبالرجوع إلى تلك الكتب نجد أن ما أفادوه أمراً آخر، فمثلاً قال في الفوائد المدنية: صريح كلام شيخ الطائفة أنه لا يجوز العمل بخبر لا يوجب القطع بما هو حكم الله في الواقع أو حكم ورد عنهم<sup>(٣)</sup>.

مع أن هذا الكلام الذي نقله عن عدة الأصول<sup>(٤)</sup> لا أثر له في أي مصنف من مصنفات الشيخ المتوفرة، بل كلام الشيخ في العدة بخلاف ذلك، يقول في عدة الأصول: فأما ما اخترته من المذهب فهو أن خبر الواحد إذا كان وارداً من طريق أصحابنا القائلين بالإمامة، وكان ذلك مروياً عن النبي ﷺ أو عن واحد من الأئمة عليهم السلام، وكان ممن لا يطعن في روايته، ويكون سديداً في نقله، ولم تكن هناك قرينة تدل على صحة ما تضمنه الخبر، لأنه إن كان هناك قرينة تدل على صحة ذلك كان الإعتبار بالقرينة، وكان موجباً للعلم...<sup>(٥)</sup>.

(١) رسائل الشريف المرتضى رحمته الله ج ١ ص ٤١٠.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٧٨.

(٣) الفوائد المدنية ص ١٤٥.

(٤) الفوائد المدنية ص ١٤٤.

(٥) عدة الأصول ج ١ ص ٢٣٦، ٢٣٧ ط. مؤسسة آل البيت: سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

وكلام الشيخ هنا صريح في أنّ تقييم الخبر يمر بمرحلتين:

- الأولى: النظر إلى القرائن التي توجب العلم بصدوره، فإذا ثبتت، فحينئذ يكون الخبر معتبراً ولا حاجة حينئذ للبحث في سنده ولا إلى تقييم أحوال الرواة.
- الثانية: وهي تكون على تقدير عدم الظفر بنتيجة في المرحلة الأولى، فيبحث في سند الخبر غير المقترن بما يوجب العلم بصدوره، فإذا كان مروياً عن الثقات القائلين بالإمامة فحينئذ يكون الخبر معتبراً ويمكن العمل به. ومن الواضح أنّ ما أفاده شيخ الطائفة في العدة على خلاف ما فهمه المحدث الإسترآبادي في الفوائد المدنية.

**الملاحظة الثالثة:** نجد المحدث الإسترآبادي يرسل مسألة إرسال المسلمات دون أنّ يأتي بدليل يدل عليها، وهو أنّ المتقدمين الذين رَووا الأحاديث في مصنفاتهم كان بإمكانهم تحصيل القطع في جميع الأحكام وأن يجدوا القرائن التي يحصل معها العلم بصدور الخبر عن الأئمة المعصومين: أو عدمه، ولا ندري من أين استفاد مثل هذا الأمر، لاسيما بعد اختلافهم في صحة بعض الروايات وعدم صحتها، فالشيخ الصدوق يحكم بصحة ما دل على جواز الغسل والوضوء بماء الورد وشيخ الطائفة يحكم بضعفه استناداً إلى ضعف السند وأنه مما تقرّد به محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن، فلو كان عند الشيخ قرينة أخرى غير ذلك وأنه خبر شاذ، لما استند لإثبات الضعف إلى تقرّد محمد بن عيسى بن عبيد، بل نجده في التهذيب والإستبصار ضعف بعض الروايات والتي رواها أيضاً الشيخ الكليني في الكافي أو الشيخ الصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه واستند في إثبات الضعف إما لضعف بعض الرواة أو جهالتهم كما تقدمت بعض الشواهد الدالة على ذلك.

بل نجد الشيخ يصرح في كتاب العدة بأن الكثير من الأخبار لا سبيل لإثباتها إلا النظر في أسانيدنا وعدم اقترانها بما يوجب العلم بصدورها حيث يقول:

ونحن نعلم أنه ليس في جميع المسائل التي استعملوا فيها أخبار الآحاد، لأنها أكثر من أن تحصى موجودة في كتبهم وتصانيفهم وفتاويهم.

إلى أن يقول: فعلم أن ادعاء القرائن في جميع المسائل دعوى محالة، ومن ادعى القرائن في جميع ما ذكرناه وكان السبر بيننا وبينه، بل كان معولاً على ما يعلم ضرورة خلافه، مدافعاً لما يعلم من نفسه ضده ونقيضه، ومن قال عند ذلك: أني متى عدت شيئاً من القرائن حكمت بما يقتضيه العقل يلزمه أن يترك أكثر الأخبار، وأكثر الأحكام، ولا يحكم فيها بشيء ورد الشرع به، وهذا حد يرغب أهل العلم عنه، ومن صار إليه لا يحسن مكالمته، لأنه يكون معولاً على ما يعلم ضرورة من الشرع خلافه<sup>(١)</sup>.

## المبحث الثاني

(دلالة التقسيم على منهج الشيخ البهائي قده)

ذكر الشيخ البهائي في الوجيزة في أقسام الحديث قسماً سماه: (الحديث المقبول) وعرفه بأنه ما اشتهر العمل بمضمونه، وعلى هذا فهو يذهب إلى أن عمل المشهور يعتبر جابراً لضعف السند، وعليه فالحديث الذي عمل به المشهور يعتبر من الأحاديث المقبولة المعتبرة ولا حاجة للبحث في سنده، وإنما لا بد من البحث في السند في غير هذه الحالة، وهذا القول نسب إلى المشهور، ومن أبرز العلماء الذين لم يقبلوا هذا المسلك السيد المحقق الخوئي، فقد ذهب إلى عدم حجية الشهرة العلمية، وأن ما هو المتداول من أن الشهرة جابرة لضعف السند وكاسرة لقوته من الأمور التي ليس لها دليل يمكن الإعتماد عليه.

والإختلاف في هذه المسألة له أثر كبير جداً على إستنباط الأحكام الشرعية، فإذا التزمنا بأن عمل المشهور يوجب مقبولية الخبر واعتباره فحينئذ سيثبت اعتبار عدد كبير من الروايات التي إما يحكم بضعفها سناً أو على الأقل يكون اعتبارها محل خلاف بين المحققين فتكون صالحة لأن يستند إليها في إثبات الأحكام الشرعية، وعلى العكس من ذلك فيما إذا لم نقل بحجية الشهرة العملية.

ونكتفي بالإشارة إلى هذه المسألة وتفصيل الكلام فيها موكول إلى محله.

(١) عدة الأصول ج ١ ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤.

## المبحث الثالث

(عدم إضافة الحديث الموضوع إلى التقسيم)

من الملاحظات المهمة جداً بالرجوع إلى تقسيم الحديث عند الشيخ البهائي سواء في الوجيزة أو في كتاب مشرق الشمسين هو تقسيم الحديث إلى الصحيح والحسن والموثق والضعيف، وعدم الإشارة إلى الحديث الموضوع، والذي يعتبر الكلام عنه من المهمات جداً، لاسيما بعد حكم الفقهاء في الجملة إلى وجود بعض الأحاديث الموضوعية في كتب الحديث، ومن تلك الشواهد ما ذكره الشهيد الثاني في مسالك الأفهام تعليقا على ما أخرجه الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه مما يروى أنه وصية النبي ﷺ في أحكام الزواج لأمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول:

وعلى هذه الوصية تفوح رائحة الوضع، وقد صرح به بعض النقاد<sup>(١)</sup>.

وقال المحقق المحدث الفيض الكاشاني في كتاب الوافي:

إلا أنها غير مطابقة للظواهر، والعمومات القرآنية، ومع ذلك فهي متضمنة لتعليقات عليلة تبو عنها العقول السليمة والطباع المستقيمة ويبعد صدورها عن أئمة الهدى، بل هي مما يستشم منه رائحة الوضع<sup>(٢)</sup>.

ويقول المحقق الشيخ فخر الدين أبو جعفر محمد بن جمال الدين الحسن بن الشهيد الثاني زين الدين العاملي المتوفى سنة (١٠٢٠هـ) في كتابه إستقصاء الإعتبار في شرح الإستبصار تعليقا على بعض روايات الإستبصار:

وأظن أنّ رائحة الوضع عليه لائحة<sup>(٣)</sup>.

وتقدم عن السيد المرتضى علم الهدى أنه حكم على بعض روايات الكافي بالوضع. وقد صنّف المحقق الكبير الشيخ محمد تقي التستري كتاباً مستقلاً في الأحاديث الموضوعية سماه الأخبار الدخيلة، واستدرك عليه بعد ذلك روايات أخرى حكم عليها بالوضع.

(١) مسالك الأفهام ج٧ ص ٣٩ ط. مؤسسة المعارف الإسلامية. قم سنة ١٤١٣هـ.

(٢) الوافي ج١١ ص ١٤٦ ط. مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام أصفهان سنة ١٤٠٦هـ.

(٣) إستقصاء الإعتبار في شرح الإستبصار ج٧ ص ١٨ ط. مؤسسة آل البيت: سنة ١٤١٩هـ.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

والكلام في الأحاديث الموضوعية وإن كان يتطلب أن يكون الباحث في غاية الدقة حتى لا يفوتنا شيء من تعاليم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين، لكن الإعراض عنه مما لا ينبغي أيضاً، لاسيما وأنه يوجد في الرواة التي نقلت عنهم الروايات بعض المتهمين بالوضع من قبل أعلامنا المتقدمين، ومن بين هؤلاء الرواة:

١- وهب بن وهب، المدني، أبو البختري، القاضي.

معروف بالكذب ووضع الأحاديث عند الشيعة والسنة، قال فيه الشيخ الجليل الفضل بن شاذان المتوفى سنة (٢٦٠هـ):

كان أبو البختري من أكذب البرية<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ النجاشي:

وكان كذاباً، وله أحاديث مع الرشيد في الكذب<sup>(٢)</sup>.

وقال فيه الإمام أحمد بن حنبل:

كان كذاباً، يضع الحديث.

وقال يحيى بن معين:

لا رحم الله أبا البختري، كان يضع الحديث.

ومن أبرز أكاذيبه لصالح هارون الرشيد التي جعله أكثر قرباً ومكانة ما أخرجه الحافظ أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري في كتاب الجليس الصالح الكافي حيث قال: وحدثنا محمد بن يحيى الصولي، قال حدثنا وكيع، قال حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزرقى، قال حدثنا عمر بن عثمان، قال حدثنا أبو سعيد العقيلي وكان من ظرفاء الناس وشعرائهم قال:

لما قدم الرشيد المدينة أعظم أن يرقى منبر رسول الله ﷺ في قباء أسود ومنطقة، فقال أبو البختري: حدثني جعفر بن محمد بن علي بن أبيه عليه السلام

(١) معجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢١١ رقم ١٣١٩٩ ط. دار الزهراء - بيروت سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

(٢) (م.ن).

قال: نزل جبريل ﷺ على النبي ﷺ وعليه قباء ومنطقة مخنجرأ فيها بخنجر، فقال المعاذي التيمي: (١)

ويل وعول لأبي البختري إذا توافى الناس للمحشر  
من قوله الزور وإعلانه بالكذب في الناس على جعفر  
والله ماجالسه ساعة للفقه في بدو ولا محضر  
يا قاتل الله ابن وهب لقد أعلن بالزور وبالمنكر  
يزعم أن المصطفى أحمدأ أتاه جبريل التقي البري  
عليه خف وقبأ أسود مخنجرأ بالحقوبالخنجر  
وهذا الخبر أخرجه أيضا وكيع في أخبار القضاة (٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣).

٢- جعفر بن محمد بن مالك بن عيسى بن سابور، الفزاري، أبو عبد الله الكوفي.  
قال فيه الشيخ النجاشي: كان ضعيفاً في الحديث، قال أحمد بن الحسين: كان  
يضع الحديث وضعاً ويروي عن المجاهيل وسمعت من قال: كان أيضاً فاسد المذهب  
والرواية ولا أدري كيف روى عنه شيخنا النبيل الثقة أبو علي بن همام وشيخنا الجليل  
الثقة أبو غالب الزراري رحمهما الله وليس هذا موضع ذكره. (٤)

٣- عبيد بن كثير بن محمد العامري، أبو سعيد، الكلابي، الوحيد، الكوفي.  
قال الشيخ النجاشي: وعبيد كوفي طعن أصحابنا عليه، وذكروا أنه يضع الحديث،  
له كتاب يعرف بكتاب التخريج في بني الشيبان، وأكثره موضوع مزخرف، والصحيح  
منه قليل، رواه أبو عبد الله بن عياش عن أبي الحسين عبد الصمد بن علي بن مكرم  
الطستي.

(١) المجلس الصالح الكافي ج ٤ ص ١٧٨ ط. عالم الكتب. بيروت سنة ١٤١٢ هـ. ١٩٩٣ م.

(٢) أخبار القضاة ج ١ ص ٢٤٨.

(٣) تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٢، ٤٨٣ رقم ٧٢٢٢.

(٤) معجم رجال الحديث ج ٤ ص ١١٧ رقم ٢٢٧٩.

٤- عبد الرحمن بن كثير الهاشمي.

قال فيه الشيخ النجاشي: كان ضعيفاً غمز أصحابنا عليه، وقالوا: كان يضع الحديث. إلى أن قال:

وله كتاب فذك، وكتاب الأظلة كتاب فاسد مختلط<sup>(١)</sup>.

٥- محمد بن موسى بن عيسى، الهمداني، أبو جعفر، السمان.

قال فيه الشيخ النجاشي: ضعفه القميون بالغلو، وكان ابن الوليد يقول: أنه يضع الحديث والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيخ الصدوق (رض) في الرد على العمل ببعض الروايات:

فإن شيخنا محمد بن الحسن (رض) كان لا يصححه، ويقول: إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني، وكان غير ثقة، كذاباً، وكل ما لم يصححه ذلك الشيخ قدس الله روحه ولم يحكم بصحته من الأخبار، فهو عندنا متروك غير صحيح<sup>(٣)</sup>.

وقد حكم بعض المحققين بالوضع على بعض الكتب وباختلاط البعض الآخر ومن بين تلك الكتب التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد تحدثنا عنه بشيء من التفصيل في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، ونكتفي هنا بذكر ما أفاده السيد المحقق الخوئي في معجم رجال الحديث حيث قال:

هذا مع أن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع، وجل مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وغرضنا من هذا السرد التنبيه إلى وجود بعض الأخبار الموضوعية وأهمية البحث عنها وإن أهمل البحث عنها بعض المحققين، بل نجد أن بعضهم لا يشير إلى الحديث الموضوع، ويكتفي بذكر الحديث الضعيف في مقابل الأحاديث المعتمدة.

(١) معجم رجال الحديث ج ٩ ص ٢٤٣ رقم ٦٤٢٩.

(٢) معجم رجال الحديث ج ١٧ ص ٢٨٢ رقم ١١٨٤٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٩٠ ذيل حديث ١٨١٧.

(٤) معجم رجال الحديث ج ١٢ ص ١٤٧ رقم ٨٤٢٨.

## المبحث الرابع

(الفرق بين طريقة القدماء وطريقة المتأخرين)

المعروف بين المتأخرين أنّ تقييم الخبر غير المتواتر يمر بمرحلتين:  
الأولى: النظر إلى اقترانه بما يدل على صدوره أو عدم صدوره، وبتتبع أبحاثهم نجد أنّ لديهم قرينتان أحدهما إثباتية والأخرى سلبية، أما الأولى فعمل المشهور حيث أنّ المعروف أنّ الشهرة العملية جابرة لضعف السند، وأما الثانية فإعراض المشهور حيث أنّ المعروف أنّ إعراض المشهور كاسر لقوة السند، ولذا قيل: الشهرة جابرة وكاسرة.

الثانية: وهي على تقدير عدم الظفر بشهرة عملية إثباتية أو سلبية، وهي البحث في سند الحديث، فإما أنّ يكون منقطع الإسناد فليس بحجة إلا إذا ورد عن لا يرسل إلا عن ثقة، وإما أنّ يكون متصل الإسناد، وهو إما صحيح أو حسن أو موثق أو ضعيف. وهذا هو ما أفاده الشيخ البهائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الوجيزة، إلا أنّ بعض الفقهاء لم يقبل القول بحجية الشهرة العملية ومن أبرزهم السيد المحقق الخوئي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعليه فالعمدة عنده النظر في إسناد الحديث.

وأما المتقدمون فلديهم قولان:

الأول: ما أفاده الشيخ الطوسي وذكر أنه هو ما عليه طريقة الطائفة منذ زمن الأئمة الطاهرين: إلى زمانه، وهي أنّ إثبات صدور النص يمر بمرحلتين:

الأولى: البحث في القرائن المثبتة له، وهي لا تنحصر في عمل المشهور، بل ربما لا يعتبر بعض المتقدمين الشهرة العملية من القرائن، والمقصود هنا بالقرائن هي القرائن الموجبة للقطع وقد لا تعتبر الشهرة العملية منها، وغاية ما تفيده هو الظن المعتبر، وقد ذكر الشيخ في العدة بعض تلك القرائن.

الثانية: النظر إلى إسناد الرواية وتقييمها على أساس حال الرواة، وهذه المرحلة

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

إنما يصل إليها المتقدمون على تقدير عدم العثور على القرائن، وذكر الشيخ في العدة أنّ هذا هو الغالب في الأخبار، وقد تقدمت عبارته.

الثاني: وهو بناءً على عدم إعتبار الأدلة الظنية وعدم حجية الخبر غير المتواتر وهو مسلك ابن قبة الرازي والسيد المرتضى وابن البرّاج وابن إدريس وغيرهم، وهؤلاء لا يرون الحجية إلا في نوعين من الروايات: أحدهما: الروايات المتواترة.

ثانيهما: الروايات المقترنة بما يوجب القطع بصدورها.

وأما غير ذلك من الروايات وإن ثبتت بنقل الثقات فليست معتبرة، ولكن شيخ الطائفة فيما تقدم من كلامه ذكر أغلب الروايات ليست مقترنة بما يوجب القطع بصدورها بمقتضى سبرها وتتبع مواردها.

ويمكن القول بأنه حتى لو قلنا بأنّ غالبية الروايات بالفعل غير مقترنة بما يوجب القطع بصدورها، لكن إغلاق باب البحث عن القرائن، وحصره بالشهرة العملية، أو إغلاقه نهائياً بما في ذلك ترك الأخذ بالشهرة العملية إثباتاً أو نفيّاً في غير محله، لاسيما إذا وسعنا دائرة البحث في النقل إلى جميع كتب الروايات عند سائر أتباع المذاهب الإسلامية ومن ذلك أيضاً مصادر الزيدية التي فيها نقل كثير من طرق الشيعة الإمامية كمصنفات السيد أبي طالب الهاروني والسيد أبي الحسين الهاروني، والبحث في القرائن بحاجة بذل جهود واسعة وعدم اليأس في مرحلة مبكرة على البحث في المصادر المتوفرة والتي هي كثيرة جداً، ولم يتعرض الكثير من الباحثين للإطلاع عليها فضلاً عن محاولة الاستفادة منها في العثور على قرائن تساعد على إثبات النص أو نفيه.

ويمكن القول أنّ القرائن تنقسم إلى قسمين:

الأول: القرائن الداخلية، وهي التي قد تستفاد من متن الحديث ولاسيما نفس مضمونه، كما هو الحال بالنسبة إلى بعض الأدعية ذات المضامين العالية كدعاء كميل

ودعاء أبي حمزة الثمالي والمناجاة الشعبانية وزيارة أمين الله وغير ذلك.  
الثاني: القرائن الخارجية، وهي القرائن الأخرى التي قد توجد في غير متن الحديث.  
وهذه القرائن قد تكون مثبتة، وقد تكون نافية، ولذا نجد الفقهاء قد يحكمون بالوضع  
على بعض الروايات نظراً إلى نكارة المتن وعدم القبول بمضمونه لمنافاته مع الأصول  
الإعتقادية أو لما ثبت بخلافه بنحو القطع لاسيما مع عدم إمكان تأويل المضمون، وهذا  
الأمر معروف عند علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم.

## المبحث الخامس

(ما أفاده الشيخ البهائي قده بشأن الأحاديث المرسلة)

يتفق علماء الحديث على أن الأصل في الحديث المرسل عدم الإعتبار، لإحتمال أن  
يكون في رواته غير المذكورين من لا يجوز الإعتقاد على نقله، وقد عد الشيخ البهائي  
في الوجيزة الحديث المرسل في الحديث الضعيف إلا إذا كان المرسل ممن لا يرسل  
إلا عن ثقة، يقول في الوجيزة:

وقد يطلق الضعيف على القوى بمعنييه<sup>(١)</sup>، وقد يخصّ بالمشتمل على جرح أو تعليق  
أو انقطاع أو إعضال أو إرسال وقد يعلم من حال مرسله عدم الإرسال من غير الثقة،  
فينتظم حينئذ في سلك الصحاح كمراسيل محمد بن أبي عمير، وروايته أحيانا عن  
غير الثقة لا يقدح في ذلك كما يظن، لأنهم ذكروا أنه لا يرسل الا عن ثقة، لا إنه لا  
يروى إلا عن ثقة.

وما أفاده الشيخ البهائي قده يمكن أن نسجل عليه ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: أنه حكم بالضعف على عامة المراسيل إلا إذا كانت ممن لا يرسل  
إلا عن ثقة كمراسيل ابن أبي عمير، ولكن بعد ذلك تعرض إلى إشكال وجوابه.

(١) يعني الحسن والمؤتق دون الصحيح بحسب الإصطلاح.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

وحاصل الإشكال: أنّ مثل ابن أبي عمير كيف يمكن قبول مراسيله وقد ثبت روايته عن الضعفاء، فبعد أنّ كان تارة يروي عن الثقات وأخرى عن الضعفاء فنحن نحتمل حينئذ أنّ يكون من أرسل عنه ليس بثقة، وهذا الإحتمال يكفي لإثبات عدم صحة الإعتماد على مراسيله. وأجاب الشيخ البهائي: أنّ المتقدمين لم يذكروا عن ابن أبي عمير أنه لا يروي إلا عن ثقة، بل ذكروا أنه لا يرسل إلا عن ثقة، ونفس هذا النقل ظاهر في أنّ مثل ابن أبي عمير كان يلتزم بعدم الرواية إلا عن ثقة عند الإرسال، وأما التزامه بذلك عن التصريح باسم الراوي فلم يثبت.

وهذا الجواب غريب جداً من الشيخ البهائي، والسبب أنّ منشأ الحكم بحجية مراسيل محمد بن أبي عمير لا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: ما ذكره الشيخ في عدة الأصول أثناء حديثه عن الروايات المتعارضة وحكم تعارض الخبر المرسل مع الخبر المسند حيث قال:

وإذا كان أحد الراويين مسنداً، والآخر مرسلًا، نظر في حال المرسل، فإن كان ممن يعلم أنه لا يرسل إلا عن ثقة موثوق به، فلا ترجيح لخبره على خبر غيره، ولأجل ذلك سوت الطائفة بين ما يرويه محمد بن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، وأحمد بن محمد بن أبي نصر، وغيرهم من الثقات الذين عرفوا بأنهم لا يروون ولا يرسلون إلا ممن يوثق به، وبين ما أسنده غيرهم، ولذلك عملوا بمرسلهم إذا انفرد عن رواية غيرهم<sup>(١)</sup>.

ثانيهما: ما ذكره الشيخ النجاشي في فهرسته عند ترجمة محمد بن أبي عمير حيث قال: وكان حبس في أيام الرشيد، فقيل: ليلي القضاء، وقيل: إنه ولي بعد ذلك، وقيل: بل ليدل على مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليه السلام، وروي أنه ضرب أسواطاً بلغت منه فكاد أن يقر لعظم الألم، فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول: اتق الله يا محمد بن أبي عمير، فصبر، ففرج الله، وروي أنه حبسه المأمون حتى

(١) عدة الأصول ج ١ ص ٢٨٦، ٢٨٧.

ولاه قضاء بعض البلاد، وقيل: إن أخته دفنت كتبه في حال استتارها كونه في الحبس أربع سنين فهلكت الكتب، وقيل: بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر فهلكت، فحدث من حفظه، ومما كان سلف له في أيدي الناس، فلهذا أصحابنا يسكنون إلى مراسيله، وقد صنف كتباً كثيرة<sup>(١)</sup>.

أما المصدر الثاني وهو فهرست الشيخ النجاشي قَدَسَ سَلْتُهُ ففيه أن منشأ السكون إلى مراسيله من قبل الأصحاب هو تحديثه من حفظه ومما كان سلف له في أيدي الناس بعد أن هلكت كتبه.

وأما المصدر الأول وهو عدة الأصول ففيه أن منشأ الإعتماد على مراسيله ومن كان على طريقته كصفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر هو أنه لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة، ولا يوجد من ذكر أنهم لا يرسلون إلا عن ثقة من دون الإشارة إلى أنهم لا يروون إلا عن ثقة، فما ذكره الشيخ البهائي إشتباه قطعاً.

ومن الواضح أن الوجه الثاني في الإعتماد على مراسيل ابن أبي عمير ضعيف جداً فلا يمكن القول باعتبار مراسيله وحجيتها لمجرد كونه يحدث من حفظه ومما كان سلف له في أيدي الناس وأما الوجه الأول فلا إشكال في أنه يقتضي الإعتماد على مراسيله، ولكن لا بد من الإجابة على الإشكال المتقدم، فبعض المحققين نتيجة لهذا الإشكال ذهب إلى عدم حجية مراسيل محمد بن أبي عمير، وأنه لا فرق بينها وبين غيرها، منهم المحقق الحلي في المعبر حيث يقول في مقام مناقشة العمل ببعض الروايات التي أرسلها محمد بن أبي عمير: ولو إحتج بما رواه ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إلى أن قال:

كان الجواب، الطعن في السند لمكان الإرسال، ولو قال: مراسيل ابن أبي عمير يعمل بها الأصحاب، منعنا ذلك، لأن في رجاله من طعن الأصحاب فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٧٩ رقم ١٠٠١٨.

(٢) المعبر في شرح المختصر ج ١ ص ١٦٥ ط. مؤسسة سيد الشهداء (ع). قم سنة ١٤٠٧ هـ.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

ووافق المحقق الحلي جماعة من الفقهاء منهم السيد محمد العاملي صاحب المدارك ومنهم السيد المحقق الخوئي<sup>(١)</sup>.

وفي المقابل ذهب عدد كبير من الفقهاء إلى حجية مراسيل محمد بن أبي عمير واعتبارها وأنها كالمسانيد الصحيحة منهم العلامة الحلي وولده فخر المحققين والمحقق الثاني والشهيدان والإمام الخميني<sup>(٢)</sup>.

ويمكن الجواب عن الإشكال: بأنه لم يثبت روايتهم عن الضعفاء مباشرة إلا نادراً، لم نجد حسب التتبع إلا مورداً واحداً روى فيه ابن أبي عمير عن وهب بن وهب الذي لا إشكال أنه كان في غاية الضعف، فقد أخرج الشيخ الطوسي في التهذيب ما رواه عنه محمد بن أبي عمير بسنده عن محمد بن علي بن محبوب عن محمد بن خالد البرقي، عن ابن أبي عمير عن أبي البخترى، عن الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

وهذا المقدار وبهذه الندرة لا يلتفت إليه ولا يصلح لنقض ما هو المنقول عنهم بأنهم لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة.

وأما بقية الموارد ممن روى عنهم محمد بن أبي عمير وكذلك صفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر فلم يثبت أن عامة حياتهم هي الضعف، بل عدد منهم ثبت أن لهم حالتان، حالة استقامة وحالة ضعف مثل يونس بن ظبيان وعلي بن أبي حمزة البطائني وعمرو بن شمرو وأبي الجارود زياد بن المنذر الخارقي، ولم يثبت أنهم

(١) معجم رجال الحديث ج ١ ص ٦٢، نهاية المرام ج ١ ص ١٨٢ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤١١ هـ.

(٢) مختلف الشيعة ج ٥ ص ١٤٠ وج ٧ ص ٢٩، وج ٨ ص ٣٦٠ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤١٣ هـ، منتهى المطالب في تحقيق المذهب ج ٢ ص ٢٩٠ ط. مجمع البحوث الإسلامية. مشهد سنة ١٤١٢ هـ، إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد ج ٤ ص ١٦٢ ط. مؤسسة إسماعيليان. قم سنة ١٣٨٧ هـ، ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ج ١ ص ٤٩ ط. مؤسسة آل البيت: . قم سنة ١٤١٩ هـ، جامع المقاصد ج ١ ص ١٥٩ ط. مؤسسة آل البيت: . قم سنة ١٤١٤ هـ، رسائل الشهيد الثاني رحمته الله ج ١ ص ٣١ ط. دفتر التبليغات الإسلامي. قم سنة ١٤٢١ هـ، كتاب البيع للإمام الخميني رحمته الله ج ٢ ص ٦٤٨ ط. مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني رحمته الله. طهران سنة ١٤٢١ هـ.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٢ ص ١٥٠ ح ٢٢٥ ط. دار الكتب الإسلامية. طهران.

## الشيخ حسين معتوق

رووا عنهم حال عدم الإستقامة حتى يتنافى مع ما ذكره الشيخ في العدة، لاسيما مع ما ذكره الشيخ في العدة بأن من كان له حالتان يؤخذ بما رواه حالة استقامته ويترك ما رواه في حالة ضعفه، يقول الشيخ الطوسي في كتابه عدة الأصول:

وأما ما ترويه الغلاة والمتهمون والمضعفون وغير هؤلاء، فما يختص الغلاة بروايته فإن كانوا ممن عرف لهم حال استقامة وحال غلو، عمل بما رووه في حال الإستقامة، وترك ما رووه في حال تخليطهم، ولأجل ذلك عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب محمد بن أبي زينب في حال استقامته وتركوا ما رواه في حال تخليطه، وكذلك القول في أحمد بن هلال العبرائي ابن أبي عذافر وغير هؤلاء، فأما ما يرويه في حال تخليطهم فلا يجوز العمل به على كل حال، وكذلك القول فيما ترويه المتهمون والمضعفون، وإن كان هناك ما يعضد روايتهم ويدل على صحتها وجب العمل به، وإن لم يكن هناك ما يشهد لروايتهم بالصحة وجب التوقف في أخبارهم، فلأجل ذلك توقف المشايخ عن أخبار كثيرة هذه صورتها، ولم يرووها واستثنوها في فهارسهم من جملة ما يروونه من التصنيفات<sup>(١)</sup>.

وبالجملة فروايتهم مباشرة عن الضعفاء في حال ضعفهم لم تثبت إلا في مورد واحد وهو بحكم العدم، وأما روايتهم عن الضعفاء التي لم تثبت أنها في حال الضعف أو غيره فلا تتعارض مع ما نقل عنهم من أنهم لا يروون ولا يرسلون إلا عن ثقة، بل بعد كونه نقلاً معتبراً يمكن الإعتماد عليه فيمكن حينئذٍ عده قرينة بأنهم لم يرووا عنهم إلا في حال استقامتهم وإلى ذلك ذهب غير واحد من المحققين.

الملاحظة الثانية: اعتمد الشيخ البهائي في كتابه حبل المتين على غير مراسيل محمد بن أبي عمير، فذهب إلى حجية جميع مراسيل الشيخ الصدوق التي يرسلها في كتاب من لا يحضره الفقيه، حيث قال لإثبات إحدى الروايات:

(١) عدة الأصول ج ١ ص ٢٨١، ٢٨٢.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

على أن الرواية الأولى من مراسيل الصدوق رحمه الله في كتاب من لا يحضره الفقيه وقد ذكر رحمه الله أنّ ما أورده فيه فهو حاكم بصحته ومعتقداً به حجة فيما بينه وبين الله تعالى، فينبغي أن لا يقصر مراسيله عن مراسيل ابن ابي عمير، وأنّ تعامل معاملتها، ولا تطرح بمجرد الإرسال<sup>(١)</sup>.

ووافقته على ذلك عدة من المحققين منهم العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي صاحب البحار المتوفى سنة (١١١٠هـ) والسيد محمد المجاهد الطباطبائي الحائري المتوفى سنة (١٢٤٢هـ).<sup>(٢)</sup>

ونظير هذا القول بصحة مراسيل من لا يحضره الفقيه أقوال أخرى وهي :

١- القول بحجية مراسيل الكافي حيث ذهب إلى حجيتها وحجية مراسيل من لا يحضره الفقيه المحقق الشيخ أحمد النراقي المتوفى سنة (١٢٤٥هـ) واستدل بها في كتابه مستند الشيعة، ووافقته بالقول بحجية مراسيل الكافي المحقق الشيخ محمد رضا الأصفهاني المتوفى سنة (١٣٢٦هـ) في كتابه نجعة المرتاد والمحقق الشيخ عبد الله المامقاني المتوفى سنة (١٣٥١هـ) في كتابه نهاية المقال<sup>(٣)</sup>.

٢- القول بحجية مراسيل كتاب دعائم الإسلام الذي يقتضي الإعتماد على الكتاب بكامله والذي تعتبر جميع رواياته مرسلّة، وإليه ذهب المحقق الشيخ محمد رضا الأصفهاني في كتاب نجعة المرتاد<sup>(٤)</sup>.

(١) الحبل المتين ص ١١، ١٢ ط. مكتبة بصيرتي بالطبعة الحجرية. قم سنة ١٣٩٠هـ.

(٢) مفاتيح الأصول ص ٦٠ من الطبعة الحجرية، مرآة العقول ج٢ ص ٣٢٢ ط. دار الكتب الإسلامية - طهران سنة ١٤٠٤ هـ، ملاذ الأختيار في شرح تهذيب الأخبار ج٢ ص ٥٥٢ ط. مكتبة السيد المرعشي النجفي رحمته الله سنة ١٤٠٦هـ.

(٣) مستند الشيعة ج١٠ ص ٣١٠ ط. مؤسسة آل البيت .: قم سنة ١٤١٥هـ، نجعة المرتاد ص ٤١٤ ط. مؤسسة الزهراء ٣ الثقافية. أصفهان سنة ١٤١٦هـ، نهاية المقال ص ١٠٩ من الطبعة الحجرية.

(٤) نجعة المرتاد ص ٤١٤.

٣- القول بحجية مراسيل الشيخ المفيد والشيخ الطوسي وأنها لا تقتصر عن مراسيل محمد بن أبي عمير وبذلك صرّح المحدث البحراني المتوفى سنة (١١٨٦هـ) في الحقائق الناضرة، وصرّح بذلك بشأن مراسيل الشيخ المفيد المحقق السيد أحمد الخوانساري المتوفى سنة (١٤٠٥هـ) في جامع المدارك<sup>(١)</sup>.

٤- القول بحجية مراسيل الكتب الأربعة ومراسيل السيد المرتضى والمحقق الحلي وأمثالهم وإليه ذهب المحقق السيد محمد جواد العاملي المتوفى سنة (١٢٢٦هـ) في مفتاح الكرامة<sup>(٢)</sup>.

٥- القول بحجية مراسيل الشيخ الطوسي في الخلاف، وإليه ذهب السيد محمد المجاهد الطباطبائي الحائري في المناهل والمحقق الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٥٣هـ) في شرحه لخيارات اللمعة<sup>(٣)</sup>.

٦- القول بحجية مراسيل الشيخ الصدوق إذا رواها بنحو الجزم، ذهب إلى ذلك جماعة من الفقهاء منهم المحقق الشيخ حسين بن محمد الخوانساري المتوفى سنة (١٠٩٨هـ) في مشارق الشمس<sup>(٤)</sup>، ومنهم المحقق الشيخ محمد حسين النائيني المتوفى سنة (١٣٥٥هـ)<sup>(٥)</sup> ومنهم الإمام الخميني، يقول الإمام الخميني في كتاب البيع في مقام بيان إعتبار إحدى الروايات:

فهي رواية معتمدة لكثرة طرقها، بل لو كانت مرسلة لكانت من مراسيل الصدوق التي لا تقتصر عن مراسيل مثل ابن أبي عمير، فإنّ مراسلات الصدوق على قسمين:

(١) الحقائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة ج ٢ ص ١٧٢ وص ٣٢٠ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤٠٥هـ، جامع المدارك في شرح المختصر النافع ج ١ ص ١٢١ ط. مؤسسة اسماعيليان. قم سنة ١٤٠٥هـ.

(٢) مفتاح الكرامة ج ١٠ ص ٢٦٦ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤١٩هـ.

(٣) المناهل ص ٢٣٠ من الطبعة الحجرية، شرح خيارات اللمعة ص ٧٥ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤٢٢هـ.

(٤) مشارق الشمس ج ١ ص ٤٦.

(٥) كتاب الصلاة (تقرير بحث النائيني للكاظمي) ج ٢ ص ٢٦٢ ط. مؤسسة النشر الإسلامي. قم سنة ١٤١١هـ.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

أحدهما: ما أرسله ونسبه إلى المعصوم عليه السلام بنحو الجزم، كقوله قال أمير المؤمنين عليه السلام كذا.

وثانيهما: ما قال روي عنه عليه السلام مثلاً.

والقسم الأول من المراسيل هي المعتمدة المقبولة<sup>(١)</sup>.

٧- القول بحجية مراسيل تحف العقول التي أرسلها بنحو الجزم وذهب إلى ذلك المحقق الميرزا باقر الخوانساري المتوفى سنة (١٣١٣هـ) في روضات الجنات، واعتبر أن هذا هو حال غالب مرسلاته، يقول في روضات الجنات بشأن روايات تحف العقول:

أن غالب مرسلاته وقعت بطريق إسقاط السند والإسناد إلى قول الحجة دون إبهام الراوي، وهو ظاهر في الجزم بصدورها عن المعصوم عليه الصلاة والسلام، مما يجعل الخبر مظنون الصدق، ويقتضي إلحاقه بالصحيح من الأخبار<sup>(٢)</sup>. وهذه هي الأقوال بشأن المرسلات الموجودة في كتب الحديث، وللعلمة المحقق الشيخ محمد تقي المجلسي المتوفى سنة (١٠٧٠هـ) تحقيق مهم يتعلق بمراسيل الشيخ الصدوق، حيث توصل إلى أن مراسيل الشيخ الصدوق غالبيتها من كتاب الكافي ولا بأس بنقل عبارته في روضة المتقين، حيث يقول تعليقاً على بعض مرسلات من لا يحضره الفقيه:

وقال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «كل ماء ظاهر إلا ما علمت أنه قذر»، هذا الخبر بهذه العبارة غير مذكور في الأصول، والذي ظهر لنا من تتبع أن مرسلات الصدوق أكثرها من الكافي، وهذا الخبر موجود في كتاب محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري برواية الشيخ على النحو الذي ذكره في الكافي، والمذكور فيه

(١) كتاب البيع للإمام الخميني قدس سره ج ٢ ص ٦٢٨ ط. مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني P - طهران سنة ١٤٢١هـ.

(٢) روضات الجنات ج ٢ ص ٢٨٢.

## الشيخ حسين معتوق

طريقان: أحدهما: مرسل، والآخر: فيه جهالة عن حماد بن عثمان، وفي كتاب محمد بن يحيى عن حماد بن عيسى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام الماء كله طاهر حتى يعلم أنه قذر، وروى الشيخ في الموثق عن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال كل شيء نظيف حتى تعلم أنه قذر، فيمكن أن يكون النقل بالمعنى أو كانت نسخة الصدوق على الوجه الذي نقله.

وعلى أي حال فالظاهر صحة الخبر لكونه في أصل حماد بن عثمان وحماد بن عيسى وعمار وإذا وجدته في الأصول من الثقات فالظاهر أنه يمكنه الجزم بأنه من قول الصادق عليه السلام وعلى ذلك يجب أن تحمل مرسلاته وإن كان بحسب الظاهر من الكافي، ويمكن أن يكون الصدوق قابل الكافي أولاً مع الأصول ووجدته صحيحاً وعند التصنيف لم يلاحظها باعتبار الجزم الذي حصل له قبله كما فعلنا بكتاب الرجال مع أصولها في زمان يسير بتيسيره تعالى، والظاهر أن عمل الطائفة على تصانيف الطاطريين والبنيين فضالبيين وأضرابهم من الواقفية والفتحية والعمامة كان لموافقة الأصول الأربعمائة وجودة تصانيفهم فإن أخبار الأصول كانت منتشرة غاية الانتشار فإنهم كلما يسمعون من المعصوم كانوا يكتبون في الكتب ولهذا تراهم ينقلون من هذه الكتب مع وجود الأصول عندهم كما في زماننا بل زمان متقدمينا أيضاً بالنسبة إلى كتب الرجال، كما ترى الشهيد الثاني رحمه الله والمحقق الثاني رضي الله عنه يمدحان رجال الحسن بن داود بجودته مع أن أغلظه أكثر من أن تحصي على ما هو الظاهر عند الملاحظة والمقابلة مع الأصول ولكن الظن بالقدماء المقابلة مع الأصول كما يظهر في تتبع أحوالهم<sup>(١)</sup>.

وقد نقلنا هذا النص لنشير إلى جانب مما بذله المحققون بهذا الشأن ليطلع على أبحاثهم ودراساتهم في علوم الحديث والتي لا بد من تتبعها في كتبهم الكثيرة المتفرقة،

(١) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٢، ٢٣ ط. مؤسسة كوشانپور الثقافية الإسلامية.

قم سنة ١٤٠٦ هـ.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

ليبحث في هذا المسائل بدقة وتأن بعيداً عن التسرع، لاسيما بعد كون هذه الأبحاث تحتاج إلى كثير من التتبع في كتب الحديث وفي الأبحاث المدونة في علوم الحديث، وفي تتبع أحوال الرواة.

والمحقق الشيخ محمد تقي المجلسي هو أحد من عاش وتربى في تلك البيئة التي كان للشيخ البهائي دوراً كبيراً في بنائها وتأسيسها.

ثم أنه لا يخفى أنه بالرغم من توسع بعض المحققين في القول بحجية بعض المراسيل والإعتماد عليها ففي المقابل يوجد جماعة من المحققين منهم المحقق الحلي والمحقق السيد محمد العاملي وآخرون لم يقبلوا القول بحجية المراسيل مطلقاً.

### المبحث السادس

(بيان مسلك الشيخ البهائي قَدَسَ سِرُّهُ في تعارض الجرح والتعديل)

تعرض المحقق الكبير الشيخ بهاء الدين العاملي لحكم تعارض الجرح والتعديل في الوجيزة وكذلك في كتاب مشرق الشمسين، وقد أجمل القول في الوجيزة، حيث قال: ولو اجتمع الجرح والمعدّل فالمشهور تقديم الجرح والأولى التّعويل على ما يثمر غلبة الظنّ كالأكثر عدداً وورعاً وممارسته.

ولكنه في مشرق الشمسين ذكر أنه لا يجوز أخذ القول بتقديم الجرح على التعديل على إطلاقه وقد قسّم فيه تعارض الجرح والتعديل على قسمين:

الأول: ما يمكن الجمع فيه بين كلام الجرح والمعدّل.

الثاني: ما لا يمكن الجمع بينهما.

ولنبداً أولاً بالكلام في القسم الأول، ومن ثم ننتقل إلى الكلام في القسم الآخر.

أولاً: حكم تعارض الجرح والتعديل مع إمكان الجمع بين الجرح والمعدّل:

يقول الشيخ البهائي:

وقد اشتهر أنه إذا تعارض الجرح و التعديل، قدّم الجرح، وهذا كلام مجمل غير

## الشيخ حسين معتوق

محمول على إطلاقه كما قد يظنّ، بل لهم فيه تفصيل مشهور، وهو أنّ التعارض بينهما على نوعين:

الأوّل: ما يمكن الجمع فيه بين كلامي المعدّل والجرح، كقول المفيد قدس الله روحه في محمّد بن سنان أنّه ثقة، وقول الشيخ طاب ثراه أنّه ضعيف، فالجرح مقدّم، لجواز إطلاق الشيخ على ما لم يطلع عليه المفيد.

والشيخ البهائي في هذه العبارة يبين ما هو المعروف في التعامل مع هذا القسم من التعارض وأنّ المعروف هو لزوم تقديم الجرح على التعديل، لكنه لا يقبل بهذا القول على إطلاقه، بل يذهب إلى التفصيل، وأنّه في بعض الموارد لا بد من تقديم الجرح على التعديل، وفي بعضها بالعكس، فإنه بعد أن تعرض للقسم الثاني من التعارض قال: وظنّي أنّ إطلاق القول بتقديم الجرح في النوع الأوّل غير جيّد، ولوقيل فيه أيضاً بالترجيح ببعض تلك الأمور لكان أولى.

ولكنه لم يبين الضابطة للقول بالتفصيل، بل اكتفى ببيان أنّ العلامة الحلي في بعض الموارد قدم التعديل على الجرح، ومن ثمّ شرع في مناقشته بشأن ما ذكره في ذلك المورد.

ويمكن القول أنّه لا معنى لإطلاق تقديم الجرح على التعديل مع إمكان الجمع بين الجرح والمعدّل، والظاهر أنّ مقصوده من إمكان الجمع هنا حتى مع استقرار التعارض، فيشمل موارد الجمع التبرعي أيضاً، وتطبيقه على المثال الذي ذكره يعني كما لو قال الشيخ المفيد في شأن أحد أنّه ثقة وقال الشيخ أنّه ضعيف فيقدم الجرح. والذي يقتضيه التحقيق أنّ عبارة المعدّل والجرح إذا كانتا بنفس المرتبة من الإعتبار فلا بد من تطبيق قواعد التعارض المذكورة في علم الأصول، فإنّ كان التعارض مستقراً فلا يجوز تقديم أحدهما على الآخر إلا بقريظة خارجية تقتضي ترجيح أحدهما، وإلا كان الحكم هو التساقط.

وأما مع عدم استقرار التعارض، فلا بد من تطبيق قواعد الجمع العرفي المبينة في

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

علم الأصول كما لو قيل في أحد الرواة أنه ثقة، وقال آخر: أنه ضعيف، فهنا مقتضى قواعد الجمع العرفي تقديم الجرح على التعديل، لأن كلمة ثقة نص في الوثاقة، وأما كلمة: ضعيف، فهي ظاهرة في عدم الوثاقة، لأنها تشمل حالة ضعف الراوي في نفسه، وضعفه لسبب آخر كالحكم بضعفه بسبب كثرة روايته عن الضعفاء مثلاً، وإذا تعارض النص مع الظاهر، فلا بد من حمل الظاهر على النص كما هو واضح.

ومن أمثلة ذلك في كلماتهم ما وقع من التعارض بين كلام الشيخ والنجاشي في ترجمة محمد بن محمد بن خالد البرقي، قال فيه الشيخ: ثقة، وقال الشيخ النجاشي: وكان محمد ضعيفاً في الحديث، وكان أديباً حسن المعرفة بالأخبار وعلوم العرب<sup>(١)</sup>.

إذ يمكن القول بأن كلام الشيخ نص في الوثاقة، وكلام النجاشي ظاهر في الضعف، ويحتمل أن يكون ضعفه ليس فيه نفسه، بل من جهة من يروي عنه، والذي تقتضيه القواعد المقررة في محلها هو لزوم حمل الظاهر على النص عند التعارض.

وأما إذا لم يكن كلا القولين بنفس المرتبة من الاعتبار فلا بد من القول بتفصيل آخر، فإذا بنينا على أن منشأ حجية القول في أحوال الرواة أنه من مصاديق خبر الواحد، فلو ثبت حينئذ أن قول أحدهما ناشئ من الحس والآخر ناشئ من الحدس، فلا بد من تقديم الأول على الثاني، لأن ما دل على حجية خبر الواحد إنما دلت على اعتباره إذا كان حسياً، ومن أمثله التعارض بين الشيخ النجاشي وشيخ الطائفة والشيخ الصدوق تبعاً لشيخه ابن الوليد في ترجمة محمد بن عيسى بن عبيد، فقد وثقة الشيخ النجاشي وقال فيه:

جليل في أصحابنا، ثقة، عين، كثير الرواية، حسن التصانيف، روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام مكاتبة ومشافهة، ذكر أبو جعفر بن بابويه عن ابن الوليد أنه قال: ما تفرد به محمد بن عيسى من كتب يونس وحديثه لا تعتمد عليه، ورأيت أصحابنا يذكرون

(١) معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ٦٥ رقم ١٠٦٨٨.

هذا القول، ويقولون: من مثل أبي جعفر محمد بن عيسى، سكن بغداد.  
إلى أن قال: قال أبو عمرو: قال القتيبي: كان الفضل بن شاذان رحمه الله يحب  
العبيدي ويثني عليه، ويمدحه ويميل إليه، ويقول: ليس في أقرانه مثله، وبحسبك هذا  
الثناء من الفضل رحمه الله.

وقال فيه الشيخ: ضعيف، استثناه أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه عن رجال نوادر  
الحكمة، وقال: لا أروي ما يختص برواياته، وقيل أنه كان يذهب مذهب الغلاة.  
وقال فيه في أكثر من مورد في رجاله: ضعيف<sup>(١)</sup>.

وبعد النظر في العبارات المتقدمة يظهر أن توثيق الفضل بن شاذان والشيخ  
النجاشي توثيق صادر من الحسن إما بسبب المعرفة المباشرة كما هو الحال بالنسبة  
أو بسبب النقل عن عاصره والظاهر من كلام كل منهما أنه كان على ظاهر الثقة  
والعدالة والإيمان والتقوى.

وأما ما ذكره شيخ الطائفة فهو ظاهر في أن منشأه هو ما ذكره الشيخ الصدوق تبعاً  
لشيخه ابن الوليد، وأنه بسبب النظر فيما رواه عن يونس بن عبد الرحمن في كتاب  
نوادير الحكمة، فلم يقبل ابن الوليد بعض تلك الروايات، ولعله لكونها اعتبرها مشتملة  
على الغلو، فالتضعيف إما ظاهر في الحدس كما هو الصحيح أو هو محتمل الحدسية  
على الأقل، فلا يقدم على ما كان ظاهراً في الحسن لاسيما بعد ما تقرر في محله من  
عدم ثبوت أصالة الحسن التي قال بها غير واحد من المحققين.

عند الشك كما يذهب إليه جماعة من المحققين كالسيد المحقق الخوئي فلا بد من  
الإكتفاء بتطبيق قواعد الجمع العرفي المبينة في علم الأصول، وأما إذا لم تقبل ذلك  
كما هو الصحيح فلا بد من تقديم ما نحرز كونه ناشئاً عن حس عما نشك فيه، لعدم  
معارضة المشكوك بسبب الشك فيه، فلا تشملها عمومات أو إطلاقات ما دل على حجية

(١) معجم رجال الحديث ج ١٧ ص ١١٣، ١١٤ رقم ١١٥٠٩.

## قراءة في علم مصطلح الحديث من خلال الوجيزة للشيخ البهائي

خبر الواحد، لأنَّ الشبهة في المقام مصداقية، ولا يجوز التمسك بالعام أو المطلق في الشبهة المصداقية كما هو المقرر في محله من أبحاث علم الأصول.

وهذا كله إذا بنينا على أنَّ الرجوع إلى أقوال العلماء في أحوال الرواة إنما تؤخذ من باب الرجوع إلى خبر الثقة، وأما إذا قلنا بأنَّ الرجوع إليهم إنما هو من جهة أنهم من أهل الخبرة، فمع استقرار التعارض يؤخذ بقواعد الجمع العرفي، وأما مع الإستقرار فمع وجود قدر متيقن يؤخذ بالقدر المتيقن وإلا حكم بتساقط كلا القولين، والقواعد المقررة في ترجيح أحد المتعارضين على الآخر عند استقرار التعارض بالقرائن الخارجية إنما تتعلق بالأخبار الحسية، ولا تشمل ما يصدر عن حدس واجتهاد.

الأول: ما لا يمكن الجمع فيه بين كلامي الجرح والمعدل، يقول الشيخ البهائي:

الثاني: ما لا يمكن الجمع بينهما، كقول الجرح أنَّه قتل فلانا في أول الشهر، وقول المعدل أنَّ رأيتَه في آخره حياً، وقد وقع مثله في كتب الجرح والتعديل كثيراً، كقول ابن الغضائري في داود الرقي أنَّه كان فاسد المذهب لا يلتفت إليه، وقول غيره إنَّه كان ثقة قال فيه الصادق عليه السلام: أنزلوه منِّي منزلة المقداد من رسول الله ﷺ.

فها هنا لا يصح إطلاق القول بتقديم الجرح على التعديل، بل يجب الترجيح بكثرة العدد، وشدة الورع، والضبط، وزيادة التفتيش عن أحوال الرواة، إلى غير ذلك من المرجحات.

ويمكن التعليق على ما أفاده قدس سره بعدة أمور:

الأول: أنَّ المرجحات المذكورة من كثرة العدد وشدة الورع والضبط وزيادة التفتيش حسب قواعدنا لا دليل على اعتبارها، لأنها وإن كانت تفيد بغلبة الظن بأنَّ ما اقترنت به أقرب إلى الواقع، ولكن هذه الظنون من الظنون التي لم يقدّم دليل على اعتبارها بالخصوص، وبالتالي فهي من الظنون غير المعتمدة فلا يمكن ترتيب الأثر عليها حينئذ.

## الشيخ حسين معتوق

---

الثاني: أننا إذا بنينا على أن الرجوع لكلمات العلماء في أحوال الرواة من باب العمل بخبر الثقة فحينئذ إنما يقع التعارض في الموارد التي يكون فيها الجرح والتعديل ناشئان عن حسن وأما إذا كان أحدهما حسيماً والآخر عن حدس وإجتهد، فلا يعتبر ما نشأ عن الإجتهد معارضاً للقول الناشئ من الحس، لعدم حجية الأخبار الحدسية حينئذ.

الثالث: إذا بنينا على أن الرجوع إلى أقوال علماء الجرح والتعديل من جهة أنهم من أهل الخبرة، فلو حصل بينهم تعارض مستقر فلا يمكن الأخذ بما زاد عن القدر المتيقن من مجموع القولين المتعارضين إن وجد كما إذا كانت النسبة بينهما هي العموم من وجه، لأن الترجيح إنما يكون بواسطة قرائن ظنية، وتلك القرائن الظنية في الأعم الأغلب على الأقل من الظنون التي لم يقدّم دليل على اعتبارها بالخصوص فلا تصل إلى مستوى الإعتبار والحجية، وحينئذ فهي غير صالحة للترجيح.



## الشيخ البهائي قدوة المجتهدين

### الشيخ علي أكبر إلهي خراساني<sup>(١)</sup>

إسمه ونسبه: هو محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد بن محمد<sup>(٢)</sup>، ويسمى بـ «بهاء الدين محمد»<sup>(٣)</sup>، إلا أن هذا الاسم طغى عليه فأصبح شهرة له مع أنه ليس لقباً لأسرته، إذ ألقابه المعروفة هي: الحارثي، الهمداني، الجبعي<sup>(٤)</sup>.. فهو منسوب إلى القبيلة اليمينية (همدان)، وجدّه هو الحارث الهمداني الذي كان من خواص أمير المؤمنين علي<sup>(٥)</sup> وقد خاطبه بترخيم اسمه: يا حار، قائلاً له:<sup>(٦)</sup>

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا  
أما الجبعي، فنسبة إلى قريته، وهي قرية صغيرة من قرى جبل عامل، ولذا يُعرف أيضاً بالعاملي، وجبل عامل أرض عُرفت بخصوصية العلم، حيث اجتمع فيها زمن الشهيد

(١) محقق وباحث.

(٢) أمل الأمل للحرّ العاملي ١: ١٥٥.

(٣) رياض العلماء للميرزا عبد الله أفندي الأصفهاني ٥: ٩٤.

(٤) أمل الأمل ١: ١٥٥.

(٥) رياض العلماء ٥: ٨٨.

(٦) أمل الأمل: ج ١: ص ٨٥١. وإلى ذلك أيضاً ذهب السيد محمد باقر الصدر الخوانساري في كتابه (روضات

الجنات ج ٧ ص: ١١٢).

الثاني سبعون مجتهداً<sup>(١)</sup>. ومن أشهر علماء هذه المنطقة المتواضعة: والد الشيخ البهائي الشيخ حسين بن عبد الصمد، والشهيد الأول جمال الدين الجزيي، والشيخ الحرّ العاملي، بالإضافة إلى شيخنا البهائي رضوان الله عليه وعليهم.

مولده: ذكر الحرّ العاملي أنّ مولد الشيخ البهائي كان في بعلبك<sup>(٢)</sup>، عند غروب شمس يوم الأربعاء، لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ٩٥٣ هجرية<sup>(٣)</sup>، كما هو منقول عن خطّ والد الشيخ البهائي من كتاب له جاء فيه: «وُلِدَ أبو الفضائل محمّد بهاء الدين (أصلحه الله وأرشده) عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع وعشرين ذي الحجة سنة ٩٥٣ هجرية<sup>(٤)</sup>. (الموافق لسنة ١٥٤٦ ميلادية).

نشأته: في البدء يحسن أن نتعرف على بعض شؤون والد الشيخ البهائي، لأنّ الشيخ بهاء الدين كان قد نشأ في ظلّ والده وأخذ الكثير عنه، وتأثّر بتربيته إلى حدّ بعيد. كان والده عالماً محققاً مدققاً متبحراً جامعاً أديباً منشئاً شاعراً، جليل القدر ثقة ثقة، ومن فضلاء تلامذة الشهيد الثاني رضوان الله عليه (كما ذكر الحرّ العاملي مضيفاً): أنّ له (كتاب الأربعين حديثاً)، ورسالة باسم (العقد الحسيني)، وحاشية (الإرشاد)، وديوان شعر، ورسالة (تحفة الإيمان). وكان سافر إلى خراسان وأقام ب (هراة) وكان شيخ الإسلام بها، ثمّ انتقل إلى البحرين وبها تُوفي رحمه الله سنة ٩٨٤ هجرية<sup>(٥)</sup>.

(١) أمل الأمل ١: ١٥٨. وإلى ذلك أيضاً ذهب السيّد محمّد باقر الخوانساري في كتابه (روضات الجنّات ٧: ٣١١).

(٢) أمل الأمل ١: ١٥٧. وقد وافقه على هذا التاريخ الميرزا عبد الله أفندي في كتابه (رياض العلماء ٥: ٩١).

(٣) هذا ما أورده السيّد علي خان المدني في كتابه (سُلالة العصر).

(٤) يراجع كتاب: الغدير للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ١١: ٢٨٠. وقد وافقه بعضهم على السنة لكنهم رجّحوا أن يكون مولده في السابع عشر من المحرم. منهم: السيّد الخوانساري في (روضات الجنّات ٧: ٢١٧)، والسيّد محسن الأمين في (أعيان الشيعة ٩: ٢٢٤). ولعلّ التاريخ الأسبق هو الأصحّ والأدقّ.

(٥) أمل الأمل ١: ٧٤. هذا الذي ذكره الحرّ العاملي ليس من باب الاستقصاء، وإلا كان لوالد الشيخ البهائي كتب أخرى، منها ما اكتُشف أخيراً وهو (الواجبات الملكية) عبارة عقائديّة وفقهيّة، اعتنى بتحقيقه جويًا جهانبخش، ونُشر في مجلة (ميراث الشهاب) الصادرة في مدينة قم المقدّسة/ العدد ٦٣ - ٦٤، سنة ١٤٣٣ هـ.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

أمّا الشيخ البهائيّ فقد انتقل به والده (وهو صغير) إلى بلاد فارس، فنشأ في رعايته، وأخذ الولد عن والده ومن غيره من الجهابذة، حتّى أذعن له كلُّ مُنايذ - كما يقول الميرزا عبد الله أفندي<sup>(١)</sup>. وكانت قزوين يومذاك (قاعدة الدولة الصفويّة) قد شهدت حركةً علميّةً واسعةً، لذا بقي الشيخ البهائيّ فيها جاداً في دراسته على يد أبيه وغيره و تزوّج بابنة الشيخ على المنشار هناك، حتّى غادر قزوين إلى هراة، فبقي مشتاقاً إليها حتّى عاد إليها بعد حين، وأشعاره تُفصح عن ذلك.

وفي حياة الشيخ البهائيّ نجد اهتمام أبيه بتربيته، وحرصه الشديد على أن يجعل ولده متأثراً بتوجيهاته ومواعظه، فقد كان يحثّه على مكارم الأخلاق، ويؤدّبه على الحُكْم والنصائح، ويُرشده إلى العلوم النافعة، ولعلّ (كشكول) البهائيّ قد حفل بالكثير من عظات أبيه. و كان أبوه هو الذي شجّعه على حفظ الشعر أولاً، ثمّ نظّمه، فثابر على المعارضة الشعريّة مع أبيه أولاً (وكان شاعراً من الطراز الفاخر). كما اعتنى والده بتغذيته حبّ أهل البيت، وقول المدح والثناء فيهم، فمضى الشيخ البهائيّ في هذا المضمار حتّى قيل بأنّه جارى (في حلبة الولاة) الكُميتَ بن زيد الأسديّ، الشاعر المُواليّ المعروف<sup>(٢)</sup>.

رحلاته: بقي البهائيّ قدّس الله روحه ينهل من معين أبيه وخزين علمه، ويتأثر بأرائه حتّى في حقل الرياضيات، لأنّ أباه كان عالماً بها أيضاً. كذلك ظلّ يتابع أباه في رحلاته، إذ كان والده ميّالاً إلى التّجوال، فخرج معه من قريته (جُبع) إلى بعض مُدن إيران، فغرست هذه الرحلة في قلبه حبّ السياحة والتّجوال في المشرق من أجل نوال العلم، والتّقرّب إلى الله تبارك وتعالى، لذلك وجدناه (مع حيازته مشيخة الإسلام) يواصل بعد وفاة والده رحلاته الواسعة التي جاب فيها: مصر، والجزيرة العربيّة، والشام... بدأها بحجّ بيت الله الحرام وزيارة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم

(١) رياض العلماء ٩١:٥.

(٢) ريحانة الألبا و زهرة الحياة الدنيا، لأحمد بن محمّد الخفاجيّ المصريّ ٢٠٨:١.

وأهل بيته الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، ثم انطلق إلى القدس الشريف بعد إقامته في مصرَ دهرًا.

وبعد مصر، حكى حاله هناك الرضيُّ بن أبي اللُّطف المَقْدِسِيَّ قائلًا: وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ مِصْرَ رَجُلٌ (من مهابته) محترم، فنزل في بيت المَقْدِسِ بِفِنَاءِ الْحَرَمِ، عَلَيْهِ سِيْمَاءُ الصَّلَاحِ، وَقَدْ اتَّسَمَ بِلِبَاسِ السِّيَاحِ. وَقَدْ تَجَنَّبَ النَّاسَ، وَأَنْسَ بِالْوَحْشَةِ دُونَ الْإِنْسَانِ، وَكَانَ يَأْلَفُ مِنَ الْحَرَمِ فِنَاءَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. وَلَمْ يَسْنَدْ أَحَدٌ (مُدَّةَ الْإِقَامَةِ) إِلَيْهِ نَقْصًا، فَأَلْقَيْ فِي رُوعِي أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْأَعَاظِمِ، فَمَا زِلْتُ لِحَاظِرِهِ أَتَقَرَّبُ، وَلِمَا لَا يُرْضِيهِ أَتَجَنَّبُ، فَإِذَا هُوَ مِمَّنْ يُرْحَلُ إِلَيْهِ لِلْأَخْذِ مِنْهُ، وَتَشَدُّ لَهُ الرَّحَالُ لِلرَّوَايَةِ عَنْهُ، يُسَمَّى: بِهَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْهَمْدَانِيِّ الْحَارِثِيِّ، فَسَأَلْتُهُ عِنْدَ ذَلِكَ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْعُلُومِ، فَقَالَ: بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَكْتُومًا. وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْهَيْئَةِ وَالْهَنْدَسَةِ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الشَّامِ قَاصِدًا بِلَادِ الْعِجْمِ، وَقَدْ خَفِيَ عَنِّي أَمْرُهُ وَاسْتَعْجَمُ<sup>(١)</sup>.

رَحَلَ الشَّيْخُ الْبِهَائِيُّ إِلَى دِمَشْقَ فَالْتَقَى هُنَاكَ بِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى حَلَبَ، فَلَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِ أَهْلُ جَبَلِ عَامِلٍ تَوَارَدُوا عَلَيْهِ أَفْوَاجًا، وَهَذَا خَافَ الْبِهَائِيُّ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُهُ لِأَنَّهُ قَدِمَ إِلَى حَلَبَ مُسْتَخْفِيًا زَمَنَ السُّلْطَانِ مِرَادِ بْنِ سَلِيمٍ، فَخَرَجَ مِنْ حَلَبَ قَاصِدًا حَجَّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَقِيلَ بِأَنَّهُ مَرَّ بِمَدِينَةِ النَّجْفِ الْأَشْرَفِ فِي الْعِرَاقِ قَبْلَ تَشْرِفِهِ بِالْحَجِّ.

وبعد تجواله الطويل الذي استغرق أكثر من ثلث حياته رحل خلاله إلى: مصر، والشام، والعراق، وبيت المقدس، والحجاز، والهند، وهرارة، وأذربيجان، وقم المقدسة، واصطحب الشاه عباس الصفوي في زيارته للإمام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة قادمًا من مدينة أصفهان مشياً على الأقدام.. عاد الشيخ البهائي إلى مستقره في أصفهان ليكمل نتاجاته العلميّة المعطاء، لاسيّما وأن سياحته المديدة الشاسعة

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٤٤: ٢٣٤.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

قد هيأت له فرصاً كبيرة وكثيرةً للاجتماع بالعلماء والأخذ عنهم. قال الحرّ العاملي: «واجتمع في أثناء ذلك (أي خلال سفره) بكثيرٍ من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ماتعذّر على غيره واستحال<sup>(١)</sup>».

وقال بعد ذلك: وقطن بأرض العجم، وهناك همى غيثُ فضله وانسجم، فألف وصنّف، وقرط المسامح وشنّف.

نعم، صحيح أنّ الشيخ البهائي أعلى الله مقامه في سفراته استفاد، إلاّ أنّه قبل ذلك كان عالماً فأفاد، وهذا ما أكّده ابن أبي اللطف المقدسيّ الذي درس عليه بعض العلوم في بيت المقدس، وكذا أبو الوفاء العرضيّ الذي ترجم له ذكراً احتجاجاته في حلب، حتّى قيل بعد التعرّف عليه: إنّ هذا هو الملاً بهاء الدين عالم بلاد العجم<sup>(٢)</sup>.

أخلاقه: من أجل تسليط الأضواء على أخلاق الشيخ البهائيّ قدس الله سرّه، لا بدّ أن نعلم أنّ والده ترك آثاره على نفسه وقلبه حينما عكف عليه منذ صغره يهتمّ بتربيته، ويُغذّيه من الآداب النفسية والمعارف العالية معاً، ويأخذ بيده لتلقّي الفضائل وخوض غمار الحياة بشجاعة، والدخول إلى ساحات التجارب.

وقد أثر الوالد أن يصطحب ولده البهائيّ في حله وترحاله، في إقاماته وأسفاره، وأن يجعله يتلمذ على يديه ويستفيد من تجاربه، وقد بقي يُحادثه كأنه صديقه ومُسامره. وهكذا عاش البهائيّ سنين طويلة في مدرسة أبيه، فأخذ عنه الكثير، حتّى رأيناه يتسم بالجدية والدقّة، واستغلال الأوقات والفرص، وتجنب الكسل والضجر والملل. وقد ذكر السيّد نور الله التستريّ في (المقامات) كيف كان الشيخ البهائيّ يحثّ على رعاية أحوال النَّفس، ويحذّر الناس عمّا يُوجب ملالتهَا وإعياءها، وكان من ذلك قوله: يا أخي، قال مولاك أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أمل الآمل ١: ١٥٨.

(٢) أعيان الشيعة ٤٤: ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٣) روضات الجنّات ٧: ٦٨.

وأضاف السيد التستري رضوان الله عليه قائلاً: وقد حكى لي أوثق مشايخي أنّ تلامذة شيخنا بهاء الدين (عطر الله مرقدَه) كانوا يستفيدون منه يوم تعطيل الدرس أكثر من أيام الدرس؛ لأنّه كان يُلقِي إليهم يومَ التعطيل من فنون العلم ونوادِر الأخبار والأشعار الفائقة، والحكايات الرائقة، ففيها الإستفادة للعلوم الجديدة، كما فيها نشاطٌ واستعدادٌ لأيّام الدرس وطلب العلم.

وينبغي هنا أن لا ننسى أنّ الأخلاق هي أوّل ما يُنظر في العلماء، ولعلّها تكون العاملَ الأقوى في جذب الناس إلى العالمِ وعمله، وفي التأثير بآرائه وأسايبه. وقد عرّف عن الشيخ البهائي رحمه الله أنّه كان زاهداً، مؤثراً التعلّم والعبادة على المناصب ومجالس الأمراء، فوجدناه راحلاً عن مشيخة الإسلام والمناصب زمناً يجوب فيه مصرَ والجزيرة والشامَ والحجاز والعراق<sup>(١)</sup>.

واتّسم الشيخ البهائي بحبّه لحياة الفاقة وهو ماسكٌ على دينه، مؤثراً ذلك على حياة الترف وهو مغمورٌ في المعاصي. وقد قال في ذلك:

أَنَا الْفَقِيرُ الْمُعْنَى دُو رِقَّةٍ وَحَنِينِ  
لِلنَّاسِ طُوراً خَدُومٌ إِذَا هُمْ اسْتَخْدَمُونِي

وكان الشيخ البهائي من أهل البرّ والإحسان والعطف على الفقراء واليتامى، فقد (كانت له دارٌ مُشيّدة البناء، رَحْبَةُ الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والأمل. فكم من مهدٍ بها وُضِع، وكم طفلٍ بها رُضِع! وهو يقوم بنفقتهم بُكرةً وَعَشِيّاً، ويوسعهم من جاهه مَغْشِيّاً، مع تَمَسُّكِ مِنَ التَّقَى بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وإيثارِ الآخرة على الدنيا، والآخرة خيرٌ وأبقى)<sup>(٢)</sup>.

واتّسم الشيخ البهائي رحمة الله عليه كذلك بالتواضع، فلم يكن يتحرّج (على جلالة

(١) روضات الجنّات ٧: ٦٢.

(٢) خلاصة الأثر، للمحبّي ٣: ٤٤١.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

قَدْرَهُ) من النزول إلى ميادين المدينة والاختلاط بالسواد، والوقوف مع المارّة<sup>(١)</sup>. كما اتَّسَمَ بسعة الصدر ورحابته وسعة الأفق، حتّى أنه (كما قال الشيخ محمد رضا الشيببي): «اتَّصل بشتّى الطوائف، وباحت مِللاً ونِحلاً، ولم يتحرَّج من أخذ الحكمة أينما وُجِدَتْ، وبذلك نال ثقة أبناء مختلف الملل والنحل. وكان العصر الصفوي بحاجة إلى مرجع مثل هذا المرجع المُجدِّد المصلح، بل كان مُفتقراً إلى توجيهه وإرشاده في رتق الفتوق ورأب الصدوع الكثيرة في ذلك العصر. وقد عمل الشيخ البهائي على توحيد الآراء وجمع الشتات، وعوّل السلاطين والأمراء على آرائه في الإصلاح، فحسَمَ مادّة النزاع الداخلي بالوسائل السلميَّة قدر الإمكان، وفي كثير من الأحيان»<sup>(٢)</sup>.

وتظهر سعة صدر الشيخ البهائي أيضاً من خلال دروسه واحتجاجاته الطريفة، من ذلك ما نقله المنيّني عن البوريني، وما ذكره أبو الوفاء العرضي عن أبيه، وما أورده السيّد نور الله التستري في (المقامات) عن الشيخ صالح ابن حسن الجزائري، وما حكاه جماعة من الثقات عن الشيخ البهائي من نوادر آثاره قَدْرَهُ.

وشاع عنه ميله إلى التصوّف والعزلة، إذ صرّح في (كشكوله) قائلاً: «العزلة عن الخلق هي الطريق الأقوم الأسد»<sup>(٣)</sup>، كما ورد في الحديث: «فر من الخلق فرارك من الأسد»<sup>(٣)</sup>. ويبدو أنّ عزلة هذا الرجل الفاضل هي: عزلة كلِّ عالم عن الجُهال، وكلِّ زاهد عن أهل الدنيا، وكلِّ مُتّق عن أهل اللغو واللهو والعصيان، وإلا فقد عرفنا الشيخ أنّه كان متواضعاً يعيش مع الناس ويختلط بهم بلا تكلف، كما كانت له دروس و مناظرات واحتجاجات، وأسفار ولقاءات مع العلماء وأهل الملل والنحل، وهذا يدحض كونه معزولاً عن الناس، بل يعني هذا أنّه كان جاداً منصرفاً إلى العلم والعبادة، ماسكاً

(١) أعيان الشيعة ٩: ٢٣٦.

(٢) أعيان الشيعة ٤٤: ٢٢٣.

(٣) أعيان الشيعة ١: ١٦٢.

نفسه عن التعلُّق بأمور الدنيا التافهة، عازفاً عن الذنوب إلى دار السعادة، مستثمراً أوقاته فيما ينفعه في دنياه وأخراه<sup>(١)</sup>.

أجل، لقد كان عصر الشيخ البهائيّ عصرَ جهلٍ وفسادٍ وضلالٍ، فَتَحَصَّنَ رحمه الله بالعلم، وانشغل بالعبادة، وانطوى على الزهد والتقوى، وكان عميق النظر، جَوَّال الفكر، حادَّ الذِّكاء، حريصاً على الإصلاح، كارهاً للتكلف والتصنع اللذين طغيا في زمانه، رضى الله عنه ونفع المسلمين به.

مكانته العلميَّة: يهتمُّ الرجاليون وأصحاب السَّير، والمؤرِّخون وكذلك العلماء وطلبة العلم، بالتعرُّف على المكانة العلميَّة لأعلام الأمة، وذلك يحصل من خلال نافذتين: الأولى: نافذة الإستطلاع على الآراء الدقيقة والمنصفة، والنظرات العلميَّة التخصَّصيَّة في شأن المقام العلميّ الذي حظي به ذلك العالم. ويكفي الشيخ البهائيّ ما جاء فيه من كلمات الثناء والمدح والإعجاب التي أدلى بها الأفاضل من علماء الأمة، وبعض رجالات المذاهب والمثقفين، و منهم:

× تلميذه السيّد عزّ الدين الحسين بن السيّد حيدر الكركي الذي قال في بعض إجازاته: شيخنا العلامة، ومولانا الهمامُ الفهامة، أفضلُ المحقِّقين، وأعلم المدقِّقين، خلاصة المجتهدين، بهاء الملة والحقّ والدين، كان أفضلَ أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم<sup>(٢)</sup>.

\* وذكره تلميذه المجلسيُّ الأول «الشيخ محمّد تقيّ والد العلامة محمّد باقر المجلسيّ (صاحب البحار)» في شرحه العربي على الفقيه (روضة المتّقين في شرح مَنْ لا يحضره الفقيه) عند الكلام على مشيخة الكتاب، فصرّح بأنّه من مشايخه، وأنّه من نسل الحارث الهمدانيّ. قال: ذكره الشهيد الثاني في إجازته لأبيه، وذكر جماعةً من أجداده ومدّحهم.

(١) نزهة الجليس ومُنبة الأديب الأنيس، للمكّي الحسيني: ٢٥٠.

(٢) أعيان الشيعة ٤٤: ٢١٩.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

ثم قال (المجلسي الأول): هو (أي الشيخ البهائي) شيخنا وأستاذنا، ومن استقدنا منه، بل كان الوالد المعظم. كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، مارأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلو مرتبته أحداً، له كتب نفيسة<sup>(١)</sup>.

\* وكتب الشيخ الحرّ العاملي في ترجمته له: الشيخ الجليل بهاء الدين محمد بن الحسين... حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجملة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن، أظهر من أن تُذكر، وفضائله أكثر من أن تُحصّر. وكان ماهراً متبحراً جامعاً كاملاً شاعراً أديباً منشئاً، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها<sup>(٢)</sup>.

\* وقال العرّضي (وقد لقيه في حلب وناقشه): بؤبؤه المعالي أفتح رحابها، وبؤبؤته المعالي أفسح جنابها<sup>(٣)</sup>.

\* وقال المحبّي: وهو أحق من كلّ حقيق بذكر أخباره ونشر مزاياه، وإتحاف العالم بفضائله وبدائعه. كان أمةً مستقلةً في الأخذ بأطراف العلوم والتضلع بدقائق الفنون. وما أظنّ الزمان سمح بمثله ولا جاد بنده، وبالجملة، فلم تتشّف الأسماع بأعجب من أخباره<sup>(٤)</sup>.

\* وكتب السيد علي ميرزا أحمد المدني: سيد علماء الإسلام... مُجدد دين الأمة على رأس القرن الحادي عشر. إليه انتهت رئاسة المذهب والملة.. جمع فنون العلم فانعقد عليه الإجماع، وتفرد بصنوف الفضل فبهر النواظر والأسماع، فما من فن إلا وله فيه القدح المعلي، والمورد العذب المحلى<sup>(٥)</sup>.

(١) أعيان الشيعة ٤٤: ٢٢٠.

(٢) أمل الأمل ١: ١٥٥.

(٣) معادن الذهب، للعرّضي: ٦٧.

(٤) خلاصة الأثر ٣: ٤٤٠.

(٥) سلافة العصر: ٢٨٩ - ٢٩٠.

\* وقال السيد مصطفى التفريشي: جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلو رتبته في كل فنون الإسلام كمن له فن واحد<sup>(١)</sup>.

\* وترجم له المحدث الشيخ يوسف البحراني فكتب: كان هذا الشيخ علامة فهامة، محققاً دقيق النظر، جامعاً لجميع العلوم، حسن التقرير، جيد التحرير، بديع التصنيف، أنيق التأليف<sup>(٢)</sup>.

\* وقال في حقه الشيخ أحمد المنيني دمشقي في شرحه القصيدة الرائيّة للشيخ البهائي: صاحب التصانيف والتحقيقات... ذكره الشهاب في كتابيه، وقد أطل أبو المعالي الطالوي في الثناء عليه، وكذلك البديعي<sup>(٣)</sup>.

\* وعرف به العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب (الغدير) قائلاً: شيخ الإسلام، بهاء الملة والدين، وأستاذ الأساتذة المجتهدين. وفي شهرته الطائفة وصيته الطائر في التزلج من العلوم، ومكانته الراسية في الفضل والدين، غنى عن تسطير ألفاظ الثناء عليه، وسرد جمل الإطراء له، فقد عرفه من عرفه، ذلك الفقيه المحقق، والحكيم المتأله، والعارف البارع، والمؤلف المبدع، والبحّاث المكثر المجيد، والأديب الشاعر، والضليع من الفنون بأسرها، فهو أحد نوابغ الأمة الإسلاميّة، والأوحد من عباقرتها الأمثال<sup>(٤)</sup>.

\* وقال الخفاجي فيه: فاضل، لمعت في أفق الفضل بوارقه، وسقاه من مورده النّيمير عذبه ورائقه... هو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس، وإن كان غصنه أينع وربما برّبوة فارس، فإن شجرته نبّت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس.

(١) نقد الرجال: ٣٠٣.

(٢) لؤلؤة البحرين: ١٨.

(٣) أعيان الشيعة، ٢٢٠: ٤٤.

(٤) الغدير ١١: ٢٤٩.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

وقال أيضاً: فُرَّةٌ عَيْنٌ مَجْدِهَا، وَغُرَّةٌ جَبِينِ سَعْدِهَا، تَطُوفُ بِحَرَمِهِ وَفُودُ الْأَفْضَالِ، وَتَتَوَجَّهُ شَطْرَهُ وَجُوهُ الْأَمَالِ مِنْ كُلِّ فَاضِلٍ<sup>(١)</sup>.

\* وقال الشيخ محمد رضا الشيبيني: ما أقلّ الذين جَوَّدُوا التَّأْلِيفَ وَوَضَعُوا الْكُتُبَ فِيهَا، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ شَارَكَ فِي ذَلِكَ مُوَفَّقًا (كما لا يخفى)، وَمِنْ ذَلِكَ الْقَلِيلِ النَّادِرِ الشَّيْخِ الْبَهَائِيِّ<sup>(٢)</sup>.

\* وقال الأستاذ قدری حافظ طوقان: على الرغم مما كانت عليه الدول العربيّة والإسلاميّة في مختلف الأقطار من الضعف، وعلى الرغم مما أصابها من الإنحلال، ومما حلّ بها من المصائب وأحاطها من المتاعب التي تحوّل دون تقدّم العلوم ودون ازدهار الفنون.. أقول: على الرغم من كل ذلك فقد ظهر في بعض الحواضر من وجه بعضاً من عنايته إلى العلوم، وتشجيع المشتغلين بها. ومن هؤلاء الذين ظهروا في القرن السادس عشر للميلاد، وبرزوا في العلوم الرياضيّة: بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد<sup>(٣)</sup>.

\* ومن علماء أهل السنّة، نقل ابن حيّان إقرارهم أنّ الشيخ البهائيّ في نظرهم كان من أفتقه الناس وأفرض الناس وأحسب الناس. أمّا ماورد من بعضهم من عبارات إطراءٍ لشخصيّة الشيخ البهائيّ، فذلك مستثنى عنه رسول الله والأئمّة من أهل بيته صلوات الله عليه وعليهم، فهُم الأئمّة الهداة، وأعلم الناس وأتقاهم وأعبدهم، ولا يُقاس بهم أحد سلام الله عليهم.

و خلاصة ما يُستحصل من الأقوال التي قيلت في الشيخ البهائيّ رضوان الله عليه أنه:

١. كان نابغاً فاق الآخرين.

(١) ريجانة الألبا ١: ٢٠٧ و ٢٠٩.

(٢) أعيان الشيعة ٤٤: ٢٢٠.

(٣) أعيان الشيعة ٤٤: ٢٢٣.

٢. وكان منصرفاً إلى العلم الحقيقي النافع.
  ٣. وكان با رعاً في تحقيقاته وتأليفاته.
  ٤. كذلك كان ذا آراء جديدة و جديرة بالدراسة.
  ٥. كذا كان ذا شجاعة علمية، و ذا أصالة وأسلوب جزل رصين<sup>(١)</sup>.
- أما النافذة الثانية المُطلَّة على المكانة العلمية للشيخ البهائي قَدَسَ سَمُوهُ، فهي مؤلفاته القيمة التي أحصى منها العلامة الأميني سبعة وسبعين (٧٧) كتاباً في مختلف العلوم، فيما أضاف غيره عليها عدداً آخر فبلغت ثمانية وثمانين (٨٨) كتاباً في:
- أ. المعارف الدينية.
  - ب. العلوم اللغوية والأدبية.
  - ج. الرسائل العلمية المتنوعة في: الفلك والحساب والطب والهندسة والرياضيات.. وغيرها.
- ونحن هنا نحاول إحصاء ما كتبه الشيخ البهائي ببراغه النير إشارة وتعريفاً على وجه العجالة، ذاكرين ما أحصي له رضوان الله عليه من مؤلفات مطبوعة أو ما تزال مخطوطة، على ترتيب حروف الهجاء:
١. إثبات الأنوار الإلهية: رسالة كلامية في الاعتقاد.
  ٢. إثبات وجود القائم عَلَيْهِ السَّلَام: رسالة كلامية اعتقادية.
  ٣. الإثنا عشرية: كتاب في ما يُزار به كل إمام من الأئمة الإثني عشر عَلَيْهِمُ السَّلَام، من إنشائه رحمه الله.
  ٤. الإثنا عشرية الخمس: كتاب فقهي في خمسة بحوث، كل بحث يشمل اثني عشر فصلاً: الإثنا عشرية في الطهارة: توجد فيه (٧٠) نسخة خطية، وقد تُرجم عدة مرّات إلى اللغة الفارسية الإثنا عشرية في الصلاة. الإثنا عشرية في الزكاة.

(١) يراجع: الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي ١: ١٠١، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١: ٧٢٠.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

- الإثنا عشرية في الصوم. الإثنا عشرية في الحج. وهي بحوث فقهية مفصلة، توجد منها عشرات النسخ الخطية، وقد حظيت من قبل العلماء بالشروح والتراجم والحواشي.
٥. الإجازات: وهي مجموعة إجازات علمية تفضل بها الشيخ البهائي على مجموعة من الأفاضل الذين وجددهم أهلاً للرواية، وقد أحصي منها (١٠٢) مئة وإجازتان، نسخها الخطية محفوظة.
٦. أجوبة أسئلة الخواجوي: أجاب بها على مسائل قرآنية.
٧. أجوبة أسئلة الشاه عباس الصفوي: وهي باللغة الفارسية، ليفهمها الملك عباس الصفوي في زمانه.
٨. أجوبة المسائل الجزائرية: أجاب بها على (٢٢) سؤالاً في المسائل الفقهية والاعتقادية والقرآنية، طرحها عليه الشيخ صالح بن حسن الجزائري في محضره.
٩. أجوبة المسائل الفقهية: أجاب بها على (٧) أسئلة فقهية.
١٠. أجوبة مسائل ابن شدقم: أجاب بها على عدد من المسائل الاعتقادية حول القرآن والإمامة، كان قد طرحها عليه علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني.
١١. أجوبة مسائل اللاهجي: أجاب بها على (٢٢) أو (٢٥) مسألة طرحها عليه الميرزا خان (أو الميرزا جان) الحكيم اللاهجي في قضايا قرآنية وفقهية وكلامية ورياضية.
١٢. أجوبة مسائل الشاه فضل الله: وهي أجوبة على ثلاث مسائل قدمها الشاه فضل الله حول نظريات بعض مفسري القرآن الكريم.
١٣. أحكام سجود التلاوة: رسالة موجزة حول السجودات الواجبة والمستحبة بعد قراءة بعض آيات القرآن الكريم.

١٤. الأربعمون حديثاً: شروح و توضيحات لأربعين حديثاً شريفاً في الآداب والسنن، مع ذكر أسانيد الروايات، توجد منه (٤٥٠) نسخة خطية عربية، و (١٩٦) نسخة مترجمة إلى اللغة الفارسية، فضلاً عن المطبوعات والمختارات والحواشي والشروح. وقد طبع سنة ١٤١٦ هـ من قبل مكتب نويد الإسلام في قم المقدسة، بتحقيق عبد الرحيم العقيقي، في أكثر من (٢٥٠) صفحة.
١٥. إستحباب السورة: بحث استدلالٍ مختصر في ما يستحب أن يُقرأ من السور بعد الحمد في الصلاة.
١٦. الاعتقادات: يشتمل على خلاصة عقائد الشيعة الإمامية، له نسخ خطية تقرب من الـ (٥٠)، كما له ترجمات و شروح، وهو مطبوع متداول.
١٧. امتياز مشرق الشمسين عن الحبل المتين: وهو فوائد حول امتيازات واختلافات بين كتابين: مشرق الشمسين، والحبل المتين.
١٨. أنوار الكواكب مستفادة من الشمس: كتاب في علم الهيئة والنجوم.
١٩. بحر الحساب: أثر مفصل ومطول في علم الحساب.
٢٠. التحفة: رسالة مختصرة في تعيين مساحة الماء الكرّ، وبعض المسائل الشرعية المرتبطة بهذا الموضوع.
٢١. التحفة الحاتمية: في علم الهيئة والنجوم، يتضمّن (٧٠) باباً في الأسطرلاب قدّمه لوزير الشاه عباس الصفويّ (حاتم بيك الأوردبادي النصيري). توجد منه (١٢٨) نسخة خطية، وله ترجمات و شروح ومنتخبات.
٢٢. تخليل الأسنان في ليالي شهر رمضان: رسالة فقهية مختصرة حول وجوب تخليل الأسنان للصائم وتنظيفها من بقايا الطعام في نهار شهر رمضان.
٢٣. ترجمة الرسالة الإمامية: ترجمة لرسالة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، وكان بعثها إلى المأمون.
٢٤. ترجمة محمّد بن إسماعيل: رسالة رجالية مختصرة تشتمل على عدّة فصول

- في ترجمة من اسمه من الرواة: محمد بن إسماعيل، وهم سبعة أشخاص.
٢٥. تشريح الأفلاك: في مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة، في علم الهيئة والنجوم، توجد منه (٢٣٨) نسخة خطيّة، وقد طُبِعَ مرّاتٍ عديدة في الهند وإيران، وله ترجمات وحواشٍ وشروح و منظومات عديدة.
٢٦. تفسير سورة الفاتحة: تفسير عربيّ طُبِعَ محققاً أكثر من مرّة.
٢٧. توضيح المقاصد في وقائع الأيام: كتاب تاريخيّ تقويميّ في ذكر الوقائع التي جرت خلال الأيام من السنوات السالفة.
٢٨. تهذيب البيان: متون مختصرة في علم النحو، مشتمل على مسائل مهمّة في هذا الفنّ، له شروح وطبعات متعدّدة.
٢٩. الجامع العبّاسيّ: نصوصٌ فقهية على شكل فتاوى قدّمها لمقلّديه، وهو باللغة الفارسيّة، توجد منه (٥٠) نسخة خطيّة، وعشرات أخرى بأسماء أخرى، كما له ترجمات و حواشٍ و منتخبات.
٣٠. الجفّر: كتاب في العلوم الغريبة.
٣١. جوابات بعض الناس: أجوبة على ما طرحه عوامّ الناس، بلغت (٦٠) مسألة.
٣٢. جواب مسائل الشيخ جابر: في مسألة فقهية خاصّة.
٣٣. الجوهر الفرد في إنكار الجوهر الفرد: كتاب كلاميّ فلسفيّ في إبطال تركّب الجسم من الأجزاء التي لا تتجزأ سوى الوجوه الأخرى..
٣٤. جهة القبلة: رسالة فقهية علمية مختصرة في تعيين القبلة من خلال علم الهيئة والنجوم، توجد منها (١٠٢) مئةً ونسختان خطّيتان.
٣٥. حاشية الإثني عشرية: حاشية استدلالية على (رسالة الإثني عشرية) للشيخ حسن العامليّ صاحب (معالم الأصول).
٣٦. حاشية التكملة في شرح التذكرة النصيرية: في علم الهيئة والنجوم.
٣٧. حاشية القواعد والفوائد: حاشية على كتاب الشهيد الأوّل (القواعد والفوائد).

٣٨. حاشية الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل: حاشيته رحمه الله على تفسير الزمخشري المعروف بـ (الكشاف).
٣٩. حاشية المطوّل: حاشيته رضوان الله عليه على كتاب (المطوّل) للتفتازاني، وهو في علم المعاني والبيان من البلاغة العربيّة.
٤٠. حاشية أنوار التنزيل: حاشيته التحقيقيّة النافعة على (أنوار التنزيل) للبيضاوي المفسّر، توجد منها (١٣٩) نسخة خطيّة.
٤١. حاشية خلاصة الأقوال في علم الرجال: خلاسته فَرَسْتُه على (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال) للعلامة الحلّي.
٤٢. حاشية ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: حاشيته على (ذكرى الشيعة) للشهيد الأوّل.
٤٣. حاشية رجال النجاشي: حاشيته الرجاليّة على كتاب (رجال النجاشي).
٤٤. حاشية شرح مختصر الأصول: حاشيته على (شرح مختصر الأصول) للقاضي عضد الدين الإيجي في علم الأصول.
٤٥. حاشية فهرس الشيخ منتجب الدين: حاشيته عليه في علم الرجال والدراية.
٤٦. حاشية مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: حاشيته على هذا الكتاب للعلامة الحلّي.
٤٧. حاشية معالم العلماء: حاشيته على هذا الكتاب الرجالي لابن شهر آشوب المازندراني.
٤٨. حاشية من لا يحضره الفقيه: حاشيته على هذه الموسوعة الروائيّة الفقهية للشيخ الصدوق قدس الله سرّه.
٤٩. الحبل المتين في أحكام الدين: كتاب روائي في الجمع بين النصوص الصحيحة والموثقة والحسنة، لاستنباط الأحكام الشرعيّة منها. توجد منه (١١٠) نسخ خطيّة، وقد طبع مرّات عديدة مع تحقيقات مفيدة، وله منتخبات

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

و حواشٍ عديدة. ومن أهم طبعاته تلك التي نهض بها مجمعُ البحوث الإسلاميّة التابع للآستانة الرضويّة المقدّسة بتحقيق: حجّة الإسلام الدكتور السيّد بلاسم الموسويّ، في مجلّدين سنة ١٤٢٤هـ.

٥٠. حدائق الصالحين في شرح صحيفة سيّد الساجدين: الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، طُبِعَ مرّاتٍ عديدة بتصحّياتٍ وتحقيقاتٍ نافعة، وله أكثر من (٧٠) نسخة خطيّة بأسماء متعدّدة. واسم الكتاب جاء عنواناً لمجموعة شروح موسّعة لأدعية الصحيفة السجاديّة المقدّسة، وقد سُمّي كلّ شرح دعاءٍ باسمٍ مستقلّ، فهناك: الحديقة الأخلاقيّة، والحديقة الصّوميّة،... والحديقة الهلاليّة، وهو الكتاب الذي اعتنت مؤسّسة آل البيت: لإحياء التراث في قم المقدّسة بطبعته. مُحَقَّقاً من قبل السيّد عليّ الموسويّ الخراسانيّ. سنة ١٤١٠ هـ في أكثر من (٢٠٠) مئتي صفحة.

٥١. الحريريّة: رسالة فقهية خاصّة في الصلاة بالحرير.

٥٢. حلّ إشكاليّ العطار والقمم: في علم الهيئة والنجوم.

٥٣. حلّ الحروف القرآنيّة: في بيان معنى الحروف المقطّعة في أوائل سور القرآن الكريم، توجد منه نسخة خطيّة شخصيّة واحدة.

٥٤. حلّ عبارة قواعد الأحكام: رسالة تحقيقيّة في حل مسألة من كتاب (قواعد الأحكام) للعلامة الحلّي، وهي خاصّة بالوضوء، توجد منها (٢٤) نسخة خطيّة.

٥٥. الخلاصة في علم الحساب والجبر والمقابلة: أحد الآثار المهمّة في مؤلّفات الشيخ البهائيّ في علم الرياضيات، إذ يُعدُّ أعمق كتابٍ وأحكم مؤلّفٍ في هذا الباب، حتّى قيل: إنّ من جاؤوا بعده أخذوا منه هذا العلم وإن لم يُشيروا إلى أسبقية الشيخ البهائيّ فيه وأنه المبتكر له. ويكفي في فضله أنّه أصبح إحدى مفردات المنهج التدريسيّ في حوزات العلوم الدينيّة (ولمُدّة ثلاثة قرون) في: مدينة النجف الأشرف، وأصفهان، ومشهد المقدّسة، وقم المقدّسة، وفي بعض

المراكز العلمية الأخرى في البلاد الإسلامية. دَوَّن الشيخ البهائي رضوان الله عليه في كتابه هذا بحوثاً تناولت أصول المسائل الرياضية وأمّاتها في: الحساب والهندسة والجبر والمقابلة.. معرّفاً في مقدّمته بعلم الحساب بهذه العبارات: (الحساب علمٌ يُستَعْلَمُ مِنْهُ كَيْفِيَّةٌ اسْتِخْرَاجِ الْمَجْهُولَاتِ الْعِدَدِيَّةِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ مَخْصُوصَةٍ). أمّا خصائص الكتاب وامتيازاته، فتتلخّص في خمس نقاط: الأولى: أنّه كتابٌ سهلٌ تَنَاولُهُ، ممتنعٌ على الآخرين الإتيانُ بِمِثْلِهِ، وكان من أسلوبه أن يبدأ بالمسائل المُيسِّرة البسيطة، وانتهى فيه بالمسائل المُعْضِلة. الثانية: أنّه حاوٍ ومشمئٌ على ثلاثة علوم في الرياضيات، هي: الجبر، والهندسة، والمقابلة. وتلك العلوم هي من المتطلّبات الخاصّة الضرورية. الثالثة: تُعتبر بعضُ الحلول التي وضعها الشيخ البهائي في هذا الكتاب هي من مُبتكَراتِهِ الخاصّة، حتّى جاء في بعض عباراته رحمه الله قوله: (ولي على الطريق الآخر برهانٌ لطيف لم يَسْبِقْنِي أَحَدٌ إِلَيْهِ، أوردته في تعليقات على فارسيّة الأسطرلاب). الرابعة: يُعتبر هذا الكتاب منهجاً رياضياً متكاملًا، أو دورةً رياضيّةً مضغوطةً مُوجِزةً، تُلبّي احتياجات طلاب العلم في هذا المجال. الخامسة: لأهميّة هذا المؤلّف القِيَم، وشدّة الحاجة إليه في بلاد إيران والبلدان الأخرى وفي المراكز العلميّة المختلفة.. طُبِعَ هذا الكتاب عشرات المرّات ب: اللغة العربيّة، ومُترجمًا إلى اللغات الأخرى. كما طُبِعَ بشروح وتعليقات وحواشٍ كثيرة، كذلك طُبِعَ على صورةٍ مُنْتَخَبَاتٍ ومستلّات، ومنظوماتٍ شعريّةٍ تعليميّة. وللكتاب (٥٠٥) خُمس مئةٍ وخمسةٍ نسخٍ خطيّة، و(١٧) سبع عشرة نسخةً مطبوعة، وعشرات المختصرات والترجمات.. حتّى بلغت النسخ الخطيّة من الكتاب (٨٦٤) ثمانمئةً وأربعاً وستين نسخةً، هي موجودةٌ في مكتبة الأستانة الرضويّة المقدّسة بمشهد الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه.

٥٦. دليل وجوب شكر المنعم: رسالة اعتقاديّة قصيرة، تحظى ببحثٍ منطقيّ.

٥٧. ديوان بهاء الدين العاملي: أشعاره وقصائده رضوان الله عليه باللغتين: العربية والفارسية، في أساليب وأغراض متعددة: مدائح و مرثي النبي وأهل بيته صلوات الله عليه و عليهم، اجتماعيات، مثنويات، رباعيات. وقد طبع في سنة ١٤٣٠هـ في مدينة قم المقدسة بإعداد السيد محمد زين العابدين، ونشر دار زين العابدين لإحياء تراث المعصومين.
٥٨. ذبائح أهل الكتاب: استدلال مختصر حول حرمة ذبائح أهل الكتاب، طبع محققاً أكثر من مرة، وله نسخ خطية تبلغ (٧٧) نسخة.
٥٩. الزاهرة: أرجوزة أدبية تاريخية فاخرة في مئة بيت.
٦٠. زبدة الأصول: كتاب مختصر يحتوي على القواعد المهمة في أصول الفقه في خمسة مناهج، توجد منه (٢٢٠) نسخة خطية، وقد طبع محققاً، وله حواشٍ و شروح ومنظومات تتجاوز المئة.
٦١. الزكاة وتقديرها بالمناقيل: هذه الرسالة ربّما هي أحد آثار الشيخ البهائي المستلّة من كتابه (الاثنا عشرية في الزكاة).
٦٢. شرح الفرائض النصيرية: شرح مختصر على (رسالة الفرائض النصيرية) للخواجه نصير الدين الطوسي، مشتمل على توضيح المعضلات وبيان الإشارات.
٦٣. شرح حاشية الخطائي: نظام الدين عثمان الخطائي الذي شرح (مختصر تلخيص المفتاح) لسعد الدين التفتازاني.
٦٤. شرح قصيدة البُرْدَة: شرح مفصل لقصيدة البوصيري.
٦٥. شير و شكر: أبيات مثنوية بلغت (١٤٢) بيتاً في الأخلاق، باللغة الفارسية، وللكتاب (٨٤) نسخة خطية، وعدد من المطبوعة.
٦٦. الصفيحة: في القواعد الأساسية للأسطرلاب، له (١٢٥) نسخة خطية، وعدد من الترجمات والحواشي و الشروح والمنظومات.
٦٧. عدم سهو النبي ﷺ: بحث اعتقادي فقهي.

٦٨. العروة الوثقى: تفسير لسورة الفاتحة ومقطع من سورة البقرة، توجد منه (٥٠) نسخة خطية.
٦٩. عقدنامه سلطان حمزه ميرزا بهادرخان: صورة العقد الشرعي للسلطان حمزة بهادر خان على رقيّة بيكم بنت اعتماد الدولة أحد السلاطين الصفويين سنة ٩٩٠ هـ.
٧٠. عين الحياة: تفسير مختصر اعتمد فيه على: (تفسير الصافي) للفيض الكاشاني، وتفسيره هو (العروة الوثقى)، وهو مشتمل على تفسير سورة الحمد و سورة البقرة إلى الآية ٣٧، و تفسير سورة آل عمران إلى الآية ٣٥.
٧١. الفرائض البهائية: كتاب فقهيّ يضمّ الباب الثالث من المنهج الرابع من كتابه (الحبل المتين)، توجد منه (٦٠) نسخة خطية، وقد طُبِعَ عدّة مرّات.
٧٢. الفوائد الرجالية: في علم الرجال و الدراية.
٧٣. الفوائد الصمدية: كتاب في النحو يبحث في: المقدمات، والأسماء، والأفعال، والجمل، والمفردات. توجد منه (٣٢٦) نسخة خطية، وله طبعات عديدة بعضها محقّق و مشفوع بالتعليقات، و بعضها مترجم و محشّى و مشروح.
٧٤. الفوائد الحسابية: في علم الرياضيات.
٧٥. قَصْر الصلاة في الأماكن الأربعة: مسألة فقهية في صلاة المسافرين.
٧٦. القوسية: رسالة أدبية قابل بها رسالة (القلمية) لجلال الدين الدواني.
٧٧. الكُر: رسالة فقهية في تحقيق مقدار الكُر مساحةً ووزناً من الناحية الشرعية، تطبيقاً على قواعد الرياضيات. توجد منها (٦٤) نسخة خطية، وهي مطبوعة ضمن مجلّة (فقه أهل البيت عليهم السلام) في مدينة قم المقدّسة / سنة ١٤٢٤ هـ / العدد ٢٩.
٧٨. الكشكول: كتاب متنوع الموضوعات، مشتمل على: تفاسير وأخبار، ظرائف و طرائف، علوم و أدبيات، أخلاق و نوادر، باللغتين العربية و الفارسية. طُبِعَ

- مرّات عديدة بمقدّمات و تحقيقات و تعليقات، أمّا نُسخه الخطيّة فتبلغ (٦٧) مخطوطة، كذلك تُرجم، وجاء منه منتخبات.
٧٩. اللُّغز: كتاب أدبيّ في الألغاز والمعمّيات تفتح الأذهان وتشحذ الذاكرة.
٨٠. لُغز الزُبدة: كلام قصير في الألغاز التي تدور حول العلوم المختلفة: العقليّة والنقليّة، لرفع الخمول الفكريّ، توجد منه أكثر من مئة مخطوطة، وله حواشٍ وشرح.
٨١. لغز الصمديّة: أسئلة حول (الفوائد الصمديّة) في النحو.
٨٢. لغز القانون: لغزٌ مختصر في الطبّ، له (٢٥) نسخة خطيّة، وقد طُبِعَ مستقلاًّ و مشروحاً و مختصراً.
٨٣. لغز الكافية: لغز على (كافية ابن الحاجب) في النحو.
٨٤. لغز الكشّاف: لغز على تفسير (الكشّاف) لجار الله الزمخشريّ، له شرح و تقسيمات.
٨٥. المَخَلّاة: مجموعة أخبار وأشعار و مواعظ و محاسن أخلاقيّة، ولطائف و ظرائف، أشبه ما يكون بالكشكول.
٨٦. المسح على الرّجلين: مسألة فقهية خلافيّة في الوضوء.
٨٧. مشجّر الرجال الثّقات: مشتمل على جداول في علم الرجال.
٨٨. مشرق الشمسين وإكسير السعادتين: كتابٌ فقهيّ استدلاليّ، يبدأ في كلّ باب من أبوابه بالآيات ثمّ بالروايات المعتبرة. توجد منه (١١٤) نسخة خطيّة، وقد طُبِعَ في طهران وقمّ المشرفّة ومشهد المقدّسة مُحَقَّقاً.
٨٩. معرفة التقويم: رسالة وجيزة في الهيئة والنجوم.
٩٠. مفتاح الفلاح: من المؤلّفات القيّمة للشيخ البهائيّ، احتوى أعمالاً عباديّة وأدعيّة خاصّة، في ستّة أبوابٍ وخاتمة، أُدرجت فيها الأعمال على مدى أوقات الليل والنهار وساعاتهما. توجد منه (٣٦١) نسخة خطيّة، وقد طُبِعَ مرّات كثيرة،

كما تُرجم وحُشِّي وُشْرِح، وأُخذت منه مختارات.

٩١. مناظرة البهائي مع الميرداماد: مناظرة عقائديّة كلاميّة.

٩٢. منشآت: متفرّقات باللغة العربيّة والفارسيّة، وقد نُسبَ أحياناً إلى والده الشيخ حسين بن عبد الصمد العالميّ.

٩٣. منع الزوجة نفسها من الدخول عن الزوج حتّى تقبض المهر: رسالة في مسألة فقهية في جواز عدم تمكين الزوجة زوجها من نفسها قبل أن تقبض المهر، وقد اشتهرت الرسالة باسم (الإمتناع عن الإستمتاع قبل قبض المهر).

٩٤. نان وحلوا<sup>(١)</sup>: أشعار عربيّة وفارسيّة، مثنويّة طريفة، توجد منها (٣٠٥) نُسخ خطيّة، وقد طُبعت عدّة مرّات في إيران والهند والعراق ولبنان، وهي مشروحة، ومنها اختيارات ومنتخبات.

٩٥. نسبة ارتفاع أعظم الجبال إلى قطر الأرض: كتاب نجوميّ مهمّ، توجد منه (٤٧) نسخة خطيّة، وهو مشروح، و مطبوع مرّة واحدة في طهران سنة ١٣١١ هـ.

٩٦. الوجود الذهنيّ: رسالة كلاميّة - فلسفيّة مختصرة في بحث الوجود الذهنيّ.

٩٧. الوجيزة: رسالة مختصرة معروفة، في علم الدراية والحديث في: مقدّمة، وستّة فصول، وخاتمة.. تبحث: معنى الحديث بعد بيان تعريف علم الدراية، والمتواتر والواحد، وأنواع الحديث، وتعديل الراوي وجرحه، وأنواع تحمّل الحديث، و آداب كتابة الحديث. توجد منه (٢٢٣) نسخة خطيّة، وقد طُبِعَ محققاً، وتُرجم وُشْرِح وُعُلّق عليه مرّات عديدة، و كُتبت فيه منظومات ومختارات. وقد كان للمحدّث الشيخ عبّاس القمّي رضوان الله عليه شرح مهمّ على هذه الوجيزة، سمّاه (الرسالة العزيزة في شرح الوجيزة)، توجد لدينا منها نسخة خطيّة فريدة مُستنسخة عن نسخة المؤلّف نفسه، بقلم غلام رضا ابن المرحوم الحاج الشيخ

(١) (خبز و حلوى).

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

عليّ الطبسيّ الملقَّب بـ «النَّمَائِيّ»، تمَّ استنساخها يومَ عيدِ الغدير الأغرّ من سنة ١٣٤٨ هجرية، في جوار الحضرة الرضويّة المباركة. ثمَّ كان من سماحة الشيخ علي أكبر الإلهيّ الخراسانيّ عنايته الخاصّة بهذه النسخة القيّمة، فعكف على: تصحيحها، وتحقيقها، والتعليق عليها.. على أمل أن تأخذ طريقها إلى الطبع، فينتفع بها الفضلاء وطلاب العلم.

٩٨. وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان «عجل الله تعالى فرجه الشريف»: قصيدة رائيّة فاخرة من البحر الطويل، مشتملة على (٦٣) بيتاً في مدح الإمام المهديّ المنتظر صلوات الله عليه وعلى آباءه الميامين. نُسخها الخطيّة خمس، والمطبوعة أربع، ولها شروح وتشطيرات جميلة.

٩٩. وقف نامه شاه عباس: صورة الوفيّة التي أراد الشاه عبّاس الصفويّ كتابتها لمسجدٍ جديد بناه عُرف بعد ذلك بمسجد الشاه في أصفهان سنة ١٢٠٣ هـ.

### مُلاحَظَات:

الملاحظة الأولى: هنالك أكثر من ثمانين كتاباً منسوباً إلى الشيخ البهائيّ رحمه الله غير ما ذكرنا، لم نُوردها، لعدم التوثّق من صحّة نسبتها إليه.

الملاحظة الثانية: في المكتبة المركزيّة عندنا، والتابعة للعتبة الرضويّة الشريفة في مشهد الرضا سلام الله عليه.. تأتينا طلبات غزيرة لتصوير المخطوطات التي نحتفظ بها، وفي استقراءٍ أخير عَلِمْنَا منه أنّ أكثر المخطوطات المطلوبة هي من مؤلّفات العالم الفاضل الشيخ البهائيّ قدّس الله روحه، ما يدلّ على أنّ كتبه تحظى باهتمام العلماء والفضلاء واستئناسهم واستفادتهم.

الملاحظة الثالثة: لقد حظيت كتب الشيخ البهائيّ بمزايا عديدة، منها: المستوى الرفيع، التنوّع والشمول، الكثرة والإحاطة، الفتوح العلميّة وطرق البحوث الجديدة، حلّ المسائل المشكّلة التي هي محلّ الحاجة الماسّة والابتلاء في المجتمع.

هذا.. ويستشعر بوضوح أن يراع الشيخ البهائي كان مسدداً بتوفيق من الله تبارك و تعالي، وتسديد نوراني من قبل النبي وأهل بيته الهداة صلوات الله عليه وعليهم، إذ كان رجلاً مخلصاً جاداً عابداً خيراً، ففاضت عطاياه على هذه الأمة المرحومة.

وللشيخ الفاضل محمد رضا الشيبيني رحمه الله تعليقة على مؤلفات الشيخ البهائي جاء فيها قوله: لقد استرعى نظري (وأنا أتصفح مختلف الأسفار والتصانيف لتقيد ما يتصل منها بتاريخ الفلسفة الإسلامية) أن جملة من كتب الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله حافلة بفوائد وشوارد فلسفية، مضافاً إلى بحوثه الأخرى في الرياضيات والفلكيات. لا تخلو كتب الطبقات والتأليف من التنويه بعلماء قليلين شاركوا في جملة من الفنون والعلوم، ولكن ما أندر الذين برعوا وحذقوا تلك العلوم والفنون التي شاركوا فيها جميعاً! وما أقل الذين جودوا بالتأليف ووضعوا الكتب فيها! إذ ليس كل من شارك في ذلك كان موفقاً.

ومن ذلك القليل النادر الشيخ البهائي، فإنه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه، عقليةً ونقليةً، ووفق في التأليف فيها، وفي جملتها: الفقه والأصول، والحديث والتفسير، واللغة وعلومها، والحكمة والفنون الرياضية والفلكية. وقد كتب له التوفيق في مؤلفاته، فذاقت، وأقبل عليها العلماء والمتعلمون في القرون الأربعة الأخيرة.. ويحفل تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية بذكر عدد كبير من العلماء، منهم من قصر جهده وصرف وكده على علم أو فن بعينه.. حتى عاش كل منهم داخل إطار معين من فنه لا يكاد يتعداه في الغالب.

أما الشيخ البهائي فقد طاف في كل مدرسة، واخترق نطاقها، ودمر على رجالها وشاركهم فيما يعينهم كأنه واحد من القوم. وهذا سر من أسرار تفوقه وسبقه وتقدمه وأخذ به مجامع القلوب، فهو فقيه مع الفقهاء، ومحدث مع المتحدثين، وعارف مع العرفاء، وفيلسوف مع الفلاسفة، ورياضي مع أصحاب التعاليم، وهو نحوي مع النحاة.. إلى غير ذلك (1).

(1) أعيان الشيعة 9: 235.

## عبريته الهندسية

ليست الهندسة من اختصاص الفقهاء، ولا الأدباء، لكن الشيخ البهائي كان قد وهبه الله تعالى ملكات عملية كثيرة، فوجد نفسه ينبغ في علوم أخرى غير التي تخصص فيها أول حياته الدراسية، فلما ولجها وجد في نفسه استعدادات أخرى، وقابليات خلاقة دفعته لأن يبتكر ويخترع ويكشف ما لم يصل إليه من سبقه، بل وما تحير فيه من لحقه. وهذا بعض ما أنجز، نُورده من كتابين دونا باللغة الفارسية ثم تُرجمت هذه المطالب إلى اللغة العربية:

الكتاب الأول: آثار ملى أصفهان<sup>(١)</sup> من سلسلة منشورات جمعية الآثار الوطنية، تأليف: (أبي القاسم الرفيعي المهرآبادي)، نُشر في طهران سنة ١٩٧٣ م.

### المنارتان المتحركتان:

المنارتان المتحركتان من المباني الطريفة في إحدى نواحي أصفهان، تقع في قرية (كارلادان) على الطريق بين أصفهان ونجف آباد.

يتألف هذا المبنى من صحن وإيوان حيث قبر عمّو عبد الله، وفي جانبى هذا الإيوان منارتان نُصب بينهما لوح خشبي في وضع أفقى، بحيث إذا حُرّكت إحدى المنارتين تحرّكت الأخرى. وسبب هذه الحركة موضع نقاش وجدال بين الباحثين. وقد كتب معزّ الدين مهدوى (المعاصر) رسالة في الموضوع، من المفيد الإطلاع عليها.

وليس في هذا المبنى أي تاريخ يدل على بدء تشييده وإتمامه، إلا حجر مزار عمّو عبد الله الذي ينصّ على أنه توفى سنة ٧١٦ هـ. وقد نُصبت كتيبة مزار عمّو عبد الله الرخامية على الجدار المقابل لحجر القبر الكبير، كُتب فيها بخط الثلث البارز: «هذا قبر الشيخ الزاهد البارع المتورع السعيد المتقى عمّو عبد الله بن محمّد بن محمود سقلا رحمة الله عليه ونوره في السابع عشر من شهر ذى الحجة سنة ست عشرة

(١) (المعالم الأثرية في أصفهان).

وسبعمائة». وكتبت سورة يس حول حجر القبر بخطّ الثلث البارز، وفي الضلع الجنوبي بهذا الخطّ أيضاً: «كفى بالموت واعظاً». وفي ذيل الحجر المذكور ثلاث كتيبات صغيرة بخطّ الثلث:

«قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup> يا عامراً لخراب الدين مجتهداً».

أمّا المنارتان فليس فيهما من كتابة ولا أثر تاريخي. يبلغ ارتفاع المنارة المتحركة من أرضية البقعة عشرة أمتار، وارتفاع كل من المنارتين ١٧/٥ متر. والمسافة بين المنارتين في السطح حوالي تسعة أمتار، ومحيط كل منهما ٤/٥ متر.<sup>(٢)</sup> وقد سُجِّل هذا المبنى التاريخي بموجب القرار رقم ٣٤٩.٣٢<sup>(٣)</sup>

الكتاب الثاني: أصفهان - من سلسلة كتاب الشباب -، تأليف: الدكتور لطف الله هنرفر، بإشراف: محمد علي الإسلامي ندوشن، طبع في طهران سنة ١٩٥٧ م.

### المنارتان المتحركتان

المنارتان المتحركتان من الأبنية التاريخية اللافتة في أصفهان... وطراز بناء هذا الإيوان المزيّن بالقاشاني (إيوان قبر عمّو عبد الله) هو طراز مباني القرن الثامن الهجري. ويزين جانبي الطاق وجوانب الإيوان قاشاني لازوردي اللون بشكل نجمة رباعية في ضمن أشكال أخرى كثيرة الأضلاع وبلون الفيروزج. والنقطة اللافتة في حركة المنارتين أنّ تحريك إحداهما يجعل الحركة تظهر في الأخرى...

والأمر الأكثر إثارة للدهشة أنّ تحريك إحدى المنارتين لا يحرك المنارة الأخرى

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٦.

(٢) كنجيه آثار تاريخي أصفهان (= كنوز الآثار التاريخية في أصفهان): ٢٧٩.

(٣) فهرست بناهای تاريخي و أماكن باستانی ايران (= فهرست الأبنية التاريخية والأماكن الأثرية في إيران):

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

وحسب، بل إنَّ الحركة تنتقل إلى جميع نقاط هذا المبنى، بحيث لو وضعنا إناء ماء على الحجر الكبير لقبر عمو عبد الله الموجود في أحد طابقان الإيوان، ثمَّ حرَّكنا المنارتين لاستبانَت الحركة على سطح ماء الإناء أيضاً.

إنَّ حركة المنارتين تتجلَّى أيضاً في مسجد أُشترُجان الواقع على مسافة أربعين كيلو متراً جنوبَ غربيِّ أصفهان، والذي شُيِّد سنة ٧١٥ هـ. وهذا المسجد من مباني القرن الثامن الهجري الجاذبة في أصفهان. وقد نقص ارتفاع المنارتين في حدود الثلثين بمرور الزمان.

## يوم تكريم الشيخ البهائي و يوم المعمار

### الشيخ البهائي معمار القلب

ظهرت حكمة الشيخ البهائي بمددٍ معماريٍّ، وأبدع فنَّ العمارة الإيرانية الإسلامية في مبادئ ذات جذور تتغذى من الحكمة الإلهية.

وكان الشيخ البهائي مرجعاً وعالماً شهيراً في العصر الصفويِّ، ومتبحراً في علم الفلسفة والمنطق والفلك والرياضيات و فنَّ العمارة.

وقد صمَّم وأنجز خلال العصر الصفويِّ.. كثيراً من العمارات بتقنية تفوق عصره، فمن آثاره التي تخلد اليوم ذكرها: مسجد الإمام في أصفهان، وخريطة مدينة «نجف آباد»، وهندسة توزيع ماء «زاینده رُود»، وتخطيط قناة «نجف آباد»، وحمّام الشيخ البهائي، وعمارة حرم الإمام الرضا عليه السلام، والقصور الحكومية في أصفهان «دولت خان»، وتزيين بقعة الشيخ صفّي الدين الأردبيلي بالخزف الصيني، وغير ذلك.

وقد اختار الشيخ البهائي فنَّ العمارة من سائر فنونه الأخرى؛ لأنه فنّ يصنع الحضارة الإسلامية، ولولا الأعراف الإستكبارية المهيمنة على الأوساط العالمية، لأضحت إنجازات هذا الرجل العظيم من عجائب الدنيا في ميدان الهندسة و فنَّ العمارة لا محالة. وهذا ما أذهل المهندسين الإيطاليين والأمريكيين وأثار تعجبهم

لَمَّا شاهدوا شمعةً بقيت مُوقَدةً بفعل العلم الخاصّ للشيخ. إنّ حمّام الشيخ البهائيّ هو الحمّام الذي أطفأ جذوة شمعته المتّقدة المهندسون الغربيّون قبل عقود. ولو استمرّ إهمالنا لمعالمتنا الثقافيّة على هذا المنوال لم يبقَ من آثارها شيء.

ولعلّ البحث عن معادلات الشيخ البهائيّ في إنشاء حمّام يُسخن بشمعة فقط! أو في أحجار تُعيّن اتجاه القبلة في المساجد، أو في فرضيّة وَضَعِ طَلْسَمٍ في مدخل حرم الإمام الرضا عليه السلام، يُوقفنا عن كُتُبٍ على شخصيّة العلميّة، غير أنّ ما هو أهمّ من ذلك حكمة هذا العالم، إذ ظهرت بمدد معماريّ، وأبدع فنّ العمارة الإيرانيّة الإسلاميّة. ومادامت حكمته صعبة المرام فلا بدّ من الخوض في آثاره الهندسيّة والعمرانية.

### حمّام الشيخ البهائيّ:

لا تزال أطلال أتون حمّام باقية إلى اليوم في أصفهان، ويُعرف بحمّام الشيخ البهائيّ أو حمّام الشيخ، ويقع بين المسجد الجامع والهارونيّة في سوق قديم قرب البقعة المعروفة بـ«درب الإمام». وأتون هذا الحمّام يتكوّن من شمعة تقوم بتسخينه، وتُترك تحت حاوية الأتوان حيّز فارغ، ووُضعت بينه شمعة موقدة، وكان الحيّز مسدوداً، فبقيت الشمعة على هذا الحال متّقدة سنين طويلة، وكان ماء الحمّام يغلي بواسطتها. وكان الشيخ قد قال: إنّ فُتْحَ هذا الحيّز يوماً ما انطفأت الشمعة وتعلّط الأتون.

وكان مجرى ماء المسجد الجامع في أصفهان يدخل خزّان الحمّام بواسطة أنابيب، فيتحوّل هذا الماء إلى غاز الميثين القابل للإحتراق، وذلك حسب المعادلات الدقيقة التي أجراها الشيخ البهائيّ وحسب تصميم خاصّ للخزّان. وكان الشيخ عين حجم الحمّام لإنتاج البيوغاز بالحسابات التي أجراها.

لقد فتح المهندسون الغربيّون هذا الحيّز، فانطفأت الشمعة فوراً، فما استطاع أحد بعد ذلك أن يوقدها ثانية!

ويثق مهندسو البلاد (في إيران) اليوم ببراعة الشيخ في الفنّ المعماريّ، فسمّوا

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

يوم الثاني والعشرين من نيسان يوم تكريم الشيخ البهائيّ ويوم المعمار، لإقامة الأواصر بين الفنّ المعماريّ المعاصر وبين حكمة الشيخ في العمارة. إنَّ رؤية صور هذا الحَمَّام الذي يكاد أن ينهار تُذكر المُؤلِّعين بحكمة الشيخ بشعره الذي نظمه في الغزل العرفانيّ:

يا ساقياً هاتِ شراباً رُوحياً    كي فترة أرمي حجاباً جسمياً  
أعمر فؤادي من نوالٍ أو ندى    خوفاً لما ينهار من فؤاديا  
سودُّ زرابيناً فلا يجري بنا    إلاّ البلا فارم به البهائيا  
حكاية طلسم الشيخ البهائيّ في عمارة حرم الإمام الرضا عليه السلام

تظهر في المذهب الشيعيّ على الدوام أعلامٌ علميّة ودينيّة كثيرة، وكلّهم من تلاميذ وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهم ينالون حظوةً عندهم. ويُعتبر العالم الكبير الشيخ البهائيّ قدس سرّه المدفون في صحن الحرّية للعتبة الرضوية المقدّسة من الشخصيات البارزة في كثير من العلوم الأخرى، كتصميم العمارات وهندستها، ومنها تصميم وتخطيط الحرم الشريف للإمام الرضا عليه السلام والإشراف المباشر على بنائه. فورد في كتاب «الهيّام» لمحمّد لك عليّ آباديّ قصّة تشييد الحرم الرضويّ الشريف، إذ روى عن أحد قوَّام العتبة الرضويّة صفة تخطيط وبناء الحرم الملكوتيّ للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام على يد الشيخ البهائيّ قدس سرّه، قال: لما وضع الشيخ البهائيّ خريطة الحرم، أشرف خلال بنائه على جميع مراحل وأدار ما يتعلّق بذلك بصورة مباشرة. واتفق للشيخ سفرٌ مهمٌّ قبل الانتهاء من تشييد الحرم، فأوصى المهندسين والقائمين على بنائه بوصايا مهمّة، وأكّد في وصاياهم استمرار العمل وإفراغ المجهود في بناء الحرم حتّى إتمامه عدا الباب الرئيس للحرم في ناحية الرأس الشريف، أي الباب المفضي إلى الضريح المقدّس، وليس باب الصحن، إذ كان في نيّة الشيخ أن ينصب فوقه طلسم يتضمّن أبياتاً من شعره. وكان من العُرف السائد أن يثبّت

بطلّسّم فوق الباب الرئيس أو الباب المفضي إلى حرم الأئمة الأطهار عليهم السلام وأولادهم أيضاً، فيزيّن برواية أو عبارة أو أبيات شعر تُبين فضلهم، أو يُكتب عليه حديث مأثور عن صاحب القبر.

وامتدّ السفر بالشيخ، وتجاوزت مدته ما وطّد العزم عليه، ولمّا عاد من سفره وتفقد أعمال بناء الحرم، دُهِش من إتمامه وتشبيد الباب الرئيس في ناحية الرأس وورود جميع الناس إلى الحرم المقدّس، فانزعج لما رأى وقال للمهندسين بغضب: لماذا لم تنتظروا قُدومي وتعلّجتم في هذا الأمر؟ فقال القيم على البناء: أردنا الانتظار ريثما تعود، ولكنّ سادن الحرم أكّد لنا وجوب الإسراع في البناء وإتمامه، فذكرنا له ضرورة عودتك وإشرافك على تشبيد باب ناحية الرأس مباشرة، إلّا أنّه أبى ذلك. ولمّا ألحّنا عليه قال: لقد أصدر أمر إتمام العمل من هو أسمى من الشيخ وأعظم! ولكنّا ألحّنا عليه ثانية وطلبنا منه التريث أيضاً، فقال سادن الحرم: إنّ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام نفسه أصدر الأمر بإتمام العمل!

فذهب الشيخ البهائي قدس سرّه مع الناظر على تشبيد هذا المشروع وسائر المهندسين إلى سادن الحرم واستوضحوا الأمر، فقال لهم السادن: «رأيت الإمام الرضا عليه السلام في المنام خلال ليالٍ متوالية فقال لي بأن لا تعلق طلّسّم الشيخ البهائي على داري، فباب داري لا يُغلق أبداً، بل داري يدخلها من يريد».

ولمّا سمع الشيخ هذا الكلام، تحدّرت دموعه واتّجه نحو الضريح وهو يقول: «يا ستار العيوب». وانكبّ على الضريح يبكي بكاء شديداً حتّى غُشي عليه، ولمّا أفاق من غشيته قال: أردت أن أضع طلّسّم وأعلّقه على الباب في ناحية الرأس الشريف، فيحول هذا الطلّسّم دون دخول الناس غير اللائقين إلى الحرم الشريف والرحاب المنيف للإمام عليّ بن موسى الرضا (ع)، ولكنّ الإمام أبى ذلك، وأعرب عن عدم قبوله لهذا العمل، وذلك بتجليه في المنام لسادن حرمه وأمره برفع الطلّسّم عن باب الدخول والورود إلى الضريح المبارك.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

إنَّ باب هذا الإمام الماجد الكريم لَمَفْتُوحٌ لعامة المسلمين بل وللناس أجمعين، فَرى كلَّ عام كرامات الإمام الرضا عليه السلام تشمل المسلمين وغيرهم، ومائدته المبسوطة يتناول منها كلَّ سائل وناشد.

شعره وشاعريته: رُوي للشيخ البهائي (فضلاً عن علومه) شعرٌ حَسَنٌ كثير، باللغتين العربيَّة والفارسيَّة، تناول فيه أغراضاً شتى. قال الميرزا عبد الله أفندي: وقد جمع شعره ولدي محمد رضا الحرِّ فصار ديواناً لطيفاً<sup>(١)</sup>. لكنَّ المشهور أنَّ ديوانه رحمه الله قد فُقد، ثمَّ بُدلت محاولاتٌ لجمعه من شواهد الكتب، يقول العلامة الأمينيُّ أعلى الله مقامه: كان المترجمُ له شيخنا (البهائي) رحمه الله (على توغُّله في العلوم وأنظاره العميقة فيها) غيرَ تاركٍ لمحاولة الأدب ونُصدَّ القريض باللغتين: العربيَّة والفارسيَّة، وإنَّك لتجد كثيراً من شعره مَبثوثاً في المعاجم<sup>(٢)</sup>.

وكان ممَّن حاول جمع شعره أيضاً: الدكتور محمد التونجي، الذي قال فيه: والعامليُّ شاعرٌ ارتقى مستوى شعره فوق مستوى شعر الشعراء في عصره قليلاً، لكنَّه امتاز: بجديد القول، وبأنَّه أحدُ الشعراء العلماء الذين برزوا في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر، وبأنَّه نَظَّم في كلِّ فنون الشعر (كالمديح والغزل والرثاء والوصف والعتاب والشعر الديني)، على أنه برز في شعر النُصح والوعظ ومدح النبي وآله صلَّى الله عليه وعليهم أكثرَ من بروزه في الأغراض العامَّة الأخرى. وقد نظم القصائد الطويلة التي بلغ بعضها ستينَ وسبعينَ ومئةَ بيت، وهذا يدلُّ على نفسٍ شعريٍّ كفاء<sup>(٣)</sup>. ولوالد الشيخ البهائي الفضل الكبير في هذه الموهبة؛ إذ كان يحثُّ ولده على قرض الشعر منذ صغر سنِّه، فقد رثى والده أحدُ أصدقائه بقصيدة مطلعها:

جارتِي كيف تُحسِنينَ مَلامِي أيُّداوي كَلِّمُ الحشاشا بكلامٍ!

(١) رياض العلماء ٩٠:٥.

(٢) الغدير ١١: ٢٧٢. والمقصود بالمعجم هي المعاجم اللغويَّة.

(٣) بهاء الدين العامليُّ أديباً وشاعراً وعالمًا للدكتور، التونجي: ٧٢ - ٧٣.

ثم دعا ولده بهاء الدين محمداً إلى نظم أبيات على طراز هذا المطلع، فأخذ البهائي ينظم قصيدته:

خَلْيَانِي بِلَوْعَتِي وَغَرَامِي يَا خَلِيلِيَّ وَازْهَبَا بِسَلَامِ  
ثم تاب على معارضة والده بعد أن اشتد ساعده، وانطلقت قريحته في قول الشعر.  
وهذه نماذج من أشعاره:

قال رضوان الله عليه يمدح النبي الأعظم ﷺ:

إِلَيْكَ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ تُشِيرُ بِأَنَّكَ هَادٍ مُنْذِرٌ وَبَشِيرٌ  
وَأَنْتَ مِنْ نَوْرِ الْإِلَهِ مُكُونٌ عَلَى كُلِّ نَوْرٍ مِنْ جَلَالِكَ نُورٌ  
وَرُوحُكَ رُوحَ الْقُدْسِ فِيهَا مُنْزَلٌ وَقَلْبُكَ فِي قَلْبِ الْوُجُودِ ضَمِيرٌ  
وَشَخْصُكَ قُطْبُ الْكَائِنَاتِ، فَسِرُّهَا عَلَى سِرِّهِ فِي الْعَالَمِينَ تَدِيرٌ  
نَزَلَتْ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ بِمَنْزِلٍ يَسِيرٌ إِلَيْهِ الطَّرْفُ وَهُوَ حَسِيرٌ  
وقال رحمه الله في غديرية علوية له:

إِذَا شِئْتَ تُرْضِي إِلَهَ السَّمَاءِ وَتُهْدِي إِلَى الرُّشْدِ بَعْدَ الْعَمَى  
وَتُسْقَى مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الضَّمَا إِذَا مَا انْتَهَى السَّيْرُ نَحْوَ الْحَمَى

وَجِئْتَ مِنَ الْبُعْدِ تِلْكَ الدِّيَارَا

وَقَابَلْتَ مَثْوَى عَلِيِّ الْوَلِيِّ وَأَظْهَرْتَ حَبَّ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ  
وَشَاهَدْتَ حَبْلَ الْإِلَهِ الْقَوِيِّ وَوَجَّهْتَ بَعْدَ سُرَاكِ الْغَرِيِّ

فَلَا تَذُقِ النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا

فَحُطَّ الرَّحَالُ بِذَلِكَ الْمَحَلِّ وَعَنْ أَرْضِهِ قَدَمًا لَا تَزِلُّ  
وَكُنَّ لِسَمَا قَبْرِهِ مُسْتَهْلًا وَقِفْ وَقِفَةَ الْبَائِسِ الْمُسْتَذَلِّ

وَسِرَّ فِي الْغَمَارِ وَشَمَّ الْغُبَارَا

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

فَإِنْ طِعْتَ رَبَّ السَّمَا فَارْضِهِ      فَحُبِّ الْأُمَّةِ مِنْ فَرْضِهِ  
وَضَاعِفًا ثَوَابَكَ مِنْ فَرْضِهِ      وَعَقْرَ خُدُودِكَ فِي أَرْضِهِ  
وَقُلْ: يَارِعَى اللَّهُ مَعْنَاكَ دَارَا

عَلِيٌّ أَمِيرِي وَنِعْمَ الْأَمِيرُ      مُجِيرِي غَدَاً مِنْ لَهَيْبِ السَّعِيرِ  
وَكَانَ لِأَحْمَدَ نِعْمَ النَّصِيرِ      وَوَقَّاهُ عُمَرَاً غَدَاةَ الْغَدِيرِ  
مِنْ اللَّهِ نَصًّا بِهِ وَاخْتِيَارَا

وقال في التشوق إلى زيارة الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه:  
يَارِيحُ أَقْصُ قِصَّةِ الشُّوقِ إِلَيْكَ      إِنْ جِئْتَ إِلَى طُوسٍ فَبِاللَّهِ عَلَيْكَ  
قَبْلَ عَنِّي ضَرِيحَ مَوْلَايَ وَقُلْ:      قَدْ مَاتَ بِهَائِيكَ بِالشُّوقِ إِلَيْكَ  
وقال وقد أشرف على مدينة «سُرْمَنْ رَأَى» وأقبل على زيارة الإمامين: علي الهادي  
والحسن العسكري سلام الله عليهما:

أَسْرِعِ السَّيْرَ أَيُّهَا الْحَادِي      إِنْ قَلْبِي إِلَى الْحِمَى صَادِي  
وَإِذَا مَا رَأَيْتَ مِنْ كَثَبٍ      مَشْهَدَ الْعَسْكَرِيِّ وَالْهَادِي  
فَالْتِمِ الْأَرْضَ خَاضِعاً فَلَقَدْ      نِلْتَ (وَاللَّهِ) خَيْرَ إِسْعَادِ  
وَإِذَا مَا حَلَلْتَ نَادِيَهُمْ      يَا سَقَاهُ الْإِلَهُ مِنْ نَادِي!  
فَاغْضُضِ الطَّرْفَ خَاضِعاً وَلِهَا      وَاخْلَعْ النَّعْلَ إِنَّهُ الْوَادِي!

وقال الشيخ البهائي في الفوز والأمان في مدح الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام:  
سَرَى الْبَرْقُ مِنْ نَجْدٍ فَجَدَّدَ تَذْكَارِي      عَهوداً بِحُزْرُوِي وَالْعُدَيْبِ وَذِي قَارِ  
وَهِيَّجٍ مِنْ أَشْوَاقِنَا كُلِّ كَامِنٍ      وَأَجَّجٍ فِي أَحْشَائِنَا لِأَهْبِ النَّارِ  
خَلِيفَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَظِلُّهُ      عَلَى سَاكِنِي الْغُبْرَاءِ مِنْ كُلِّ دِيَارِ

إمامٌ هُدىَ لآذِ الزمانِ بِظِلِّهِ  
 وألقى إليه الدهرُ مَقْوَدَ خَوَارِ  
 علومُ الوري في جَنبِ أَبْحَرِ علمِهِ  
 كغرفةِ كَفٍّ أو كغمسةِ منقارِ  
 فأنعشَ قلوباً في انتظارِكَ قُرْحَتِ  
 وأضجَرها الأعداءُ آيَةَ اضْجَارِ  
 وخلصَ عبادَ اللهِ مِن كلِّ غاشمٍ  
 وطَهَّرَ بلادَ اللهِ مِن كلِّ كَفَّارِ  
 وقال في الرجاء وطلب الشفاعة:

يا ربِّ إنني مُذنبٌ خاطيءٌ  
 مُقصرٌ في صالحاتِ القُربِ  
 وليس لي مِن عملٍ صالحٍ  
 أرجوه في الحشرِ لدفعِ الكُربِ  
 غيرَ اعتقادي حبَّ خيرِ الوري  
 وآلِهِ.. والمرءُ معَ مَنْ أَحَبَّ  
 وقال في ذلك أيضاً:

وَنَثَقْتُ بَعْضَ اللهِ عَنِّي فِي غَدِ  
 وإن كنتُ أدري أنني المذنبُ العاصي  
 وَأَخْلَصْتُ حُبِّي لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ  
 كفى في خلاصي يومَ حشري إخلاصي  
 وأخيراً.. قال يرثي أباه رحمه الله تعالى:

يا حَبِّذا أزمَنُ في ظِلِّهِمْ سَلَفَتْ  
 ما كانَ أقصرَها عُمراً وأحلاها  
 أوقاتُ أنسِ قَضيَناها فما ذُكِرَتْ  
 إلا وقطَعَ قلبَ الصَّبِّ ذِكرَها  
 يا سادةَ هَجَرُوا واستوطنوا هَجْراً  
 وهاأ لقلبِ المُعنى بَعْدُكُمْ واهأ!  
 لِفَقْدِكُمْ شَقَّ جِيبِ المَجدِ وانصَدَعَتْ  
 أركانُهُ.. وبِكُمْ ما كانَ أقواها

## وأخيراً.. الوَدَاع

وكان ممّا لا بدّ منه.. إذ رحل العالم الورع الجليل بهاء الدين العاملي قُدِّسَتْ رُوحُهُ إلى جوار ربّه، وقد اختُلف في تاريخ وفاته:

فذكر السيّد حسين بن السيّد حيدر الحسيني الكركي (تلميذه)، والمجلسيّ الأوّل الذي حضر وفاته والصلاة عليه، أنّ الشيخ البهائيّ توفّي في أصفهان، في الثاني عشر من شوال سنة ١٠٣٠ هجرية (الموافق لسنة ١٦٢٠ ميلادية)، وإلى هذا ذهب العرّضي<sup>(١)</sup>. وقيل: كانت وفاته رضوان الله عليه سنة ١٠٣١ هجرية<sup>(٢)</sup>. أمّا الشيخ الحرّ العامليّ فينفرد بتاريخ سنة ١٠٣٥ هجرية قائلاً: وقد سمعنا من المشايخ أنّه مات سنة ١٠٣٥ هجرية<sup>(٣)</sup>.

وكانت وفاته بمدينة أصفهان، ثمّ نُقل جثمانه إلى مدينة مشهد الإمام الرضا عليه السلام عملاً بوصيته، فدُفن به في داره القريبة من الحرم الرضويّ الشريف، والتي كانت محلّ تدريسه، ثمّ ضُمّ قبره إلى دائرة الحرم المبارك بعد توسعته. يقف عنده عشرات ومئات المؤمنين عند زيارتهم للإمام الرضا عليه السلام، فيقرؤون الفاتحة على روحه الطيبة في رواق جميل سمّي بـ (رواق الشيخ البهائيّ).

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، قال تلميذه المجلسيّ الأوّل: تشرّفتُ بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء، وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً<sup>(٤)</sup>. ومن غريب ما اختتمت به حياته ما حكى بعض الثقات من أنّه قبيل وفاته قصد زيارة القبور في جمع من الأخلاء، فما استقرّ بهم الجلوس حتّى قال لمن كان معه: إنّي سمعتُ شيئاً، فهل منكم من سمعه؟ فأنكروا سؤاله، واستغربوا مقالته، وسألوه عمّا سمع

(١) سلافة العصر: ٢٨٩، ربحانة الأدب ٣: ٣١٩.

(٢) لؤلؤة البحرين: ٢٢، رياض العلماء ٥: ٩٢.

(٣) أمل الأمل ١: ١٥٨، وإلى هذا يشير ميرزا عبد الله أفندي في (رياض العلماء ٥: ٩٢).

(٤) أعيان الشيعة ٤٤: ٢١٨.

فأوهم، وعمى في جوابه وأبهم، ثم رجع إلى داره وأغلق بابَه، فلم يلبث أن أهاب به داعي الردى فأجابَه<sup>(١)</sup>.

وهناك روايةٌ أوضح حكاها تلميذه المجلسيُّ الأوَّل قائلاً في ترجمة أستاذه الشيخ البهائي: إنَّه رحمه الله سمع قبل وفاته بستَّة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين، وكنتُ قريباً منه، فنظر إلينا وقال: سمعتم ذلك الصوت؟ فقلنا: لا. فاشتغل بالبكاء والتضرُّع والتوجَّه إلى الآخرة، وبعد المبالغة العظيمة قال: إنِّي أُخبرْتُ باستعداد الموت! <sup>(٢)</sup> وقد رثاه بعض تلامذته، وهو الشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي، بقصيدة جاء فيها هذه الأبيات:<sup>(٣)</sup>

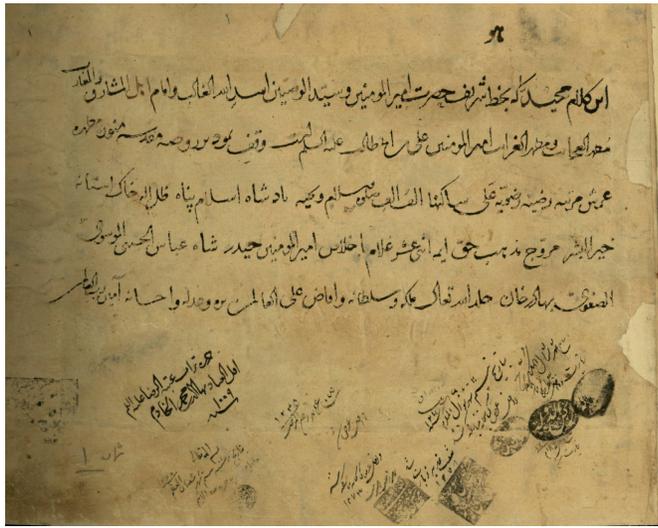
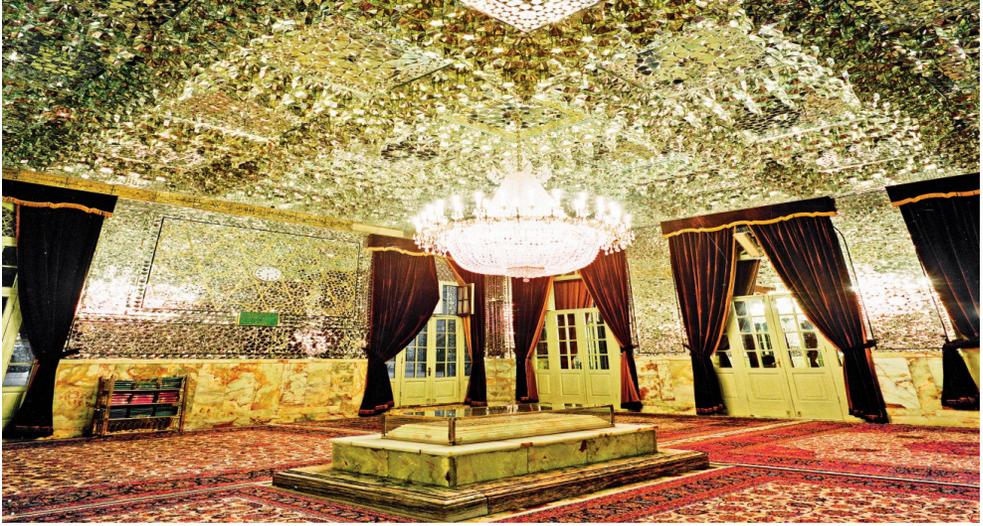
شيخ الأنام بهاء الدين لا برحت      سحائب الفضل يُشبهها له الباري  
ميت به اتضح سبل الهدى وغدا      لفقده الدين في ثوب من القار  
والعلم قد درست آياته وعفت      عنه رسوم أحاديث وأخبار  
كم خرر (لما قضى) للعلم طود على      ماكنت أحسبه يوماً بمنهار  
وكم بكته محاريب المساجد إذ      كانت تُضيء دجى منه بأنوار  
فاق الكرام ولم تبرح سجيته      إطعام ذي سغب مع كسوة العاري  
جل الذي اختار في طوس له جدثاً      في ظل حام حماها نجل أظهار

كان من التوفيقات الفاخرة للشيخ البهائي رحمه الله أن حظى بالمجاورة الدائمة من الإمام الرووف على بن موسى الرضا صلوات الله عليه، حيث أصبح له قبرٌ منفردٌ على قرب من الضريح المبارك للإمام الرضا عليه السلام أحيط برواق يضيئ الإمام عليه من نوره وجلاله. وهذه بعض الصور لرواق الشيخ البهائي طاب ثراه.

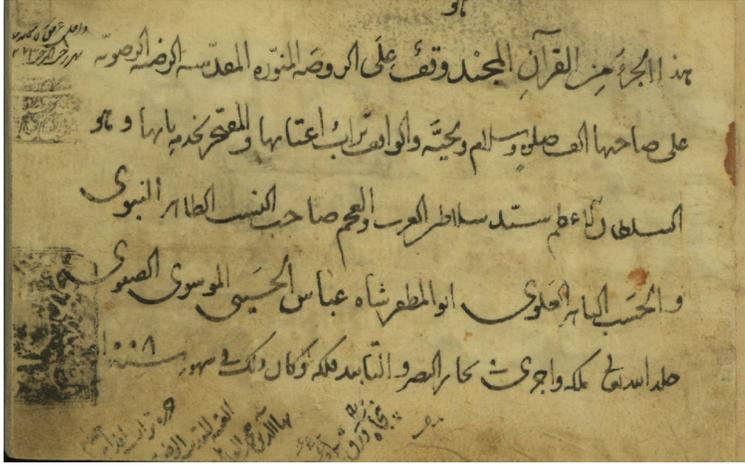
(١) خلاصة الأثر ٣: ٤٤١ - ٤٤٠.

(٢) الكنى والألقاب ١: ١٠١ - نقلاً عن: سلافة العصر.

(٣) لؤلؤة البحرين: ٢٣.



في ختام مقالتنا هذه أحببنا أن نُورد مجموعةً من صفحات بعض الكتب التي أوقفها الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه على طلبة العلوم الإسلامية ليستفيدوا منها، ومجموعةً من صفحات بعض نسخ القرآن الكريم التي أوقفها الشاه عباس الحسيني الصفوي على الروضة الرضوية الطاهرة النيرة، وعلى الجميع خطُّ الشيخ البهائي أو ختمه الجميل أو إمضاؤه الرشيق.



وقفيّة الشاه عباس الحسينيّ الصفويّ لنسخة القرآن الكريم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، والوقفيّة بخط الشيخ البهائيّ، وهي محفوظة في المكتبة الرضويّة المركزيّة الرضويّة تحت الرقم ١.



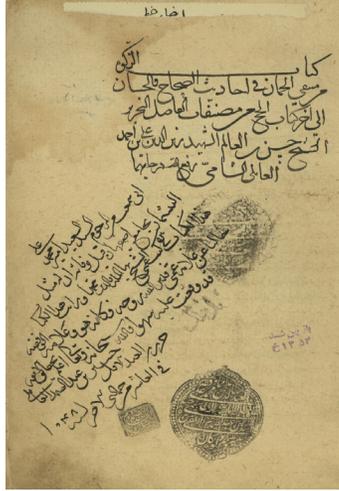
وقفيّة الشاه عباس الصفويّ لنسخة القرآن الكريم المنسوبة إلى خطّ الإمام الحسن المجتبي صلوات الله عليه، وقد حرّرت بيراع العالم الفاضل الجليل الشيخ البهائيّ سنة ١٠٠٩ هجريّة. وهي محفوظة في المكتبة الرضويّة تحت الرقم ١٣ م.

## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني

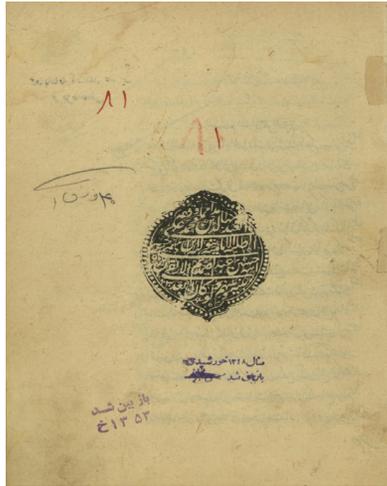


وقفية الشاه عباس الصفويّ لنسخة القرآن الكريم المنسوبة إلى خطّ الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، على الروضة الرضويّة المقدّسة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بخطّ الشيخ البهائيّ بتاريخ ١٠٠٩ هـ، والنسخة الشريفة محفوظة في المكتبة الرضوية المركزية تحت الرقم ٢ م.

وقفية الشيخ البهائيّ لكتابه (الأربعين) على الروضة الرضويّة للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في أواخر سنة ٩٩٦ هـ. والنسخة الخطيّة للكتاب محفوظة في المكتبة الرضوية المركزية تحت الرقم ١٥٩٠ م.

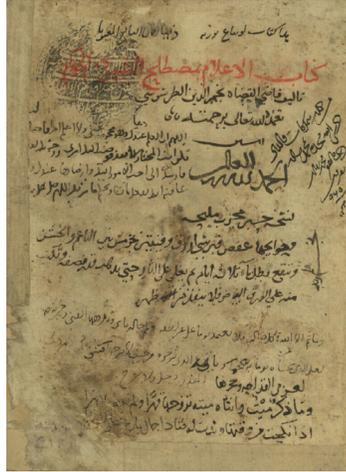


وقفية الشيخ البهائي لكتاب (منتقى الجمان في أحاديث الصحاح والحسان) لابن الشهيد الثاني، على ابن أخيه الشيخ حسين بن عبد الصمد، ونسخة الكتاب الخطية محفوظة في المكتبة الرضوية المركزية تحت الرقم ٥٦٩٧ م.



الختم الوقفي للعالم الألمي الشيخ البهائي رضوان الله عليه لكتاب (شفاء الأسقام) المحفوظ نسخته الخطية في المكتبة المركزية الرضوية تحت الرقم ٥١١٣ م، تاريخ الوقف: سنة ١٠٣٠ هـ.

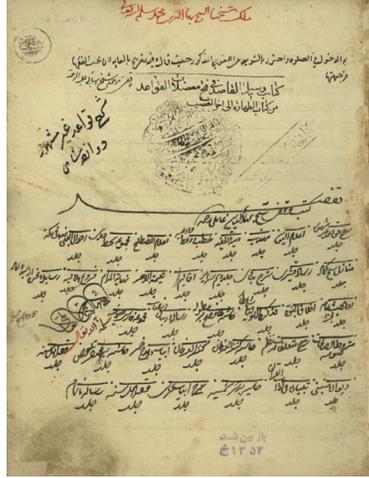
## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني



الإمضاء الوقفي للشيخ البهائي قزويني على كتاب (الإعلام بمصطلح الشهود والحكام) لقاضي القضاة نجم الدين إبراهيم الطرسوسي. والنسخة الخطيَّة للكتاب محفوظة في المكتبة الرضويَّة المركزية تحت الرقم ٥٧٥٢م.



الإمضاء الوقفي للشيخ البهائي أعلى الله مقامه على كتاب (بحر الجواهر) للطبيب محمد بن يوسف الهروي، أوقفه على الطلبة الإمامية سنة ٩٨٤ هـ. والنسخة الخطيَّة للكتاب محفوظة في المكتبة الرضويَّة المركزية تحت الرقم ٥٠٥٠م.

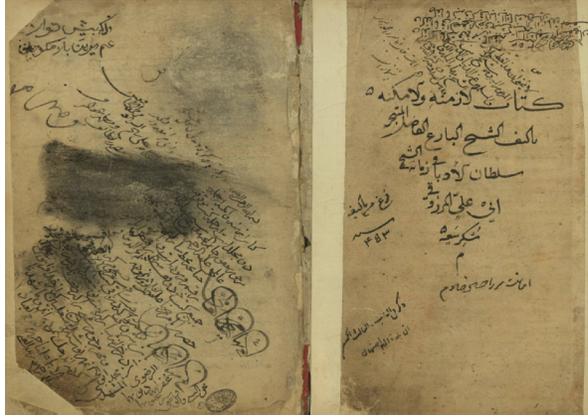


الإمضاء الوقفي للعالم الجليل الشيخ البهائي قُدْرَتُهُ على كتاب (وسيلة القاصد في فتح معضلات القواعد) للعلامة الحلبي، والنسخة الخطيَّة للكتاب محفوظة في المكتبة الرضويَّة المركزيَّة تحت الرقم ٥٧٢٧ م.



الصفحة الأخيرة من كتاب (بحر الجواهر) للطبيب محمد بن يوسف الهروي (القرن العاشر هجري)، و عليها الإمضاء الوقفي للشيخ البهائي رضوان الله عليه على الطلبة الإماميَّة. والنسخة الخطيَّة للكتاب محفوظة في المكتبة الرضويَّة المركزيَّة تحت الرقم ٥٠٥٠ م.

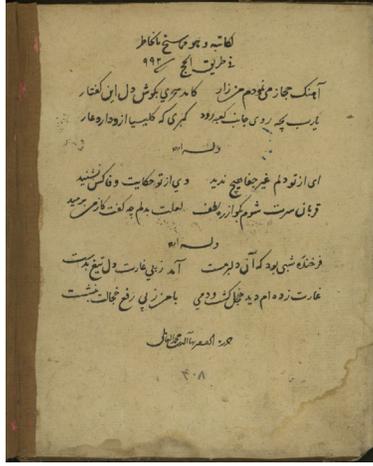
## الشيخ علي أكبر إلهي خراساني



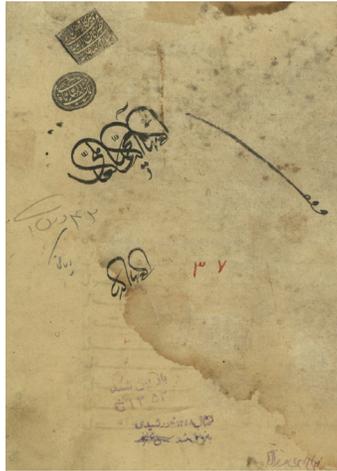
النسخة الخطيَّة لكتاب (الأزمنة والأمكنة) للشيخ أبي عليّ الندوقيّ الأصفهانيّ، وهي بخطّ الشيخ البهائيّ قدس سره، وعلى الكتاب إمضاءه الوقفيّ على الطلبة الإمامية. والنسخة هذه محفوظة في المكتبة الرضويّة المركزية تحت الرقم ٤١٧٠ م.



الختم الوقفيّ للعالم النحرير الشيخ البهائيّ طاب ثراه لكتاب (الأزمنة والأمكنة) لأبي عليّ الأصفهانيّ، على الطلبة الإمامية سنة ٩٨٤ هجرية. والنسخة الخطيَّة للكتاب محفوظة في المكتبة الرضويّة المركزية تحت الرقم ٤١٧٠ م.



الصفحة الأخيرة من كتاب (تحرير الأكر) لخواجه نصير الدين الطوسي، حررها الشيخ البهائي وعليها أشعاره التي نظمها في طريق الحج سنة ٩٩٢ هـ. وقد أوقفه الشاه نادر أفشار سنة ١١٤٥ هـ، وهو محفوظ في المكتبة الرضوية المركزية تحت الرقم ٥٢٣٢.



الإمضاء الوقفي للشيخ البهائي قدس سره على كتاب (الأعمال الهندسية) المترجم إلى اللغة الفارسية، لأبي الوفاء محمد بن يحيى، المهندس البوزجاني (ق ٤ هـ). ونسخته الخطية محفوظة في المكتبة الرضوية المركزية تحت الرقم ٥٢٦٤ م.



الإمضاء الوقفي للشيخ البهائي لكتاب (شرح الأعمال الهندسيّة) لمؤلفه المهندس البوزجاني و شارحه موسى بن مالك العقيلي الشافعي (ق ٧ هـ)، ونسخة الكتاب المخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة الرضويّة تحت الرقم ٥٣٥٧ م.

